(عبيد بلا أغلال)

مختصر

الحرية وأزمة الهوية

في الخليج والجزيرة العربية

بقلم د. حاكم المطيري

Ommah2000@yahoo.com

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للخلق أجمعين، وبعد..

فهذا كتاب (عبيد بلا أغلال)، وهو مختصر من كتاب (الحرية وأزمة الهوية)، حيث تم اختصاره ونشره على ثلاثين حلقة في موقعي، واقتصرت على ما يهم عامة القراء، وتركت التفاصيل للمتخصصين إلى حين صدور الكتاب الأصل كاملا..

(عبيد بلا أغلال)

(1)

الحرية وأزمة الهوية

في الخليج والجزيرة العربية

الافتتاحية :

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده، وبعد..

يواجه شعب الخليج والجزيرة العربية اليوم تحديات كبيرة، وإشـكالات خطـيرة، تنذر بأن الأزمة قد تنفجر في أي لحظة ما لم يتم تداركها، وهـي أزمـة عميقـة تضرب جذورها في صميم الهوية لشعب الخليجوالجزيرة العربية، وحقه في المواطنة والحرية على أرضه وأرض آبائه وأجداده، حيـث بـات العـرب في جزيـر م وخليجهم يعيشون أزمة (الهنود الحمر)، تحت ظل الاستعمار الأمريكـي، وقبلـه البريطاني لأرضهم، وتصرفه في شئو م، وفرضه حلفاءه على المنطقة وشعو ا بقوة الحديد والنار، منذ سنة 1900م، وما زال المشهد كما هو منذ ذلك التاريخ إلى اليوم، حيث تفاجأ الخليجيون حين استفاقوا بأ م (عبيـد بـلا أغـلال)، فهـم مواطنون بلا حرية، وشعب بلا هوية، وهو ما يوجب فتح ملف هذه القضية:

فما هي هوية شعب الخليج والجزيرة العربية؟

ومن الذي يشكّل هذه الهوية اليوم؟

وما مظاهر الأزمة والإشكالية التي يعيشها؟

وما أثر أزمة الهوية على الحرية السياسية وحقوق المواطنة؟

وما طبيعة العلاقة بين شعب الخليج والجزيرة العربية والأنظمة الحاكمة؟

وكيف قامت هذه العلاقة؟ ومتى قامت؟ ومن الذي أقامها؟ ومن الذي يحميها؟

ولم قامت على أساس التبعية والرعوية للحاكم، لا على أساس المواطنة للدولة؟

وعلى أي أساس كسبت الحكومات في دول الخليج العربي مشروعيتها؟

وهل هي تمثل الشعوب أم تمثل الأسر الحاكمة؟

وبأي حق دستوري أو شرعي يتمتع الآلاف من أفراد هـذه الأسـر والعشـائر الحاكمة بكل الامتيازات بينما تحرم منها شعو ا؟

وعلى أي أساس يتم ار ان حاضر شعب الجزيرة والخليج ومسـتقبله ومصـالحه وثرواته وأوطانه للقوى الاستعمارية بقرار فردي، دون أن يكون لشعبها أي حق في تقرير مصيره؟

ومن الذي يسوس شئون المنطقة منذ سنة 1900م إلى اليوم؟

وما هو دور الحكومات الخليجية في تنفيذ ما يرسم لها؟

ولم تجمد الحراك السياسي في الخليج والجزيرة العربية حتى كاد يحتضر؟

ولم تعطل النمو الاقتصادي والنشاط المالي حتى كاد يختنق؟

ومن الذي يتحكم في الحراك السياسي والاجتماعي والاقتصادي؟

وكيف استطاعت بعض دول الخليج وضع دساتير صورية، وبرلمانـات شـكلية، وصناعة معارضة وهمية، لإضفاء الشرعية الدسـتورية علـى الحكـم الأسـري العشائري باسم الديمقراطية؟!

هذه بعض الأسئلة التي تحاول هذه الدراسة الإجابة عنها، بعد أن عالجت في كتابي (الحرية أو الطوفان)، وكتابي(تحرير الإنسان)، إشكالية الخطاب السياسي التاريخية والعقائدية، والأزمة التي تعيشها الأمة اليوم فكريا وثقافيا ودينيا حتى صارت من

أكثر الأمم قابلية للاستعمار الخارجي، وخضوعا للاستبداد الداخلي، فرأيت أن الواقع السياسي أيضا يحتاج هو إلى دراسة تحليلية، إذ الخطاب السياسي الديني والثقافي السائد في المنطقة اليوم ما هو إلا استجابة ونتاج لهذا الواقع السياسي، فللأنظمة الحاكمة اليد الطولى في تشكيله وصناعته وتسويقه وترويجه، لترسيخ هذا الواقع باسم الدين، وليتم إضفاء الشرعية عليه، من خلال تحالفها مع حركات دينية باتت جزءا من هذه الأنظمة، تعمل لحسابها، وبدعمها المالي والسياسي، على حساب الشعوب وحقوقها وحريتها واستقلالها التي ما تزال ترزح تحت أبشع صور العبودية والطغيان السياسي الخارجي والداخلي؟

فكان هذا الكتاب الذي يكشف أبعاد أزمة الهوية، وأثرها على الحرية السياسية، وغياب حقوق المواطنة، ويعالج هذه الإشكالية، التي تتجلى في أوضح صورها في العبودية المطلقة التي يعيشها ويخضع لها الملايين من العرب الأقحاح على أرضهم وأرض أجدادهم في الخليج والجزيرة العربية، وفي الأغلال التي وضعت في أعناقهم منذ الحرب العالمية الأولى إلى اليوم، وفي التغيير الديمغرافي السكاني الذي تعرضت وتتعرض له جزيرتهم لتكريس هذا الواقع السياسي، ليكتشفوا بعد ثمانين سنة أنهم ليسوا مواطنين في دولهم، وليسوا شعوبا كباقي شعوب العالم، بل هم رقيق يعيشون في إقطاعيات أقامها الاستعمار الغربي، يعيشون فيها عبيدا على أرضهم، ويتم بيعهم وشراؤهم والتصرف فيهم في أسواق النخاسة العالمية، دون الرجوع إليهم، حتى غدا أفقر شعوب العالم العربي وأضعفها أقدر على التأثير في واقعه السياسي، وأقدر على المدافعة والممانعة للتدخل الأجنبي في شئونه، من ثلاثين مليون عربي خليجي، في جزيرة العرب، ليس لهم في تقرير مصيرهم أدنى رأي!

فكانوا كما قال الأول:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم

ولا يستأذنون وهو شهود !

فهم عبيد من حيث لا يشعرون، بعد أن اعتادوا على العبودية وأشربوها، وهم الشعوب الوحيدة في العالم كله التي لا تشارك - بل ولا يرى لها حق - في اختيار

حكومتها ولو اختيارا صوريا، لأنه لا حق أصلا لها - في نظر الأنظمة الحاكمة - في الأرض فضلا عن السلطة والثروة والحرية وكافة حقوق المواطنة؟

وهي الشعوب الوحيدة في العالم التي ما تزال تحكم بأنظمة أسرية حكما شموليـا مطلقا، في بلدان هي أشبه بالإقطاعيات والعبيد منها بالدول والشعوب؟

وهي الشعوب الوحيدة التي تمنح وتحرم من حقوق المواطنة بجرة قلـم دون أي ضمانات دستورية وقانونية - ولا حتى حق اللجوء للقضاء - تحمي هذه الشعوب من طغيان الأنظمة الحاكمة؟

وهي الشعوب الوحيدة في العالم التي ترتبط بالأنظمة الحاكمة، لا بالأرض والدول التي تعيش عليه؟

وهي الشعوب الوحيدة في العالم كله التي تشكل الأسر الحاكمة ثلـث أو نصـف الوزراء في حكومتها، وتستأثر بكل وزارات السيادة دون أن يجرؤ أحـد علـى الاعتراض؟

وهي الشعوب الوحيدة في العالم التي تستأثر الأنظمة الحاكمة لها بما يقارب ثلـث دخل النفط كحق طبيعي، دون أن يجرؤ أحد على محاسبتها، حتى بلغت ثروتهـا الخاصة أكثر من (2ترليون) ألفي مليار دولار في الداخل والخارج؟

وهي الدول الوحيدة في العالم التي يحصل فيها أبناء العشائر الحاكمة - ويبلغـون الآلاف - على مخصصات مالية منذ الولادة إلى الوفاة كحق مشروع من الثـروة دون أي عمل أو جهد؟

هذا مع العلم بأن عامة الخليجيين مدينون للبنوك بـالقروض الربويـة المملـوك أكثرها للأسر الحاكمة نفسها، حيث بلغت نسبة المدينين من الشـعب الكـويتي وحده 97 % كما تؤكده الإحصائيات والدراسات!

وهي الشعوب الوحيدة في العالم التي لم تعرف في تاريخها مشكلة الاسـتعمار ولا مفهوم التحرير والاستقلال؟

وهي الشعوب الوحيدة في العالم التي احتلها الاستعمار البريطاني مدة قرن كامـل وحكمها بخمسة موظفين، وخرج منها دون أن يواجه حرب تحرير شعبية أو ثورة استقلالية، ولا تختـزن ذاكر ـا الجماعيـة أي بطـولات أو أبطـال للتحريـر والاستقلال؟

وهي الشعوب الوحيدة في العالم التي تخضع اليوم للاستعمار العسكري الأمريكي المباشر، والذي يتخذ منها قاعدة لاحتلال الدول الأخرى والسيطرة عليها، دون أن تشعر هذه الشعوب بمشكلة أو تعيش إشكالية؟

كل هذه الأسئلة المطروحة لا يمكن معرفة أجوبتها، ولا اكتشاف أسبا ا وعللها، إلا بقراءة واعية لتاريخ المنطقة وتاريخ شعو ا، لمعرفة كيف قامت دولهـا، ومـا دور الحملة الصليبية الغربية الثامنة منذ الحرب العالمية الأولى في تشكيلها، ورسم حدودها، وفرض هذا الواقع عليها، وكيف نجحت حكوما ا بتوجيه من القـوى الاستعمارية في خلق ثقافة دينية إسلامية تدافع عنها وتتعايش معها، وتقبل هـذا الواقع بكل ما فيه من إشكاليات وتناقضات لتقف حاجزا منيعا أمام كل قـوى التغيير الوطني والقومي والإسلامي لصالح الاستعمار الأجنبي والاستبداد الداخلي، ولتظل شعوب المنطقة منذ الحرب العالمية الأولى إلى اليوم تعيش حالـة (فقـدان الذاكرة)،وتتداولها أيدي الدول الغربية الصليبية الاستعمارية وحملا ا العسكرية البريطانية ثم الأمريكية بمباركة من الثقافة الدينية؟!

هذا وقد قمت بتقسيم الدراسة إلى :

1- الباب الأول: إطلالة تاريخية ومقدمات ضرورية عن إشـكالية الهويـة ومفهوم الحرية.

الفصل الأول: تاريخ الخليج والجزيرة منذ ظهور الإسلام إلى العهد العثماني.

الفصل الثاني: قيام الدويلات المذهبية في الخليج والجزيرة العربية.

الفصل الثالث: الحملات الصليبية على الخليج والجزيرة العربية.

الفصل الرابع: الأوضاع السياسية والإدارية للخليج والجزيرة العربية في الدولة العثمانية.

الفصل الخامس: المكونات الاجتماعية الرئيسية ونفوذها ومناطق وجودها.

2- الباب الثاني: تاريخ دويلات الطوائف في الخليج والجزيرة العربية:

الفصل الأول: ظهور دويلات الطوائف في الخليج والجزيرة العربية.

الفصل الثاني: الحرب العالمية الأولى مقدما ا وتداعيا ا.

الفصل الثالث: مشروع الثورة العربية والمملكة العربية المتحدة.

الفصل الرابع: مؤتمر القاهرة سنة 1920م وتأسيس دويلات الطوائف.

الفصل الخامس: تجليات أزمة الهوية.

وقد التزمت في هذا الدراسة أن لا أورد فيها من الأحداث إلا ما ثبـت وقوعـه ثبوتا قطعيا بالأدلة التاريخية الموثوقة كتابيا، وأن أتجنب التحليل والاستنتاج، قدر الإمكان، وأن أقتصر على الربط بين الحوادث كما هـي، وذلـك بـالرجوع إلى عشرات المصادر التي ذكر ا، خاصة الوثائق البريطانية والعثمانية ووثائق حكومة الهند البريطانية، وحيث تواتر ذكر الحادثة في أكثر من وثيقـة مختلفـة المصـدر والجهة، فلا أطمئن لذكر حادثة ما لم تؤكدها جهات عـدة مختلفـة، كالوثـائق العثمانية والبريطانية إذا ذكرتا أو أشارتا إلى حادثة معينة.

ولا يتصور واهمٌ أن حجية الوثائق البريطانية مطعون فيها، إذ تلك الوثائق إنمـا كان يكتبها المسئولون البريطانيون لحكومتهم، ويرصدون فيها أحداث المنطقة التي احتلوها وأصبحوا يديرو ا مدة قرن تقريبا، وكانوا يرو ا جزءا من مستعمرا م التابعة لهم، فهم أدرى بمجريات حوادثها، ولا يوجد ما يحملـهم علـى تزييـف الحقائق، إذ سبب نجاحهم في السيطرة عليها هو عنايتهم بتدوين كل حدث يجري بموضوعية وعلمية ليساعدهم ذلك على اتخاذ القرار الصحيح لبسط نفوذهم على المنطقة، فهم حين كتبوا تاريخ المنطقة لم يكتبوه كمؤرخين، وإنما كتبوه لرؤسائهم كمسئولين يديرون شؤون مناطق خاضعة لهم، وأكثرها ظلت وثائق سرية لـديهم حتى مضى زمنها الذي يخشى من الإعلان عنها فيه!

وإنما المقصود عندي هو عرض تاريخ المنطقة كما هو، لا كمـا زيفتـه الثقافـة الرسمية التي اصطنعها الاستعمار الغربي للمنطقة، في حملته الصليبية الثامنة علـى العالم الإسلامي منذ الحرب العالمية الأولى، وقد ترتب على هذا التزييف تداعيات سياسية خطيرة ما زالت شعوب المنطقة تدفع ثمنها إلى اليوم، ولعل مـن أشـدها خطرا أزمة الهوية التي يعيشها (الهنود السمر) اليوم في جزيرة العرب، ليصـبحوا اليوم غرباء على أرضهم وأرض أجدادهم وموطنهم منذ عـدنان وقحطـان، لا لشيء إلا لأ م فقدوا الذاكرة الجماعية، بعد عقود من الطغيان والتضليل الثقافي والإعلامي الذي مارسه كبار دهاقنة السياسة والثقافة المأجورين باسم الوطنيـة تارة، والديمقراطية تارة أخرى، والدين تارة ثالثة!

هذا وأسأل الله أن يعجل بفرجه لهذه الأمة المنكوبة، والشعوب المنهوبة، وحقوقها المسلوبة، كما أسأله سبحانه التوفيق والسداد في القول والعمل، وأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وهو سبحانه ولي التوفيق.

ملحوظة : هذه المقالات مختصرة من كتابي (عبيد بلا أغلال) بما يناسب عامة القراء، أما تفصيل الأحداث فإلى حين صدور الكتاب مطبوعا كاملا، وإلى صدور أيضا كتابي الموسوعي الوثائقي (دويلات الحملة الصليبية في الخليج والجزيرة العربية)!

عبيد بلا أغلال

(2)

(تزييف الوعي الخليجي)

ولعل أبرز مظاهر أزمة الهوية التي يعيشها الخليجيون تتمثل في :

- **طمس الهوية :**

وهو مظهر خطير من مظاهر أزمة الهوية التي يعيشها الخليجيون، فالتاريخ والثقافة والعلم والمعرفة كلها عوامل رئيسة في صياغة هوية المجتمع، وهذه العوامل تتعرض منذ عقود للتزييف والاختزال والنحت والعبث من خلال مؤسسات الدولة القطرية التعليمية والإعلامية والثقافية، حيث تقوم تلك المؤسسات بممارسة دور خطير في تضليل النشء وتزييف الوعي الجمعي، لخلق هوية وطنية جديدة يكون الولاء فيها للأنظمة الحاكمة، لا للدولة بمفهومها الشامل الذي يعني الأرض والشعب والسلطة، ولتكريس الطبقية والفئوية باسم الوطنية المزعومة، لإضفاء الشرعية على كل ممارساتها غير المشروعة!

فتاريخ دول الخليج العربي اليوم لا يمت لتاريخ شعب الخليج وجزيـرة العـرب بصلة، فهو يحكي فقط تاريخ الأسر الحاكمة – ودون مصداقية أيضا - أكثر ممـا يحكي تاريخ شعو ا، حتى أصبحت شعوب الخليج تعيش حالـة أشـبه بفقـدان الذاكرة، فتاريخها يبدأ من تاريخ الأسر الحاكمة وتدور أحداثه كلها حولها، فهي التاريخ والشعب والوطن والدولة، وهي قطب الرحى ولا شيء غيرها!

و كل ذلك من أجل ترسيخ هوية ترضى بالخضوع المطلق لسلطة هـذه الأسـر، والاعتراف بمشروعية استفرادها بالسلطة والثروة، بناء علـى حقهـا التـاريخي المزعوم في الأرض كما تروجه الثقافة الوطنية الجديدة!

وقد عبر عن هذه الأزمة الثقافية السياسي الكـويتي المخضـرم الـدكتور أحمـد الخطيب بقوله (فتاريخ الكويت تعرض للتزوير والتدجيل وألغـي دور الشـعب الكويتي كليا، وأصبحت الكويت كلها وتاريخها تاريخ عائلة الصباح)[1].

وما ذكره الأستاذ الخطيب هو نصف الحقيقة أيضا وليس كل الحقيقة التي غـاب نصفها في كتاب الخطيب نفسه، إذ تحدث في كتابه عن تاريخ الكويـت المدينـة فقط، لا تاريخ الكويت الدولة التي اتسعت لتشمل مناطق واسعة من الصـحراء وقبائلها التي كان لها أكبر الأثر السياسي في أحداث المنطقة وفي تشـكل كيـان دويلا ا المعاصرة، كما سيأتي معنا في الوثائق التاريخية، ومن يقرأ مـثلا تـاريخ

---

[1]الكويت من الإمارة إلى الدولة للخطيب ص 16.

الكويت الذي يدرس في المدارس والمعاهد بل وفي الجامعة يجد أنه يقتصر فقط على تاريخ مدينة الكويت التي يحيطها السور، التي لم تكن مساحتها تتجـاوز ميـل في ميل إلى ما قبل الاستقلال بمدة قصيرة، بينما يتم - عن قصد - طمـس تـاريخ سكا ا الذين كانوا فيها منذ مئات السنين وما زالوا يعيشون على أرضها حسب حدودها الدولية التي تبلغ نحو 18000ك م، أي ثمانية عشر ألف ضعف مسـاحة المدينة!

فالقبائل التي تجوب صحراءها، وتاريخها، ومنازلها، وآبارها، وحرو ا، كل ذلك ليس من تاريخ الكويت الرسمي، فعندما نتحدث عن شخصية تاريخيـة مشـهورة كراكان بن حثلين مثلا وعن تاريخه - وهو الذي خاض أشهر معاركه على أرض الكويت وفي صحرائها كملح والمطلاع والوفرة والصبيحية– نجد أن كـل ذلـك ليس جزءا من تاريخ الكويت الدولة!

بينما يحدثنا التاريخ عن أحداث سياسية كبرى جرت في صحراء الكويت ومنها :

(وقد نزل العجمان بقيادة راكان بن حثلين على الوفرة، ثم على الصـبيحيةقرب الكويت سنة 1261هـ ـ 1845م، ودارت بينهم وبين عبد الله بن فيصل بـن تركي بن سعود، ومعه مطير، عدة حروب).[2]

وقد أغار عبد الله بن فيصل سنة 1276هـ ـ 1859م، على العجمان وكـانوا قد(نزلوا الصبيحية، الماء المعروف بقرب الكويت، فوجد عبـد الله بـن فيصـل

[2] عقد الدر 27 .

العجمان متفرقين على الصبيحية، والجهراء، والوفرة، فأغار على من كان نـازلا على الوفرة ليلا فاكتسحهم، ثم أغار على من كان نازلا على الصـبيحية وأخـذ أموالهم، وكان راكانبن فلاح رئيس العجمان نازلا على ملح، ولم يعلم بما كـان على قومه إلا بعد الغارة علـيهم، والـتحم الفريقـان وا ـزم راكـان ببقيـة العجمان)[3].

وكان شيخ الكويت آنذاك صباح الثاني بن جـابر الأول، فلجـأ العجمـان إلى مدينة الكويت[4]، ولما رجع عبد الله بن فيصل خرج رؤساء العجمان مـن مدينـة الكويت وتوجهوا إلى كاظمة - قرب الجهراء - حيث كانت تـ ل قبيلة الظفـير وقبيلة المنتفق ونزلوا معهم، وتحالفوا على التعاون ضد كل من يقصدهم بسـوء، وأخذوا يغيرون على نجد والبصرة وحدثت بينهم وبين والي البصرة حرب شديدة كانت الهزيمة فيها على العجمان والمنتفق.[5]

وقد نزل العجمان والمنتفق بعدها على الجهراء بعد أن تحالفوا، وتوجه إليهم عبد الله بن فيصل بجيوشه والتقوا في المطلاع وحصل بين الفريقين قتال شديد وغـرق منهم في البحر خلق كثير، وأقام عبد الله بن فيصل في الجهراء مدة ثم ارتحل[6]، وقد

---

[3]تحفة المشتاق 338 ، وتحفة المستفيد 158 .

[4]تاريخ الكويت للرشيد 127 .

[5]تاريخ الكويت السياسي 124/1 .

[6]تحفة المشتاق 339 ، وتاريخ الكويت لخزعل 124/1 .

قيل بأنه أطلق على المطلاع - اسم مكان مشهور قرب الجهراء - هـذا الاسـم لطلوع ابن حثلين منه حين حوصر، وقال أبياته المشهورة:

يالله يا وين المطير جمعين والثالث بحر

وفي السنة التي بعدها نزل العجمان على ماء كبد، وعلى الجهراء، ومعهم المـرة، ونزلت مطير، وبني هاجر، وبني خالد، وقحطان، وسبيع، على ماء الوفرة، وقدم عبد الله بن فيصل، وأغار على العجمان، وذلك في سنة 1277هـــ ـ 1860م، وأقام عبد الله على الجهراء يقسم الغنائم[7].

وفي هذه المعركة يقول العلامة أحمد بن مشرف الإحسائي يمـدح عبـد الله بـن فيصل:

فوافق في (الجهرا) جموعا توافرت

من البدو أمثال البحار الزواخر

(سبيعا) وجيشا من (مطير) عرمرم

ومن آل قحطان جموع الهواجر

ولا تنس جمع (الخالدي) ففيهـم

قبائل شتى من عقيل وعامـر

[7] تاريخ الفاخري 222 ، وعقد الدرر 33- 35 .

فصبح قوما(بالصبيحية)اعتدوا

بسمر القنا والمرهفات البواتر

بكاظمة حيث التقى جيش خالد

رمز نقلا جاءنا بالـ ـتواتر

فلما أتى الجهراء ضاقت بجيشه

وجالت به الفرسان بين العساكر

وقد كان مع العجمان بعض من قبيلة المرة في إحدى معاركهم مع عبـ ـد الله بـ ـن فيصل على ماء الصبيحية، وفيها يقول العلامة أحمد بن مشرف الإحسائي :

فصبح قوما في الصبيحية اعتدوا

وقادهم والبغي من شأنه غدر

قبائل عجمان ومنهم شـ ـواهـ ـر

ومن لحسين ينتمون وما بروا

وطائفة (مريـ ـة) غير عـ ـذبة

خلائقها بل كل أفـ ـعالها مر

كما لجأ عبد الله بن فيصل بعد خروج أخيه سعود عليـه في الريـاض إلى قبيلـة قحطان(الهواجر)، وكانوا علـى آبـار الصـبيحية بقـرب الكويـت، وذلـك سنة1290هـ ـ 1873م[8]!

فهذه بعض الحوادث التاريخية - وسيأتي تفصيلها لاحقا – التي وقعت في صحراء الكويت وسكا ا الموجودين فيها قبل وجود مدينة الكويت نفسها!

بل وتم تصوير الحروب التي حدثت بين المدينة والقبائل ا اورة لها الموجودة على أرض الكويت ضمن حدودها الدولية - فيما بعد - على أ ا حروب بين الكويت الدولة وأعدائها الخارجيين، لا على أ ا حروب أهلية داخلية بين سكان المدينـة وسكان الصحراء الذين يعيشون جميعا ضمن حدود الكويت الدولة، عندما كانت المنطقة كلها تتبع دولة واحدة وشعبا واحدا ووطنا واحدا هي الخلافة العثمانية!

ووصل الأمر بالتضليل الإعلامي وتزييف الوعي وتحريف التاريخ بأن يقوم بعض كبار أساتذة علم الاجتماع بإضفاء الشرعية الأكاديميـة علـى هـذا التضـليل والتزييف، بادعاء أن القبائل التي تمثل اليوم أكثر من نصف ا تمع هي عنصـر دخيل على سكان الكويت، وأ ا تشكل خطرا على قيمه وثقافته المدنية الحضرية بقيمها الصحراوية القبلية، دون تفريق بين الكويت المدينة بسورها، والكويـت الدولة بحدودها، التي أصبحت تضم ضمن حدودها أراضـي القبائـل العربيـة

[8]عقد الدرر 75 .

الموجودة في صحرائها قبل قيام المدينة نفسها، وقبل هجرة آل صباح، كما سيأتي بالوثائق، وقد أدى هذا الاختزال والتزييف والطمس المقصود إلى نتائج خطـيرة تمثلت في مصادرة حقوق هذه الفئات وانتقاص حريتها وعدها عنصـرا دخـيلا طارئا لا يحق له ما يحق لغيره من المشاركة في السلطة والثروة والوظائف العامـة بدعوى أ م مواطنون من درجة ثانية وثالثة، مع أ م هـم السـكان الأصـليون للأرض، لتنشأ أزمة شبيهة بأزمة الهنـود الحمـر، الـذي جـاءهم الأوربيـون المهاجرون، ليصبحوا السكان الأصليين، والهنود غربـاء علـى أرضـهم وأرض أجدادهم!

هذا في الوقت الذي تؤكد كل الوثائق - وسيأتي كشفها بالتفصيل - أن من أقدم القبائل التي استقرت في كاظمة قبيلة مطير فقد جاء إلى كاظمة - كما يؤكد ذلك والي بغداد مدحت باشا في مذكراته - (قبل خمسمائة سنة جماعة من قبيلة مطـير) وقد كان مدحت والي بغداد سنة 1870م[9].

ويتألف سكان مدينة الكويت الأصليون من القبائـل العربيـة، كـبني خالـد، والدواسر، والعجمان، وع ة، وبعض البحارنة، أمـا المنطقـة الداخليـة - أي الصحراوية - للكويت فكان يسكنها البدو كالرشايدة، والعوازم[10].

---

[9] مذكرات والي بغداد مدحت باشا ص 238، وتاريخ الكويت للرشيد ص31 .

[10] بريطانيا والخليج العربي لجون كيلي 57/1 .

إنه لا يذكر اليوم في تاريخ الكويت للطلبة في المدارس والجامعات إلا غزو قبيلة مطير للجهراء - وكأن القبيلة تحارب دولة وشعبا ووطنا لا مدينة ومشيخة معها على الأرض نفسها، وكلهم يتبع الخلافة والدولة العثمانيـة - بينمـا لا يـذكر التاريخ المعاصر أن القبيلة نفسها هي التي استنجد ا محمد الصباح سنة 1892م لحمايته من ابن رشيد، حيث ارتحلت بعض عشائرها بقيادة ماجد بـن الحميـدي الدويش، ونزلت قرب مدينة الكويت، وحالت - كما سيأتي معنا - دون احتلال ابن رشيد لها؟!

وما يحدث من طمس وتزييف لتاريخ الكويت يحدث مثله في تاريخ شـعوب دول الخليج الأخرى، حتى باتت الهوية الوطنية هوية ممسوخة لا تحفظ في ذاكر ا سوى تاريخ الأسر الحاكمة، ولمدة تاريخية لا تتجاوز سـنة 1900م، أي منـذ بدايـة المشروع الاستعماري البريطاني للمنطقة، والـذي كـان وراء إسـقاط الخلافـة العثمانية وتقسيم أقاليمها، وإقامة دويلات الطوائف الحديثـة عليهـا، وتحديـد حدودها في سنة 1922م، وإقامة حكوما ا، وحمايتها، وترسيخها.

لقد تم اختزال تاريخ شعب الجزيرة والخليج العربي الذي هو من أقـدم شـعوب العالم، وأكثرها تجانسا، وأعمقها أثرا في التاريخ الإنساني، خاصـة منـذ ظهـور الإسلام في الجزيرة العربية، الذي ظل جزء لا يتجزأ من تاريخ الدولة والخلافـة الإسلامية التي حكمت المنطقة كجزء من العالم الإسلامي، بل أهم أجزائـه علـى الإطلاق حيث الحرمين الشريفين، إلى أن سقطت الدولـة العثمانيـة في الحـرب

العالمية الأولى، إن هذا التاريخ الطويل لشعب المنطقة بأحداثه وأبطالـه وقبائلـه ومدنه طول 1300عام من تاريخ العرب المسلمين، كل ذلك تم اختزاله في تاريخ الدويلات الست التي لم يكن لها وجود كدول قبل الحرب العالمية الأولى!

- تشظي الهوية وتشرذمها :

كما تكمن أهمية الهوية وخطور ا في أ ا تمثل أقوى عوامل الوحدة، فهي الـرابط المشترك الموحد الذي يصهر في بوتقته كل من يعيشون في إطارها، ولعل من أبرز مظاهر أزمة الهوية التي يعيشها الخليجيون - كحال كل الشعوب العربية - هـو عجز الهوية الوطنية عن إثبات مبررات وجودها، فالكويتي حين يسافر من وطنـه ويقف على الحدود ساعات طويلة فيدخل السـعودية أو قطـر أو البحـرين أو الإمارات أو عمان يكتشف أنه مازال في وطنه وبين أهله لم يغادرهم، ولا يجد أي فرق بين هذه الدول، كما لا يشعر أنه أجنبي فيها، بل إن كل أسرة في الكويـت وكل قبيلة فيها تمتد في كل دول الخليج بلا استثناء، إذ هـي منطقـة جغرافيـة واحدة، وشعب واحد، ولغة واحدة، ودين واحد، وتـاريخ واحـد، وعـادات واحدة، ولا يوجد أي مبرر منطقي لتقسيمها إلى ستة شعوب، وست دول، وست حكومات، اللهم إلا إرادة القوى الاستعمارية التي اقتضـت مصـالحها تقسـيم المنطقة على هذا النحو العبثي الفوضوي الذي يناقض كـل حقـائق الجغرافيـا، والتاريخ، والديمغرافيا، لا لسبب إلا لتحقيق السيطرة الاستعمارية عليها!

لقد فشلت كل الحكومات الخليجية فشلا ذريعا في أن تعبر عن هوية شعو ا تعبيرا حقيقيا صادقا، كما فشلت الهوية الوطنية القطرية في أن تكون بديلا عن الهويـة القومية العربية والإسلامية حين تتقاطع معها، لكون الهوية الوطنية لا تمثل إلا فئة اجتماعية محدودة جدا من مكونات شعوب الخليج العربي وهي الفئـة الحاكمـة وحاشيتها ولا تعبر عن هوية جميع مكونات ا لتمع.

لقد أصبحت الهوية الوطنية أشبه بالمولود الخداج الذي يولد مشوها غـير قـادر على الحياة مهما حاولت الحكومات الخليجية بكل وسائل الإعلام والتعليم نفـخ روح الحياة فيه، لأ ا هوية تعيش إشكالية الاستلاب وإشكالية الانتقاص وإمكانية مصادر ا بجرة قلم ليصبح الكويتي ليس كويتيا، والقطر ليس قطريا، والسعودي ليس سعوديا، إ ا هوية مسخ تمنح وتسلب، وتنتقص وتستكمل، وتطـرأ عليهـا عوامل النحت والتعرية والتزييف، بخلاف الهوية القومية، فما يميز الهوية العربيـة أ ا تولد مع الإنسان العربي وتعيش معه دون أن يستطيع أي نظـام سياسـي أن يتحكم فيها أو يمنحها أو يسلبها، بل إن العربي لا يستطيع أن ينفك عن هويتـه القومية ولا خيار له فيها، فالعربي يظل عربيا في أي مكان وزمان، سواء في الوطن أو في المهجر، وسواء في ظل هذا النظام أو ذاك النظام، وسواء ظلـت الخريطـة البريطانية التي قسمت العالم العربي، أو تم تغييرها وتوحيدها في المستقبل، بخـلاف الهوية القطرية التي قد تزول في أي لحظة، وقد لا نجد في المسـتقبل بلـدا اسمـه السعودية أو الكويت أو الإمارات أو البحرين، ولا هوية سعودية ولا كويتية ولا إماراتية، إلا إنه لن تزول جزيرة العرب، أو العرب كأمة، وسيظل العرب الذين

يعيشون في الخليج والجزيرة عربا أقحاحا كما كانوا منذ أقدم عصور التـاريخ، ومنذ عهد آبائهم عدنان وقحطان وإسماعيل وإبراهيم، وستظل هويتهم العربيـة والإسلامية هي الهوية التي تجمعهم وتعبر عن كيا م كشعب وأمة واحدة، بخـلاف الهويات الوطنية التي جعلت منهم رعايا وتابعين في دويلات الطوائف الـتي هـي أشبه بالإقطاعيات منها بالدول، وليصبح العرب الخليجيون فيها أشـبه بالعبيـد منهم بالأحرار، مما يجعل الحديث عن تعزيز الحرية والديمقراطية في المنطقة حديث خرافة وترف ثقافي في ظل أزمة الهوية وإشكالية المواطنة الـتي تعيشـها شـعوب الخليج العربي في ظل دويلات الطوائف الحالية .

(عبيد بلا أغلال)

(3)

(الخليجيون بين احتلالين)

يتردد سؤال خطير في جنبات الساحة الثقافية والسياسية الخليجية ما سبب هـذه السلبية التي تعيشها شعوب المنطقة؟ وما هذه الروح الممسوخة التي تعيق شعو ا عن الحراك كما يجري في كل بلدان العالم العربي؟

وهو سؤال مشروع يحتاج إلى فهم عميق لتاريخ المنطقة والتشـوهات الفكريـة والدينية والثقافية التي تعرض لها الإنسان العربي الخليجي!

لقد كان للاستعمار البريطاني منذ ما قبل الحرب العالمية الأولى اليد الطـولى في رسم خريطة المنطقة على هذا النحو الحالي، وتقسيم الخليج العربي إلى دويـلات تخدم مصالحه الاستعمارية، وبعد الحرب العالمية الثانية، وبعـد ضـعف النفـوذ البريطاني وازدياد النفوذ الأمريكي حلت أمريكا محل بريطانيا في المنطقة، بعد أن سلمت بريطانيا العهدة للولايات المتحدة التي أصبحت تعـد الخلـيج والجزيـرة العربية منطقة استراتيجية حيوية بالنسبة لها، وقد تزامن دخولها مع ازدياد موجة التحرر والاستقلال في العالم كله بعد الحرب العالمية الثانية، غير أ ا اسـتطاعت بالعمل الدبلوماسي، والضغط السياسي، والنفوذ الاقتصادي، السـيطرة علـى المنطقة من جديد بشكل غير مباشر، وقد كانت اتفاقية (كامب ديفد) مع مصـر أول خطوة على طريق عودة الاستعمار المباشر للمنطقة، ثم كانت حرب الخلـيج الأولى، ثم الثانية، سببا رئيسا في لجوء دول المنطقة إلى عقد معاهدات الحماية مع أمريكا التي ظلت تتحين الفرصة للسيطرة على العراق، فلم تجد إلا اللجـوء إلى الحرب والاحتلال العسكري المباشر، تماما كما فعلت بريطانيا التي بدأت سيطر ا على المنطقة بمصر سنة 1882، ثم بالخليج العربي عن طريق معاهدات الحمايـة، وانتهت بالسيطرة على العراق بالقوة العسكرية بعد ثلاثين سنة، من 1882 إلى 1916م، وهي تقريبا نفس المدة التي احتاجتها أمريكا لإكمال سـيطر ا علـى

المنطقة منذ كامب ديفد مع مصـر سـنة 1978م، إلى احـتلال العـراق سـنة 2003؟!

لقد باتت الجزيرة العربية اليوم تحت سيطرة الاستعمار الأمريكي الجديد بشـكل جلي مباشر سياسيا وعسكريا من خلال القواعد العسكرية التي تحـيط بـالجزيرة والخليج العربي وتوجد في جميعدوله، وهو ما يعني فقدان السيادة والاستقلال لعدم تكافؤ القوى بين الطرفين الحامي والمحمي، وهو ما دعا الرئيس الأمريكي السابق نيكسون إلى تأكيد أهمية السيطرة على المنطقة عسكريا بقولـه(سـيتحتم علـى أمريكا أن تتولى مسئولية ضمان أمن الخليج بقو ـا العسـكرية، وأن نواصـل تكديس المواد مسبقا، ويفرض الواجب علينا تعزيز تسهيلات الإنـزال البحـري والجوي للقوات الأمريكية في منطقة الخليج العربي)[11].

وتعود الأسباب التي أدت إلى قابلية شعوب الخليج والجزيرة للاستعمار الأجـنبي الأول البريطاني والثاني الأمريكي إلى:

1- حكم الفرد الذي رسخته بريطانيا في المنطقة، وغياب الحريـة، والاسـتبداد السياسي الذي صادر حق الأمة في المشاركة في اتخاذ القرارات المصيرية، و ميش حق الشعوب في الرقابة على السلطة وممارسا ا السياسية واتفاقيا ـا الدوليـة، وتخلي الأمة عن القيام بما أوجب الله عليها في مجال اختيار السلطة، ومشـاركتها المسؤولية والرأي، ومراقبتها، ومحاسبتها في كل ما تأتي وتذر وهو أول وهن دخل على الأمة سهل للاستعمار التنفذ تدريجيا في شؤون المنطقة.

2- قابلية شعوب المنطقة للخضوع للاستبداد الـداخلي جعلـها أكثـر قابليـة للخضوع للاستعمار الخارجي وأكثر تأقلما معه، ولهذا لم تعرف المنطقـة حركـة تحرر وطني من الاستعمار البريطاني الذي سيطر على المنطقة كلها مدة قرن كامل، ولم تجد الشعوب والحكومات خلالها مشكلة في وجوده والتعامل معـه وخدمتـه، كما تؤكد ذلك وثائق الخارجية البريطانية، على خلاف الوضع في أكثر دول العالم

---

[11] ما وراء السلام ص 155 .

آنذاك التي رفضت شعو ا الاستعمار وتصدت له حتى تحـررت وحصـلت علـى استقلالها!

لقد تأقلمت شعوب المنطقة سريعا مع الاستعمار البريطاني آنذاك نفسيا وثقافيـا، واستطاع المندوب البريطاني أن يدير وحده شئون الخليج والجزيرة والعراق دون كبير عناء؟!

ولعل أخطر ما في الأمر نجاح الاستعمار في توظيف بعض علماء الدين المسلمين في خدمته وخدمة مخططاته الاستعمارية، وإضفاء الشرعية عليهـا، والتعامـل معـه كمعاهد لا كمستعمر؟

لقد كانت الروح القومية في ستينات القرن الماضي هي التي كان لها أكبر الأثر في استثارة الشعوب في الجزيرة العربية ضد الوجود الاستعماري في المنطقة في الوقت الذي استطاع الاستعمار والحكومات الحليفة له تدجين الدين وعلمائـه وتحطـيم الروح الإسلامية التي ترفض رفضا قاطعا الخضوع للأجنبي وترى الدخول تحـت حكمه وسيطرته كفرا يخرج من الإسلام ويصطدم بأصوله القطعية؟

لقد تحدث دكسونالمسئول البريطاني في الخليج عن أثر المد القومي علـى شـعوب المنطقة فقال:(والمؤسف في ذلك كله أنه في الوقت الذي يتزايد فيه شعور الشبان المتطرفين القوميين ضد الأجانب وضد البريطانيين بصورة خاصـة، فـإن عـرب الصحراء القدامى وكبار تجار المدينة النافذين الذين مازالوا يحبـون ويحترمـون الإنجليز بدءوا يتحولون ببطء ضد الغربيين لأسباب تختلف تماما، فهـؤلاء وهـم مؤمنون متدينون يرون في التأثير الغربي بماديته خطرا يهدد عـادا م وأخلاقهـم وتقاليدهم وديانتهم.... وهكذا نجد أن العربي المرح! الـذي ينتمـي للمدرسـة القديمة أصبح ضد الأجنبي على الرغم من أن الأسباب الموجبة لهذا الشعور ليست مماثلة للأسباب الدافعة لأبناء الجيل الجديد؟!)[12].

ويظهر جليا من كلام دكسون قابلية التمعات الخليجيـة المحافظـة للاسـتعمار والخضوع للأجنبي التي تكن له مشاعر الحب والاحترام! وأن تحول هذه المشاعر لم يكن بسبب رفضها للاستعمار أو تطلعها للحرية والاستقلال، بل السبب خوفهـا

---

[12] الكويت وجارا ا (273/2).

من قيم الغرب المادية على عاداتها ودينها لكونها مجتمعات مؤمنة متدينة؟! وأنه لولا المد القومي في العالم العربي آنذاك الذي ألقى بظلاله على المنطقة كلها ودفع الشباب في المجتمعات الخليجية للتطلع للحرية والاستقلال لما تغيرت أوضاع المنطقة عما هي عليه قبل ذلك، إذ كان عرب الصحراء وكبار التجار المؤمنون المتدينون يكنون للمستعمر مشاعر الحب والاحترام، ولم تحل ثقافتهم الإسلامية، ولا تدينهم دون الخضوع للأجنبي واحترامه ومحبته مدة قرن كامل بعد تدجين الحكومات دين المجتمع وثقافته على يد بعض رجال الدين أنفسهم، لتصبح المجتمعات أكثر قابلية واستعدادا للخضوع للاستبداد من جهة والاستعمار من جهة أخرى وإضفاء الشرعية على ذلك الواقع باسم الدين؟!

وما زالت هذه العقدة هي المتحكم في الوعي الجمعي وبالخطاب ديني، فالخليجيون بعلمائهم ودعاتهم وشيوخ دينهم لا يهمهم كثيرا أن تبقى القواعد الأجنبية في المنطقة، ولا يهمهم أصلا أن تكون حكوماتهم تحت النفوذ الأجنبي، ولا يهمهم كثيرا أن تنهب ثروات المنطقة، بقدر ما يهمهم المحافظة على تقاليدهم وعاداتهم!

فهم يخشون أن تؤثر الحضارة الغربية فيهم وفي سلوك شبابهم ونسائهم أشد من خشيتهم على استقلال دولهم، لأنهم أصلا لا يشعرون فيها بالمواطنة، ومن ثم لا يهمهم استقلت أم اضمحلت!

وهذا ما يفسر لنا سبب تقبل المجتمعات الخليجية عودة الاستعمار الأمريكي وقواعده العسكرية وسيطرته السياسية من جديد على شؤون المنطقة كلها بعد ضعف التيار القومي وانحساره بعد الغزو العراقي للكويت سنة 1990م ونجاح الاستعمار مرة ثانية في توظيف الدين الإسلامي في خدمته بصدور الفتاوى التي تضفي الشرعية على وجوده وتحرم رفضه أو مقاومته ولو بالكلمة الحرة والوسائل السلمية، حتى خرج دعاة الفتنة باسم السنة وبإيعاز من السلطة ليقولوا للخليجين (أمريكا لا تمثل خطرا على ديننا إنما جاءت للنفط فقط وهو لا يهمنا مادام دين محفوظ)؟!

3- عدم إدراك هذه الشعوب أوضاع دول المنطقة إدراكا حقيقيا وأنها ما زالت منذ وجدت صناعة استعمارية من الألف إلى الياء، بل عدم معرفة ماهية

الاستعمار وطبيعته، وعدم استشعار وجوده، وعدم معرفة أساليبه، وقد تحدث العلامة السيد محمود شاكر الحسيني عن وسائل الاستعمار البريطاني لمصر فقال(دخلت بريطانيا بلادنا غازية سنة 1882م، وادعت أنها جاءت لكي توطد لنا أركان عرشنا، وتطفئ نار الفتنة العرابية - نسبة إلى قائدها أحمد عرابي - كما يسمونها، وزعمت أن بقاءها لن يطول، فلم تمض خمسة أيام حتى ألغت الجيش المصري، ومزقت البحرية المصرية، وأغلقت مصانع السلاح، وسرحت الجنود، وجردت الضباط الصغار من رتبهم، وقدمت كبار الضباط للمحاكمة، ووضعت الشرطة كلها تحت سيطرتها المباشرة، وتتبعت الأحرار الذين اشتركوا في الثورة، فقبضت عليهم أو شردتهم..)[13].

إن وجود الحكومات الصورية في نظر الخليجيين كاف في نفي وجود الاستعمار في الثقافة الزائفة! دون إدراك أن الاستعمار أحرص منهم على بقاء مثل هذه الحكومات لتنفيذ مخططاته من خلالها، وأن الأمر كما يقول محمود شاكر(يجب أن نفرق بين الشعب والحكومة، فالحكومة في البلاد المنكوبة بالاحتلال جزء من نظام الاستعمار، ولو زعمت أنها مستقلة في تصريف سياستها، ومن خداع النفس أن يتصور إنسان أن الحكومة تمثل إرادة الشعب، وبخاصة إذا ثبت ثبوتا قاطعا أن جميع حكومات الاستعمار، لم تستنكف أن تعاونه مرات، وأن تخضع لما أراد أن يخضعها له، وأن تبقى في مناصب الحكم وهي تعمل بأمره وتخطب في هواه، فالحكومة والشعب شيئان مختلفان في عهد الاستعمار، وكل معاهدة بين الحكومة والاستعمار باطلة من أساسها، لأنها معاهدة بين المستعمر وصنيعته، لا تتعدى أن تكون معاهدة عقدها المستعمر بينه وبين نفسه)[14].

4- قدرة الاستعمار على توظيف الدين في خدمته بشكل مباشر أو من خلال توجيه الحكومات للمنابر العلمية، والتعليمية، بل وحتى المساجد، نحو ما يريده

[13] جمهرت مقالات محمود شاكر الجزء الثاني ص 916 ، وقد قامت الولايات المتحدة وبريطانيا بعد احتلال العراق سنة 2003م والسيطرة على الخليج العربي بالكامل، باتباع نفس السياسة القديمة، فتم حل الجيش العراقي، وتم إلغاء التجنيد الإجباري في الكويت، وتم تقليص عدد أفراد السلك العسكري في كل دول الخليج، وتم إلغاء قوات درع الجزيرة العربية!

[14] المصدر السابق ص 961.

الاستعمار، وكما استطاع الاستعمار الفرنسي في الجزائر توظيف علماء الدين المسلمين والطرق الصوفية في خدمته، وتحويل المنابر العلمية إلى منافذ للاستعمار الثقافي تحرم مقاومته وتجيز الخضوع له باسم الدين، تارة بدعوى طاعة أولي الأمر[15]، وتارة بدعوى المصلحة، وتارة بدعوى عدم القدرة على مواجهته، ومن ثم سقوط الواجب، بل وحرمة المقاومة بدعوى وقوع المفاسد...الخ

ومثلما نجح البريطانيون في توظيف بعض المرجعيات الشيعية والسنية في العراق بعد احتلاله في الحرب العالمية الأولى، كما قالت (المس بيل) التي كانت المسئول الأول البريطاني لإدارة شئون العراق بعد احتلاله في الحرب العالمية الأولى(كما إن الذين اشتركوا منا بالدراما (المسرحية) سوف لن ينسوا العضد والمؤازرة اللذين قدمهما لنا كل من النقيب - السيد عبد الرحمن الكيلاني نقيب بغداد السني - والسيد محمد كاظم اليزدي - المرجع الشيعي الأعلى - على أن فائدة الدرويش - أي النقيب الصوفي - مثل فائدة المتهد - أي المرجع الشيعي - في هذا الشأن لها حدودها، حيث لم يكن بوسع كل منهما أن يكون في المقدمة، أو يجازف بتحمل النقد)[16].

كذلك استطاع الاستعمار الأمريكي الجديد في الخليج العربي من خلال الحكومات توظيف الدين، والحركات الإسلامية، والقوى السياسية، والمدارس السلفية، والحوزات الشيعية، في خدمته، وإضفاء الشرعية على وجوده، وتحريم مقاومته، تارة بدعوى أن له حكم المعاهد! وتارة بدعوى طاعة ولي الأمر؟! وتارة بدعوى عدم القدرة على مقاومته!

لقد استطاع الاستعمار أن يوظف الدين في كل خطوة يخطوها في المنطقة ابتداء من الإفتاء بمشروعية الصلح مع إسرائيل، ثم الإفتاء بتحريم العمليات الاستشهادية في فلسطين، ثم الإفتاء بمشروعية المنع من الدعاء على الأعداء في المساجد، دون إدراك خطورة تدخل الاستعمار إلى هذا الحد في مساجد المسلمين

---

[15] انظر تفاصيل هذا الموضوع في كتاب (دور العلماء في ثورة الجزائر) للنعيمي.

[16] فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص 471. وراجع مذكرات بريمر الحاكم العسكري للعراق سنة 2003م وغيره من المذكرات التي تتحدث عن خدمات مراجع الدين في العراق لمشروع الاحتلال!

وعبادا م، وخطورة توجيه ثقافة التمع من خلال المساجد نحو ما يخدم وجـوده، ويزيل الحاجز النفسي الرافض له، ثم تبرير تطوير المناهج التعليمية لحذف كل ما يعزز روح المقاومة للوجود الأجنبي، ثم صدور الفتاوى في تجريم كل من يتعـرض لهذا الوجود وا امه بالإرهاب - بينما لا يصدر في المقابل ما يدعو إلى إخراجـه ولو بالطرق السلمية، ولا ما يندد بجرائمه ضد المسلمين في كـل مكـان - ثم في صدور الفتاوى التي تبرر مشروعية ضرب أفغانستان، ثم الإفتاء بمشروعية إعانته على احتلال العراق[17]!

وهكذا استطاع الاستعمار توظيف الإسلام ذاته في إضفاء الشرعية على وجوده وممارسا وتجريم مقاومته ولو بالطرقالسلمية!

5- ضعف الحس القومي والوطني لدى شعوب المنطقة وهـو مـا أدى إلى قبـول الوجود الأجنبي لغياب الروح القومية التي ترفض بطبيعتها أي وجود أجنبي على أرضها، وكذا ضعف الحس الوطني الذي يربط الأفراد بأرض الـوطن حيـث لا يشعر الخليجيون بارتباطهم بأوطا م بسبب الثقافة القبلية الصحراوية من جهة، حيث الشعور بالانتماء إلى القبيلة مع امتدادها في عدة دول أقوى من الشـعور بالانتماء للوطن المصطنع الذي قسم القبيلة الواحدة ومـزق كيا ـا، وبسـبب شعورهم باكتساب جنسيا م بالمنح لا بالاستحقاق، وأن حصولهم عليها ونزعهـا من حق الحكومات التي لم يكن له وجود ولا حدودإلا في ظل الاستعمار البريطاني، بينما وجود الشعوب على هذه الأرض يمتد إلى آلاف السنين وكلها تعود إلى أصل واحد، فأصبحت بعد الاستعمار وقيام الدول الحديثة لا تشعر بالمواطنة لها، إذ لا تمثل هذه الدول قوميات محددة، ولا تعبر عن هوية حقيقية لهذه القبائل التي توجد على أرض الجزيرة والخليج العربي منذ آلاف السنين؟!

---

[17] انظر فتوى عميد كلية الشريعة بجامعة الكويت محمد الطبطبائي في صـحيفة الـوطن عـدد 9734 بتاريخ 2003/3/16 حول وجوب القتال مع الجيش الأمريكي في حرب احتلال العراق وأن القتـال معهم من الجهاد في سبيل الله، ثم فتواه بعد ذلك بأن ما تقوم به المقاومة العراقية ضد قوات الاحـتلال هو إرهاب!

وانظر فتاوى عبد المحسن العبيكان في القنوات الفضائية والصحف السعودية حول الموضوع ذاته!

ولم تستطع هذه الكيانات المصطنعة إيجاد هوية وطنيةبديلة تعزز الانتماء إليهـا، ومع ضعف الحس القومي من جهة، والحس الوطني لشعوب المنطقـة مـن جهـة أخرى، لم يستطع الحس الديني أن يحول دون قبول الوجود الأجنبي بسبب إمكانية تأويل الدين وتوظيفه، وهو ما لا يمكن مع الشعور القومي والوطني حال وجوده، ولهذا نجح الشيخ عمر المختار في ليبيا، والسيد عبد القادر الجزائري، والشـيخ المجاهد عبد الكريم الخطابي والسيد المهدي، في قيادة القبائل في ليبيـا والجزائـر والمغرب والسودان في حرب تحرير ضد الاستعمار بـالروح الدينيـة، والحميـة الإسلامية، وهي الروح التي تم السيطرة عليها اليوم بالخطاب الديني في الجزيـرة والخليج العربي، كما سبق للحكومـات السـيطرة علـى الـروح القوميـة في الخمسينيات من القرن الماضي لصالح المشروع الاستعماري!

6- **انعدام التاريخ النضالي لشعوب المنطقة في العصر الحـديث، وعـدم وجـود القيادات التاريخية المعاصرة التي تلهم الأجيال الجديدة، وتلهب حماسها، وتكـون نبراسا لها على طريق الحرية**، فعدم قيام حركات تحرر ضد الاسـتعمار البريطـاني جعل ذاكرة المجتمع الخليجي خلوا وصفرا تماما من ثقافة المقاومة، وثقافة الرفض للاستعمار التي يمكن استثمارها لصالح حركة تحرر ضد الاستعمار الجديد، ففـي الوقت الذي تحفظ فيه ذاكرة الشعب الجزائري والمصري والمغـربي والسـوداني والليبي والسوري مئات الأبطال والقيادات التاريخية التي تصدت للاستعمار كعمر المختار، ومصطفى كامل، وأحمد عرابي، وعبد القادر الجزائري، وعبـد الكـريم الخطابي، ويوسف العظم، وعبد القادر الحسيني...الخبالإضافة إلى عشرات المواقف البطولية، والحروب الجهادية ضد الاستعمار، تخلو في المقابل ذاكرة شعوب الخليج والجزيرة العربية من كل ذلك، بل صار صنائع الاستعمار الصليبي هم الأبطـال التاريخيين للمجتمعات الخليجية على نمط بطولة كرزاي في أفغانستان والجعفـري والجلبي والمالكي في العراق؟!

7- **غياب الوعي السياسي وعدم معرفة المنطقة بـالأحزاب السياسـية والعمـل الجماعي المنظم، ورفض ثقافة المجتمع لها باسم الدين أيضا، مع أنـه لا يمكـن أن تقوم حركة تحرر ضد الاستعمار**، ولو بالضغط السياسي السلمي إلا بتنظيمـات سياسية تعمل على حشد الجماهير لتنتظم صفوفها خلفها، وتجعل هدفها إخـراج

الاستعمار، والعمل على تحقيق استقلالها عن الوجود الأجنبي، ولو عـن طريـق المقاومة السلمية.

8- تشرذم المنطقة وشعبها الواحد إلى سبع دويلات في الجزيرة العربية التي هـي مهد العروبة ومهبط الإسلام الذي جاء بالتوحيد، بعد أن كانـت قبـل الحـرب العالمية إقليما واحدا تابعا للخلافة العثمانية!

وقد استطاع الاستعمار البريطاني، ترسيخ هذا الواقع ليسهل عليه السيطرة على المنطقة كلها وفق سياسة فرق تسد، وازداد الوضع تعقيدا بتقبل الشعوب هـذا الواقع وتأقلمها معه، مع عدم شرعيته، ومع خطورته، فلم يعد لشعوب المنطقـة التي تمثل شعبا واحدا وأرضا واحدة منذ آلاف السنين أي قدرة على تغيير واقعها إلى الأفضل، مع أن تعدادها مع اليمن يبلغ أكثر من خمسين مليون نسمة، وتحولت الجزيرة كلها إلى أكبر قاعدة عسكرية تنطلق منها أكبر الحملات الصليبية علـى العالم العربي والإسلامي دون أن يكون لشعو ا أي أثر في مجريات الأحداث؟!

فهذه الأسباب الثمانية ساهمت كلها في خلق أزمة الهوية ومن ثم شـيوع الـروح الا زامية والسلبية السياسية والقابلية للاستعمار، والقابلية للاستبداد، وقد أدت كل هذه الأسباب إلى سهولة سقوط المنطقة مرة ثانية تحـت سـيطرة الاحـتلال الأجنبي بشكل مباشرة، بعد أن استطاعت أن تتخلص منه إلى حـد كـبير منـذ سبعينات القرن العشرين، تأثرا منها بالأوضاع الخارجية، كالمد القـومي الـذي اجتاح العالم العربي كله، وحركة تحرر الشعوب واستقلال الدول بعـد الحـرب العالمية الثانية، وهو ما يقتضي دراسة تاريخ شعوب المنطقة وأطوارها التي مـرت ا حتى آلت ا الحال إلى ما هي عليه اليوم من سلبية سياسية، لفهم أبعاد هـذه الإشكالية..

(عبيد بلا أغلال)

(4)

(دويلات الطوائف وبداية المشروع البريطاني)

ظلت الجزيرة العربية إقليما مهما للخلافة والدولة الإسلامية طول عصورها وعلى اختلاف عواصمها(المدينة - دمشق - بغداد - القاهرة - الأستانة)، إذ لا تثبت شرعية الخلافة والدولة الإسلامية إلا بحماية الحرمين الشريفين في مكة والمدينة، فقد كانت الجزيرة العربية قاعدة الدولة الإسلامية وعاصمتها المدينة في العهد النبوي الشريف 1 ـ 11 هـ، ثم كانت المدينة أيضا عاصمة الخلافة طوال العهد الراشدي 11 ـ 40هـ، ثم انتقلت إلى دمشق في العهد الأموي سنة 40هـ إلى 132هـ، حيث أصبحت بعد ذلك بغداد العاصمة للخلافة العباسية سنة 132هـ طوال العهد العباسي حتى سقوطها على يد التتار سنة 656هـ، ثم أصبحت العاصمة هي القاهرة بعد انتقال الخلافة العباسية إليها تحت سلطان المماليك، إلى أن دخلها سليم الأول العثماني سنة 923هـ، وبايعه الخليفة العباسي، فأصبح أول خليفة مسلم غير عربي وغير قرشي، وانتقلت الخلافة وعاصمة الدولة الإسلامية إلى الأستانة - اسطنبول - وظلت عاصمة للدولة الإسلامية إلى هزيمة الخلافة العثمانية في الحرب العالمية الأولى سنة 1918م، وإلغاء الخلافة بعد ذلك سنة 1923م، واحتلال بريطانيا وفرنسا أقاليم الخلافة العثمانية بما فيها الجزيرة العربية والشام والعراق.

لقد ظلت الجزيرة العربية طوال تلك العصور الإسلامية جزء مهما من أقاليم الدولة الإسلامية لوجود مكة والمدينة، ولم تقم فيها أي دولة مستقلة عن الخلافة، إلا ما كان يقع في أطرافها أحيانا من استقلال ذاتي لبعض الإمارات، لا يتجاوز حدود المنطقة التي قامت فيها، لفترة قصيرة - كالإمارات التي قامت في اليمن وعمان، والتي لا تلبث مدة حتى تعود كجزء تابع للخلافة الإسلامية أو تسقط تحت الاحتلال الأجنبي - كالبرتغالي ثم الهولندي ثم البريطاني كما سيأتي بيانه- كما قامت في شرق الجزيرة العربية وغر ا ووسطها إمارات ظلت تابعة للخلافة في بغداد ثم القاهرة ثم الأستانة.

قيام الدويلاتالمذهبية في الخليج والجزيرة العربية:

وقد شهد الخليج والجزيرة العربية في العصور المتأخرة- تحت نفوذوسيادة الخلافة العثمانية - قيام ثلاث إمارات في ثلاثة أقاليم رئيسية على ثلاثة أسـس دينيـة وسياسية واجتماعية (المذهب- الإمامة - القبيلة) وهذه الدويلات هي:

1ـ الإمارات الإباضية في عمان :

حيث قامت فيها الدولة اليعربية ثم السعيدية على أسـاس المـذهب الإباضـي، وارتكزت على قبائل عمان ونصر ا للدعوة، وقامت السلطة فيها علـى أسـاس الإمامة لا الملك، حيث كانت البيعة تعقد للأئمة للقيام بنصرة الـدين وتنفيـذ أحكامه!

(فالإباضيون- كما يقول المؤرخ كاريستينيبهور في زيارته لمسقط سـنة 1765م - لا يقرون نظرية الحاكم الدائم، وفي رأيهم أن الإمام المنتخب لابـد أن يتـولى الإمامة عن طريق الانتخاب في كل مرة، ولا يحق لأي أسرة أو طبقـة أن تحتكـر الحكم لنفسها بالوراثة، ومن حق أي فـرد، مهمـا كانـت طبقتـه أو وضـعه الاجتماعي أن يتولى مسئولية الحكـم، إذا تـوافرت فيهـا الاسـتقامة الدينيـة والأخلاقية، ومن واجب المسلمين الصادقين أن يقوموا بإقالة أو إعـلان بطـلان شرعية أي حاكم لا تتوفر فيه خصائص الإمامة الصحيحة، ومن حـق المسـلمين خلع إمامهم عن السلطة إذا لمسوا فيه انحرافا أو خروجا على تلك المبادئ، أمـا عملية الانتخاب فتتم عن طريق مجلس مشترك مـن زعمـاء القبائـل ورجـال الدين).[18]

وهذا أوضح دليل على معرفة شـعوب المنطقـة وممارسـتها للحكـم الشـوري الانتخابي، وحق الأمة في انتخاب السلطة، قبل الثورة الفرنسية ومبادئها، وقبـل الاستعمار الصليبي البريطاني الذي فرض على المنطقة الحكـم الـوراثي ورسـخه بحمايته له كما سيأتي تفصيله لكون النظام البريطاني كان ملكيا وراثيا!

---

[18] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 14ـ 16 .

2 ـ الإمارات الزيدية في اليمن:

وقد قامت فيه دويلات عدة على أساس المذهب الزيدي، وارتكزت على قبائـل الجبال في صعدة ونصر ا للدعوة، وقامت السلطة فيها على أسـاس الإمامـة لا الملك، وكان أشهرها دولة الأئمة الزيدية التي قامت سنة 912هـ ـ 1507م على يد الإمام السيد شرف الدين يحيى الزيدي من ذرية يحيى بن زيد بـن علـي بـن الحسين بن علي، إلى أن سقطت بقيام الجمهورية اليمنية في صنعاء سنة 1962م، وقد نجح العثمانيون في بسط نفوذهم عليها، منذ دخول الجزيرة العربيـة ومكـة والمدينة تحت سيادة الخلافة العثمانية.

3 ـ الإمارة الوهابية فينجد:

والتي قامت فيه أول إمامة على أساس الدعوة السلفية والمذهب الحنبلي على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وارتكزت على نصرة القبائل النجدية، وقد كانت السلطة فيها تقوم باسم الإمامة لنصرة الدين والدعوة لا على أساس المـلك، ولم تخرج عن التبعية للخلافة العثمانية إلا في فترة قصيرة لم تلبث أن سـقطت فيهـا أمام الجيش العثماني، كما سيأتي.

لقد اشتهر أمراءتلك الدويلات المذهبية التي قامت في عمان واليمن ونجد بالأئمة للدلالة على طبيعة تلك الدويلات، وأ ا ذات طابع ديني إذ لا يمكـن السـيطرة على القبائل العربية، ولا استمالتها لنصرة الدولة إلا باسم الدين والمـذهب، لا باسم الملك والسلطان، إذ ترفض هذه القبائل بطبيعتها الخضوع للسـلطة إلا إذا كانت تقوم على أساس ديني، غير أن تلك الإمارات ما إن يتحقق لها الأمر حـتى تتحول من إمامة - تختارها القبائل وتبايعها على أساس نصـر الـدين وإقامـة أحكامه - إلى ملك وسلطان؟!

وهذا ما أدركه البريطانيون بعد ذلك فقـد جـاء في تقـاريرهم عـن القبائـل العربية(إن قيمة القبائل هي قيمة دفاعية، ومجالها هو حـرب العصـابات، إ ـ م

فرديون للغاية، لا يطيقون إصدار الأوامر إليهم، ولا يقاتلون جماعة، ولا يساعد أحدهم الآخر، ويظن أنه يستحيل إنشاء قوة منظمة منهم)[19].

وقد عقد ابن خلدون في مقدمته فصلا عن العرب - أي الأعراب والقبائل في البادية - وبعدهم عن سياسة الملك وأنه لا يحصل لهم ذلك إلا بصبغة دينية فقال:

(العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية، أو أثر عظيم من الدين على الجملة، والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحش الذي فيهم، أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض، للغلظة والأنفة، وبعد الهمة، والمنافسة في الرئاسة، فقلما تجتمع أهواؤهم، فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق، تم اجتماعهم، وحصل لهم التغلب والملك، وهم مع ذلك أسرع الناس لقبول الحق)، وذكر عنهم أيضا أنهم (أكثر بداوة من سائر الأمم، وأغنى عن حاجات التلول، لاعتيادهم شظف العيش، فاستغنوا عن غيرهم، فصعب انقيادهم بعضهم لبعض، ورئيسهم يحتاج إليهم غالبا للعصبية التي بها المدافعة).[20]

لقد قامت إمارات أخرى في الجزيرة العربية، كإمارة ابن عرير في الإحساء، وإمارة آل الرشيد في حايل، غير أن كلا منها لم يدم طويلا، لأنها ارتكزت فقط على القبيلة - كما هو حال ابن عرير على بني خالد، وابن رشيد على شمر - وافتقدت الأساس الرئيسي وهو الدين والمذهب والدعوة التي توحد القبائل العربية لنصرتها، فلم يكتب لها من البقاء ما كتب للإمارات التي قامت على الإمامة والدين كما في عمان واليمن ونجد.

هذا مع العلم بأن كل تلك الإمارات ظلت في دائرة الخلافة الإسلامية أو تحت نفوذها بشكل مباشر أو غير مباشر، بحسب قوة دولة الخلافة وضعفها، ومركزيتها أو لا مركزيتها، وبحسب أهمية هذه المناطق للخلافة أو عدم أهميتها، كما سيأتي

---

[19] سلام ما بعده سلام (ولادة الشرق الأوسط) لدافيد فرومكين ص 250 .

[20] مقدمة ابن خلدون الفصل السابع والعشرون والثامن والعشرون.

بيانه ولهذا لا يصدق عليها أ ا دول بل إمارات ودويلات محدودة النفوذ جغرافيا وديمغرافيا وسياسيا!

الحملات الصليبية على الخليج والجزيرة العربية:

لقد تعرض الخليج والجزيرة إلى حملات صليبية عدة ـدف إلى السـيطرة علـى سواحله، وكان من أبرزها:

1- الحملة البرتغالية ومواجهة قبائل عمان لها:

فقد غزا البرتغاليون الخليج العربي وسيطروا على ساحل عمان منذ سنة 1507م، فبايعت القبائل العمانية الإمام ناصر بن مرشد اليعـربي سـنة 1624م واتخـذ الرستاق في المناطق الداخلية للقبائل عاصمة له، ونجح في تخليص أكثر الساحل من أيديهم حتى لم يبق في أيديهم عند وفاته سنة 1649م، غـير بعـض القـلاع في مسقط، ومطرح، ثم بويع ابن عمه سلطان بن سيف إماما، وأكمل جهـاده ضـد البرتغاليين حتى حرر مسقط، واستمر في قتالهم وشن الحروب عليهم في مـنطقتي ديو، والدمام، وأصبحت البحرية العمانية أقوى قوة بحرية في الخليج العربي غـير غربية.[21]

وبعد وفاة سيف سنة 1718م دخلت عمان في دوامـة الحـرب الأهليـة بـين الغفارية العدنانية، والهناوية اليمانية، وأصا ا الضعف حتى اتفقت على انتخـاب أحمد بن سعيد إماما سنة 1747م، وهو أول من بويع مـن أسـرة آل بوسـعيد إماما، ولم تكن السلطة في عمان مطلقة في يد الإمام، بل كان واحدا من رؤسـاء كثيرين للقبائل غير أنه كان أبرزهم، وقد توفي أحمد سنة 1783م، ثم بايع زعماء القبائل وعلماء الدين ابنه هلال بن أحمد، ولم يطل عهده، ثم بويع أخوه سعيد بن أحمد، ثم صار الأمر بيد حمد بن سعيد بن أحمد، وصار يطلق عليه السيد، ثم انحـل نظام الإمامة بتقاسم أبناء أحمد بن سعيد السلطة فيما بينهم، وكرسوا جهدهم في نشاطهم التجاري والبحري، وانتقلت العاصمة إلى مسقط على الساحل، وأصبح

---

[21] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 17- 18 .

الحكم سلطنة وحكما وراثيا، بعد أن كان إمامة وحكما شرعيا، مما أضعف العلاقة بينهم وبين القبائل، فضعفت عمان جراء ذلك، وأصبح لقب سلطان عمان هـو الشائع بين حكامها، وقد حكم سلطان بن أحمد الذي اتسع نفوذه إلى بر فـارس في أواخر القرن الثامن عشر.[22]

لقد كان الدين والمذهب هو السبب وراء وحدة عمان واتحاد قبائلـها لمواجهـة القوى الخارجية، وقد أدرك بيلي المسئول البريطاني آنذاك هذه الحقيقـة حيـث وصل إلى قناعة بأن (حركات التجمع الدينية قد جمعت عمان في وحدة كالوحدة التي تجمع بين أتباع محمد بن عبد الوهاب، ويمكـن أن يضـر هـذا بالسياسـة البريطانية).[23]

2- الحملة البريطانية ومواجهة الحركة الوهابية والقبائل النجدية والخليجية لها:

وقدتزامنت الحملة الصليبية البريطانية على الخليج العربي مع قيامالدعوة الوهابية في وسط الجزيرة العربية - من 1157هـ 1744م إلى 1233هـ 1817م - هذه الحركة التي امتدت حتى كادت تسيطر علىأكثر جزيـرة العـرب بشـكل كامل، ولم تستقل عن الخلافة العثمانية، بل كان الشيخ محمد بن عبـد الوهـاب وابن سعود يعترفان بسلطة الخليفة العثماني حيث كانت نجد آنذاك يتنازعها نفوذ أمراء الإحساء تارة، وأمراء الأشراف في الحجاز تارة أخـرى، وكلاهمـا يخضـع للخلافة العثمانية، وقد جاء في تاريخ ابن غنام وهو مؤرخ الدعوة الوهابية وأحد دعا ا :

(وفي هذه السنة 1185 هـ أرسل الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمـير عبـد العزيز إلى والي مكة أحمد بن سعيد هدايا، وكان قد كاتبهما وطلـب منـهما أن يرسلا إليه فقيها وعالما من جماعتهما يبين حقيقة ما يدعون إليـه مـن الـدين.. فأرسلوا إليه الشيخ عبد العزيز الحصين ومعه رسالة منهما هذا نصها : بسم الله

---

[22] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 18-26 .

[23] سياسة الأمن في الخليج العربي 144 .

الرحمن الرحيم : المعروض لديك أدام الله فضل نعمه عليك حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد أعزه الله في الدارين وأعز به دين جـده سـيد الـثقلين، إن الكتاب لما وصل إلى الخادم وتأمل ما فيه من الكلام الحسن رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف لما كان قصده نصر الشريعة .. وهذا هو الواجب علـى ولاة الأمور، ولما طلبتم من ناحيتنا طالب علم امتثلنا الأمر وهو واصل إليكم... يعلم الشريف أعزه الله أن غلمانك من جملة الخـدام ثم أنـتم في حفـظ الله وحسـن رعايته).[24]

وهذه الرسالة أوضح دليل على عدم خروج الحركة الوهابية على نفوذ وسـلطة الخلافة العثمانية، إذ كانت إلى هذا الوقت لا تتجاوز حركة إصـلاحية محليـة في منطقة صحراوية محدودة غير ذي أثر، خاضعة لنفوذ شريف مكة التابع للخلافة.

وقد سيطر الوهابيون - بعد السيطرة على نجد - على الإحسـاء عاصـمة ابـن عريعر سنة 1795م،و ذا بسطت الدعوة الوهابية سيطر ا على منطقة نفوذ ابن عريعر في الإحساء، الممتدة من عمان جنوبا، إلى أطراف العـراق شمـالا، ومـن ضمنها الكويت التي كانت تابعة لحكم ابن عريعر، وقد دفع أهل الكويت الزكاة بعد ذلك للإمارة الوهابية سنة 1803م، وكذا دفعتها البحرين بعد أن اشـترط عبدالعزيز بن محمد بن سعود أمير الدرعية على آل خليفة دفع الزكاة للدرعيـة مقابل إرجاعهم إلى البحرين، بعد أن استولى عليها سلطان عمان، السيد سلطان بن أحمد آل بوسعيد سنة 1800م، حيث نجح الوهابيون في إرجاع آل خليفة سنة 1802م، كما دفع سلطان بن أحمد أيضا الزكاة للدرعية اعترافا بالتبعيـة لهـا، وكذا دفعها القواسم[25].

[24] تاريخ نجد ابن غنام ص 135 ط 3 سنة 1994 تحقيق ناصر الدين الأسد.

[25] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 164-166.

وهكذا امتد نفوذ الدعوة الوهابية - تحت سيادة الخلافـة العثمانيـة - شـرقا ليشمل الزبير، والكويت، والإحساء، والبحرين، وقطر، وعمان، وسـاحلعمان، وكانوا يأخذون من الجميع الزكاة السنوية.[26]

وقد استمرت سيطرة الحركة الوهابية على الخليج العربي كلـه، بعـد اغتيـال عبدالعزيز بن محمد بن سعود سنة 1804م ، حيث تولى ابنه سعود الإمامة بعده في الدرعية، فقد اعتنق القواسم من أهـل رأس الخيمـة، والشـارقة، الـدعوة الوهابية، وصاروا يدفعون الزكاة للدرعية، وانتشرت الـدعوة الوهابيـة بـين القواسم حتى على الضفة الأخرى من الخليج، في لنجة وما حولها سـنة 1805م، وقد حذرت الحكومة البريطانية موظفيها في الخليج من التعـرض أو الاصـطدام بالقواسم أو الوهابيين.[27]

وبعد ذلك قررت حكومة الهند البريطانية إيقاف المد الوهابي الذي بات يهـددها في البحر بأسطول حلفائهم القواسم، مما دفع حكومة الهند إلى شن حملـة بحريـة لتدمير هذا الأسطول القاسمي، ونفذ الهجوم على رأس الخيمة في نوفمبر 1809م حيث تم تدمير البلدة، بعد مواجهـة عنيفـة بـين الطـرفين، كمـا تم إحـراق الأسطول.[28]

لقد رأت بريطانيا ضرورة توظيف الخلاف الطائفي بين الإباضية والوهابية لصالح سيطر ا على المنطقة، فقد توجهت بعدها القوات البحرية البريطانية بمعية سلطان مسقط سعيد بن سلطان إلى شناص لطرد القواسم منـها، وفي مطلـع ينـاير تم محاصر ا، ودارت معركة عنيفة، حيث بدأ الزحف على الحامية بعد الظهر بقوات مسقطية وبريطانية مشتركة، وقد تبع ذلك قتال شرس يدا بيد، واسـتخدمت في المعركة جميع أنواع الأسلحة، وكانت أفسى المعارك التي خاضتها الحملـة منـذ بدأت هجومها، وقد وصفها أحد الضباط البريطانيين فقال:(من المحال أن نتصور

---

[26] نبذة تاريخية لضاري الرشيد 28 .

[27] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 170- 171 .

[28] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 192

مقاومة أشد عنادا وتحديا من المقاومة التي أبداها العدو في هذا الموقع، فقد كانت دفاعاته قد دمرت وتحولت إلى أنقاض، وعلى الرغم من ذلك الوضـع اليـائس واحتلال البريطانيين والعمانيين للقلعـة، ظـل القواسـم يطلقـون النـار مـن التحصينات التي لم يتم تدميرها تماما، وقد كان المسـاء قـد اقتـرب وكانـت الاعتبارات الإنسانية تقتضي وقف هذه المجزرة المخيفة، ودعي مـن بقـي مـن القواسم للاستسلام وإنقاذ أرواحهم، غير إنهم أجابوا بأنهم يفضلون الموت علـى الاستسلام في هذا الوقت، وأخذت في إطلاق النار بشكل مكثف من بعض المدافع من مكان قريب من القلعة لمساواتها في الأرض ولكن العدو ظل يرد النار بالمثل، وكما يبدوا فإنهم كانوا مصممين على أن يـدفنوا فيهـا أحيـاء، وعمـدنا إلى استخدام القنابل الكروية واليدوية، ولكن العدو أعادها إلينا قبـل أن تنفجـر، مؤكدا تصميمه على مواصلة القتال).[29]

وفي تلك الأثناء كان مطلق المطيري القائد العسكر الوهابي، قد تحرك بجيشه مـن البريمي نحو شناص للدفاع عنها، ولم يصلها إلا متأخرا، فهجم على قوات سعيد - بعد أن غادرت البحرية البريطانية - ومزقها، وأجبرهـا علـى الانسـحاب إلى مسقط.[30]

وقد طلب سلطان مسقط ثانية من حكومة الهند البريطانية مساعدته عسكريا ضد الوهابيين، غير أنهم رفضوا بعد أن رأوا خطورة التـدخل في الصـراع الـبري، واقترحوا عليه عقد سلام مع الوهابيين، غير أنه توجه إلى إيران وطلب مساعدتها، فأرسلوا له 1500مقاتل، وتحرك مطلق المطيري قائد جيوش عمان، ومعه قبائـل النعيم، والظواهر، وغيرهـم، وتواجـه الجيشـان، وانهزمـت قـوات مسـقط وحلفائها.[31]

[29]بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 195.

[30]بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 196 .

[31]بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 205.

وفي الجزء الغربي من الجزيرة العربية استكملت الحركة الوهابية سـيطر ا علـى الحجاز بعد ضم المدينة النبوية سنة 1810م، فاستثار ذلك الخليفة العثمـاني في اسطنبول السلطان محمود، فأمر محمد علي والي مصر بالتصدي للحركة والقضاء عليهاوتدمير عاصمتها الدرعية، وبعد أن بلغ سعود بن عبدالعزيز أخبـار حملـة محمد علي لشن الحرب على جيوش الدولة الوهابية في الحجاز سنة 1811م، قام باتخاذ الاحتياط، وتعزيز الحاميات العسكرية في قطر، والبحرين، وأمر بحـبس آل خليفة في الدرعية، ثم أفرج عنهم بعد تعهدهم بدفع الزكاة، وأخذ تعهـدا مـن حكومة فارس بعدم الاعتداء عليه، كما توصل مع البريطانيين إلى تفـاهم بعـدم الاعتداء من كلا الطرفين على الآخر.[32]

وفي سنة 1813م جهز مطلق المطيري جيشا تعداده أربعين ألف مقاتل، وتوجه من البريمي لفرض سيطرته على المناطق الداخلية من عمان، حتى وصل إلى صحار، ثم إلى مسقط، فاضطر سعيد إلى دفع الزكاة أربعين ألف ريال نمساوي، وكانت هذه آخر حملة لمطلق المطيري الذي قتل في آخر هذه السنة.[33]

الحملة المصرية على الجزيرة العربية:

ولم تدم سيطرة الحركة الوهابية على الحجاز حيث توجه الجيش المصري بأمر مـن الخليفة العثماني، بقيادة طوسون بن محمد علي سنة 1811م إلى الحجاز، فاحتلت جيوشه المدينة سنة 1812م، ومكة سنة 1813م، وفي سنة 1814م توفي سعود بن عبدالعزيز، وبويع ابنه عبدالله إماما، وفي هذه السنة قـدم محمـد علـي إلى الحجاز، وقاد الجيوش بنفسه، وأكمل سيطرته على الحجاز سـنة 1815م، بعـد سيطرته على الطائف، وفي هذه السنة وقع عبدالله بن سعود معاهدة مع طوسون تم فيها الاعتراف بعبدالله واليا على نجد بعد إعلانه الولاء للخليفة العثماني.[34]

[32] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 207 .

[33] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 210.

[34] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 216.

وفي سنة 1815م، توفي طوسون بعد رجوعه إلى مصر، فنقض والده محمد علي المعاهدة، واشترط للتوقيع عليها تخلي عبدالله بن سعود عن الإحساء - التي كانت تحت حكم ابن عريعر، حتى استولى عليها الوهابيون سنة 1795م - إلا أن عبدالله بن سعود لم يرد على الطلب، فجهز محمد علي جيشا آخر هدفه احتلال الدرعية نفسها، بقيادة ابنه إبراهيم سنة 1816م، فانطلق من المدينة نحو نجد، حتى استولى على الدرعية، ودمرها في أواخر سنة 1818م، وأرسل عبدالله بن سعود إلى الأستانة، حيث تم إعدامه، وتم أخذ أسرته إلى القاهرة.[35]

وقد قام إبراهيم باشا بعد سيطرته على الإحساء سنة 1819م بتولية ابن غرير شيخ بني خالد على الإقليم من جديد، غير أنه سرعان ما اضطربت القبائل في المنطقة على الجيش المصري، ولم يرض ابن غرير بقمعها، مما حدا إبراهيم بسحب جيوشه إلى معسكره شمال غرب الدرعية.[36]

المشروع البريطاني للسيطرة على الخليج العربي :

وقد بدأت حكومة الهند البريطانية في إبريل سنة 1819م تناقش في هذه الأثناء خطة تراعي كون ساحل الخليج العربي من رأس الخيمة غربا إلى الكويت تحت السلطة المصرية العثمانية - التي سيطرت على وسط الجزيرة العربية، واحتلت الدرعية، وكل المناطق التابعة لها - وأن تدعم بريطانيا سلطان مسقط ليفرض سيطرته على ساحل الخليج إلى رأس الخيمة شمالا، مع ضم البحرين له، وإخضاع القبائل المستقلة داخل عمان لسلطته، وإقامة قاعدة عسكرية بريطانية في جزيرة قشم، على أن تتحمل موارد البحرين - الغنية بصيد اللؤلؤ - تكاليف القاعدة العسكرية البريطانية! غير أن فرانسس واردن الأمين الأول لحكومة الهند أكد (أنه من الأفضل على أي حال السماح لتلك الدويلات - القبائل المستقلة - بالاحتفاظ باستقلالها، بل وسنقوم بتأييد ذلك الاستقلال، كما سيتعين على المبعوث البريطاني - إلى إبراهيم بن محمد علي - أن يوضح له بأنه في الوقت

[35] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 156ـ157، 225ـ230، 502 .

[36] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 241 .

الذي تعتبر بريطانيا أن تصفية القرصنة هو هدفها الوحيد، إلا إ ا في الوقت ذاته تشاركه في ضمان حقوق مختلف الدول ـ القبائل ـ الواقعة على سواحل الخليج العربي، وأن أي مساعدة من بريطانيا له في حربه لحلفـاء الوهـابيين مشـروطة بموافقته على احترام حقوق تلك الدول).[37]

لقد كانت هذه أول مرة يطلق فيها مسئول بريطاني مصطلح(دويـلات أو دول على القبائل الساحلية في عمان، والتي لم تكن تعد مدنا فضلا عن أن تعد دولا أو دويلات!

لقد كان الهدف البريطاني واضحا من هذه الفكرة، وهو إيجـاد كيانـات يمكـن التعامل معها بصفة مباشرة لاحتلالها بعد ذلك بحجة الحماية وهو ما لا يمكن مـع القبائل أو القرى والمدن، فكان لا بد من تسميتها بالدويلات والإمارات لتحقيق هذا الغرض الاستعماري!

لقد كان القواسم والوهابيون الذين ظلوا يسيطرون على سواحلالخليج العربي هم المشكلة الرئيسة التي كان يجب على بريطانيا العمل من أجـل القضـاء عليهـا، لتتحقق لها السيطرة على الخليج، غير أن حكومة الهند لم تكن تملك القوة اللازمة لمواجهة قو م التي تبلغ 10000بحار، ونحو250 سفينة كبيرة وصـغيرة، والـتي كانت تنطلق من موانئ رأس الخيمة، وأم القوين، والجزيرة الحمراء، وعجمـان، والشارقة، ودبي، والزبارة، وخور حسن، والقطيف، والعقير، وأبوظبي، وأيضـا لنجة، وخرك على الجانب الفارسي، وكان لا بد من التنسيق مع إبـراهيم باشـا لمواجهتهم.[38]

وبعد أن ذهب سادلر- المبعـوث البريطـاني - إلى القطيـف ورأى الوضـع في الإحساء، وانسحاب الجيش المصري - بعد تسليمه السلطة لشيوخ بـني خالـد أمراء الإقليم سابقا - كتب تقريرا بذلك لحكومته التي أمرت بصرف النظر عـن مشروع التعاون مع إبراهيم باشا، حيث ثبت عجز الجيش المصري عـن بسـط

---

[37]بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 233ـ 237 .

[38]بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/229ـ233.

سيطرته على القبائل من الكويت إلى ساحل عمان، وأنه يجب وضع خطة بديلـة، وإعادة النظر في بسط نفوذ سلطان مسقط على الساحل، وإدخال البحرين تحت سلطته، ليتم الإنفاق على القاعدة البريطانية من مواردها المالية.[39]

وقد تم مناقشة هذه الخطة من قبل مسئولي الحكومة الهندية البريطانية الذي ارتأى بعضهم(بأنه لا بد من الحصول على معلومات دقيقة عن الأسس التي تقوم عليها ادعاءات مختلف القبائل فيما يتعلق باستقلالها، وهي الأسس التي يمكن بموجبـها تحديد علاقتنا معها، على أساس مبادئ).[40]

غير أن هذه الخطط لم تجد إجماعا من رجال الحكومة الهندية، فتم إصدار الأوامـر إلى قيادة البحرية البريطانية بشن هجوم عسكري بحري علـى مـوانئ القواسـم وحلفائهم، وتدمير أسطولهم، بالتنسيق مع سلطان مسقط، وحكومة فارس.[41]

ونجحت بريطانيا في حملتها الصليبية على المنطقة أن توظف الخلاف الطائفي بـين المسلمين لتحقيق أهدافها الاستعمارية، حيث شكل التحالف البريطاني، والإباضي العماني، والشيعي الإيراني، رأس حربة في مشروع السيطرة على الخليج العربي!

وفي ديسمبر سنة 1819م تم الهجوم البريطاني العماني على موانئ القواسم، وأولها رأس الخيمة، ودارت حرب طاحنة، ولمدة خمسة أيام، استخدمت فيهـا البحريـة البريطانية مدافعها لدك أسوارها، وقلاعها، حتى وصل القتال ذروته بالاشـتباك بالسلاح الأبيض، وذهب فيه من القواسم ألف رجل بين قتيل وجريح، وانتـهت الحملة بتوقيع معاهدة في يناير سنة 1820م مع شيوخ هذه المـوانئ، يسـلمون بموجبها جميع سفنهم، وقد كان نص المعاهدة:

(أنه وبناء على ذلك يتفق الطرفان على توطيد السلم بين الحكومـة البريطانيـة، والقبائل العربية الموقعة على هذا العقد على الشروط التاليـة)، والـتي تضـمن

[39]بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/241ـ 242.

[40]بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 244 .

[41]بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 247- 249 .

لبريطانيا حق تفتيش السفن، ومراقبتها، ومصادر ا، وعدم الاعتداء بين القبائـل الموقعة على المعاهدة، وحق بريطانيا في إهدار حيـاة مـن يشـارك في أعمـال القرصنة، ومصادرة ممتلكاته.[42]

لقد وضعت هذه الاتفاقية بين بريطانيا والقبائل الساحلية أسس تقسيم الإقلـيم الواحد إلى دويلات كما جاء في نص الاتفاقية(لقد تأسس سلم دائم بين الحكومة البريطانية والقبائل العربية:

المادة الأولى : توقف أعمال السلب والقرصنة في البر والبحر من قبـل العـرب الذين هم فريق في هذه المعاهدة ....

المادة الرابعة: إن القبائل التي أخضعت ستداوم على علاقا ا السابقة وستظل في حالة سلم مع الحكومة البريطانية...

المادة السابعة:إذا لم تمتنع إحدى القبائل عن السلب والقرصنة فالعرب الأصدقاء يعملون ضدها بحسب مقدر م وحسب الظروف ...

المادة الحادية عشرة:إن الشروط المـذكورة أعـلاه عموميـة لجميـع القبائـل والأشخاص التي يقبلو ا فيما بعد بنفس الطريقة التي يقبلـها الـذين يوقعو ـا الآن.... وقد وقع عليها سنة 1820 شيخ رأس الخيمة، وشيخ أبو ظبي، وشـيخ دبي، وشيخ البحرين، وشيخ الشارقة، وشيخ عجمان).[43]

لقد أرادت بريطانيا إضفاء صبغة قانونية على تعاملها مع تلك الموانئ الساحلية، من خلال الاعتراف بالقبائل الساحلية وشـيوخها ككيانـات شـبه مسـتقلة، ولهذا(أطلقت بريطانيا على الرؤساء الذين اشتركوا في توقيع معاهدة 1820 اسم الرؤساء البحريين، وكانت دف من ورائها عزل الساحل عن الداخل في الوقت الذي كانت تعنى فيه بتدعيم سيطر ا البحرية، وإن كان من الطبيعي أن تتخلـى عن هذه السياسة على أثر اكتشاف موارد النفط في الـداخل، وقـدر ا علـى

---

[42]بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 253- 259 .

[43]انظر المصدر السابق، وتاريخ الكويت السياسي لخزعل 108/2ـ113.

السيطرة الداخلية بفضل سلاح الطيران الجوي وقد استخدم ذلك السلاح بفاعلية منذ الثلاثينيات من هذا القرن).[44]

كما يظهر جليا خطة بريطانيا في توقيع المعاهدات مع شيوخ الموانئ كل على حدة وأن هدفها ترسيخ تقسيم المنطقة وللحيلولة دون قيام أي اتحاد يشكل خطرا على النفوذ البريطاني في الخليج العربي، بعد أن دمرت قوة القواسم التي كانت ـدد الوجود البريطاني في المنطقة، وبعد أن قامت بتفتيتها والاعتراف بالشيوخ الصغار كحكام مستقلين.[45]

ولم تضمن هذه الحملة العسكرية، ولا المعاهدة التي وقعتها بريطانيا مـع قبائـل الساحل السيطرة البريطانية على الخليج العربي، إذ كان لقبائل الداخل القـدرة على ديد مصالحها في البحر، كما حصل من قبيلة آل بوعلي التي تقطن مقاطعة جعلان في عمان، وتمتد إلى الداخل، وقد كانت اعتنقت الدعوة الوهابية ووقفت معها، وثارت على السلطان سعيد سلطان مسقط، وقد قامت بريطانيا بحملة بحرية عسكرية من أجل إخضاعها بعد أن رأت أ ا تمثل خطرا على مصالحها، وتحركت القوة البحرية البريطانية بحرا، والقوة العمانية بقيادة سلطان مسـقط بـرا، وفي مطلع نوفمبر سنة 1820م، بدأت قوات التحالف المشتركة زحفها على المنطقة، وقد اشترطت على قبيلة بوعلي شروطا، ومنها تسليم أسلحتها، فرفضـت هـذا الشرط بعد أن وافقت على الشروط الأخرى، ودارت حرب طاحنة بين الفريقين، فر عندها جنود السلطان والقوات الهندية البريطانية الزاحفة، ثم تبعهم الضـباط ورجال المدفعية البريطانية، وأخذ رجال قبيلة بوعلي يطلقـون علـيهم النـار، ويطعنو م بالسيوف والخناجر، حتى أصيب السلطان سعيد بطعنة عندما حـاول إنقاذ الضباط البريطانيين وكانت مواجهة دموية وقد وصف هذه المعركـة أحـد الضباط البريطانيين بقوله:

---

[44]تاريخ الخليج العربي لجمال زكريا 294/1 .

[45]تاريخ الخليج العربي لزكريا 1/ 287.

(وعلى امتداد السهل كانت جثث القتلى من الجنـود العمـانيين، وثمانيـة مـن الضباط البريطانيين، ونحو أربعمائة عسكري، ملقاة على الأرض)، لقـد قاتلـت قبيلة بوعلي الوهابية قتالا مستميتا، ونجح رجالها في تـدمير الحملـة البريطانيـة وهزيمتها هزيمة منكرة، قضت على الهيبة الـتي اكتسـبتها البحريـة العسـكرية البريطانية بعد حملتها على القواسم، وهو ما حدا بريطانيا إلى تجهيز حملـة ثانيـة مشتركة مع سلطان مسقط ضد قبيلة بوعلي، وكانت تتكون من 1263 جنـديا بريطانيا، و1686 جنديا هنديا، وكان من أهداف الحملة(تسليم سلطة المنطقـة المحررة إلى السيد سعيد، وإطلاق الأسرى، وتسليم الأسلحة التي وقعـت خـلال الحملة السابقة في يد قبائل بوعلي)، وما كادت قوات الحلفاء تعسكر قريبا مـن مشارف القبيلة بتاريخ 10 فبراير سنة 1821م، حتى شن عليها رجال بـوعلي هجوما مفاجئا، فأربك قوات الحلفاء، فدب فيها الذعر، وقتل فيها عـدد مـن الضباط والجنود، وفي يوم 2مارس اشتبك الجيشان في حرب دموية، ونجح رجـال القبيلة في شق طريقهم وسط القوات البريطانية، وكتب أحد الضباط البريطانيين المشهد المروع فقال:

(كانت المذبحة رهيبة على الجانبين، وإن قوات العدو الـتي كانـت في المـؤخرة اضطرت إلى شق طريقها وسط لوائنا في محاولة لاستعادة مزارعها، وكل الـذين شاهدوا ذالك الهجوم الفريد، قالوا بأ م لم يشهدوا في حيا م جيشا قاتل بتلـك البسالة التي لا نظير لها، ولم نستطع إيقاف تقدمهم رغم قصفنا المتكرر لمواقعهم، والذي كان يبيدهم بأعداد غفيرة متحدين الحراب المصوبة إليهم، وأبدوا صمودا في القتال، فكانوا ينقضون على سياراتنا، وينتزعون بنادقنا من أيدينا في محاولـة لشق صفوفنا وإبادتنا حتى بعد أن كانت حرابنا قد انغرست في أجسادهم)!

وبعد ذلك استسلم نحو 200 مقاتل من القبيلة مع عائلا م، بعد أن قتل منـهم 200 رجل، وجرح نحو 300 رجل ، وقد تم نقل 150منهم بمـا فـيهم شـيخا القبيلة - اللذان يعانيان من جراح خطيرة - بالإضافة إلى خمسين صبيا، إلى بومبي كأسرى حرب، وسلم الباقون من الأسرى إلى سلطان مسـقط، وأمـر القائـد البريطاني بعد ذلك بدك القلاع، وإتلاف المزارع، وإشـعال النـار في مسـاكن القبيلة(ومنذ البداية حتى النهاية كانت الحملة - كما يقول كيلي - على رجال

بني بوعلي مخزية ومؤلمة، وقد ذهب ضحيتها من الرجال أكثر مما ذهب في معركتي 1809 و1818م معا، وأسفرت عن نتائج لا قيمة لها، وتحولت الحملة إلى حرب سافرة كل هدفها هو استعادة سلطة السيد سعيد على قبائل جعلان)!

وقد تمت محاكمة القائد العسكري بعد انتهاء الحملة على الأخطاء التي ارتكبـها والتي أظهرت وكأن الأسلحة البريطانيـة هـدفها إخضـاع القبائـل لسـلطان مسقط(وإذا كان ثمة طرف له الحق في الفخر برأي كيلي - بنتيجة الحملة فهـو قبائل بوعلي أنفسهم لدفاعهم الباسل عن أراضيهم ومواطنهم، وهذا هـو مـا اعترف به أعضاء مجلس شركة الهند الشرقية عنـدما اجتمعـوا لتقيـيم نتـائج الحملة)، واعترفوا بأنه لم تتخذ الإجراءات اللازمة للتحقق من طبيعـة أعمـال القرصنة التي كان متهما فيها رجال القبيلة، وأن حكومة الهنـد أخـذت بـرأي السيد سعيد الذي يهدف إلى السيطرة على منطقة القبيلة، دون التحـري عـن حقيقة الأمر، كما اعترفوا بأن إحراق المزارع، والمساكن، وأخـذ الأسـرى إلى بومبي حيث مات عدد منهم كان تصرفا مخجلا، وكذلك تسليم الأسرى للسـيد سعيد - حيث مات مجموعة منهم في سجونه جوعا - كان أكثر الأعمال خزيا.[46]

لقد كان أشد ما يخشاه المسئولون البريطانيون آنذاك من تبعات هذه الحملة(هـو ما سوف تتركه من انطباع في أوساط القبائل الخليجية عن السياسـة البريطانيـة التي كانت تنطلق من مبدأ القضاء على القرصنة إلا إن تعاون تومسون - قائـد الحملة - مع السيد سعيد سلطان عمان إنما يوحي بأنه محاولة منـا للتـدخل في الشئون الداخلية بدعوى حماية مصالحنا مـن الأخطـار الـتي ـددها في ميـاه الخليج).[47]

لقد كانت هذه الحرب التي شنتها بريطانيا على القبائل العربية الخليجيـة حربـا استعمارية تحت ستار مكافحة الإرهاب والقرصنة البحرية، وكان الهـدف منـها السيطرة على المنطقة من خلال إخضاعها لمن يتحالف معها، وبدأت منـذ ذلـك التاريخ أزمة الهوية!

[46] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 284ـ 296 .

[47] بريطانيا والخليج لجون كيلي 300/1 .

ملحوظة : هذه المقالات الأربعة هي اختصار لما يعادل 150 صفحة من كتاب (الحرية وأزمة الهوية)، مراعاة لقراء المقالات، إلى حين طباعة الكتاب، فالهدف إعادة صياغة العقل الخليجي باستعادة ذاكرته التاريخية، وتحريره من أوهامه الزائفة التي كبلته، إذ ما زال هذا التاريخ الاستعماري هو الذي يتحكم في واقعنا السياسي إلى اليوم!

عبيد بلا أغلال

(5)

(مشروع حكومة الهند البريطانية للسيطرة على الجزيرة العربية)

وقد قامت الدولة الوهابية مرة ثانية - بعد ست سنوات من السيطرة المصـرية العثمانية على نجد - على يد تركي بن عبد الله بـن محمـد بـن سـعود، سـنة 1240هـ ـ 1824م، بعد أن خرج من سجنه في مصر - بترتيب مـن القيـادة المصرية ليضبط لها نجد - وخاض حروبا داخلية من سـنة 1820 إلى 1824م، حيث استقر له الأمر، واتخذ الرياض عاصمة له بدل الدرعية، ولم تتجاوز سلطته حدود نجد، ودخل في حروب مع شيوخ بني خالد محمد وماجد العريعر، من أجل السيطرة على الإحساء، حيث نجح هو وابنه فيصل في احتلال الهفـوف عاصـمة الإحساء في ربيع سنة 1830م، وبدأ النفوذ الوهابي يعود مرة أخرى لسـواحل الخليج العربي، غير أن تركي آل سعود كان أقل حماسا لنشر الـدعوة الوهابيـة، وأحرص على الحكم منه على الدين(على العكس من الزعماء الوهابيين السابقين، الذين كان حماسهم ـ كما يرى كيلي ـ لنشر العقيدة الوهابية أكثر من حماسهم للحكم)!

وقد أرسل تركي بن سعود للحكومة الهندية البريطانية في بومبي رسـالة يؤكـد فيها رغبته في إقامة علاقة ودية معها.[48]

وقد دعا تركي بن سعود بعد السيطرة على الإحساء عبدالله بـن خليفـة شـيخ البحرين إلى الاعتراف بسلطته ودفع الزكاة له، وهي أربعين ألف ريال نمساوي،

---

[48] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/381ـ 383 .

وقد قام عبدالله بتنفيذ ما طلبه منه تركي، بعد أن سأل البريطانيين مساعدته فآثروا عدم التدخل، وتم عقد اتفاق بينه وبين تركي اعترف بموجبه بالسلطة العليا للرياض على البحرين، وبدفع الزكاة السنوية، مقابل ضمان الرياض لسيادة شيخ البحرين، كما أبدى السيد سعيد سلطان عمان سنة 1831م موافقته على الدخول تحت سلطة تركي، بعد أن سيطرت قوات أمير الإحساء الوهابي عمر بن عفيصان على البريمي – المدخل الإستراتيجي لعمان – بشرط السماح له باحتلال البحرين، فرفض تركي هذا الشرط، كما جاءت وفود من شيوخ القبائل العمانية إلى الإحساء للدخول في الطاعة للدولة الجديدة، وعلى رأسهم راشد بن حمد شيخ عجمان، وبعدها تحرك ابن عفيصان بجيشه إلى عمان وسواحله، لفرض سلطة الدولة الوهابية الجديدة، وأخذ الزكاة من القبائل، فاستجاب شيخ أبوظبي، وبدأ ابن عفيصان الضغط على مسقط، وأخيرا استسلم السلطان سعيد، والتزم بدفع الزكاة السنوية للرياض، بعد أن طلب مساعدة البريطانيين الذين نصحوه بالتفاهم مع تركي، غير أ ا تفاجأت بالاستسلام الكامل من سعيد.[49]

وقد كان سبب ضعفه تخلي القبائل عنه، بعد افتقاده لصفة الإمامة التي تم التخلي عنها في عمان من قبل آل بوسعيد، حيث أصبح الحكم بالوراثة، وهو ما يصطدم بالعقيدة الإباضية لقبائل عمان الداخلية، التي تراه بالانتخاب، وهو ما يفتقده السلطان سعيد، مما أضعف قوته أمام جيوش ابن عفيصان.[50]

---

[49] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 385- 389 .

[50] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 389-390 .

فالقبائل العمانية تؤمن منذ ألف ومائتي عام بحقها في انتخاب الإمام إيمانا منها بمبدأ الشورى الإسلامي، والتي مارسته قرونا طويلة قبل أن يعرف العالم النظم الديمقراطية، غير أ ا فقدت هذا الحق بعد الاستعمار البريطاني للمنطقة، وتثبيته للحكم الوراثي، وهو ما يمارسه الاستعمار اليوم الذي يرفع شعار الديمقراطية ويكرس النظم الاستبدادية الوراثية!

وقد أدركت بريطانيا خطورة سيطرة الوهابيين على عمان، و ديدهم مصالحها في الهند، ورأت ضرورة تحذير تركي من الاعتداء على أراضي السيد سعيد، وطلبت من محمد علي والي مصر الضغط على تركي ليكف عن سعيد، إذا كـان تركـي خاضعا فعلا للسلطة المصرية، كما أ ا كانت تخشى من التدخل في شـئون الـبر، والتورط في مشاكل لا حصر لها، كما حصل من قبل[51].

وفي سنة 1834م كان نفوذ تركي بن سعود قد بلغ أقصى مداه حيث سيطر على نجد، والإحساء، وشرق الخليج العربي، والجنوب الشرقي منه، ولم يكن خضـوع بعض شيوخ الساحل للدولة الوهابية رغبة بقدر ما هو خشية مـن مـواطنيهم، الذين اعتنقوا الدعوة الوهابية، وفي هذه السنة اغتيل تركي في شهر مايو، وهـو في المسجد، على يد ابن عمه مشاري، ونجح ولده فيصل بن تركي الـذي كـان يقود الجيوش في الإحساء، في العودة سرا، ودخول الرياض، وقتل مشـاري، وتم اختياره مكان أبيه[52].

حيلولة بريطانيا دون قيام أي وحدة عربية أو إسلامية في المنطقة :

لقد بدأت حكومة الهند تناقش موضوع مشروع محمد علي الرامي إلى السـيطرة على الشام، والعراق، والجزيرة العربية، وخطورة ذلك، ومدى تأثيره على الدولة العثمانية، التي تمثل سدا أمام أطماع روسيا في المنطقة، خاصة الهند البريطانيـة، ومدى إمكانية الاستفادة من قيام محمد علي بتحقيق مشروعه، غـير أن هنـري أليس وصل في تقريره لبحث هذا الموضوع إلى:

[51] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 396-397 .

[52] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/415ـ416 .

(إنه ليس من مصلحة الدولة الأوربية الحاكمة في الهند أن تقوم على أرض الفرات دولة إسلامية قوية، إذ أن من المحتمل أن تتحد مع روسيا، كما قد تتحد مع فارس لمقاومة الأطماع الروسية، كما أن أي دولة تنشأ هنا سيمتد نفوذها بلا شك إلى جميع أقطار الجزيرة العربية، وقد تصبح في وقت قصير دولة بحرية هامة، إن منطقة أسيا الوسطى بأسرها يمكن اعتبارها منطقة إسلامية، وأ ا تشكل حلفا إسلاميا هدفه طرد الدولة المسيحية، ولو توحدت كل ممالك الخليفة الإسلامي في دولة واحدة قوية، يتزعمها حاكم طموح، فإ ا ستصبح خطرا على المصالح الأوربية، وعلى الرغم من أن الفرس ينتمون إلى المذهب الشيعي، وبقية السكان في الأقطار الأخرى التي يضمها هذا الحلف من المذهب السني، فإن هناك إحساسا دينيا مشتركا بينها يدفعها إلى الاتحاد مع بعضها في تلك المهمة المقدسة)!

ومن ثم رأى صرف النظر عن دعم مشروع محمد علي إذ أن دولة تضم مصر، والشام، والعراق، ستكون على حساب الوجود البريطاني في الهند[53].

وقد ذهب مسئولون بريطانيون آخرون إلى أن مشروع محمد علي يهدف إلى إقامة دولة تضم كل الأقطار التي يتحدث سكا ا اللغة العربية، دون خروج عن الخلافة العثمانية، فلا ضرر على بريطانيا من قيام مثل هذه المملكة العربية[54].

وقد أمر محمد علي سنة 1836م خالد بن سعود ـ بعد أن أفرج عنه ـ بقيادة جيش والتوجه إلى الرياض، ليتولى الأمر فيها، بدلا من ابن عمه فيصل بن تركي،

---

[53] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 469-470 .

تأمل مدى خشية الحملات الصليبية والدول الغربية الاستعمارية من الوحدة الإسلامية، وعملها على الحيلولة دون تحالف بين السنة والشيعة في المنطقة، لتدوم لها السيطرة على المنطقة في ظل تناحر طوائفها، وهو ما نجح الاستعمار اليوم باستثماره بتخويف كل طائفة من الأخرى، والوقوف مع هذه تارة، وهذه تارة، وقيام حلفائه بتعزيز روح العداء بين الطوائف، من أجل دوام حكمهم، كما جرى في احتلال العراق!

[54] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/472 .

وقد أمر محمد علي والي المدينة إسماعيل باشا بتزويد خالد بالقوات لتنفيذ مهمته، فعرض فيصل على محمد علي أن يكون واليا على نجد تابعا له، فرفض محمد علي هذا العرض، ونجح خالد في السيطرة على الرياض سنة 1837م، وفر فيصل إلى الإحساء، وفي سنة 1838م تحرك الجيش المصري في نجد بقيادة خورشيد باشا، ومعه جيش خالد بن سعود وانطلقوا من الرياض نحو الإحساء، وقد طلب خورشيد باشا من شيخي الكويت والبحرين الخاضعين للسيادة العثمانية بتقديم الدعم لقواته عند وصولها إلى الإحساء، وفي آخر سنة 1838م تمت السيطرة المصرية على الإحساء، وتم أسر فيصل بن تركي، وإرساله لمصر، حيث حبس هناك[55].

وقد جرى بين قنصل بريطانيا ومحمد علي تباحث حول الأوضاع في الخليج العربي، فذكر محمد علي أن الهدف من تحركات جيوشه في الجزيرة العربية(حماية مكة والمدينة، وبأن البحرين كالكويت، ولاية من ولايات نجد، وأ ا كانت تدفع الزكاة إلى ابن سعود لسنوات عديدة)[56].

كما سبق أن أكد محمد علي للقنصل البريطاني (بأن نجد كلها قد أصبحت خاضعة له، وبأن شبه الجزيرة العربية من مكة إلى المدينة، ثم إلى سواحل الخليج العربي قد أصبحت تحت نفوذه)[57].

كما حاول البريطانيون استخدام نفوذهم للحيلولة دون سيطرة خورشيد على البحرين، غير أ ا باعترافهم كانت (واقعة فعلا تحت سيطرته)[58].

---

[55] بريطانيا والخليج لكيلي 1/ 502، و524-530 ، وانظر تحفة المستفيد 145-150.

[56] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 552 .

[57] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 507.

[58] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 555 .

وفي الوقت الذي كانت بريطانيا تضغط على محمد علي بخصوص البحرين، كـان خورشيد قد وقع اتفاقية مع عبدالله بن حمد بن خليفـة بتـاريخ 1839/5/7م، اعترفت البحرين بموجبها بالسيادة المصرية العثمانية، والتزمت بـدفع الزكـاة السنوية، وقدرها 3000ريال نمساوي، وتقديم كـل مـا يطلبـه الـوالي مـن مساعدات، و ذا صارت البحرين تحت السيادة الرسمية والفعلية لمصر العثمانية، كولاية تابعة لنجد والجزيرة العربية، التي أصبحت من البحر الأحمر إلى الخلـيج العربي تحت سيادا[59].

وكذا امتد نفوذ خورشيد باشا ليشمل ساحل عمان، حيث كان سعد بن مطلـق المطيري قد قدم بقواته إلى الشارقة، كنائب لخالد بـن سـعود، وبتكليـف مـن خورشيد باشا، وكممثل له[60].

كما أرسل سعد بن مطلق المطيري إلى السيد سعيد سلطان مسقط، يطلب منه دفع الزكاة السنوية للرياض التابعة لسلطة خورشيد باشا[61].

وقد نجح القائد خورشيد في بسط نفوذه الكامل، وتأمين الاستقرار في المنطقـة، كما جاء وصفه في التقارير البريطانية بأنه(قائد موهـوب، لأن جميـع السـكان العرب على امتداد المنطقة من شواطئ البحر الأحمر إلى سواحل الخليج العربي إلى البحرين متحدون ومنضبطون تحت حكم هذا الباشـا، لدرجـة أ ـم يقومـون بأنفسهم بحراسة المراكز العسكرية، وإبقاء الاتصالات مفتوحة مع مصر)[62].

---

[59]بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 556 .

[60]بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 546و561 .

[61]بريطانيا والخليج لجون كيلي 565/1 .

[62]بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 530 .وفي هذا أوضح دليل على مدى التضليل والزيـف الثقـافي المعاصر الذي يصور أوضاع الجزيرة العربية بأ ا كانت فوضى، ولا وجود لدولة وسلطة، وأن تاريخها ظلمات حتى قامت دويلات الطوائف الصليبية فيها!

وفي سنة 1840م أمر محمد علي خورشيد باشا بسحب قواته من وسط الجزيـرة العربية(نجد)، وشرقها(الإحساء)، وواكب ذلك ثورة القبائل في هذه المناطق على خورشيد باشا، وذلك بعد تمرد محمد علي على الخلافة العثمانية، ثم هزيمتة بعـد ذلك سنة 1840م، وتراجع محمد علي عن مشروعه في إقامة دولة عربية موحدة، حيث أصبحت الجزيرة العربية تتبع الباب العالي العثماني مباشرة، بحسب المعاهدة التي بينه وبين الخلافة العثمانية.

وفي سنة 1841م اعترف خالد بن سعود بالتبعية للباب العالي مباشرة بعـد أن كان تابعا لمصر، وتم تعيينه واليا على نجد[63].

وفي سنة 1843م أفرجت مصر عن فيصل بن تركي، وعاد إلى الرياض، وأصـبح واليا على نجد تابعا للباب العالي، حيث شرع في دفع الزكاة لشريف مكة محمـد بن عون، الذي كان يتبع الأستانةمباشرة[64].

وقد امتد نفوذ فيصل ليشمل في سنة 1845م نجدا، والإحساء، وساحل عمان، وقد أرسل مبعوثا إلى المقيم البريطاني يؤكد له استئناف حكمه في المنطقة، وقـد التزمت بريطانيا عدم التدخل في شئون الجزيرة العربية بعـد انسـحاب الجـيش المصري منها، وقد أرسل فيصل إلى البريمي سعد بن مطلق المطيري نائبا عنه، الذي خرج بقواته إليها، واستقبلته القبائل الغفارية فيها بحماس شديد.[65]

وقد أعرب شيوخ ساحل عمان عن ولائهم لسعد بن مطلق، كما أرسل سـعد إلى السيد ثويني بن سعيد والي مسقط - وكان والده السلطان سعيد في زنجبـار -

---

[63] بريطانيا والخليج لجون كيلي 597/1 ، وتحفة المستفيد 155.

[64] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 671 ، وسياسة الأمن لحكومة الهند 120 .

[65] وفي هذا أوضح دليل على مدى تطلع قبائل وسكان الخليج العربي إلى الوحدة، التي حال بينهم وبينها الاستعمار وحلفـاؤه في المنطقة الذين جعلوا مصالحهم العشائرية الخاصة فوق كل اعتبار!

وإلى ابن أخيه حمود بن عزان والي صحار، يطلب منهما دفع الزكاة السنوية، فتم دفعها له، بعد أن أدركوا عدم قدر م على مواجهته، وبعـد رفـض بريطانيـا التدخل في شئون الجزيرة العربية الداخلية، كما قرر حمود بن عزان وبتأييد مـن القبائل تولي الحكم في مسقط بعد أن ضاق علماء الدين، وضاقت القبائل ذرعـا بإهمال سعيد لشئون عمان، وأيضا(بسبب علاقته بالأجانب والنصارى)[66].

وقد خشيت حكومة الهند البريطانية على مصالحها في الخليج، فحذرت فيصل بن تركي من تعريض الأمن في الخليج للخطر، فكتب أمير مكة الشـريف عـون - بطلب من فيصل - كتابا إلى المندوب البريطاني في بوشهر جاء فيه :

(أعرفكم بخصوص فيصل بن سعود، بأن هذا من رعايا السلطان العثماني، وغـير خاف عليكم أن هناك بعض القلاع التي تخصه في عمـان، وهـو يـدفع لخزينـة السلطان 17000ريال، وأملي فيكم أن لا تتخذوا ضده أي إجراء).[67]

وقد أكدت بريطانيا أ ا لا تتدخل فيما يحدث في داخل الجزيرة العربيـة علـى البر، لأنه ليس لها عليه سيادة، ما لم تصل المشاكل إلى البحر، وتعرض مصـالحها التجارية للخطر، كما امتد نفوذ فيصل ليشـمل قطـر، والبحـرين، كتوابـع للإحساء، حيث دفعتا الزكاة له سنة 1850م، وفي سنة 1849م، صـدر قـرار عثماني من الباب العالي بفصل ولاية البصرة عن بغداد، وإلحاق إقليم الإحسـاء والساحل الغربي من الخليج العربي بولاية البصرة[68].

وفي سنة 1850م طلب فيصل من محمد الخليفة دفع الزكاة السنوية، وقـد قـام مواطنو الدوحة في قطر التابعة للبحرين بالانتفاضة عليه، وإعلان ولائهم لفيصل

---

[66]بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 671-679 .

[67]بريطانيا والخليج لجون كيلي 686/1 .

[68]بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 692 .

بن تركي، مما حدا محمد الخليفة بطلب التدخل البريطاني، وقد أرسل فيصل مبعوثه إلى المقيم البريطاني ليبلغه بأنه (حائر من الاتجاه المعاكس الذي تسير فيه السياسة البريطانية تجاهه في الآونة الأخيرة، فعلى حين كانت الحكومة البريطانيـة تحتـرم أسس التفاهم القائمة بينها وبينه، والتي تقوم على أساس عدم التدخل في علاقاته بسكان الساحل الغربي، فإ ا قامت في الفترة الأخيرة بمنع رعاياه في رأس الخيمـة ودبي من تقديم المساعدة البحرية إليه لإخضاع رعاياه المتمـردين في البحـرين)، وقد رد عليه المقيم البريطاني، بأن بريطانيا لا تعترف بسـيادته علـى البحـرين وقبائل ساحل عمان(التي كانت ولا تزال تعتبرها وتعاملها كدولة مستقلة).[69]

وفي سنة 1853م توجه عبدالله بن فيصل بن تركي من الرياض بجيش إلى البريمي التي سيطر عليها، وطلب حضور شيوخ الساحل إليه، كما طلب من ثويني إرجاع صحار إلى قيس بن عزان، ودفع متأخرات الزكاة، وجميع تكاليف الحملة، وقـد حاول المقيم البريطاني الحيلولة دون حضور الشيوخ إليه، غير أن عبـدالله كتـب إليه بأ م (مرتبطون بنا ومحسوبون علينا)!

وأخيرا وقعت مسقط اتفاقا مع عبدالله بن فيصل بن تركـي، التزمـت مسـقط بموجبه بدفع الزكاة المتأخرة، والمستحقة عن مسقط وصحار[70].

وفي الوقت الذي كانت بريطانيا ترفض وجود أي نفوذ أجنبي في الخليج العـربي، إلا إ ا لم تستطع الحد من النفوذ الوهابي التابع للخلافة العثمانية، لأنه واقع على

[69]بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 693- 696 .

تأمل في السياسة الاستعمارية الصليبية في تكريسها للتفرقة، وكيف جعلت من القبائل دولا، ليسهل لها السيطرة عليه والحيلولة دون وحد ا، وهي المشكلة التي ما تزال قائمة إلى اليوم وتنتظـر مـن يحقـق طموح شعبها بالوحدة!

[70]بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 701-702 .

داخل الجزيرة العربية من جهة البر، لا خارجها من جهة البحر، الذي هو محـط اهتمامها[71].

وقد حاولت بريطانيا فرض وجودها البحري على مجريات الأحداث داخل الـبر، والحد من نفوذ فيصل بن تركي الذي يتبع الخلافة العثمانية، وحاولـت تـذكيره بالاتفاقيات التي بينها وبين قبائل الساحل فرد عليها برسالة سنة 1855م جـاء فيها:(بخصوص الاتفاقيات المعقودة بين شيوخ ساحل عمان والمقيم البريطاني إننـا نعلم بذلك، وبأن الغرض منه منع المخالفات، وإني أوافق على هذه لتدابير موافقة تامة، لأنه يوجد بيننا وبين الحكومة البريطانية تفاهم مدته مائة عام، وذلك بقصد حماية التجار، والمسافرين في البحار، وإن سواحل عمان والمناطق التابعة لها هـي على أية حال تابعة لشبه الجزيرة العربية التي نحكمها، وإن أهلها يدينون بالولاء لنا، وإن أهل المقاطعات الداخلية من عمان وفي قلب مواطن القبائـل البدويـة أقوى من الجميع، وهم يتحكمون في سكان الساحل، ويعتدون عليهم، وتعلمون أني عينت نائبا في عمان تحت تصرفه قوة عسكرية مهمته أن يمنـع الاعتـداءات والأضرار، وإن هؤلاء يتمتعون بحماية النائب المذكور، ووجوده هناك هو مرضاة لله ثم لأمير المؤمنين، وبما أنني تابع لحكومة تركيا (الدولة العثمانية) فـإني أحمـل تفويضا من السلطان بحكم جميع العرب نيابة عنه، نسأل الله أن يـديم حكمهـم ومجدهم).[72]

ومع إن سياسة بريطانيا كانت تقوم على أساس تعزيز استقلال قبائل الساحل ـ لأ ا (ستكون الدولة الخاسرة فيما لو ا ار استقلال الدويلات السـاحلية)[73]ـ ـ ومع ذلك لم تستطع بريطانيا الحيلولة دون دفع البحرين الزكاة لفيصل بن تركي

[71] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 705 .

[72] بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/181- 182 ، وسياسة الأمن 117- 118 .

[73] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 177 .

الذي كان يقوم بدفعها إلى الباب العالي (فقد كانـت السـلطات البريطانيـة في الخليج تتحاشى الزج بنفسها في هذا الموضوع) على حد قول كامبل المنـدوب البريطاني في بوشهر، الذي أكد له فيصل بأن البحرين ومنذ عصور بعيـدة هـي تابعة له، وتدفع الزكاة السنوية، وقد كتب فيصل إلى كامبل رسالة يؤكد فيها:

(إن ثمة تفاهم بيني وبين الحكومة البريطانية بشأن المناطق التابعة لنجد، والتي تمتد من عمان إلى الكويت، والتي لا يحق لكم ممارسة أي سلطة عليها، أو التـدخل في شئو ا).[74]

واستقر الوضع على ذلك، واستمر الهدوء إلى أواخر سنة 1859م[75].

وقد كتب المقيم البريطاني الجديد في بوشهر فيلكس جونز تقريرا حول الوضـع، يحذر فيه من خطر امتداد النفوذ الوهابي الذي يبسط سيطرة الدولـة العثمانيـة على السواحل والموانئ الخليجية[76].

وبعد أن وقع نزاع في البحرين واضطراب، وحاول جونز منع فيصل من التدخل فيه، رد عليه بقوله:(إنكم تعلمون بأن البحـرين تابعـة للأمـير الوهـابي، وأن القوانين التي فيها صادرة عنه، وأن الزكاة هو الذي فرضها، وأن جونز يتـدخل فيما لا يعنيه)[77].

---

[74] بريطانيا والخليج لجون كيلي 179/2 .

[75] بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/ 186 .

[76] بريطانيا والخليج لجون كيلي 193/2 .وكل هذه المراسلات تكشف مدى الزيف والتضليل في الثقافة المعاصرة التي تتحدث عن استقلال الإمارة الوهابية عن الخلافة العثمانية والدولة الإسلامية، فقد ظلت تابعة لها منذ تأسيسها إلى سقوطها في المرة الأولى ثم المرة الثانية.

[77] بريطانيا والخليج لجون كيلي 194/2 .

ولما أدرك شيخ البحرين محمد بن خليفة عجز المقيم البريطاني، وخطورة الوضع، بادر بإرسال رسالة لوالي بغداد عمر باشا يعرض عليه وضع البحرين تحت سيادة الخليفة العثماني مباشرة، دون واسطة فيصل بن تركي، وقد أرسـل والي بغـداد مندوبا عنه لترتيب الوضع، وفي إبريل سنة 1860م تم الاتفاق بين والي بغـداد الجديد مصطفى باشا ومحمد الخليفة على دفع الزكاة لبغداد، واعتراف البحـرين بالتبعية للدولة العثمانية، وتم رفع العلم العثماني[78].

ولم تعترض بريطانيا على ما جرى(فطالما أن ولاء حاكم البحرين أو تبعيتـه لأي دولة لا يستتبعه احتلال عسكري من جانب تلك الدولة، فإن ذلك لا أهمية لـه، ويجب تجاهله) على حد قول المعتمد السياسي البريطاني في بغـداد رولنسـون في رسالته لجونز، إذ أن ما يهم بريطانيا هو حماية البحر من أي قوة قد تشكل خطرا على مصالحها[79].

---

[78] بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/197-200 .

[79] بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/203 .

(عبيد بلا أغلال)

(6)

(السيطرة البريطانية على الجزيرة العربية وموقف الدعوة الوهابية)

وفي يناير سنة 1875م توفي سعود بن فيصل بن تركي آل سعود في الرياض، وتم اختيار أخيه عبدالرحمن بن فيصل خلفا له، غير أن القبائل في الإحساء كانت ضده، وقد قام والي بغداد بضم الإحساء إلى لواء البصرة والمناطق السفلى التابعة له، وكانت تحت حكم ناصر السعدون[80].

وفي شهر يونيو سنة 1876م أرسل السيد الفضل العلوي حاكم صلالة وإقليم ظفار إلى الباب العالي يؤكد تبعيته للخلافة العثمانية، بناء على رغبة سكان الإقليم، وطلب من الدولة العثمانية تزويده بالسفن والعتاد العسكري لتأمين المنطقة، وقد توطد نفوذ العلوي بتأييد قبائل ظفار له، ورفع العلم العثماني، وقد كتب المسئولون البريطانيون في حكومة الهند تقريرا عن العلوي وبأنه (شخص خطير حاقد على بريطانيا وأن دعوته أكثر تطرفا من الدعوة الوهابية)، مما دفع بريطانيا للتدخل والتخطيط للقضاء على العلوي الذي يهدد سيادة البحرية ونفوذها في مسقط[81].

---

[80] بريطانيا والخليج لجون كيلي 656/2 .

[81] بريطانيا والخليج لجون كيلي 671/2- 673.

ويلاحظ أن مة التطرف و ديد الأمن هي الشماعة التي تستخدمها الحملات الصليبية الحديثة لاحتلال المنطقة، ولمواجهة كل من يتصدى لمقاومتها!

وقد وقعت اضطرابات على السواحل بين الإحساء وقطر سنة 1876م قامت ا قبائل بني هاجر والمرة، وقد كتبت حكومة الهند إلى لندن بأنه (كثر التعدي من القبائل التابعة للعثمانيين كبني هاجر والمرة)[82].

وقد دفع ذلك المسئولين البريطانيين إلى اقتراح (تحديد المناطق التي للدولة العثمانية عليها سيادة، وأنه يتعين على بريطانيا الاعتراف للدولة العثمانية بالسيادة الإقليمية على الساحل العربي، ضمن حدود معينة، فالموانئ العثمانية على الخليج هي الكويت، والقطيف، والعقير، وعلى الجانب الساحلي من الخور ويعرف بساحل قطر، ويضم البدعة، والوكرة، والعديد، بالإضافة إلى مرفأين أو ثلاثة مرافئ صغيرة، ومن ثم فاستيلاء الدولة العثمانية على هذا الساحل لا يعطيها أي مزايا، غير أن السيادة الوهمية التي تمارسها على هذه المنطقة، والتي تتمثل في وجود قوة عسكرية صغيرة ترابط في البدعة، قد بدأت تشكل خطرا على بريطانيا، نظرا لتدخل المسئولين الأتراك في شئوننا التجارية المشروعة، التي نحقق من ورائها كثيرا من المكاسب، وباستثار م للمشاعر القومية للسكان العرب في هذه المناطق،ولو تم ذلك - أي تحديد المناطق وتنازل الدولة العثمانية

تأمل في التهمة البريطانية للسيد العلوي بأنه متطرف خطير لا لشيء إلا لأنه يقاوم الحملة الصليبية البريطانية الاستعمارية على الخليج والجزيرة العربية، فما أشبه الليلة بالبارحة!

[82] سياسة الأمن 225 .

عن سيادة وديا على الساحل الممتد من جنوب العقير إلى مقابل ساحل البحرين ـ فإن هذه المبادرة سوف تخدم بريطانيا إلى حد كبير، ويمكن وضع حـد لـروح القرصنة التي تسود القبائل)[83].

التطلع البريطاني للسيطرة على داخل الجزيرة العربية:

وقد بدأت حكومة الهند البريطانية تتطلع إلى تحديد الحدود البرية لشيوخ قبائـل الساحل، مع ضمان الحماية البرية لهم، كما هو الحال في البحر، وهذه أول مـرة تفكر فيها حكومة الهند بالتدخل في منطقة الظهير البري[84].

ولم يتحقق هذا الاقتراح إلا بعد ثلاثـين سـنة، أي في سـنة 1913م، في إطـار الاتفاقية العثمانية البريطانية المعقودة في العقير بتاريخ 29 يوليو، التي تم بموجبها رسم حدود السيادة العثمانية في الأجزاء الشرقية من شبه الجزيرة العربية، والتي تمتد من جنوب العقير إلى الربع الخالي جنوبا، والذي عرف فيمـا بعـد بـالخط الأزرق[85].

وقد كان هناك اعتراف من المسئولين البريطانيين بحدود السيادة العثمانية الفعلية، وأن (المنطقة الممتدة من البصرة إلى العديد ـ مرورا بالكويـت والإحسـاء ـ تشكل المنطقة الساحلية المعترف بالسلطة السياسية والإدارية للدولة العثمانيـة

[83] بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/662-663 .

[84] سياسة الأمن 228 .

[85] بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/663 .

عليها، وفي القطيف والعقير توجد لها حاميات وجهاز إداري، أما في البدعة على الساحل الشرقي من رأس قطر فإن السلطة العثمانية سلطة قوية، وإن لم تكن منتظمة)[86].

كما اعترف المسئولون البريطانيون بأن معاهدا م مع مسقط وقبائل ساحل عمان لم تضمن لبريطانيا وحكومة الهند البريطانية ممارسة أي سيادة من أي نوع على تلك القبائل، وأنه لا بد من تغيير هذه السياسة التي أفقدت بريطانيا نفوذها في الخليج في مقابل ازدياد النفوذ العثماني في الجزيرة والخليج العربي، الذي أدى إلى تقليص النفوذ البريطاني البحري[87].

وفي شهر أغسطس/ 8 سنة 1879م صدر مرسوم من الوالي العثماني في البصرة عبدالله باشا باعتبار مسقط، والبحرين، والشحر، والمكلا، وكل المواني على سواحل الجزيرة العربية الشرقية والغربية هي موانئ عثمانية، ما عدا ميناء عدن، وقد حاول البريطانيون الاعتراض والاحتجاج على هذا المرسوم، فلم يرد عليهم العثمانيون، ولم يلتفتوا إليهم[88].

وقد سمحت بريطانيا للمقيم السياسي البريطاني سنة 1879م باستخدام اللازم ضد القراصنة في المياه الإقليمية العثمانية في شرق شبه الجزيرة العربية، الممتدة

---

[86] بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/710- 711 .

[87] بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/711- 715 ، وسياسة الأمن 228 .

[88] بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/724- 725 .

من الكويت إلى قطر ضمن مرمى قذائف المدفعية البحريـة البريطانيـة، غـير أن الخارجية البريطانية تحفظت على هذا الإجراء(لأنه بالنظر إلى عدم وجود معاهدة تنص على مثل هذه الإجراءات، فإن مهمة السفن البريطانية تقتصر على مكافحة أعمال القرصنة في المياه الدولية، خارج المياه الإقليمية التركية، وقـد صـدرت تعليمات إلى قائد الأسطول تدعوه إلى الامتناع عن القيام بأية إجراءات عدائيـة ضد الأراضي التركية، أو الميـاه الإقليميـة التركيـة، دون موافقـة الأتـراك وتعاو م)[89].

وقد وصل المسئولون البريطانيون إلى قناعة بأن (الرقابة البحريـة الـتي كانـت تمارسها الحكومة البريطانية في الخليج رقابة محـدودة، وكـان الشـيء الوحيـد المطلوب من شيوخ المنطقة هو عدم اعتداء أحد منهم على الأطـراف الأخـرى المشتركة في معاهدة السلم البحرية لعام 1853م، كما أن مجال التدخل البريطاني ضد أي اعتداء من ذلك النوع محدود)[90].

مما يستدعي من الحكومة البريطانية إعادة النظر في المعاهدات مع شيوخ القبائل، ومع الدولة العثمانية لتحديد المناطق التي تحت سياد ا.

وقد رفضت الدولة العثمانية اتخاذ أي إجراءات مشتركة مـع بريطانيـا يخـول بريطانيا حق مطاردة القراصنة في مياهها الإقليمية في الخليج العربي، وهو ما زاد

[89] بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/717-718 ، وسياسة الأمن 234 .

[90] بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/718.

من تعقيد وتقليص النفوذ البريطاني في الخليج، خاصة وأن السيادة العثمانية على داخل الجزيرة العربية وفي البر يجعل لها السيادة على مياهها الإقليمية في سواحل الخليج من البصرة إلى قطر حيث لا خلاف على سياد ا على هذه المنطقة.

وقد أكد الخبراء القانونيون البريطانيون الذين تمت استشار م في هذا الموضـوع بأن بريطانيا لا تتمتع بحق انتهاك المياه الإقليمية العثمانية، ووافقوا ذا الـرأي، رأي الخارجية البريطانية، وهو ما لم يرتضه مكتب شئون الهند البريطانية[91].

ويلاحظ أن بريطانيا اتخذت من دعوى مكافحة قراصنة البحر الخليجيين، ذريعـة لاحتلال المنطقة، كما تتخذ الولايات المتحدة اليوم مكافحـة الإرهـاب ذريعـة لتكريس احتلالها للمنطقة!

المخطط البريطاني لمشروع الثورة العربية ضد الخلافة العثمانية سنة 1880م:

وقد وجد البريطانيون صعوبة في التوصل إلى اتفاق حول هذا الموضوع مع الدولة العثمانية، خاصة بعد ازدياد شك الخليفة العثماني السلطان عبدالحميـد الثـاني بالمؤامرة البريطانية ضد الخلافة العثمانية، والذي كان يصر على أن البريطـانيين يخططونلثورة العرب في أقاليم الخلافة ضد الباب العالي، وأ م يسـتغلون تـذمر العرب لفصل أقاليمهم عن الدولة العثمانية، وفرض السيطرة البريطانية عليهـا،

[91] بريطانيا والخليج لجون كيلي 728/2 .

حيث تلقى السلطان معلومات في فبراير سنة 1880م من مصادر عدة، تفيد بأن بعض العرب في الجزيرة والعراق وسوريا مستعدون للثورة إذا وجدوا دعما مـن بريطانيا أو أي دولة أخرى، وأن الحجاز هو مصدر تلك الحركة، ومن المحتمل أن يكون شريف مكة، الذي يطمح أن يكون خليفة للمسـلمين، ضـالعا في هـذه المؤامرة، ولم تجد المحاولات التي بذلت مع السلطان عبدالحميد من أجل تبديد تلك المخاوف التي تسيطر على عقله[92].

ومما يؤكد شك السلطان عبدالحميد أن شريف مكة حسين بن محمد بن عون قـد عرض على الحكومة البريطانية تكليفه بإرسال رسول منه إلى ملـك أفغانسـتان، ليدعوه إلى الدخول في علاقة مع بريطانيا، وقد تم فعلا الاتفاق بشكل سري بـين شريف مكة والقنصل البريطاني في جدة لعقد الاجتماع وإعداد الترتيبـات لهـذه المهمة، غير أنه وقبل الاجتماع بأيام تم اغتيال الشريف[93].

وقد اختار السلطان عبدالحميد الشريف عبدالمطلب أميرا على مكة لشدة عداوته لبريطانيا، كما تأكد للسلطان عبدالحميد منذ أواسط سنة 1880م، عن طريـق مصادره من وجود مؤامرة بريطانية تستهدف نفوذه في نجد والإحسـاء، وذلـك بتأييدها بعض آل سعود، وهو عبدالله بن ثنيان بن سعود، وقد تمت اللقاءات بين

[92] بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/731- 732 وقد أثبتت الأيام صحة رأي السلطان عبدالحميد حيث كانت بريطانيا وراء الثورة العربية التي حدثت بعد ثلاثين سنة!

[93] المصدر السابق .

ابن سعود وبين السفير البريطاني في اسطنبول لطلب دعم بريطانيا، وقد وعـدها بالسيطرة على القبائل الساحلية، وأنه سيحقق بذلك مصالح بريطانيا[94].

المخطط الأوربي الصليبي للقضاء على الخلافة العثمانيـة وتقاسـم أقاليمها:

وكانت بريطانيا قد طالبت الدول الأوربية في مؤتمر برلين سنة 1880م بإعـادة تقسيم أقاليم الدولة العثمانية، وهو ما أثار سخط السـلطان عبدالحميـد علـى بريطانيا، التي كانت حليفة قبل ذلك للدولة العثمانية، وقد قامت بريطانيا بتنفيذ مخططها عمليا باحتلال مصر سنة 1882م[95].

وقد كان عذرها في احتلال مصر هو أ ا تريد إعادة الأمن والاستقرار لها، مع أ ا تعترف بسيادة الدولة العثمانية عليها، وتبعيتها لها!

وقد بدأت بريطانيا أيضا من طرفها بالحذر والخشية مـن أن يكـون السـلطان عبدالحميد وراء الاضطرابات وتأجيج مشاعر المسلمين في الهند، بدعوى أنه خليفة للمسلمين في كل مكان، وقد توصل ماليت سكرتير مكتـب الشـئون الهنديـة البريطانية إلى أن (الأمل ضعيف في التخلص من السلطان وتجريده مـن سـلطته الدينية، كما حدث بالنسبة للبابا، فإن السلطان العثماني وحكومته يشكلان رمزا

[94] بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/734- 735 .

[95] سياسة الأمن 234 .

لأقطار عديدة أغلبية سكا ا من الرجعيين والمتعصبين والمعادين لكل مظهـر مـن مظاهر المدنية الحديثة التي ميزت شعوب أقطار أوربا)[96].

معاهدات الاحتلال والحماية البريطانية مع شيوخ الخليج العربي:

وفي 22 ديسمبر سنة 1880م، وخشية من امتداد النفوذ العثماني إلى البحرين، وقعت بريطانيا معاهدة الحماية التي تنص على أن يلتزم شيخ البحرين وذريته من بعده بأن لا يتصرف في أراضي بلده، ولا يعقد أي اتفاق مع أي دولة، ولا يقيم علاقة دبلوماسية قبل الرجوع إلى بريطانيا (وقد عززت هذه المعاهدة من ارتباط البحرين بالحكومة البريطانية، وحولتها إلى دولة تابعة تبعية مطلقة لبريطانيا)[97].

وفي ديسمبر سنة 1887م وقعت بريطانيا اتفاقيات مماثلة مع شيوخ قبائل ساحل عمان المهادن– الإمارات العربية -[98].

ويلاحظ عبارة (شيوخ القبائل) فهي تعبر أوضح تعبير وأصدقه عن واقـع هـذه المشيخات الصغيرة حين وقعت بريطانيا معها اتفاقيات الحماية، وأ ا لم تكن مدنا

---

[96]بريطانيا والخليج لجون كيلي 738/2 .

وتأمل في هذه العبارة والنظرة الصليبية للعالم الإسلامي وقار ا بتصريحات بـوش الثـانيورئيس وزراء إيطاليابرلسكونيـ إبان الحرب على أفغانستان والعراقـ عن الإسلام والمسلمين اليوم لتعـرف أبعـاد الحملة الاستعمارية الغربية الصليبية الجديدة على العالم العربي والإسلامي، وأن الروح الصـليبية مـا زالت مؤثرة بشكل رئيسي في السياسة الغربية والأوربية في المنطقة الإسلامية والعربية!

[97]بريطانيا والخليج لجون كيلي 749/2- 751 .

[98]بريطانيا والخليج لجون كيلي 762/2 ، وسياسة الأمن 251.

فضلا عن دول، وهو ما يبطل قانونية كل تلك المعاهدات حسب القانون الدولي، إذ لم تكن بين دولتين بل بين دولة وموانئ تابعـة لدولـة أخـرى هـي الدولـة العثمانية!

وما لبثت أن سقطت الرياض سنة 1888م على يد محمد ابن رشيد أمير حائـل، الذي ظل تابعا للخلافة العثمانية، وكذا ظل الحجاز تحت حكم الأشراف تابعـا للخلافة العثمانية.

وفي مارس 3 سنة 1891م، وقعت بريطانيا معاهدة حماية مع سلطان مسقط.

وفي سنة 1892م وقعت معاهدات حماية شبيهة لمعاهدة مسـقط مـع كـل مـن البحرين، وشيوخ الإمارات الخليجية، في مايو 5 سنة 1896م[99].

وبعد اغتيال مبارك الصباح أخاهمحمداسنة 1896م - بتخطيط بريطاني بسبب رفض محمد للمعاهدة لأنه موظف عثماني كما سيأتي[100] - طلب مبارك الصـباح من المقيم السياسي البريطاني في بوشهر توقيع معاهدة حماية معه، إلا أن بريطانيـا تحفظت لكون الكويت تابعة بشكل رسمي للدولة العثمانية، وخشيت بريطانيا من إثارة المشاكل معها، وفي 21يناير سنة 1899م، وقعت بريطانيا اتفاقية حماية مع مبارك كمثل اتفاقية البحرين[101].

---

[99]سياسة الأمن 257 .

[100]انظر أوراق الزعيم المصري مصطفى كامل المقالات الجزء الثاني ص 232.

[101]بريطانيا والخليج لجون كيلي 766/2 .

وقد ظلت اتفاقية الكويت سرية، لكون مبارك ما زال يحمل صفة قائممقام عثماني.

وقد كانت اتفاقيات بريطانيا مع شيوخ الساحل كلها غير قانونية إذ إنه لم يكن للشيوخ أي صفة قانونية ليوقعوا مثل هذه الاتفاقيات، حيث إن مدنهم كانت جزءا من دولة كبرى هي الدولة العثمانية بشكل رسمي، كما إن شيوخها كانوا موظفين رسميين فيها من قبل الخليفة العثماني، ويتقاضون مخصصاتهم من خزينة الدولة العثمانية، حين وقعوا تلك الاتفاقيات، وهذا ما دفع بريطانيا لتوقيعها بصورة سرية.

كما كانت بريطانيا تخشى أن تحدث اضطرابات أهلية إذا تم افتضاح أمر هذه المعاهدات، وهذا ما حدث بالفعل إذ أصدر علماء الوهابية في نجد فتاواهم في ردة من دخلوا في مثل تلك المعاهدات، حيث أفتى عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ فتوى في أهل الخليج جاء فيها(وانتقل الحال بهم حتى دخلوا في طاعتهم،واطمئنوا إليهم، وطلبوا صلاح دنياهم بذهاب دينهم، وهو بلا شك أعظم أنواع الردة .. وقد قال تعالى{ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون}، وقال سبحانه{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء

بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم}...فكل من دخل في طاعتهم، وأظهر موالا م، فقد حارب الله ورسوله، وارتد عن دين الإسلام ووجب جهاده ومعاداته)[102].

كما كثر السؤال عن حكم مثل تلك المعاهدات فصدرت الفتاوى الجماعية مـن علماء نجد كعبدالله بن عبداللطيف وإبراهيم بن عبداللطيف وسليمان بن سحمان بأن الدخول تحت الحماية البريطانية ردة عن الإسلام[103].

وقد ظلت بريطانيا تعترف بالسيادة العثمانية على ساحل الخليج من البصـرة إلى قطر مرورا بالكويت، والإحساء، حتى سنة 1895م، حيث أعلنـت عـن عـدم اعترافها بالسيادة العثمانية على قطر التي ما زالت فيها حامية عثمانية[104].

وفي 3 نوفمبر سنة 1916م، وبعد قيام الحرب العالمية الأولى، وقعت قطر اتفاقية الحماية مع بريطانيا، بنفس شروط معاهدة البحرين، ليصبح الخليج العربي كلـه تابعا تبعية مطلقة لبريطانيا، فاقدا أي سيادة في ظل الاستعمار البريطاني للخلـيج العربي، الذي استمر منذ ذلك الحين، إلى الاستقلال الصوري في أواخـر القـرن العشرين، حيث حلت الولايات المتحدة محل بريطانيا، وما زالت الإشكالية!

---

[102]الدرر السنية 11/8 .

[103]الدرر السنية 435/10 .

[104]سياسة الأمن 237- 239 .

عبيد بلا أغلال

(7)

(الرؤية البريطانية الاستعمارية لمستقبل الجزيرة العربية)

لقد أدرك البريطانيون الواقع الذي كانت عليه الأوضاع في الجزيـرة والخلـيج العربي حيث لا وجود لدولة أو ما يمكن أن يصدق عليه اسم دولـة، بـل كـان الإقليم كله جزء من الدولة والخلافة العثمانية، وقد عمـل البريطـانيون علـى توظيف ذلك الواقع لصالح المشروع الاستعماري البريطاني، الذي كـان ينتظـر الفرصة التاريخية السانحة للانقضاض على الدولة العثمانية واحتلال أقاليمها بعد ضعفها، وقد أكدت التقارير البريطانية سنة 1917م – كما في تقرير هرتزل – أهمية الجزيرة العربية بالنسبة لبريطانيا حيث جاء فيها (إن أهمية الجزيرة العربيـة من حيث موقعها الجغرافي أمر معروف، ولا يمكن لأي قسم من تلـك الـبلاد ألا يهم بريطانيا العظمى التي هي الدولة الوحيدة ذات موطئ القـدم في الـبلاد في الوقت الحاضر، إن سيطرتنا محدودة على شريط ضيق محاذ للساحل من عـدن إلى الكويت، وإنه يعتمد في ناية الأمر على استتباب الهدوء في المناطق الداخليـة – أي القبائل داخل الصحراء – ولما كنا غير قادرين على التدخل في داخلية البلاد أو السيطرة عليها، فإنه لأمر أساسي استبعاد كل بذور الاضطراب المحتملـة، إن جزيرة لعرب ليست دولة بأي معنى فعلي، بل هي مجموعة من العشـائر، وهـي مستقرة تقريبا في المناطق الخصبة قرب الساحل، وفي ما عدا ذلك فهـي رحالـة

يرأسها شيوخ لا تقرر سلطا م الحدود الأرضية، بل العشائر الـتي يرأسـو ا في وقت معين، إن سياستهم متشابكة بصورة وثيقة، وإذا نشب نزاع فإنه قد يمتد إلى الجزيرة كلها، ولدينا مع العشائر والشيوخ على الساحل المذكور علاقات تنظمها معاهدات ... وحين يخرج الأتراك من الجزيرة العربية، فإ ا لن تقع بيد سيد عربي واحد)[105].

كما درس علماء الأجناس البريطانيون ـ كما في الموسوعة البريطانية ـ خصائص الجنس العربي في شبه الجزيرة العربية وأ م(من حيث التكوين الطبيعي من أقـوى وأنبل العروق البشرية في العالم، فهم جسديا لا يرضخون إلا للقلة من الأجنـاس البشرية هذا إذا رضخوا لأي منها، فأما ذهنيا فإ م متفوقون على معظم أجناس البشر، ولا يحد مسيرة تقدمهم سوى النقص الملحوظ في القدرة علـى التنظـيم، وعجزهم عن القيام بعمل مشترك)[106].

فقد كان البريطانيون يؤمنون بأن (العرب لا يسـتطيعون أن يحكمـوا أنفسـهم بأنفسهم، والاستقلال للمناطق العربية كما ورد على ألسنة المسئولين البريطانيين خلال أحاديثهم أثناء الحرب، كان يعني فقـط الاسـتقلال عـن الامبراطوريـة العثمانية، وأن هذه المناطق ستدور في فلك دولة أوربية ما).

---

[105] الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية 126/1 .

[106] سلام ما بعده سلام (ولادة الشرق الأوسط) لديفيد فرومكين ص120 .

كما تمت الكتابة بتاريخ 26 / 8 / 1915م إلى حاكم الهند البريطاني من قبـل البريطانيين المهتمين بشئون المنطقة(ليس بالأمر المستحيل أن يقوم في وقت مـا في المستقبل اتحاد فيدرالي لدول عربية شبه مستقلة، بتوجيه وتأييد أوربي، وتكـون هذه الدول مرتبطة مع بعضها على أرضية عرقية ولغوية، وتكون مدينة بـالولاء الروحي لرأس عربي، وتتطلع إلى بريطانيا على أ ا ولية أمرها وحاميتها).

كما أكد اللورد كيتشنر ضرورة نقل الخلافة من اسطنبول قبل أن تقـع تحـت النفوذ الروسي، إلى الجزيرة العربية حيث ستظل الخلافـة فيهـا تحـت التـأثير البريطاني[107].

لقد قررت بريطانيا احتلال الخليج والجزيـرة والسـيطرة عليهـا تـدريجيا دون استثارة الدولة العثمانية التي كانت تعيش أوضاعا سيئة، فقامت بتوقيع اتفاقيات سرية مع شيوخ الساحل باسم معاهدات الحماية، بينما هي احتلال غـير مباشـر للمناطق التي وقعت معها المعاهدات من غير أي صفة قانونية، فقد وقعت بريطانيا معاهدة حماية مع عمان سنة 1891م، وقد نصت في القسم السري منها على أن لا يتصرف سلطان عمان بأي جزء من أرضه بأي شكل من أشكال التصرف دون الرجوع إلى السلطة البريطانية، وكذا وقعت بريطانيا سنة 1892م معاهدة حماية بالشروط نفسها مع البحرين ومع مشـيخات الخلـيج المهـادن(رأس الخيمـة، والفجيرة، وأم القوين، والشارقة، ودبي، وأبو ظبي).

[107] ولادة الشرق الأوسط 158- 159 .

لقد ظلت بريطانيا تقر للخلافة العثمانية بسيادتها المباشرة على الخليج العربي من البصرة إلى ميناء القطيف، ففي سنة 1876م جاء في تقرير رسمي لنائب المعتمد البريطاني في الخليج العربي ما يلي(الموانئ العثمانية المهمة على الساحل العربي من الخليج هي الكويت والقطيف والعقير)، وكذا اعترفت حكومة الهند البريطانية سنة 1878م بالسيطرة العثمانية على جميع الساحل العربي من البصرة إلى العقير، وحق الحكومة العثمانية بمطاردة القراصنة في البر والبحر، وكذا اعترف السفير البريطاني في اسطنبول سنة 1879م نيابة عن وزير الخارجية بالاعتراف بالسيادة العثمانية المباشرة على سواحل الخليج من البصرة إلى العقير، وفي سنة 1893م أكد السفير البريطاني في اسطنبول بصورة رسمية اعتراف حكومته بالسيادة العثمانية على ساحل الخليج من البصرة إلى القطيف[108].

وكانت بريطانيا قد طلبت من جابر الصباح في حدود سنة 1856م أن يوقع معها اتفاقية حماية فرفض اعترافا بتبعيته للدولة العثمانية حيث قال (إن الحكومة العثمانية جارتنا – هكذا في تاريخ الرشيد! والصحيح حكومتنا – وجل ما نحتاجه يأتينا من بلدها البصرة التي لها فيها الأمر والنهي)، وقد أكرمه والي البصرة العثماني رشيد باشا بإجراء مخصصات مالية له ولأسرته، وتكرمت عليه الدولة العثمانية بفرمان وعلم أخضر، ثم بعد ذلك في سنة 1871م عينت الدولة

[108] تاريخ الكويت السياسي لخزعل 2/114- 115 .

العثمانية عبد الله الثاني بن جابر قائم مقـام للكويـت تابعـا لولايـة البصـرة العثمانية[109].

وكما يقول لوريمر(ظل عبدالله بن صباح الذي تولى المشيخة بعد أبيه من 1866 إلى 1892 على علاقة وثيقة بالحكومة التركية طوال مدة حكمه، وكان مطيعـا ومتحمسا لأن يكون أداة للسياسة التركية، وفي سنة 1870 كان هو الوسـيط الذي من خلاله قدم عبدالله بن فيصل أمير الوهابيين المعزول عونه للأتـراك، وفي 1870 قدم عبدالله وسائل النقل البحري المؤلفة من 300 سفينة أهليـة لنقـل القوات التركية المتجهة لفتح الأحساء، وقد صحب الحملة بنفسه، وعن طريقه تم إقناع شيخ الدوحة في قطر برفع العلم التركي، وحين ذهب مـدحت باشـا والي بغداد في جولة تفتيشية في إقليم الأحساء قبل ناية السـنة توقـف في الكويـت ونصب الشيخ عبدالله على الكويت، وأوضح أنه كان قائمقاما للحكومة التركية في الكويت التي اعتبرت أن الكويت أصبحت تابعة لتركيـا في الوقـت الـذي أصبحت فيه الأحساء كذلك)[110].

---

[109] تاريخ الكويت للرشيد 120و125- 126، وتاريخ الكويت السياسي لخزعل 1/119- 138 .

[110] دليل الخليج العربي القسم التاريخي 3/1521 .

(**ويبدو في أثناء حكم الشيخ عبدالله 1866 ـ 1892 أن السلطات البريطانية في الخليج لم تكن لها علاقة مباشرة بالكويت حيث كان ينظر إلى هذا المكان على أنه تابع للسيطرة التركية**)[111].

وفي إبريل سنة 1893 كتب السفير البريطاني في اسطنبول خطابا رسميا للخارجية العثمانية يبلغها فيه باعتراف الحكومة البريطانية بالسيادة العثمانية على ساحل الخليج من البصرة إلى القطيف[112].

ثم حاولت بريطانيا بعد وفاة عبدالله توقيع معاهدة مع أخيه محمد بن صباح في حدود سنة 1895م غير أنه رفض الطلب اعترافا بتبعيته للدولة العثمانية[113].

وبعد اغتيال مبارك لأخيه محمد سنة 1896 ظلت العلاقة مع الدولة العثمانية كما هي، واعترف مبارك بولائه للخليفة العثماني، ورفع العلم التركي، واستقبل مسئولا تركيا عن الحجر الصحي، وفي ديسمبر سنة 1897 صدر فرمان عثماني بتعيين مبارك قائمقاما للكويت تابعا لولاية البصرة، وبدأ اسمه يتردد في التقارير

---

[111] دليل الخليج العربي القسم التاريخي 1522/3 .

يحاول لوريمر كما هي عادته إثبات أنه لا وجود للسيادة العثمانية على القبائل أو الموانئ في الخليج ليبرر ما قامت به حكومة الهند البريطانية للسيطرة عليها واحتلالها باسم المعاهدات، لكن يعود أمام الحقائق التاريخية والواقعية ليعترف بوجود السيادة العثمانية على الجزيرة والخليج العربي!

[112] دليل الخليج العربي القسم التاريخي 1524/3 .

[113] تاريخ الكويت السياسي 152/1 .

الرسمية للولاية، وبدأت مراسلاته من البصرة على هذا الأساس، وجعل له راتب شهري 300 جنيه في العام[114].

وقد تم بعد ذلك تدبير بريطانيا للانقلاب من مبارك على أخيه محمد وقتله لـه، وتوقيع مبارك المعاهدة السرية مع بريطانيا سنة 1899، وقد ذكر مصطفى كامل ـ الزعيم المصري المشهور وقائد مصر نحو الاستقلال في مقال له في جريدة اللواء 1902/8/26م بعنوان(إنكلترا والإسلام) ـ هذه الفتنة التي وراءها يد بريطانية وجاء فيه(كيف يتصور عقل سليم أن بريطانيا التي احتلت مصر خداعا، وسلبت السودان سلبا، وحرضت الأمة العربية على رفع العصيان في وجه الخليفة، ودعت المسلمين للافتراق والاختلاف، وبذرت بذور الفساد، ونشرت عصابات الدخلاء في بلادهم ليميتوا الشهامة من قلو م، تصير في يوم من الأيـام حليفـة للدولـة العثمانية، وحليفة للمسلمين والإسلام؟!إن الـدول عامـة وإنجلتـرا خاصـة لا يتسابقن إلى طلب صداقة تركيا إلا إذا سعين وراء امتياز، أو تنـافس في طلـب معدن، أو احتلال جزيرة، أو استئجار شاطئ؟!لقد احتلت بريطانيا قبرص بدعوى مساعدة الدولة العثمانية، واحتلت مصر بحجة إنقاذ الخديوية المصرية، وفصـلت السودان عن مصر ثم استردته بمال مصر وجنودها، ليكون مسـتعمرة بريطانيـة متصلة بمصر من جهة، ومطلة على البحر الأحمر وبلاد العرب من جهة أخـرى، وأثارت الفتن في الكويت واليمن ليتم لها ما أرادت، لتؤسس الخلافة العربية التي

[114]دليل الخليج العربي القسم التاريخي 1526/3 .

كان نابليون مولعا ا، ولم يبق في أوربا أحد من رجال السياسة إلا وتراه عالمـا ذه الخطة وتلك الغاية، فلا تقوم في بلاد العرب فتنة حتى تنادي الصحف هناك بأن اليد المدبرة لها هي يد بريطانيا!وقد باحثت جريدة(غازيت دي لا كروا)أخيرا في هذا الموضوع فقالت:إن بريطانيا تريد محو الحبشة لأ ا العـائق بينـها وبـين أغراضها، ولكنها لا تجد من النجاشي مساعدا على خراب بلاده كما وجدت من شيخ الكويت الذي جهل أنه باستسلامه وخيانته يضع الحجـر الأول للخلافـة العربية التي يعمل لها الإنجليز و ا يتم للمسلمين الشقاء وتضـيع مـن أيـديهم أسباب العز والرخاء!هذا ما يقوله كتاب الغرب، فأين أنتم يا كتاب المسـلمين وساستهم لترفعوا أصواتكم منذرين ومحذرين الأمم العربية مـن الخطـر المهـدد لها؟!أين أنتم لترددوا لهم ما قاله فيكتور هيجو :يوجد بعـض أمكنـة وبعـض ساعات من نام فيها مات!وترشدوهم إلى أن الساعة الحاضـرة هـي مـن تلـك الساعات التي أشار إليها شاعر فرنسا الكبير!أين أنتم لتقنعوا أولئـك الضـالين الذين تخدعهم انجلترا ليكونوا يدا واحدة في إحياء الملة وحماية الإسلام)[115].

وقد ذكر المؤرخ الروسي لوتسكي في كتابه(تاريخ الأقطار العربية)هذه الحادثـة التي حدثت في الكويت حيث قال:(كانت انجلترا دف دائما إلى فرض سـيطر ا على دول الخليج العربي وتحويله إلى بحيرة إنجليزية، وكانت الكويت هي المكملـة لهذا المخطط، فقد كانت الكويت تحت سيطرة الباب العالي، وفي سـنة 1895م

[115]أوراق مصطفى كامل المقالات الكتاب الثاني ص 231- 232. وهذا المقال منشور سنة 1902م أي قبل الثورة العربية للشريف حسين ضد الخلافة العثمانية بنحو خمسة عشر عاما!!

حاولت عقد علاقة تحالف مع شيخ الكويت محمد الصباح ولكنه رفض، فـدبرت مؤامرة لقتله هو والمقربين إليه، وتولى السلطة من بعده أخوه مبـارك الصـباح الذي بادر بعقد اتفاقية سرية مع إنجلترا سنة 1899م، وجرت مفاوضـات بـين إنجلترا وتركيا سنة 1901م انتهت بعقد اتفاقية تنص علـى اعتـراف انجلتـرا بسيادة تركيا على الكويت، والاعتراف بالاتفاقية البريطانية مع الكويت، وهكذا بسطت بريطانيا سلطتها على الكويت)[116].

وقد حامت الشبهة حول دوافع الإنقلابالذي قام به مبارك الصباح حـتى وصـل الأمر للباب العالي بأن بريطانيا تخلصت من محمد الصباح على يد أخيه مبـارك، بإيعاز من المقيم البريطاني بالخليج العربي، لكونه كان عقبة أمام مشروعها، لضم الكويت لدول الساحل الخليجي، بل إن بعض الدوائر الرسمية البريطانية أخـذت بترديد هذه الفرضية[117].

وقد تكررت الحادثة مع الشيخ مزعل شيخ عربستان الذي رفض توقيع معاهدة مع بريطانيا في الفترة نفسها فقام أخوه خزعل بالانقلاب عليه، ووقع المعاهدة مع بريطانيا!(لقد كان موقف شيخ المحمرة معاديا للحكومة البريطانية، ولكن في سنة 1897 تغيرت الأمور عقب اغتيال الشيخ مزعل وتولي الشيخ خزعـل مشـيخة

---

[116]انظر حاشية المصدر السابق.

[117]دليل الخليج العربي القسم التاريخي 438/1 و 1529/3 ، والعلاقات بين نجـد والكويـت لخالـد السعدون ص 29- 30 .

تلك الإمارة الذي لم يكتف بتأييد المصالح البريطانية وممثلي بريطانيا وحسب بـل تقدم سرا لوضع نفسه تحت الحماية البريطانية)[118].

وسيصبح الرجلان مبارك وخزعل ـ بعد اغتيالهما أخويهما ـ رجلي بريطانيا في الخليج العربي بعد ذلك!

وقد حدث الاغتيال لمزعل بعد أشهر من اغتيال محمد على يد مبارك!

لقد كان اتصال مبارك الصباح بالبريطانيين مبكرا ففي سنة 1863 زار الرائـد والمقيم البريطاني بيللي الكويت فوصل من البصرة إلى الجهراء ومن هناك صاحبه مبارك بن صباح لوالده الشيخ صباح الذي قضى معه بيللي يومين، وكما يقـول لوريمر(ولا شك في أن الرائد قد استطاع أن يتعـرف بوضـوح علـى مسـتقبل الكويت المحتمل كميناء تجاري إلى جانب صلاحيتها كي تكون قاعدة لمحطة تلغراف ومستودعات للفحم)[119].

وقد أثبتت الوثائق بأن مبارك الصباح قد زار البحرين قبل اغتيال أخويه ولبـث فيها شهرين، وكان في زيارة للمعتمد البريطاني فيها، وبعد رجوعه مباشرة قـام بالانقلاب على أخويه[120]!

---

[118] دليل الخليج العربي القسم الجغرافي 491/1 .

[119] دليل الخليج العربي القسم التاريخي 1518/3 .

[120] وثائق الكويت لسلت هانا.

لقد نجحت بريطانيا في مسعاها للتخلص من محمد الصباح، ووقعت معاهدة سرية مع أخيه مبارك الصباح سنة 1899م، التزم فيها هو ومـن يخلفـه علـى أن لا يتصرف بأي شكل من الأشكال في أرضه إلا بعد الرجوع إلى السلطة البريطانية، وأن لا يتصل بأي دولة أخرى إلا بعد الرجوع إلى بريطانيا، وأن تشرف بريطانيا على شئون الكويت الخارجية، وأن تظل الاتفاقية سرية، وقد دفعـت بريطانيـا مقابل توقيع مبارك على تلك الاتفاقية خمسة عشر ألف روبية[121].

والمقصود بالكويت في الاتفاقية مدينة الكويت فقط، إذ لم تتجاوز سـلطة شـيخ الكويت آنذاك حدود أسوار المدينة الصغيرة التي كانت ميناء بحريا.

وقد قدم السفير العثماني في لندن عندما وقف على مضمون المعاهدة بين مبـارك وبريطانيا احتجاجا رسميا على هذه المعاهدة حيث إن مبارك الصباح مـن رعايـا الدولة العثمانية، وإن مثل هذه المعاهدة تعد تحديا لسيادة الدولة العثمانية، وقد ردت الحكومة البريطانية بأ ا لا تعتزم التدخل في الوضع القائم في الكويت[122].

كما طلبت بريطانيا أن يتعهد لها مبارك خطيا بأن يمنـع اسـتيراد أو تصـدير الأسلحة من الكويت وإليها فأصدر منشورا بذلك في مارس 1900م[123].

احتلال الرياض :

[121] دليل الخليج العربي القسم التاريخي 1532/3.وتاريخ الكويت لخزعل 128/2 .

[122] تاريخ الكويت لخزعل 129/2 .

[123] تاريخ الكويت لخزعل 130/2.

وبعد هذه الاتفاقية مع مبارك بدأت بريطانيا تتطلع إلى داخل الجزيرة العربيـة، ووجدت الكويت أقرب منطقة للتدخل فيها، فبعد تلك المعاهدة مباشرة خـرج ابن سعود سنة 1900م من الكويت إلى الرياض للاستيلاء عليها، بتوجيه وتخطيط من الكويت، وبدعم عسكري ومادي[124].

وهذا ما كان يخشاه مدحت باشا والي بغداد من قبل، حيـث توقـع أن سـيطرة بريطانيا على الكويت ستشكل خطرا على نجد والعراق، إذ تمثل الكويت أقـرب نقطة يمكن للبريطانيين الانطلاق منها نحو هـذين الإقلـيمين المهمـين للخلافـة العثمانية[125].

وقد بدأ مبارك الصباح تحت إشراف وتوجيه حكومة الهنـد بتنفيـذ المشـروع البريطاني بعد توقيع المعاهدة السرية مباشرة، حيث خـرج مباركبعـد المعاهـدة بأشهر ومعه قبائل كثيرة إلى ابن رشيد في حائل ـ رجل الدولة العثمانية في نجد ـ وكان الهدف إشغاله ليتمكن ابن سعود من السيطرة على الرياض، فا نزم مبـارك ومن معه في معركة الصريف، وانسحب ابن سعود من الرياض، ثم بعد أشهر نجح ابن سعود في احتلال الرياض، وأرسل إلى مبارك الصباح بالخبر، وبنجـاح ابـن سعود ـ المدعوم سياسيا وعسكريا من مبارك مباشرة الذي يخضع لمعاهدة سـرية مع بريطانيا التي تسيطر على الشئون الخارجية للكويت بناء على تلك المعاهدة ـ

[124]تاريخ الكويت لخزعل 177/2 .

[125]مذكرات مدحت باشا 239 .

أصبح وسط الجزيرة العربية ساحة مفتوحة لأول مرة في التاريخ للنفوذ البريطاني، وقد ظل التخطيط البريطاني سريا وهادئا، إذ ظل مبارك ظاهريا تابعـا للدولـة العثمانية، فقد كان رسميا يمثلقائمقاما لها في الكويـت، وقـد أرسـلت الدولـة العثمانية سنة 1901م برقية إلى مبارك بعد حرب الصـريف ـ الـتي أثـارت القلاقل في نجد في الوقت الذي تحتاج فيه الدولة العثمانيـة اسـتقرار أقاليمهـا الداخلية لمواجهة المؤامرات الغربية والحمـلات الصـليبية ـ وجـاء في تلـك البرقية:(بلغوا الشيخ مبارك بأن منطوق المعاهدة الدولية تنص بأن المواقع الـتي فيها علم عثماني، أو مركز عسكري، أو مأمور حكومي، فليس للدول الأخـرى حق التدخل في شئونه)، وقد طلب والي البصرة من مبارك القدوم إلى البصـرة، وتقديم فروض الطاعة للدولة العثمانية ففعل، وصدر فرمان عثماني بجعل مبـارك الصباح قائممقام على قضاء الكويت التابع لولاية البصرة[126].

كما كتب مبارك إلى والي البصرة سنة 1901م ، يشتكي من تهديدات ابن رشيد للكويت، وجاء في كتابه(أهل الكويت لم يحيـدوا عـن طاعتـها ـ أي الخلافـة العثمانية ـ ولم يخرجوا عن سلطانها، ولم يتمردوا على أوامرها)[127].

---

[126]تاريخ الكويت لخزعل 52/2.

[127]تاريخ الكويت لخزعل 55/2 .

وبعد احتلال ابن سعود للرياض أرسل مبارك إلى والي البصرة العثماني مصطفى باشا يخبره بالموضوع، ويطلب منه رفع الأمـر إلى البـاب العـالي في الأسـتانة للاعتراف بابن سعود أميرا على الرياض[128].

وقد كانت الدولة العثمانية تجري مخصصا ا المالية على ابن سعود، وعلى والده عبدالرحمن بن سعود، وأسرته التي كانت لاجئة في الكويت[129].

لقد كان وجود عبدالرحمن بن فيصل وأسرته في الكويت بناء على موافقـة مـن الدولة العثمانية، فبعد خروجه من الرياض سنة 1891م توجه إلى الأحسـاء، ثم إلى الكويت حيث رفض شيخها آنذاك استقباله لكونه قائمقاما عثمانيا، فلجأ إلى قبيلة العجمان وآل مرة، ثم وافقت الدولة العثمانية على قدومه إلى الكويت مع أسرته، وتم تخصيص مرتبات مالية له ولأسرته وهي 60 ليرة شـهريا، ولبـث في الكويت نحو تسع سنين حتى عاد إلى الرياض[130].

وقد كتب عبدالرحمن بن سعود سنة 1902م، كتابـا إلى نقيـب الأشـراف في البصرة رجب النقيب، عند خروجه من الكويت إلى الرياض، يشرح فيه أسـباب ما جرى، ويؤكد فيه تبعيته للدولة العثمانية، وجاء فيه(ونحن خدام محسوبون على الدولة العلية، ولم نلتج إلى أحد إلا إلى الله تعالى، ثم إلى ظل عدالة أمير المـؤمنين،

---

[128]تاريخ الكويت لخزعل 176/2 .

[129]تاريخ الكويت لخزعل 178/2 .

[130]عبدالعزيز وبريطانيا ص 28 .

أدام الله مجده، ونحن في كل الأحوال نؤدي الخدمات لحضرة أمير المؤمنين، بـاذلين الجدوالاجتهادفيما يحصل به رضاه، منقادين إلى أوامر الدولة العلية، فنرجو مـن مراحم وتفضلات حضرة أمير المؤمنين حلول أنظاره علينا، ورفع تعـديات ابـن رشيد، وإجراء ما تفضل به من المعاش)[131].

كما كتب عبد الرحمن بن سعود في الوقت ذاته كتابا آخر إلى المقيم السياسـي البريطاني في (بوشهر) يخبره فيه بخروجه من الكويت إلى الريـاض، ويرجـو مـن بريطانيا أن تضع نظرها عليه، وأن تشمله بعطفها ولطفها[132].

وقد ظل مبارك(ينكر أمام الحكومة العثمانية تدخلـه في شـئون ابـن سـعود، ومساعدته في احتلال الرياض، ومده بالقوة)، كمـا أخـذ يتوسـل إلى الدولـة العثمانية للاعتراف بابن سعود، فطلب والي البصرة مخلص باشا سنة 1904م من مبارك نقل رغبة الدولة العثمانية بأن يعلن ابن سعود وقاسم بن ثاني كامل الولاء للدولة العثمانية، ففعلا وأرسلا برقيا م إلى اسطنبول ذا الخصوص، وطلب والي البصرة حضورهما شخصيا، وتم عقد لقاء في الزبير بين عبد الرحمن بن سعود ووالي البصرة، بحضور مبارك اعترافا منهما بالتبعية للدولة العثمانية[133].

---

[131]تاريخ الكويت لخزعل 179/2 ، وتاريخ الكويت للرشيد ص 179 .

[132]المصدرين السابقين.

[133]تاريخ الكويت للرشيد 179، وخزعل 183/2 .

وفي سنة 1904م في ثالث ذي الحجة من سنة 1322هـ (وصل عبدالرحمن بـن فيصل هو ومبارك الصباح شيخ الكويت إلى الرافضية قرب بلد الزبير لمواجهـة والي البصرة أحمد مخلص فخرج إليهم الوالي وأخبرهم بأن أمر نجد الآن راجع إلى المشير أحمد فيضي ـ الذي توجه قبل شهر من السماوة إلى القصيم ومعـه سـتة طوابير عسكر ـ وقال له لا بد من اجتماعك معه أنت يا عبدالرحمن في القصيم، وهناك تصلح جميع أحوال نجد.

فرجع عبدالرحمن ومبارك الصباح إلى الكويت ثم توجه عبـدالرحمن مـن بنـدر الكويت إلى الرياض ومنها إلى القصيم لمواجهة المشير أحمد فيضي واجتمع معه هو وأمراء القصيم، وتفرقوا دون أن يحصل لهم منه مساعدة، وتوجه المشير إلى المدينة المنورة ثم إلى اليمن من أجل إخماد ما فيه من الفتن)[134].

وفي سنة 1906 أرسلت الدولة العثمانية خطابا إلى عبدالعزيز بن سـعود علـى لسان أمير العسكر العثماني في نجد حسـن شـكري ورد فيـه:(جنـاب المكـرم عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل نفيد جنابكم أن جلالة الخليفة الأعظم بلغـه اضطرام الفتنة في نجد، وأن يدا أجنبية محركة لها فلهذا السبب بعثني إليكم حقنا للدماء ومنعا لتدخل الأجنبي في بلاد المسلمين، وأنا أنـذرك إذا لم تأتنـا وتـبين الأسباب التي حملتك على إضرام هذه الفتنة بدون مراجعة أي ولاية من ولايـات الدولة، واقتصارك على مراجعة صاحب الكويت وأخذ المدد منه، وأنت تعلم أنه

134 تحفة المشتاق 396 .

خارج عن طاعة الدولة ناكث لعهد الخليفة وخائن له في بلاده، وما كان ينبغي منك الالتئام معه)!

وقد رد عبدالعزيز بجواب ذكر فيه أن السبب الذي دفعه إلى الخروج هو الظلم الذي يمارسه الولاة وتفريطهم في شئون الولايات وجاء في جوابه (وانظر إلى ولاية البصرة كيف فرطت في الكويت، وإلى والي اليمن كيف سلوكه)[135].

وفي الوقت الذي كان ابن سعود يعترف بتبعيته للخلافة العثمانية، كان يتصل بالبريطانيين سرا، فقد أرسل مندوبا سنة 1906م، للمعتمد السياسي البريطاني في البحرين (بريدكس)، طالبا مساعدة بريطانيا للتخلص من الوجود العثماني في الإحساء، ومؤكدا رغبته في عقد معاهدة معهم، وموافقته على وجود معتمد بريطاني في الإحساء والقطيف، وقد قال كوكس(لا بد من الاعتراف بأن ابن سعود سوف يقضي على الوجود التركي في الجزيرة العربية في أول فرصة سانحة له)، وطلب من حكومته اتخاذ قرار بالدخول مع ابن سعود في معاهدة حماية، غير أن حكومته تحفظت على هذا الطلب محافظة على علاقا ا مع الدولة العثمانية، وفي آخر السنة نفسها في اكتوبر سنة 1906م، اتصل ابن سعود بالمقيم البريطاني في الخليج العربي ثانية، طالبا الدخول في حماية بريطانيا، غير أ ا أكدت حرصها

[135] تحفة المشتاق 398 .

على صداقته، واعتذرت عن إجابة طلبه، مراعاة للدولة العثمانية، التي يتبع لهـا ابن سعود بشكل رسمي مباشر[136].

وقد استمر مبارك وابن سعود مع ذلك بإعلان التبعية للدولة العثمانية، ووقفـا معها في حر ا مع إيطاليا في طرابلس سنة 1911م، وقد أرسل ابن سعود رسالة للآستانة جاء فيها (عبوديتي وخدماتي لمقام الخلافة الإسلامية معلومة عند أوليـا الأمور، وإن سكان جزيرة نجد عموما قلبا وقالبا وجميعنا على استعداد للـدفاع عن الدولة بأموالنا وأرواحنا منتظرين الإشارة من مقام الخلافة والأمر لكم!

التوقيع : خادم الدولة أمير نجد، ورئيس عشائرها، عبدالعزيز السعود)[137].

كما وقفا معها في حرب البلقان سنة 1912م، بوصفهما قائممقامين عثمانيين في الكويت ونجد، التابعتين لولاية البصرة العثمانية .

وقد دفع مبارك عشرة آلاف ليرة للدولة العثمانية في هذه الحرب[138].

وقد كتب وكيل والي البصرة سنة 1912م إلى مبارك الصباح كتابا يخبره فيه بأن الباب العالي قد أرسل برقية يوصي فيها بمنحـه الجنسـية العثمانيـة، لتسـجيل ممتلكاته بالبصرة، ونصها(إلى جناب قائممقام الكويت مبارك الصباح، فقـد ورد

---

[136] قصة السيطرة البريطانية على الخليج 357-358 .

[137] تاريخ الكويت لخزعل 85/2 .

[138] تاريخ الكويت للرشيد 184 .

الأمر بإجراء المعاملة لجنابكم وإعطائكم الأوراق الخاقانية على الأصول كأمثالكم من العشائر العثمانية غير المحررة)[139].

ومع ذلك فقد تم اتفاق سري بين ابن سعود وحكومة الهند البريطانية عن طريـق معتمدها في الكويت سنة 1911م على احتلال الأحسـاء، وقـد اطلـع بعـض المؤرخين النجديين على بعض تفاصيل تلك المعاهدة مبكرا حيث ذكرها ابن بسام المتوفى سنة 1927م في تاريخه تحفة المشتاق[140]، في حوادث سنة 1329هـ ـ ـ ـ 1911م فقال:(وفيها عقدت معاهدة بين الإمام والإنجليز على أن يحتـل الإمـام الأحساء والقطيف ودارين والعقير، ويمنعون عنه الإنجليز أي دولـة تأتيـه مـن البحر، ولقاء ذلك يكون تابعا لهم، ولا يحدث محاربات دون علمهم ولا يحـارب بدون إذ م، ولهم حق التفتيش على المعادن في جزيرة العرب واستخراج ذلـك، وإذا أراد الإنجليز أن يسير لحرب أي جهة يسير لها وهي تمده).

وقد اضطرت بريطانيا في سنة 1913م وقبيل الحرب العالميـة الأولى إلى توقيـع معاهدة مع الدولة العثمانية، اعترفت فيها بريطانيا بالسـيادة العثمانيـة علـى

---

[139] تاريخ الكويت لخزعل 91/2 .

[140] تحفة المشتاق ص 410 .وهذه اتفاقية غير معاهدة دارين سنة 1915بين ابن سعود وبريطانيا، فبنود هذه الاتفاقية تختلف عن بنود اتفاقية دارين، فهي تتحدث عن احتلال الأحساء والقطيف، والاتصـال بين الطرفين كان قديما، إلا أن هناك خلافا بين حكومة الهند البريطانية التي تدفع باتجاه دعم ابن سعود مبكرا، وحكومة لندن التي ظلت تتحفظ حتى الحرب العالمية الأولى، فالاتفاق الأول كان بينـه وبـين حكومة الهند عن طريق الكويت، وقد لا يكون مدونا، إلا أن ابن بسام قد اطلع على مصـادر تؤكـد الخبر، وذكر نص المعاهدة كاملا، ولا يوجد ما ينفي صحته، فقد ثبت حدوث اللقاء بـين الطـرفين في الكويت سنة 1911وبعده تم احتلال الأحساء.

ساحل الخليج والكويت، مقابل الاعتراف العثماني بمصالح بريطانيـا في الخلـيج، وقد كان برسي كوكس المقيم البريطاني في الخليج يطمح - كما جاء في تصـريح لهـ بأن تكون إدارة شئون الكويت الخارجية مـن اختصـاص بريطانيـا، إلا أن مكتب الخارجية البريطانية صمم على ضرورة اعتراف بريطانيا بتبعية الكويـت الكاملة للدولة العثمانية، وإثبات السيادة العثمانية عليها بتعيين ممثل عثمـاني في الكويت، لضمان اعتراف الدولة العثمانية بمصالح بريطانيا في الخليج[141].

ولم تكن الدولة العثمانية تعير الكويت اهتماما كبيرا، لكو ا مدينة صغيرة، تابعة لولاية البصرة، التي كان يتبعها الشريط الساحلي علـى الخلـيج إلى الإحسـاء آنذاك، ، إذ كانت الدولة العثمانية تكتفي بالسـيطرة علـى المـدن والأقـاليم الرئيسية، وتعين فيها ممثلين لها، كسنجق الإحساء التابع لولايـة البصـرة، دون الموانئ والمدن الصغيرة، كالكويت، والزبير، حتى تم طرح مشروع ألمانيا لسـكة الحديد التي تمر بالكويت، وقد أسخطت تلك المعاهدة شـيخ الكويـت مبـارك الصباح، وشيخ المحمرة الشيخ خزعل وقد علق كوكس على ذلك بقوله(لم يرحب الشيخ مبارك بالسيادة التركية التي كنا قد علمناه رفضها! كما أنه أبدى أسـفه الشديد لتعيين ممثل تركي في بلاده، لذا كان لا بد أن أقابل الشـيخين وأطلـب منهما التعاون الكامل والكف عن التذمر والاستياء)[142].

---

[141] قصة السيطرة البريطانية 393 .

[142] قصة السيطرة 395 .

كما إن المعاهدة العثمانية البريطانية لسنة 1913م نصت على السيادة العثمانية الكاملة على نجد والإحساء، وعدم تدخل بريطانيا في هذه المنطقة، وبعد احتلال ابن سعود للإحساء في السنة نفسها وبدعم سري من حكومة الهند البريطانيـة، لم تستطع بريطانيا إقامة أي علاقات معه بشكل رسمي، التزاما بما تنص عليه المعاهدة المذكورة، مما حداها إلى الطلب من الدولة العثمانية بالاعتراف بابن سعود سنجقا عثمانيا على سنجق الإحساء، لتتفاهم معه بريطانيا حول حفظ الأمن بالمناطق التي يسيطر عليها في الخليج العربي[143].

وقد أرادت الدولة العثمانية بعد سقوط الإحساء أن ترسل جيشا بحريا لاستعاد ا من ابن سعود، فتدخلت بريطانيا وأبدت معارضتها لهذا التدخل صيانة للسلم في الخليج العربي، وتم توقيع اتفاق بين الدولة العثمانية وابن سعود على أن يكـون ابن سعود واليا عثمانيا على الأحساء لمدة عشر سنوات، وأن تكون هناك ثكنات عسكرية في القطيف والجبيل لرفع العلم لعثماني، وأن يجبي ابن سعود الضـرائب ويدفع الزائد للخزينة العثمانية، وأن تدفع له الدولة مخصصات شـهرية قـدرها 250 ليرة.

[143]المصدر السابق 397 .

وقد صدر فرمان عثماني من الخليفة بالاعتراف بابن سعود سنجقا عثمانيا علـى نجد والإحساء تابعا للدولة العثمانية[144].

وقد وقعت بريطانيا بعد ذلك معاهدة حماية سرية مع ابن سعود سـنة 1915م، تنص على عدم تصرفه بأي جزء من أرضه إلا بعد الرجوع إلى بريطانيـا، وأن لا يتصل بأي دولة إلا عن طريق بريطانيا، وكذا وقعت بريطانيا معاهدة حماية مـع قطر سنة 1916م بعد بدأ الحرب العالمية الأولى.

لقد كانت تلك المعاهدات سرية أو شبه سرية، من أجل ترتيب الوضع البريطاني في الخليج والجزيرة في المستقبل، حين تسقط الدولة العثمانية، ونجحت بريطانيا في تشكيل حلف سري مع شيوخ الساحل كله، بمن فـيهم ابـن سـعود، ومبـارك الصباح، مع كو ما قائمقامين عثمانيين حين توقيع تلـك المعاهـدات، ليصـبح الخليج العربي كله تحت الاحتلال البريطاني باسم اتفاقيات الحماية البريطانية!

---

[144] مذكرات سليمان فيضي 155 .

(عبيد بلا أغلال)

(8)

(أوضاع الجزيرة العربية السياسية والإدارية قبل الحرب العالمية)

لقد كانت الجزيرة العربية إلى مطلع سنة 1900م تحت السيادة العثمانية بشكل رسمي بالنسبة للمدن الرئيسية والساحلية المهمة(مكة، المدينة، الحديدة، تعز، صنعاء، القطيف، حايل، بريدة ...الخ) حيث توجد الحاميات العثمانية، أو بشكل اسمي للموانئ والمدن الصغيرة الأقل أهمية(ساحل عمان، البحرين، قطر، الكويت).

وأما القبائل التي كانت تسيطر على وسط الصحراء داخل الجزيرة العربية وهي المساحة الأكبر من الجزيرة كقبائل ع ة، وشمر، والظفير، ومطير، وحرب، وعتيبة، والعجمان، وبني هاجر، والمرة، وسبيع، والدواسر ....الخ فكانت لا تخضع لأي سلطة، بل كانت تتبع أنظمة إدارية خاصة للقبائل في الخلافة العثمانيةالتي تجري عليها مخصصات مالية مقابل تأمين الطرق داخل الجزيرة العربية.

لقد ظلت الجزيرة العربية تابعة للخلافة العثمانية منذ أن دخل السلطان سليم الأول القاهرة وتنازل له الخليفة العباسي عن الخلافة سنة 923هـ - 1517م، حيث تم في السنة نفسها ضم الحجاز إلى الخلافة العثمانية، وبايعه شريف مكة ومعه شيوخ العشائر الحجازية.

وفي سنة 941ه - 1534م دخل السلطان سليمان القانوني بغداد، وأعلن أمير البصرة والأحساء والبحرين راشد بن مغامس الدخول في الطاعة، ودخلت الجيوش العثمانية إلى الأحساء سنة 963ه - 1555م حتى مسقط، و ذا أصبحت الجزيرة العربية كلها من الخليج العربي إلى البحر الأحمر جزء من الخلافة

العثمانية، التي دامت بين سلطنة وخلافة 623 سنة، حيث قامت سنة 1299م ـ وسقطت سنة 1922م، ودعي لها باسم الخلافة على منابر العالم الإسلامي مـدة 400 سنة.[145]

[145] انظر مقدمة محققي كتاب مرآة جزيرة العرب للمؤرخ العثماني أيوب صبري 20/1 .

تقسيم الولاياتوالنظم الإدارية العثمانية:

وقد كان النظام الإداري للقسم العربي من الخلافة العثمانيـة مقسـم في سـنة 1904م إلى ولايات، على كل منها والٍ، وتنقسم الولاية إلى ألوية على كل لواء متصرف، وتتفرع عن الألوية أقضية، وعلى كل قضاء قائممقام، وهي على النحو التالي:

1- ولاية الحجاز: وتضم إمارة مكة، ولواءين:لواء المدينة، ولواء جدة، ويتبـع لواء المدينة أربعة أقضية هي:ينبع، والوجه، والسوارقية، والعقبة.

2- ولاية اليمن : وتضم أربعة ألوية :صنعاء، والحديدة، وعسير، وتعز.

3- ولاية البصرة : وتضم أربعة الوية : البصرة، والمنتفق، والعمارة، ونجد.

4- ولاية بغداد : وتضم لواء بغداد، وكربلاء، والديوانية.

5- ولاية الموصل: وتضم لواء الموصل، وكركوك، والسليمانية.

6- ولاية حلب: وتضم لواء حلب، وأورفه، ومرعش.

7- ولاية سوريا: وتضم أربعة ألوية هي الشام، وحماة، وحوران، والكرك.

8- ولاية بيروت: وتضم أربعة ألوية هي بيروت، وعكا، وطرابلس، واللاذقية.

9- متصرفية القدس الشريف: وهي متصرفية مستقلة تتبعها أربعة أقضية هـي قضاء يافا، وقضاء غزة، وقضاء الخليل، وقضاء بئر السبع.

10- متصرفية الزور : وهي مستقلة، وتتبعها أربعة أقضـية هـي البوكمـال، والعشارة، والعربان، ورأس العين.

11- متصرفية جبل لبنان : وتضم ثمانية أقضية.

12- إيالة مصر : وعليها خديوي تابع للخليفة، يساوي في رتبته رتبة الصدر الأعظم ـ رئيس الوزراء في اسطنبول ـ وتضم هذه الإيالة مصر والسودان.

13- ولاية طرابلس الغرب ـ ليبيا ـ : وتضم خمسة ألوية هي طرابلس الغرب، والجبل، وفزان، والغات، وحمص.

14- متصرفية بنغازي: وهي متصرفية مستقلة تضم ثلاثة أقضية.

15- إيالة تونس.[146]

هذا بالنسبة للمدن وتقسيما ا الإدارية أما بالنسبة للقبائل والعشائر في الدولة العثمانية فقد كانت خارج النظم الإدارية والمالية المعتادة، وكان يعهد بشئو ا إلى أمراء وشيوخ يعينون وفقا للتقاليد المعروفة بين القبائل.[147]

قال المؤرخ العثماني أيوب صبري سنة 1877م :

(ظلت منطقة جزيرة العرب تحت حكم الإدارة العثمانية منذ عهد فاتح الشام ومصر سليم الأول أي منذ 360 سنة، وبينما ا عين الولاة لإدارة الحرمين الشريفين، وبعض مناطق الحجاز، وبعض الأماكن المشهورة القريبة من السواحل اليمنية، فإن سكان الجزيرة من قبائل العرب لم يدخلوا تحت الإدارة، وانصاعوا لإدارة مشايخهم وأمرائهم، ومع أن الإدارة السنية لم تكن تأخذ أي إعانات مالية من الأهالي والعربان إلا إ ا كانت تدفع رواتب نقدية وعينية لقبيلة حرب وبعض لقبائل الأخرى لحراسة قوافل الحجاج).[148]

[146] المصدر السابق 22/1 .

[147] المصدر السابق 24/1 .

[148] مرآة جزيرة العرب 1/ 159 .

ومن تلك القبائل قبيلة ع ة (لما كانوا يتولون حماية قوافل الحجيج ويحافظون على أموالهم وأرواحهم فقد خصصت لكل منهم مرتبات من الصرة السلطانية وكانت تخصص لهم الخلع والعطايا).[149]

وقال لوريمر في دليل الخليج عن قبائل الأحساء:

(سنجق الأحساء إحدى مقاطعات الإمبراطورية التركية، وكان الأتراك يطلقـون عليها قبل الاحتلال[150] العثماني لنجد عام 1905 سنجق نجد، ويقـول الأتـراك بأ م يتمتعون بالسيادة على كافة الأراضي، واعترفت الحكومة البريطانية بذلك، ويدفع الأتراك الإعانات لقبائل العجمان وبني هاجر وبني خالد وآل مرة الـذين يقيمون في هذه البلاد، وكانت القبائل المذكورة مرتبطة طيلة الثلاثين سنة الماضية بالحكومة التركية دون غيرها من الحكومات ضمن حدود سنجق الأحساء).[151]

وقال الأنصاري(وكانت عساكر الدولة العثمانية مرهوبـة الجانـب في نفـوس الحاضرة والبادية، وكانت الدولة قررت لزعمـاء الباديـة مرتبـات، وفي سـنة 1320هـ طلب زعماء آل مرة وزعماء بني هاجر زيادة في مرتبا م).[152]

---

[149]المصدر السابق 268/2 .

[150]وانظر كيف كان البريطانيون يعدون سيادة الخلافة العثمانية على الأقاليم العربية احتلالا، ويعدون احتلالهم هم للمنطقة معاهدة!لنعرف كيف شاعت الثقافة المعاصرة الزائفة بعد ذلك كأثر مـن آثـار الحملة الصليبية البريطانية على العالم الإسلامي!مع أن العالم الإسلامي بشعوبه وقومياته على اختلافها كان يعيش وحدة إسلامية قرونا طويلة، لا يجد غضاضة أن يكون السلطان كرديا كصلاح الـدين، أو تركيا كمحمد الفاتح، قبل الاحتلال الصليبي الغربي الذي أثار النعرات القومية التي ما زال المسلمون يدفعون ثمنها من دمائهم وأمنهم وازدهارهم والعراق اليوم أوضح شاهد!

[151]دليل الخليج العربيللوريمر القسم الجغرافي 838/2 .

[152]تحفة المستفيد 186 .

وقال حسين خزعل(كان لبادية الجنوب حقوق في الأحساء تؤديها لهـم الدولـة العثمانية، وكان لقبيلة العجمان نفوذ في الأحساء والقطيف يقـرب مـن نفـوذ الحاكم العثماني).[153]

النظم الإدارية في الألوية :

تم تقسيم الدولة العثمانية إداريا إلى ولايات، تتبعها ألوية، وتتبع الأولوية أقضية، وقد جعل الأحساء لواء سنة 1871م، يضم أربعة أقضية هي الهفوف، والقطيف، والمبرز، وقطر، وسمي لواء نجد، وقد كان هذا اللواء يتبع ولاية بغداد مـن سـنة 1871 إلى 1877م، حيث تم فصل ولاية البصرة عن بغداد، فصار لـواء نجـد والأحساء يتبع ولاية البصرة، ثم عادت البصرة لواء تابعا لبغداد سنة 1880 إلى 1884م، ثم جعلت البصرة بعد ذلك ولاية مستقلة، وصار لواء نجد والأحسـاء تابعا لها.[154]

وقد وضع أحمد مدحت باشا سنة 1871م حين زار المنطقة نظاما إداري شـاملا للواء نجد والأحساء، وجعل الهفوف مركزا للواء، وتم تعـيين محمـد نافـذ أول متصرف للواء، كما تم تعيين علي بك قائمقام سامراء سابقا قائمقاما للقطيـف، واختير حيدر أفندي قائمقام العمارة سابقا نائبا لقائمقام القطيـف، وتم تعـيين محاسب للواء، ومعاون للمتصرف، ونائب شرع أي قاضي للمحكمة الشـرعية، ومدير بيت المال، وأمين صندوق، ونص النظام الإداري على تشكيل مجلس إدارة اللواء، ومجلس للتمييز في أحكام القضاء الشرعي في الهفوف، ومركز دعـاوى في القطيف، وجعلت الرياض وعنيزة وبريدة وحائل ضمن أربع وعشـرين مدينـة أقضية تتبع لواء نجد والأحساء، وكتب متصرف اللواء أحمد نافذ لشيوخها رسائل

---

[153]تاريخ الكويت السياسي 216/2 .

[154]الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني ص 19.

بتعيينهم قائمقامية في مد م، تابعين له[155]، كما عدت أبوظبي والبريمي جزء من لواء الأحساء.[156]

وقد تولى منصب متصرف لواء نجد والأحساء ثلاثون متصرفا، منذ سنة 1871م إلى سنة 1913م.

وقد حدد القانون العثماني صلاحيات المتصرف، ومهامه، ونص على حظر تعيين المتصرف لأحد من أقاربه في الوظائف العامة في المتصرفية، وشدد على هذا الحظر، وقد تم عزل محمد سعيد باشا لهذا السبب[157].

وفي سنة 1910م طلبت الدولة العثمانية بانتخاب ممثل للواء الأحساء ونجد في مجلس المبعوثان (البرلمان العثماني) في الأستانة، كما هو الحال في بقية ولايات وألوية الدولة العثمانية، منذ الإعلان عن إعادة العمل بالدستور سنة 1907م، وتم تشكيل لجنة برئاسة عبد المحسن بن عبد الله البداح، وعضوية عبد اللطيف الملا، وعبد الله الجعفري، وغيرهم من أعيان الأحساء، وطلب متصرف لواء الأحساء من المفتي الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن الملا أن يحث الأهالي على المشاركة في الانتخابات، وأن يشرح لهم أهمية الشورى، وضرورة مشاركة الأمة في إدارة شئون الدولة[158].

وهذا الحق الذي كانت يتمتع به أهالي المنطقة في الدولة العثمانية قبل مائة عام لم تتمتع به شعو ا بعد سقوطها إلى اليوم، ليظهر مدى التخلف الذي ضرب المنطقة بعد الحرب العالمية الأولى والاحتلال البريطاني الذي قضى على الحرية وحمى الحالة العشائرية ورسخها، وخرج

---

[155] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ص 23.

[156] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 34.

[157] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 51 .

[158] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني ص 39- 40 .

يوم خرج من الخليج صوريا سنة 1960 ـ 1970م وأهالي المنطقة النفطيـة يعيشـون في مدن الصفيح في غاية التخلف والفقر والأمية!

لقد كان عدد من متصرفي لواء الأحساء ذوي كفاءات حسنة وإدارة جيدة تركت بصما ا الإدارية في اللواء ومنهم:

(الفريق محمد نافذ الذي نجح في تقربه من الأهالي وحل مشاكلهم وأحبوه، كمـا نجح الفريق محمد عاكف في تطبيق برنامج إداري وأمني طموح، وكان المتصرفون الذين تعاقبوا على اللواء من أجناس مختلفة مـن الأتـراك والعـرب والأكـراد وغيرهم).[159]

ومن العرب الذين تولوا متصرفية اللواء بزيع بن محمد بن عريعر الخالدي سـنة 1874-1875م، ومزيد بن ناصر السعدون 1875 - 1876م، وموسى كاظم الحسيني 1900-1901م، وهو والد ا اهد الفلسطيني عبد القادر الحسيني، وقد قام بتشكيل مجلس للمعارف لنشر العلم والتعليم في اللواء، وجعل في عضـويته عدد من علماء الأحساء منهم الشيخ راشد المبارك[160]، ومن العرب الذين تولوا متصرفية اللواء السيد طالب باشا النقيب سنة 1902-1904م.

وقد ذكر الشيخ المؤرخ يوسف بن راشد المبارك متصرفي اللواء وحسن إدار ـم بقوله :

(كان الولاة العثمانيين يظهرون الاحترام لعلماء الأحساء، ولم يظهر منـهم أدنى تحيز لمذهب من المذاهب الدينية، ويختلطون بوجهاء البلد ويـزورو م في الجمـع

---

[159] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 53 .

[160] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 118 .

والأعياد في أماكنهم، ولم يشتهر عن ولا م من الترك مع قلتهم بخل أو شـدة أو غباوة).[161]

وكان يتوجب على المتصرف قبل مغادرة اللواء الحصول على براءة ذمة بناء على شهادة من مجلس إدارة اللواء، تفيد بدفعه للضرائب، وبراءة ذمتـه مـن سـائر عائدات اللواء لتقديمها إلى مرجعه الإداري في الولاية التي يقوم مجلسها بإعـداد مضبطة مماثلة.[162]

مجلس إدارة اللواء :

ويتكون مجلس إدارة اللواء من ثمانية أعضاء، أربعة منهم معينون وهم بالإضـافة إلى متصرف اللواء، القاضي رئيس محكمة البداية في اللواء، ورئيس مجلس التمييز في اللواء، ومحاسب اللواء، ومدير التحريرات.

أما الأعضاء المنتخبون وهم أربعة، يتم اختيارهم عن طريق الترشيح والانتخـاب من الأهالي، لمدة أربع سنوات، وكان للمجلس إدارة اللواء مدع عام مهمته متابعـة القضايا التي تحتاج إلى متابعة إدارية وقضائية، وكان يحظر على المجلس التدخل في القرارات والأحكام التي تصدرها المحاكم أو مجالس التمييز، مـع أنـه يصـادق عليها.[163]

وقد حدد نظام الولايات العمومية صلاحيات هذا المجلس، ومنها الإشراف علـى الواردات والمصروفات وعلى جميع الأموال الحكومية المنقولـة وغـير المنقولـة، وإجراء المحاكمات الإدارية لموظفي اللواء، والنظر في احتياجات اللواء من الطرق

---

[161] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 53 .

[162] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 55 .

[163] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 235-239 .

ووسائل المواصلات، الإشراف على الأعمال المنوطة بمتصرف اللواء ومنها المزايدات والمقاولات الحكومية، والمصروفات المباشرة، كما للمجلس حق طلب التحقيق في القضايا العامة والنظر في نتائجها، والنظر في توزيع الضرائب والرسوم وطرق تحصيلها ومقدارها، والنظر في تظلمات الأفراد، وغيرها من الصلاحيات.

وقد كان أول مجلس إدارة للواء الأحساء سنة 1290هـ - 1873م، وتم انتخاب عدد من الأهالي كأعضاء في المجلس، واستمر المجلس قائما بشئونه، يتم انتخاب أعضائه من الأهالي بشكل دوري، إلى سقوط الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، ومن أشهر أعضائه المنتخبين:

محمد بن عبد الله الحملي، وعثمان الدوغان، وعثمان الجغيمان، وعبد الله البداح، وعبد الله الشعيبي، وعبد اللطيف بن موسى الحملي، وأحمد الملحم، وأحمد الماجد، وعبد الله السعدون، وإبراهيم الجعفري، وسيد حسن البراقي، وعبد الله العيسى، وعبد الرحيم الفرج، ومحمد الزاير، ومحمد الناصر، وأحمد مهدي النصرالله، وماجد الحسين، وحسين الخنيزي، وصالح السنان[164].

النظم الإدارية في الأقضية:

وقد نص النظام الإداري العثماني على تقسيم اللواء إلى وحدات أصغر تسمى أقضية ترتبط بمتصرف اللواء إداريا، وقد قسم لواء الأحساء بموجب هذا النظام سنة 1871م إلى أربعة أقضية هي قضاء الهفوف وهي مركز لواء الأحساء، وقضاء القطيف، وقضاء المبرز، وقضاء قطر، وكان يتم تعيين قائممقام على كل قضاء، فكان أول قائمقام للقطيف هو إبراهيم بك، وآخر قائمقام لها محمد بن سلطان الملحم الذي تم تعيينه سنة 1911م إلى خروج العثمانيين من الأحساء سنة

---

[164] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني240- 243 .

1913م، وبلغ عدد من تولوا هذا المنصب عشرين قائمقاما، كما تم تعيين قاسم آل ثاني قائمقاما لقطر، وكان أول قائمقام لقضاء المبرز طالـب أفنـدي، كمـا جعلت الرياض قائمقامية وتم تعيين عبد الرحمن بن فيصل آل سعود قائمقاما لهـا سنة 1910م[165].

بينما ظلت الكويت قضاء تابعا للواء البصرة العثماني، وقد دعا متصرف لـواء نجد والأحساء صالح باشا مابين سنة 1886-1888م إلى ضم الكويت إلى لـواء نجد والأحساء.[166]

ويعد القائم مقام موظف إداري في القضاء تابع للمتصرف في اللواء التابع بدوره لوالي الولاية، ويتم تعيين القممقام من قبل الحكومة المركزية في الأستانة، وهـو المسئول عن تنفيذ الأمور الإدارية والمالية والأمنية، وتنفيذ تعليمات الدولة، التي يحيلها إليه متصرف اللواء، وتنفيذ أحكام المحكمة الشرعية بعـد أخـذ موافقـة المتصرف، وليس له أي سلطة على الجنود النظاميين في القضاء.[167]

كما يتبع القضاء نواحي وقرى، وعلى كل ناحية مدير، وعلى كل قرية عمدة أو مختار.

وقد أصدر مجلس الوزراء العثماني قرارا بتعيين معاون لقائمقام قطر، ومـديرين لناحية الزبارة والعديد، فكان أول معاون له محمد بك، وآخرهم محمـد صـديق أفندي، الذي كان قائمقام قضاء القرنة في ولاية البصرة، التي يتبـع لهـا لـواء الأحساء آنذاك، وقد نجح في القيام بمهمته في قطر كمعاون للقائمقام فيها، كما تم استحداث منصب وكيل لقائمقام قطر التابع للواء الأحساء، وقد استقال قاسـم

[165] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 183.

[166] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 85 .

[167] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 185.

بن ثاني من القائمقامية، وجعل أخاه أحمد وكيلا لها، إلى أن توفي، ثم جعل مكانـه عبد الله بن جاسم وكيلا إلى أن توفي والده، ثم صار أميرا بعد خروج العثمـانيين من قطر في الحرب العالمية الأولى.[168]

وقد جاء في كتاب طلب الاستقالة التي قدمها قاسم بن ثاني إلى الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد الثاني عن طريق والي البصرة(إلى حضـرة أمـير المـؤمنين، وخليفة رسول رب العالمين، السلطان بن السطان الغازي عبد الحميد الثاني...أنا خادمكم قد خدمت الدولة العلية أربعا وعشرين سنة، وأنا اليوم ابن خمس وستين سنة، والآن قصرت الهمة، ولا لي قدرة على القائمقامية، فأطلب الاستعفاء مـن أمير المؤمنين، وأنا في الخدمة، وتحت العبودية، وقد بينت لجناب والي ولاية البصرة حمدي باشا، والأمر أمركم، التوقيع قاسم بن محمد بن ثاني قائمقام قطر).[169]

مجلس إدارة القضاء:

وللقضاء مجلس إدارة على النمط والطريقة نفسها التي يتشكل ا مجلـس إدارة اللواء، وله نفس الصلاحيات إلا أ ا في نطلق دائرة القضاء وما يتبعه من نواحي وقرى، ويرأسه القائمقام في القضاء، ويتكون من معاون للقائمقام، ومدير لبيت المال، وأمين صندوق، وكاتب للتحريرات.

ويتم انتخاب أربعة أعضاء من الأهالي، وقد تم تشكيل وانتخاب مجلـس قضـاء القطيف، ومجلس قضاء قطر الذي وقع بين أشهر أعضائه خلاف حاد وهم محمـد الفيحاني وجاسم آل ثاني سنة 1302هـ ـ 1885م[170].

مجلس إدارة الناحية :

---

[168] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني 205- 211 .

[169] الأمن الداخلي في الأحساء تحت الحكم العثماني ص 196 .

[170] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 243 .

والناحية هي المنطقة والوحدة الأصغر من القضاء، وتشتمل على القرى التابعة لها، ولها مجلس إدارة حسب قانون الولايات العثماني، يتكون من مختاري وعمد القرى الذين لا تتدخل الدولة عادة في اختيارهم بل يختارهم الأهالي أو بالتوارث، ويرأس مجلس إدارة الناحية مدير الناحية، وقد كان لقضاء الهفوف أربعة نواحي هي المبرز والجفر والعقير والعيون.

وقد بدأ مجلس ناحية المبرز بعد تحويلها من قضاء إلى ناحية سنة 1296هـ ـ 1878، وباقي نواحي الأحساء في 1314هـ ـ 1896م، وكانت قرارات مجلس الناحية تتخذ بالأغلبية، وفي حالة التساوي يؤخذ برأي الجانب الذي فيه الرئيس، وكان لنواحي الهفوف دور تسعير التمور سنة 1317هـ ـ 1899م حين أصابتها آفة أدت إلى كسادها.[171]

وقد كان أعضاء مجلس ناحية العيون من الأهالي لبعض السنوات هزاع بن علي، وسعود بن سعد المهنا، ومحمد بن عودة، وعلي بن عثمان المهنا[172].

مجلس الدعاوى والتمييز:

كما يوجد في القضاء مجلس دعاوى لتمييز القضايا الشرعية التي تصدر ا أحكام قضائية[173].

إدارة البلديات :

وقد كانت دوائر البلديات موجودة في كل بلدة كبيرة أو صغيرة(فقد أسس في أيام الترك ـ كما تقول المس بيل ـ دوائر للبلدية في كل بلدة وقرية من أي

[171] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 246 .

[172] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 250 .

[173] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 185.

حجم كان، وكان الغرض منها الإشراف علـى الشـئون الصـحية والتنظيـف والحراسة والإنارة).[174]

وقد كان تأسيس البلديات مبكرا فقد تأسست أول دوائرها في الأستانة عاصـمة الخلافة العثمانية سنة 1858م، وصدر قانون البلديات الذي ينظم شئو ا سـنة 1867م، كما أسست البلديات في العراق سنة 1869م[175]، كما هو حال بلدية الموصل(وكان يديرها بموجب القانون الخاص رئيس ومعـاون، ومجلـس بلـدي منتخب يتألف من ستة أعضاء، ثلاثة من المسلمين، وثلاثة يمثلون الطوائف غـير الإسلامية، وكان الرئيس يتم اختياره من الأعضاء، ويرجح عادة العضو الحـائز على أغلبية الأصوات في الانتخابات، وتمتد مدة رئاسته أربع سنوات)[176].

وقد تأسست أول بلدية في لواء الأحساء في الهفوف سنة 1882م، وفي القطيـف سنة 1884م، وكان (يعهد برئاستها إلى أحد أبناء اللواء الذي يـتم اختيـاره ضمن ستة بالانتخاب لـلس إدار ا، وكان الحد الأدنى المقرر قانونا لانتظام تلـك االس في بلديات الولايات والألوية هو بلوغ عدد سكا ا أربعين ألف نسـمة، وكان أول رئيس لبلدية الأحساء هو عبد الرحمن العدساني).[177]

وكان قانون الـلس البلدي قد حدد مدة العضوية بأربع سنوات، على أن تجـري بعد ذلك كل سنتين، يتم فيها انتخاب نصف الأعضاء، وتتخذ قراراته بالأغلبية، كما يشترط في العضو أن يكون مواطنا للدولة العثمانية، وأن يكون سنه خمسـا

---

[174] فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص 393.

[175] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 155.

[176] انظر فصول من تاريخ العراق في حاشية 175.

[177] الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 156.

وعشرين سنة فما فـوق، وأن لا يكـون عـاملا في الـال العسـكري ولا في القضاء.[178]

وقد كانت مهام الس البلدي المنصوص عليها في القانون تشمل أعمال وزارات الصحة والأشغال والبلديات والشئون الاجتماعية والتعليم المهني.[179]

وقد كان من مهام البلدية توفير طبيب للبلدة ورفع رواتبـه، ويقـوم الطبيـب بالإشراف على كشف المرضى، والإشراف على صيدلية البلديـة، الـتي تجلـب أدويتها من وزارة الصحة العثمانية، وتقوم البلدية بالإشراف البيطري والصحي العام، كما تدفع البلدية معاشات القائمين بالتطعيم ضد الجدري، وتـدفع قيمـة توفير الأمصال اللازمة للتطعيم، كما تدفع راتب الطبيب البيطري الملحـق ـا، وتوفير أدواته، كما تصرف راتب القابلة التي تقوم بتوليد النساء.[180]

كما تقوم البلدية بتسجيل الأملاك الواقعة ضمن حدود صـلاحيا ا في سـجلات خاصة، مع بيان الموقع، واسم المالك، ونوع الملك، كما تقوم بتسـجيل أسمـاء السكان، وإحصاء المواليد والوفيات كدائرة نفوس باللواء، وقد بلغ عدد سكان الهفوف مركز لواء نجد والأحساء سنة 1292هـ ـ 1875م سبعة وأربعين ألف نسمة، وعدد المنازل تسعة آلاف م ل، وبلغ عدد سكان اللواء مـائتين وخمسـة وثمانين ألف نسمة سنة 1317هـ ـ 1899م[181].

[178]الحكم والإدارة في الأحساء 161.

[179]الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف 167.

[180]الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 170.

[181]الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 170.

كما كان منوطا بالبلدية توفير الحرس الليلي للقيام بحراسة الأسواق والشوارع، ودفع الرواتب لهم، وكان يتبع بلدية مركز لواء نجد والأحساء بـالهفوف مائـة حارس ليلي.

كما يتبعها مراقبون ومفتشون لمراقبة النظافة العامة، والالتزام بالقوانين والـنظم الخاصة بالأسواق.[182]

كما أنيط بالبلدية مهمة الإعداد والإشراف على انتخابات أعضاء مجلس المبعوثان (البرلمان العثماني)في الأستانة، بعد إعادة العمل بالدستور سـنة 1326هـ ـ ـ 1907م، وقامت بلدية الهفوف مركز لواء نجد والأحساء في الإعداد للانتخابات، باعتبار رئيس البلدية رئيسا للهيئة التفتيشية، وأعضاء اللس البلـدي أعضـاء فيها، وترأسها آنذاك عبد المحسن بن عبد الله البداح، وكانت انتخابـات عضـو البرلمان العثماني، تجري على مرحلتين، تبدأ في الإعداد بنشر قوائم النـاخبين، ثم بنشر جداول الانتخابات، للاطلاع عليها وتقديم الاعتراضات لمن لم ترد أسماؤهم فيها[183] **.**

ويكشف كل ما سبق ذكره عن مدى الزيف الثقافي، والتضليل الإعلامي، الـذي مارسه الاستعمار البريطاني وحلفاؤه في المنطقة بعد سـقوط الدولـة العثمانيـة والخلافة الإسلامية بعد الحملة الصليبية في الحرب العالمية الأولى سـنة 1914م، وتصوير أوضاع المنطقة على خلاف حقيقتها، فصارت الموانئ الصغيرة التي كانت أقضية قبل سنة 1914م دولا تحكم شعوبا منذ مئات السنين كما يشاع في الثقافة الزائفة اليوم عن دويلات الطوائف في الخليج العربي!

[182] **الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثماني 172.**

[183] **الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف أثناء الحكم العثمانية 178 .**

وصارت الدولة العثمانية في الثقافة الوطنية الزائفة مضرب المثـل في التخلـف والهمجية، في الوقت الذي كان سكان المنطقة قبل الاحتلال الصليبي لها يشاركون في انتخاب مجالس الألوية، ومجالس الأقضية، ومجالس البلدية، ومجلس المبعوثـان (البرلمان)، وهو الحق الذي حرموا منه بعد ذلك مدة قرن كامل وإلى اليوم!

فقد صدر الدستور العثماني سـنة 1877م وتم افتتـاح البرلمـان، ثم تم تعطيـل الدستور، وأعيد العمل به في آخر عهد السلطان عبد الحميد، وقد تنافس سـنة 1912م في ولاية البصرة التي يتبعها لواء المنتفق ولواء العمارة، حـزب الحريـة والائتلاف الذي يمثل التيار العروبي آنذاك، وحزب الاتحاد والترقي، الذي كـان قد شكل الحكومة الاتحادية، وقد فاز أعضاء حزب الحرية على منافسـه، وكـان مرشحو الحزب الذين فازوا في ولاية البصرة هم السيد طالب النقيـب، وزيـد النقيب، وعيسى روحي، وعبد الزاق النعمة، وأحمد نعيم، وعبد الله صائب، وعبد الـيد الشاوي، وسليمان فيضي[184].

وقد مثل ولايات العراق وألويتها أربعة وثلاثـون عضـوا لـلـس المبعوثـان في اسطنبول، كما بلغ عدد أعضاء الولايات العربيـة المشـرقية التابعـة للدولـة العثمانية(الشام، العراق، الجزيرة العربية) نحو ثلث البرلماني العثماني.

وقد جرت انتخابات أخرى سنة 1914م، وتم افتتاح الجلسة بحضور السـلطان محمد رشاد، وتم انتخاب أعضاء اللجان، وكان للنواب العرب مواقف مشـهودة في الدفاع عن الحقوق والحريات العامة، وكان مما قاله جميل الزهاوي من أعضاء ولاية بغداد في جلسات المبعوثان:

[184] مذكرات سليمان فيضي ص 126- 128 و168و180.

(لماذا تجبى الضرائب من الفقراء عن دورهم، ولا تؤخذ عن قصور ومصـائف آل عثمان، مع أ م يتقاضون رواتب ضخمة من خزينة الدولة؟)، وقال لمن اعترضوا عليه (إنني أحترم آل عثمان أكثر منكم ولكني أطلب المساواة التامة).[185]

وتأمل هل يجرؤ أحد اليوم في برلمانات دويلات الطوائف أن يتحدث عن الأسـر الحاكمة أو الأحزاب الحاكمة كما تحدث جميل الزهاوي عن السلطان العثماني قبل نحو قرن؟!

فقد تحقق آنذاك من الإصلاح السياسـي والدسـتوري، ومـن تقريـر الحقـوق والحريات العامة، ومن مشاركة الأمة في إدارة شئو ا المحلية، ومنذ سنة 1875م، ما لم يتحقق مثله لشعوب المنطقة بعد مائة عام من قيام دويلات الطوائف وسقوط الخلافة العثمانية وإلى اليوم!

وما زالت أكثر دويلات الطوائف في الخليج والجزيرة العربيـة ونحـن في سـنة 2010 لم تقم لها مجالس نيابية شعبية، ولا مجالس بلديـة منتخبـة، ولا مجـالس محافظات منتخبة، وما زالت تحكم حكما شموليا استبداديا أسريا عشـائريا منـذ الاحتلال الصليبي للمنطقة سنة 1914م إلى اليوم، ولم تسـتطع أن تحقـق مـن الوحدة بين كيانا ا المصطنعة مثلما كان عليه حال العرب من الوحـدة في ظـل الدولة العثمانية، بل إن خطوط سكك الحديد العثمانية التي كانت تـربط بـين أقاليم المنطقة العربية كخط قطار الحجاز، ما زالت محطاته أكبر شاهد على مدى العناية التي أولتها الدولة العثمانية لأقاليمها العربية، ولم يتم إلى اليوم بعد أكثر من قرن إقامة سكك للحديد تربط بين دول المنطقة كما كان عليه الحـال إبـان الخلافة العثمانية، ولم تستطع دويلات الطوائف أن تحقق لشعوب المنطقة ولو بعض ما فقدته من حقوقها الطبيعية في الوحدة والحرية والمشـاركة في السـلطة علـى

---

[185] مذكرات سليمان فيضي ص 188.

النحو الذي كان يتمتع به العرب في ظل الخلافة العثمانية، التي ورثتها دويلات الطوائف وفق المخطط الاستعماري البريطاني!

تنبيه : هذه المقالات مختصرة جدا من كتاب (الحرية وأزمة الهوية)، وسيصدر الكتاب كاملا بعد طبعه، ولهذا نقتصر هنا على ما يعالج إشكالات الواقع.

(عبيد بلا أغلال)

(9)

(المشروع البريطاني وتحديد حدود الكويت)

اضطرت الدولة العثمانية بعد نجاح بريطانيا في فرض وجودها العسكري في مياه الخليج - وبعد عقدها معاهدات حماية مع مشيخات الموانئ الساحلية - إلى عقد اتفاق معها لتحديد حدود هـذه المشـيخات، وربطهـا بالقبائـل الداخليـة في الصحراء، مع اعتراف بريطانيا بالسيادة السياسـية العثمانيـة علـى المنطقـة، وستشهد المنطقة مباشرة وبعد سنة من توقيع المعاهدة مع الشيخ مبارك الصـباح أحداثا كبرى، وستتشكل أحلافا قبلية غير مسبوقة، وستستخدم بريطانيا المـدن والقبائل لتنفيذ مشروعها في مواجهة الدولة العثمانية، وترسيخ نفوذ بريطانيـا الاستعماري في الخليج والجزيرة العربية، ولهذا احتاجت بريطانيا توسيع حـدود محميتها الجديدة (الكويت)، لتتجاوز أسوار المدينة، نحو الصحراء غربـا، حيـث ستكون الرياض هدفا مباشرا للحملة العسكرية التي ستنطلق من الكويت، نحـو حائل لضرب الوجود العثماني في قلب الجزيرة العربية!

لقد ظلت الكويت - كما يقول د. حسن الإبراهيم - حتى الحرب العالمية الأولى سنة 1914م جزءا من الإقليم العربي تحت سيادة الدولـة العثمانيـة، ولم يكـن الباب العالي في اسطنبول يهتم ببلدة صغيرة فقيرة محاطة بصحاري شاسعة (وقـد كانت القبيلة محور النظام الاجتماعي فيها، وكانت حدود السلطة فيها لا تتجاوز أسوار المدينة، التي لا تتجاوز مساحتها الميل طولا، والميل والربـع عرضـا، ولا يتجاوز عدد سكا ا أربعة آلاف نسمة في سـنة 1830م، وقـد كـان سـكان صحرائها في الأصل هي القبائل العربية).[186]

وكما يقول لوريمر في دليل الخليج (يبلغ طول المدينـة الآن - سـنة 1904م - ميلين على طول الشاطئ، وعرضها في الداخل ما بين ربع الميـل وثلاثـة أربـاع

[186] الكويت دراسة سياسية 26- 27 .

الميل، والأراضي التي تحيط بالمدينة صحراء على مد البصـر، وتضـرب في هـذا الجانب خيام كثيرة للبدو).[187]

وقال لوريمر أيضا(ويعتبر الأتراك الكويت قضاء تابعا لسـنجق البصـرة، كمـا يعتبرون الشيخ موظفا تركيا، وحدود إمارة الكويت في معظم أجزائهـا مـتغيرة وغير محدودة، فهذه الحدود في وقت ما هي حدود القبائل التي تدين بـالولاء في ذلك الوقت لشيخ الكويت).[188]

لقد كانت الكويت تخضع لحكم ابن عريعر في الإحساء وهو الذي بناها - كمـا سيأتي بيانه - ثم أصبح الإقليم كله (لواء الأحساء ونجد) يتبـع ولايـة بغـداد العثمانية، ثم ولاية البصرة العثمانية.

وجاء في نص الاتفاقية البريطانية العثمانيـة سـنة 1913م بخصـوص الكويـت وحدودها (إن الحدود الواردة متغيرة وغير محددة بالضبط وتطابق وتماثل حـدود ومساحة المناطق التي تسكنها القبائل التي تدين بولائها لشيخ الكويت).[189]

كما جاء في أسباب الاعتراف البريطاني بملكية الكويت لجزيرة وربة وبوبيان سنة 1908م لأ ا(كانت مأهولة من قبائل العوازم فقط دون غيرهم الـذين مارسـوا ولأجيال متعاقبة حقوق الصيد فيها).[190]

وهذا أوضح دليل على أن حدود دويلات الطوائـف الحديثـة كانـت حـدودا عشائرية، وكان للقبائل دور رئيس في انحسارها أو اتساعها!

وقد وافقت السلطة العثمانية مبدئيا سنة 1911م على الاعتراف بالحكم الذاتي للشيخ مبارك أسوة بأي شيخ قبيلة في العراق كشيخ بني لام وشيخ المنتفق.[191]

---

[187] دليل الخليج الجغرافي 1305/2 .

[188] المصدر السابق 1318/4 .

[189] الكويت في الوثائق البريطانية 38.

[190] المصدر السابق 74 .

[191] المصدر السابق 82 .

وقد كان مبارك بعد ذلك يخاطب والي البصرة باسم حاكم الكويت ورئيس قبائلها، ليتسنى له مد نفوذه بحسب امتداد نفوذ القبائل في الصحراء، وقد تم إجراء معاملة استخراج الجنسية العثمانية له كما جاء في خطاب وكيل والي بغداد سنة 1912 وفيه:

(إلى جناب الأكرم قائمقام الكويت الشيخ مبارك باشا الصباح بناء على ما سبق منا من الإشعارات والتأكيدات فقد ورد الأمر بإجراء المعاملة لجنابكم وإعطائكم الأوراق الخاقانية على الأصول كأمثالكم من العشائر العثمانية غير المحررة - أي المسجلة - وعليه أجرينا التبليغات اللازمة لمن يقتضي من الدوائر).[192]

وقد كان مبارك الصباح عضوا في حزب (الحرية والائتلاف) فرع البصرة الذي كان يرأسه السيد طالب النقيب، وقد تأسس هذا الفرع في البصرة بعد ثورة الاتحاديين ووصولهم للسلطة في اسطنبول، الذين مارسوا سياسة تعسفية ضد العرب، وقد عقد مؤتمره في البصرة سنة 1913م وحضره مبارك الصباح والسيد طالب النقيب، لبحث موضوع منح المنطقة الحكم الذاتي من قبل الدولة العثمانية، وقد كان وراء ذلك المؤتمر يد بريطانية كما يظهر من سياق الأحداث وتتابعها في صالح الاحتلال البريطاني للعراق.[193]

حدود الكويت وسكانها في العهد العثماني:

وقد كان تعداد سكان مدينة الكويت سنة 1900م عشرة آلاف نسمة إلى اثني عشر ألف نسمة.[194]

كما كان اسم الكويت إلى سنة 1900م يطلق فقط على المدينة، ولا يكاد يطلق على ما وراء أسوارها، بل كان يطلق على مناطق صحرائها أسماء خاصة بها كالجهراء.

---

[192] تاريخ الكويت السياسي لخزعل 89/2 .

[193] تاريخ الكويت السياسي لخزعل 228/2 ، وتاريخ الخليج العربي لزكريا 13/3 ، ومذكرات سليمان فيضي حاشية ص 130 .

[194] الإبراهيم ص 130 .

وقد تغيرت الأوضاع في الكويت فجأة جغرافيا وسكانيا بعد المعاهدة البريطانية فخلال خمس سنوات فقط امتدت حدود إمارة الكويت في عهد مبارك الصباح - وهو أول شيخ تتجاوز حدود إمارته المدينة - بحسب امتداد حدود أراضي القبائل الحليفة له، ووصلت حدود الإمارة - كما يقول لوريمر - حسب ادعاء الشيخ مبارك وذلك في سنة 1905م إلى الصمان شرقا حيث امتداد قبيلة مطير (حيث يدعي شيخ الكويت الحالي مبارك - كما يقول لوريمر - بأن الجزء الشمالي من الصمان جزء من إمارته، وتقع الصمان بين الدهناء في الغرب، ومناطق الدبدبة والشق في الشرق، ويضرب العرب خيامهم في الصمان، ومعظمهم من مطير).[195]

ومن القبائل الموجودة في صحراء الكويت منذ القدم - كما في دليل لوريمر الذي ألفه لصالح الحكومة البريطانية - قبيلة العوازم، والرشايدة، والعجمان، وبني خالد، والدواسر، وع ة، والظفير.[196]

وتقطن عشائر الظفير الجزء الشمالي من صحراء الكويت، وأشهرها عشيرة الصمدة، والبطون، والمعاليب.[197]

كما يقطن في الجزء الجنوبي من الكويت العجمان، وبني هاجر، وبني خالد.

ويبلغ تعداد سكان البدو المستوطنين في الكويت من العوازم، والرشايدة، ومطير(13000) نسمة تقريبا، وهذا عدا الرحل منهم، وعدا من يسكن منهم داخل أسوار المدينة، وعدا القبائل الأخرى، على حد قول لوريمر (قبائل الكويت كلها من العرب، وتنتمي للمذهب السني، والقبيلتان اللتان تكونان غالبية السكان خارج مدينة الكويت هما العوازم والرشايدة، ويقطن جزءا من الصمان التابع للكويت قبيلة مطير فقط، ويخيم عدد كبير منهم في الجهراء كل موسم، أما

[195] دليل الخليج الجغرافي 1318/4 و2407/7 .

[196] دليل الخليج للوريمر الجغرافي 1306/4 ، وبريطانيا والخليج لجون كيلي 57/1 .

[197] لوريمر دليل الخليج الجغرافي 525/2 .

عدد السكان من البدو فهم حوالي 13000 نسمة، إذا لم نحسـب إلا العـوازم والرشايدةوجزءا من مطير الذين توجد أماكن استيطا م القبلية في الإمارة).[198]

كما إن معظم سكان مدينة الكويت - كما يقول لوريمر - الذين يبلغ تعدادهم في سنة 1905م 35 ألف نسـمة، ينتمـون إلى قبائـل العتـوب، والعـوازم، والرشايدة، وبني خالد، والعجمان، والدواسر، وع ة، والظفـير، والقناعـات، وعرب الحسا، والبحارنة، وعدد من الإيرانيين.[199]

وكذلك يقطن نحو 700 بيت من قبيلة مطير - أي مـا بـين 5000 – 7000 نسمة تقريبا - على الجهراء في فصل الصيف، وبعضهم بشكل دائم.[200]

وكما يقول جان جاك بيريي المؤرخ الفرنسي (الكويتيون الأصليون كلهم عـرب ومسلمون سنيون)[201]، والقسم الأكبر من مساحة الكويت صحراء يقطنها فيمـا مضى ما بين عشرة وعشرين ألف بدوي.[202]

وهذه الأرقام لنسبة سكان القبائل في الكويت - سواء في المدينة أو في الصحراء اﻟﻤﺎورة لها - تعادل أكثر من ثلثي عدد سكا ا، وهذا في عهد الشـيخ مبـارك، وهي النسبة ذا ا إلى اليوم، وليس كما يشاع في الثقافة الزائفة اليوم بأن الوجود القبلي في الكويت وجود طارئ دخيل، وأنه تغير ديمغرافي في تركيبة السكان بعد استخراج النفط، كما يزعم أستاذ علم الاجتماع خلدون النقيب!

لقد فرضت بريطانيا واقعا جديدا بتحديدها للحدود بين المدن السـاحلية الـتي كانت تمثل إقليما واحدا يتبع دولة واحدة، من أجل مصالحها الاستعمارية، إلا إن

---

[198]لوريمر دليل الخليج الجغرافي 1341/4 .

[199]دليل الخليج الجغرافي 1306/4 .

[200]دليل الخليج الجغرافي 1340/4 و3/ 1108 .

[201]جزيرة العرب لجان جاك بيريي 254 .

[202]جزيرة العرب لجان جاك بيريي 43 .

(البدو الأحرار المتنقلين لم يكترثوا - كما يقول بيريي - يوما بالحدود التي تقيمها إدارة أجنبية، طالما أ م يستطيعون أن يقفزوا فوقها ويتخطوها).[203]

القبائل الرئيسة في الكويت وامتدادها الجغرافي:

1- قبيلة مطير :

لقد ظلت القبائل هي المؤثر الرئيسي في امتداد وانحسار نفـوذ أمـراء المـوانئ والمدن، وقد كان شيوخ المدن الساحلية والداخلية يحاولون مد نفوذهم من خلال التحالف مع القبائل وكسب ولائها، أو محاربتها من أجل إخضـاعها لنفـوذهم، ففي سنة 1852م غزا فيصل بن تركي آل سعود بجيشه على قبيلة الجبلان مـن مطير وهم على آبار الوفرة جنوب الكويت.[204]

كما أغار عبد الله بن فيصل بن تركي على قبيلة الصهبة من مطير، وهم على ماء الوفرة جنوب الكويت سنة 1869م[205].

وقد كان مع مبارك الصباح في معركة الصريف سنة 1900م قبيلة علـوى مـن مطير وشيخهم سلطان الدويش، والصعران من مطير، وشيخهم نايف بن بصيص، والجبلان من مطير وشيخهم صاهود بن لامي، وغيرهم من القبائل.[206]

وبعد هزيمة مبارك ومن معه، ترك مبارك أرض المعركة ومعه سلطان بن الحميـدي الدويش، وكان سلطان في خيمة مبارك حين وقعت الهزيمة، ولحق م السـعدون وتوجهوا إلى الزلفي ورفض أهلها دخولهم خوفا من ابـن رشـيد، فلجـأوا إلى الصمان حيث قبيلة مطير، ومن هناك توجه مبارك إلى الكويت.[207]

---

[203]جزيرة العرب لجان جاك بيريي 36 .

[204]تحفة المشتاق 331 .

[205]تاريخ الفاخري 230، وعقد الدرر 64 ، وتحفة المستفيد 159 .

[206]تاريخ الكويت للرشيد 161، وتاريخ الكويت السياسي لخزعل 48/2 .

[207]تاريخ الكويت السياسي 48/2 .

كما أغار ابن رشيد بعد حرب الصريف على الصبيحية، ثم أغـار علـى (واره)، فأخذ بعد قتال عنيف أموالا لقبيلة مطير.[208]

وفيها يقول شاعر ابن رشيد أبياتا من الشعر الشعبي جاء فيها :

حر شلع من حايل

يبغي حـباري واره

يبغي الدويش وربعه

غربي أبـو دواره

وجبل واره قرب منطقة الأحمدي، وأبو دواره من الآبار التاريخية القديمـة وهـي قرب دسمان في مدينة الكويت الحالية، وكلها كانت من منازل قبيلة مطير تـ ل عليها في فترة الصيف، كما ذكر لوريمر وغيره.

كما كانت قبيلة مطير تـ ل على آبار أم الهيمـان جنـوب الكويـت خاصـة في الصيف.[209]

وقد كان في صحراء الكويت نحو عشرين بئرا لقبيلة مطير على بعد ثلاثين مـيلا شمال الجهراء.[210]

وتوجد على بعد 40 ميلا جنوب غربي مدينة الكويت خبرة الدويش، وقد كـان بين العجمان ومطير نزاع على ملكيتها سنة 1905م، ثم آلت ملكيتـها لقبيلـة مطير.[211]

---

[208] تاريخ الكويت للرشيد 169.

[209] معجم المواضع في الكويت للفرحان 20 .

[210] دليل الخليج الجغرافي 1330/4 -1332 .

[211] دليل الخليج الجغرافي 2271/6 .

وقد جعل مبارك الصباح - كما يقول لوريمر - (من نفسه حليفا لقبيلة مطـير، وذلك بالزواج منهم، ومطير لهم شأ م في نجد، ويعسكرون في الصمان، أو عنـد رأس خليج الكويت في الصيف)[212].

كما أكد لوريمر أن الذي كان (يقطن جزءا من الصمان التابع للكويت قبيلـة مطير فقط، ويخيم عدد كبير منهم في الجهراء كل موسم)[213].

وقال دكسون عن حدود القبيلة الجغرافية خاصة قبائل بريه من مطـير (ويمتـد هؤلاء من الكويت في الشمال إلى حزام الدهناء الرملي في الجنـوب، ويلتزمـون الجانب الشرقي من الباطن وكانت مراعيهم دائما في الأماكن المجاورة للكويت - أي المدينة -)[214].

وكما يقول لوريمر لا تعرف قبيلة مطير الاستقرار(ولا يخضعون لسـيطرة، وهـم منهمكون في حرو م القبلية، وعلى استعداد دائم للقتال، وكان شيخ الكويت - مبارك الصباح - يقوم بترتيب مع ابن سعود وبالنيابة عنه بجمـع الزكـاة مـن القبيلة التي تعيش ضمن أراضيه، وهناك علاقة مصاهرة بين شيخ الكويت وقبيلة مطير، ورجال القبيلة مسلحون جيدا، وذلك كما يليق بحليف للكويت)[215].

فقد كانت العلاقة بين المدينة (الكويت)، والقبيلة (مطير) علاقة تحالف وندية إذ كانوا جميعا مواطنين في وطن واحد، ودولة واحدة هي الدولة العثمانية، ولم تكن القبيلة تخضع لسيطرة المدينة، وكان السبب في تحالف مبارك مع قبيلة مطير، هـو أ ا تسيطر على الصحراء غربا(الصمان)، التي تقع بين مدينة الكويت، ومدينـة حايل، فتشكل بذلك حاجزا بينهما، بعدما شهدتا صراعا وتنافسا في عهد مبارك وابن رشيد، ضمن الصراع البريطاني العثماني، وكان قد بلغ الصـراع أشـده في حرب الصريف التي وقفت فيها قبيلة مطير بصف مبارك.

---

[212] دليل الخليج الجغرافي 1343/4 .

[213] لوريمر دليل الخليج الجغرافي 1341/4 .

[214] الكويت وجارا ا 85/1 .

[215] دليل الخليج الجغرافي 1629/4 .

وقال لوريمر عن قبيلة مطير وحدود أراضيها التي تمتد من الخليج العربي شرقا إلى البحر الأحمر غربا(قبيلة عربية صرفة، في وسط الجزيرة العربية، حدودها أوسع من أي قبيلة أخرى، باستثناء عنزة، وهي القبيلة البدوية الرئيسية التي تزور القصيم، وملكية الدهناء والصمان مقصورة عليهم، وتمتد أماكن تواجدهم في الشمال الشرقي، حتى تتوغل في الكويت، فيقيمون معسكرا م (خيامهم)الصيفية في الجهراء، وفي الجنوب الغربي يوجدون في القصيم، وفي الوشم، ووادي السر، ويصلون إلى العارض، وعلى مسافة بعيدة في المنطقة البركانية بين مكة والمدينة، وحدودهم الشمالية القصوى على الخليج، ويوجدون جنوبا في الحسا، والصمان، ويتصلون في الشمال مع عنزة، وفي الشمال الغربي مع شمر، وفي الغرب مع حرب، وعتيبة، وقحطان، والدواسر، وسبيع، وفي الجنوب مع العجمان، والمرة، وبني هاجر، والمناصير).[216]

وقد قدر المؤرخ العثماني أيوب صبري عدد أفرد قبيلة مطير في الحجاز فقط بأربعين ألف نسمة في حدود سنة 1877م - أي عشرة أضعاف سكان مدينة الكويت آنذاك - بينما تمتد حدودهم الجغرافية آلاف الأميال، إذ تمثل جزيرة العرب كلها وطنا لهم كباقي القبائل العربية يرتحلون فيها بلا حدود (ومن عادا م القديمة التنقل والترحال حيث الكلأ والمطر، وما أن يسمعوا طول الأمطار في ناحية حتى يشدوا رحالهم إلى هناك)[217].

وقد صارت القبيلة العربية هي الضحية بعد إقامة الدويلات الحديثة وتحديد حدودها السياسية بما يخدم المصالح البريطانية، حيث تم تقسيم القبيلة الواحدة ومصادرة أرضها، وضمها إلى المدن المتحالفة مع بريطانيا، وتقسيمها إلى شعوب وولاءات للأسر الحاكمة، على حساب وحدة القبيلة، ووحدة شعب الجزيرة العربية، ووحدة أرضها!

2- قبيلة العجمان :

---

[216] لوريمر دليل الخليج الجغرافي 1626/4 .

[217] مرآة جزيرة العرب 279/2.

وكذلك كان لقبيلة العجمان أثرها على الحدود السياسية، وهي من أكبر القبائل في المنطقة، وتمتد أراضي قبيلة العجمان من الإحساء جنوبا إلى الكويت شمالا، حيث استقر بعض عشائرها في مدينة الكويت، وعلاقتهم - كما يقول لوريمر - مع شيخ الكويت طيبة، ولقوة قبيلة العجمان صار التحالف معهم ذا أهمية كبرى، كما تشكل عداوتهم خطرا كبيرا، وهم في الصحراء لا يعترفون بسلطة الدولة العثمانية، مع أنهم يتلقون معونات شهرية منها.[218]

وللعجمان في صحراء كاظمة آبار منها (مشاش العجمان) وهي لقبيلة العجمان، جنوبا من الصبية.[219]

3- قبيلة الظفير :

كما كان لقبيلة الظفير تأثير سياسي على حدود مدينة الكويت، وقد كان الظفير السبب ـ كما ذكره مؤرخ الكويت الرشيد ـ في نزوح العتوب والصباح من الصبية إلى كوت ابن عريعر، حيث كان الظفير في الصبية، وأرادوا الإغارة على العتوب حين أرادوا الاستقرار فيها، فبلغ العتوب الخبر وارتحلوا منها.

وقد كان وجود الظفير شمال الكويت قديما ففي سنة 1780م أغارت قبيلة سبيع على قبيلة الظفير وهم على آبار سفوان شمال الكويت.[220]

ومن قبائل صحراء الكويت، عشيرة الصمدة، وعشيرة السعيد من عشائر قبيلة الظفير، وكانوا في شمال الكويت، وقد أغار مبارك الصباح على الصمدة، حين استنجد به ابن سويط شيخ الظفير، بعد قتال بين ابن سويط وعشيرة الصمدة، وقد وقف مبارك بصف ابن سويط ورجح كفته في حربه مع الصمدة، كما أغار مبارك على عشيرة السعيد بعد أن اعتدوا على أطراف مدينة الكويت، وكان ذلك كله في زمن محمد الصباح، قبل أن يحكم مبارك الكويت سنة 1896م.[221]

---

[218] لوريمر دليل الخليج الجغرافي 74/1 .

[219] دليل الخليج الجغرافي 1330/4- 1332 .

[220] تاريخ الفاخري 147 .

[221] تاريخ الكويت للرشيد 226 ، تاريخ الكويت لخزعل 149/1 .

4- قبيلة العوازم :

وقد كان العوازم من أوائل من استقر في ساحل الكويت، ومن أشـهر آبـارهم الصابرية شمال الكويت.[222]

وقد احتج مبارك الصباح على ملكيته لجزيرة بوبيان لكو ا أماكن للصيد لقبيلة العوازم، كما جاء في أسباب الاعتراف البريطاني بملكية الكويت لجزيـرة وربـة وبوبيان سنة 1908م لأ ا(كانت مأهولة من قبائل العوازم فقـط دون غيرهـم الذين مارسوا ولأجيال متعاقبة حقوق الصيد فيها).[223]

5- قبيلة بني خالد :

ومن قبائل بادية الكويت قبيلة بني خالد، وقد ظلوا فيها بعد سقوط حكم ابـن عريعر، وكانت الكويت تابعة لحكمه،وقد غزا سعود بن عبد العزيز آل سـعود قبيلة بني خالد قريبا من آبار الوفرة سنة 1203هـــ ـ 1788م، كمـا أغـار عليهم سنة 1207هـ ـ 1792م، وكانوا على آبار الجهراء.[224]

كما نزل ثويني السعدون، والظفير، وبني خالد، على الجهراء سنة 1211هـ ـ 1797م، مدة ثلاثة أشهر، للاستعداد لغزو سعود بن عبد العزيز[225].

وتمتد قبيلة بني خالد من الإحساء إلى مدينة الكويت، حيث يتـزودون بـالمؤن، ويتنقلون في صحرائها.[226]

6- قبيلة الرشايدة :

كما تعد قبيلة الرشايدة من قبائل الكويت الرئيسية، وهم - كما يقول لوريمر - (موالون لمطير، وتساوي قو م الحربية قوة العوازم).[227]

---

[222]معجم المواضع في الكويت للفرحان 151.

[223]المصدر السابق 74 .

[224]عنوان المجد في تاريخ نجد للمؤرخ ابن بشر 104/1و127 .

[225]عنوان المجد في تاريخ نجد 141/1.

[226]دليل الخليج الجغرافي 1252/3 .

7- قبيلة بني هاجر :

وهي من قبائل صحراء الكويت، وتمتد حركة تنقلها وارتحالها - كما يقول لوريمر - من قطر جنوبا، إلى داخل أراضي الكويت شمالا، وهي قبيلة مستقلة لا تخضع لأي سلطة، ويتلقون معونات مالية، وهدايا من متصرف الحسا العثماني، ومن شيخي قطر، والكويت[228].

وقد غزا رجال من قبيلة الهواجر سنة 1289هـ - 1872م على الكويت، وأخذوا إبلا لعبد الله بن صباح، ومبارك الصباح، في تحد واضح للسلطة العثمانية، وقد قام عبد الله الصباح بالاحتجاج لدى قائمقام القطيف، الذي اعتذر له بأنه لا سلطة له على القبائل في المنطقة.[229]

كما لجأ عبد الله بن فيصل بعد خروج أخيه سعود عليه في الرياض إلى قبيلة قحطان(الهواجر)، وكانوا على آبار الصبيحية بقرب الكويت، وذلك سنة1290هـ - 1873م[230].

8- قبيلة شمر :

ومن القبائل التي كانت تقطن صحراء الكويت شمالا، قبيلة شمر، فقد استدعى سالم الصباح عشائر من قبيلة شمر القاطنة على سفوان، بقيادة ابن طوالة، ونزلت على آبار الجهراء، وأغدق سالم عليهم الأموال كي يستقروا، لحماية الكويت من خطر الأخوان[231].

9- قبيلة سبيع :

---

[227] دليل الخليج الجغرافي 5/ 1930 .

[228] لوريمر دليل الخليج الجغرافي 784/2 .

[229] الأمن الداخلي في الأحساء أثناء الحكم العثماني 67 .

[230] عقد الدرر 75 .

[231] تاريخ الكويت للرشيد 252 .

ومن القبائل أيضا قبيلة سبيع التي يرتحل أفرادها - كما قال المـؤرخ العثمـاني أيوب صبري - في المنطقة الممتدة ما بين الرياض والأحساء والكويت[232].

وقد غزا تركي بن عبد الله بن سعود سنة 1830م على سبيع ورئيسـهم فهيـد الصيفي ومعهم أخلاط من بني حسين وهم بين حفر الباطن والوقبا، ثم سار تركي ونزل الصبيحية الماء المعروف قرب بلد الكويت، ودخل بعض الغزو البلد لقضاء حوائجهم وأهدى إليه رئيس الكويت جابر بن عبد الله بن صباح هدايا، وأقـام تركي على هذا الماء أربعين يوما ووفد عليه كثير من رؤساء العربان.[233]

10- قبيلة عتيبة :

كما يرتاد الكويت - كما يقول لوريمر - بعض قبيلة عتيبة بحثا عن الرزق.[234]

11- قبيلة المنتفق :

ومن قبائل صحراء الكويت قبيلة المنتفق فقد كانت منازلهم شمال الجهراء، وقـد أغار سعود بن عبد العزيز سنة 1203هـ 1788م على قبائل المنتفق(فوجـدهم في الموضع المعروف بالروضتين بين سفوان والمطلاع، فناوخهم وأخذ من محلتـهم خياما وأمتعة، ثم سار سعود إلى ماء الوفرا فوردها ثم رحل منها ووافق غزوا من بني خالد فأخذهم)[235].

كما نزلت قبائل المنتفق على الجهراء بقيادة ثويني السعدون سنة 1211هـ مدة ثلاثة أشهر، مع بني خالد، استعدادا لحرب عبد العزيز بن محمد بن سعود[236].

12- السهول والدواسر وعـ ة والمرة :

ومن القبائل أيضا التي ترتاد صحراء الكويت، واستقر كثير منها فيها قبيلة عـ ة، والسهول، والدواسر، والمرة، وعدوان وغيرهم من القبائل العربية الـتي كانـت

---

[232] مرآة جزيرة العرب 319/2 .

[233] عنوان الـد في تاريخ نجد للمؤرخ ابن بشر 2/ 50 .

[234] دليل الخليج الجغرافي 225/1 .

[235] عنوان الـد في تاريخ نجد 104/1 .

[236] عنوان الـد في تاريخ نجد 141/1 .

تجوب الصحراء شمالا وجنوبا، وشرقا وغربا، فقد كان مع مبـارك الصـباح في معركة الصريف سنة 1900م - عندما خرج من الكويت بترتيب بريطاني لحـرب ابن رشيد في حايل - من القبائل كل من:

1 ـ من مطير : علوى وشيخهم سلطان الدويش، والصعران وشيخهم نايف بن بصيص، والجبلان وشيخهم صاهود بن لامي.

2 ـ والعوازم وشيخهم مبارك بن دريع.

3 ـ والعجمان وشيخهم محمد بن حثلين.

4 ـ وعريب دار.

5 ـ والمنتفق وشيخهم سعدون السعدون.

6 ـ والمرة.

7 ـ والهواجر وشيخهم ابن شافي.

8 ـ والظفير وشيخهم ابن سويط.

9 ـ وقحطان وشيخهم حشر بن وريك.

10 ـ والرشايدة .

11 ـ والسهول.

12 ـ وسبيع.

13 ـ وعتيبة.

14 ـ والرولة من ع ة.[237]

---

[237] تاريخ الكويت للرشيد 161، وتاريخ الكويت السياسي لخزعل 48/2 .

ملحوظة : المقصود من ذكر هذه المعلومات هو إثبات طبيعة التمع القبلي آنذاك، وليس إثبات أو نفي صحة ما تذكره بعض المصادر من معلومات عن القبائل وشيوخها أو معاركهم التي يقع الاختلاف فيها!

وكل هذه الأدلة التاريخية تؤكد طبيعة سكان المنطقة القبلية، حيث تمثل القبائل العربية العنصر الرئيس للسكان فيها قبل قيام الدول الحديثة، وهي المؤثر الرئيس في تاريخ المنطقة وأحداثها، والمؤثر في حدودها السياسية، كما تؤكد أن القبيلة والمدينة كانتا جزءا من وطن واحد ودولة واحدة وشعب واحد، قبل التقسيم البريطاني للمنطقة، وليس كما تشيعه الثقافة الوطنية الزائفة التي تصور المدينة وسكا ا كدولة وشعب ووطن، بينما تصور القبائل العربية عنصرا دخيلا على أرضها، حيث تم اختزال أرضها ووجودها وتاريخها وهويتها في المدينة وتاريخها، وتم اختزال تاريخ المدينة بتاريخ الأسر الحاكمة، لتعيش القبائل العربية في الجزيرة أزمة هوية لتبرير ميشهم ومصادرة حقوقهم السياسية على أرضهم التي تم تقسيمها بين ست دويلات، ومن أجل ترسيخ مشروع السيطرة والتجزئة البريطانية للجزيرة العربية، وفرض التبعية لمشيخات المدن التي تحالفت مع الاستعمار البريطاني!

لقد خسرت القبيلة العربية أرضها ونفوذها ومكانتها التي كانت تتمتع ا طوال التاريخ الجاهلي والإسلامي على اختلاف عصوره، لا لصالح دولة حديثة، ووطن حديث، ولا لتصبح جزءا من شعب حديث، يتمتع أفراده بكامل حقوق المواطنة، بل خسرت كل ذلك لتعيش تبعية مطلقة لمشيخات الموانئ التي لم يكن نفوذها يتجاوز أسوار مد ا، وليتم إخضاعها بالحديد والنار - كما سيأتي بيانه - للمشروع الاستعماري البريطاني وحلفائه، ولتفقد القبيلة العربية - وهي المكون الرئيسي للمجتمع في الجزيرة والخليج العربي - حريتها وكرامتها وأرضها ونفوذها ومكانتها، وليتحول أفرادها إلى غرباء وهنود حمر ومواطنين من الدرجة الثالثة في عصر دويلات الطوائف الصليبية!

إن ما ذكره لوريمر في دليل الخليج العربي منذ سنة 1905م عن أماكن وجود القبائل وتوزيعها الجغرافي في الكويت لازال قائما إلى اليوم حيث توجد قبائل الظفير وشمر والمنتفق وع ة ومطير شمالا في محافظة الجهراء، بينما توجد قبائل العجمان والهواجر والمرة والعوازم جنوبا في محافظة الأحمدي، وتوجد قبائل مطير والرشايدة في الوسط، ويوجد العوازم في المناطق الداخلية على الساحل، وهذا التوزيع الجغرافي المطابق لما ذكرته كل المصادر التاريخية يؤكد بطلان كل

النظريات التي يروجها سدنة المشروع الوطني القطري البريطاني حـول التغـيير الديمغرافي لسكان الكويت وغزو البدو لها بعد استخراج النفط!

بينما الحقيقة هي تجاوز الكويت المدينة لحدود أسوارها، بعد المعاهدة البريطانية، لتضم أراضي القبائل العربية الممتدة في صحرائها منذ وجد العـرب في جزيـرة العرب، لتبدأ إشكالية الكويت (المدينة)، والكويت (الدولة)!

لقد استتبع هذه الأخطاء التاريخية أن قامت العلاقة بين الدولة والمـواطن - في دول الخليج العربي التي أوجدها الاستعمار البريطـاني - علـى أسـاس التبعيـة والرعوية لا على أساس المواطنة، وصار موضوع الجنسية اليوم أحد أهـم أدوات السيطرة السياسية وإخضاع الشعوب كلها في دول الخلـيج العـربي، فالأسـر الحاكمة هي من تمنح الجنسية وتسحبها، كأثر من آثار ضمان بريطانيا لحلفائهـا توريث الحكم في ذريتهم وضمان حق منح امتياز النفط لهم، دون حاجة للرجوع إلى شعوب وسكان المنطقة، وما زال العرب في جزيـرة م يـدفعون ثمـن تلـك المعاهدات البريطانية إلى اليوم، وما زال التـاريخ يـؤثر في الواقـع والحاضـر السياسي، فالشعوب الخليجية العربية ضيوف ثقلاء على الأسـر الحاكمـة الـتي تكرمهم في أرضهم، وتتكرم عليهم من أموالهم بمكرما ا الملكية، لتتجلى أخطـر صور أزمة الهوية في الخليج والجزيرة العربية..

(عبيد بلا أغلال)

(10)

الحرية وأزمة الهوية

في الخليج والجزيرة العربية

(الاحتلال البريطاني الأول للرياض والسيطرة على نجد والإحساء سنة 1870م)

بقلم د0 حاكم المطيري

Ommah 2000@yahoo.com

لقد كان أول اختراق بريطاني للجزيرة العربية هو ذلك الدعم الذي لقيه سعود بن فيصل بن تركي آل سعود من حكومة الهند البريطانية ليستولي على الرياض، وقد واكب افتتاح قناة السويس - الذي زاد من أهمية البحرين وساحل عمان - صراع بين عبدالله بن فيصل بن تركي، وأخيه سعود بن فيصل على الحكم في الرياض، وبلغ الصراع ذروته سنة 1870م وقد(كان أكثر من صراع بين شخصين، كان صراعا بين عقليتين، سكان الحضر وأهل البادية، بين المتطرفين الوهابيين، وبين المعتدلين الذين يرفضون تعاليمها، وكان كل من الأخوين يمثل إحدى الفئتين) على حد قول جون كيلي[238].

وهذا هو رأي كيلي إلا أن الحقيقة هو أن الصراع كان بسبب خروج سعود المدعوم بريطانيا، على أخيه عبد الله الذي كان قائمقاما عثمانيا.

وقد كانت بريطانيا وراء هذه الفتنة بين عبدالله وسعود للسيطرة على نجد كما جاء في مذكرات والي بغداد مدحت باشا حيث قال:(كان عبدالله الفيصل معتدلا لم يعاكس الدولة العلية - الخلافة العثمانية - أما سعود فكان يسعى لاستلام الإمارة، ولذا فإنه توجه إلى الهند للاستعانة بالإنجليز، وألب العشائر وحثهم على

---

[238] بريطانيا والخليج لجون كيلي 581/2 .

شق عصا الطاعة في وجه أخيه، وبعد حروب طويلة انتصر عليه، وكان الإنجليز يعاونون الأمير سعود بالمال والعدة، وكانت البلاد القريبة من نجد قد دخلت تحت حمايتهم، وإذا حكم الأمير سعود النجديين أدخل البلاد تحت حماية انجلترا وصارت صاحبة الطول والحول في العراق)[239].

ولم يدرك علماء الوهابية في نجد آنذاك طبيعة الصراع الدائر بين الأخوين عبد الله وسعود، ولم يدركوا أبعاد تدخل الإنجليز لصالح سعود، ولهذا صدرت الفتاوى بتجريم عبد الله لأنه استعان بالدولة العثمانية، وحكم بعضهم بردته، وأوجبوا السمع والطاعة لأخيه سعود المدعوم بريطانيا!

فقد جاء في فتوى عبد اللطيف آل الشيخ (وقد عرفتم حالنا في أول هذه الفتنة، وفيها الجزم بإمامة عبد الله ولزوم بيعته، والتصريح بأن راية أخيه راية جاهلية عمية، فلما صدر من عبد الله ما صدر من جلب الدولة - أي العثمانية - إلى البلاد الإسلامية والجزيرة العربية، وإعطائهم الحسا والقطيف والخط، تبرأنا مما تبرأ الله منه ورسوله...وقد تغلب سعود على جميع البلاد النجدية، وبايعه الجمهور، وسموه باسم الإمامة .. وقد نزل العدو - أي عبد الله وجيوش الدولة العثمانية التي جاءت لنصرته - بأطرافكم، واستخف الشيطان أكثر الناس وزين لهم الموالاة واللحاق بالمشركين، وإسناد أمر الرئاسة لهم، وأ م ولاة أمر يعزلون ويولون، وينصرون وينصبون...وقد أجمع المسلمون على جهاد عدوهم مع الإمام سعود)[240].

وهذا يفيد أن شيوخ الدعوة الوهابية الثانية في نجد لم يكن لديهم علم بأنه منذ قيام الإمارة السعودية الثانية كانت تابعة للخلافة العثمانية، بترتيب مصري مع تركي بن عبد الله، ثم ولده فيصل بن تركي، ثم عبد الله بن فيصل!

[239] مذكرات مدحت باشا 240 .وانظر إلى حدة ذكاء الوالي العثماني! فما كان يخشاه مدحت باشا من سقوط نجد تحت النفوذ البريطاني تحقق بعد ثلاثين سنة من توقعاته!

[240] مجموعة الرسائل النجدية 3/170- 174 .

كما لم يكن لديهم علم بأن سعود بن فيصل كان مدعوما من حكومة الهند البريطانية، ففي الوقت الذي وقفوا ضد عبد الله لأنه جاء بالترك، لم يعلموا بأن أخاه سعودا قد جاء بالإنجليز!

إن تبعية الإمارة الوهابية الأولى نفسها للخلافة العثمانية أمر مؤكد بمراسلات الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه لشريف مكة وتأكيده السمع والطاعة له، كما إن تبعية تركي ثم ابنه فيصل ثم عبد الله الذين كانوا يرسلون الزكاة للأستانة أمر معلوم، كما جاءفي رسالة الشريف عون شريف مكة للبريطانيين (أعرفكم بخصوص فيصل بن تركي بن سعود، بأن هذا من رعايا السلطان العثماني، وغير خاف عليكم أن هناك بعض القلاع التي تخصه في عمان، وهو يدفع لخزينة السلطان 17000ريال، وأملي فيكم أن لا تتخذوا ضده أي إجراء).[241]

وكيف يتم إرسال الزكاة من الرياض للأستانة دون أن يشتهر الخبر ويعلم الجميع به، فلا تفسير لفتوى الشيخ عبد اللطيف إلا أ ا صدرت تحت ضغط الواقع السياسي، بعد أن استولى سعود على السلطة في الرياض!

وقد أرسل والي بغداد إلى الباب العالي في الأستانة(اسطنبول) رسالة بتاريخ 12شوال سنة 1283هـ - 1866م، يخبر فيها بأنه أرسل موظفا من ولاية الحجاز إلى قائمقام نجد عبد الله بن فيصل بن تركي التابع لولاية بغداد، للحصول على الرسوم السنوية، إلا أن الموظف لم يستطع الوصول بسبب انعدام الأمن بسبب الصراع بين الأخوين عبد الله وسعود، وتفيد الرسالة بأن عبد الله بن فيصل سبق أن طلب من والي الحجاز بعد وفاة والده فيصل سنة 1865م أن يعين قائمقام نجد، وقد بعث الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) بالسيرة الذاتية الكاملة لعبد الله بن فيصل للسلطان العثماني، وأن أمرا سلطانيا قد صدر من الأستانة بجعل عبد الله قائمقاما مكان أبيه في نجد، وتم إبلاغه به في شهر محرم 1284 - 1866م، كما تم إبلاغه بأن يتحلى بالحكمة في معالجة مشاكل الإقليم، حيث أن الدولة العثمانية تواجه مخاطر خارجية تقتضي الهدوء والاستقرار الداخلي، كما

---

[241] بريطانيا والخليج لجون كيلي 686/1 .

تأمره بالتعاون مع والي الحجاز لمواجهة قائمقامية عسير متى ما قررت الدولة العثمانية ذلك[242].

وقد بعث عبد الله بن فيصل سنة 1866م إلى والي بغداد نامق باشا يطلب نجدته لمواجهة تمرد أخيه سعود، فتردد نامق باشا في مساعدته، ثم أرسل عبد الله مرة ثانية يطلب المساعدة من الوالي الجديد أحمد مدحت باشا، الذي أعد تقريرا للأستانة يشرح فيه خلفيات الصراع بين الأخوين، ويؤكد فيه طلب سعود من إمام مسقط المدعوم من الإنجليز مساعدته، وكذا تدخل بريطانيا عن طريق شيخ البحرين لتقديم الدعم لسعود ليصل إلى السلطة، وقد حذر مدحت باشا من خطورة نجاح بريطانيا في مخططها بدعم سعود، إذا سيفتح الطريق لها للتدخل في شئون المنطقة، وأكد مدحت باشا بمذكرة ثانية كتبها للصدر الأعظم بناء على تقرير وصله من قائمقام الكويت عبد الله الصباح يؤكد فيه أن سعودا وإمام مسقط قد أعدا قوة أكبر من قوة عبد الله بن فيصل بدعم بريطاني، حيث صاحبها قيام ست قطع بحرية بريطانية بالتجوال في سواحل الأحساء[243].

وقد أكد مدحت باشا في مذكراته التي أرسلها للأستانة بأن المخطط البريطاني يهدف بعد السيطرة على عمان ثم البحرين السيطرة على الأحساء وفصلها عن نجد على يد سعود، ثم السيطرة على الكويت، لتكتمل السيطرة البريطانية على سواحل الخليج العربي[244].

كما جاء في برقية مرسلة من ولاية بغداد إلى الأستانة في 21 ذي القعدة سنة 1286هـ ـ 1869م تأكيد تدخل بريطانيا في عمان وهيمنتها عليها، وخلعها لشيخي البحرين محمد بن خليفة ومحمد بن عبد الله بعد رفضهما التبعية لبريطانيا، ونفيهما إلى بومبي، وتنصيب عيسى بن علي بن خليفة شيخا للبحرين، وتدخل

[242] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص 20 من وثائق الأرشيف العثماني.

[243] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص 22 من وثائق الأرشيف العثماني.

[244] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص 22 من وثائق الأرشيف العثماني.

بريطانيا لدعم سعود بن فيصل في صراعه مع أخيه عبد الله لبسط نفوذ بريطانيا على نجد كلها[245].

وقد جاء في تقرير مكتوب بتاريخ 28 ذي الحجة سنة 1286هـ ـ 1869م، موجه من مدحت باشا والي بغداد إلى الصدر الأعظم في اسطنبول:(إن عدم حيوية الوجود العثماني في البحر أتاح المال للنفوذ البريطاني المدعوم من حكومة الهند البريطانية، وإحاطتهم بالجزيرة العربية من عدن مرورا بمسقط التي يحاولون إلحاقها الآن بعدن، وعملهم في ترسيخ نفوذهم في البحرين والنفوذ منها إلى داخل الجزيرة العربية، كما أتاح لفارس التي لا تملك مقومات القدرة والقوة أن تنفذ إلى البحرين وتدعي أحقية مزعومة في إدارة شئو ا، ولن يفيد الهيمنة العثمانية إلا الأسطول البحري الحربي).[246]

وقد استفسر الصدر الأعظم في اسطنبول عن طبيعة الدعم البريطاني لسعود بن فيصل الذي نجح في السيطرة على الأحساء ثم الرياض، فأجابه مدحت باشا بأن الدعم البريطاني السري يشمل الأموال والأسلحة.[247]

وقد صدرت التعليمات من الباب العالي في اسطنبول إلى والي بغداد بأنه (يجب عدم السماح لانفصال البحرين ومسقط بأي صورة من الصور عن المنطقة - الجزيرة العربية - التي ينظر إليها بوصفها منطقة حيوية للدولة العثمانية، لاسيما أن شيخ البحرين كان ملتزما بدفع الضرائب لأمير نجد، أي التابع للدولة العثمانية)[248].

[245] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص 50 من وثائق الأرشيف العثماني.

[246] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص 25 من وثائق الأرشيف العثماني.

[247] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص 30 من وثائق الأرشيف العثماني.

[248] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص 32 من وثائق الأرشيف العثماني.

وقد راسل سعود بن فيصل - بعد أن وصله خبر تحركات الدولة العثمانية - المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي، يطلعه على الوضع العام، فوعده المقيم البريطاني بعرض الموضوع على حكومته[249].

الحملة العثمانية لحماية الخليج والجزيرة العربية سنة 1871م:

لقد كان عبدالله بن فيصل- كما يقول كيلي - يمثل التيار المحافظ، بينما سعود يمثل التيار المتحرر، وقد نجح سعود بدعم حكومة الهند البريطانية في انتزاع الحكم من أخيه عبد الله- بعد أن كسب ولاء القبائل التي بايعته في الإحساء، وسار ا إلى الرياض، وكان الدعم البريطاني يتواصل إليه من البحرين - وفر عبدالله إلى والي بغداد مدحت باشا ليساعده في استرجاع السلطة، وكتب مدحت باشا إلى اسطنبول التي وافقت على تجهيز جيش لمساعدة عبدالله لكونه قائمقاما وواليا على نجد من قبل الخليفة العثماني، وقد حاولت بريطانيا التدخل لمنع الحملة العسكرية على نجد خشية ديد النفوذ البحري البريطاني في الخليج العربي، خاصة وأن بين الدولة العثمانية وبريطانيا تحالفا وصداقة وثيقة، وقد أكد مدحت باشا في رده على التخوف البريطانيبأنه لا مصلحة للباب العالي في دعم عبدالله المعروف بوهابيته الشديدة، وأنه كان يفضل دعم سعود لتحرره من تعاليم الوهابية غير أن الإجراءات تقتضي الوقوف مع عبدالله لكونه قائممقام نجد بشكل رسمي، وأن الحملة العسكرية ستكون داخل الجزيرة العربية وفي نجد التي لا نزاع على كو ا تحت السيادة العثمانية، وليس هناك أطماع بحرية، وأن استخدام موانئ الإحساء كان بسبب قر ا من مسرح العمليات ولا بد من استخدامها، وقد تحركت القوات العثمانية من البصرة إلى الإحساء بحرا في إبريل سنة 1871م، كما تم نقل مؤن الجيش العثماني بسفن الكويت، التي كانت نقطة تجمع القبائل للتوجه برا نحو الإحساء، (وتوجه مع الجنود جماعة من أهالي الكويت التابعين لولاية البصرة كمتطوعين للإعانة على نقل مرافق الجيش ومؤنه) كما جاء في مذكراتوالي بغداد مدحت باشا[250].

---

[249] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص 35 .

[250] مذكرات مدحت باشا 243 .

وقد صار إقليم الأحساء ونجد كله تابعا لولاية بغداد ثم لولاية البصرة كما سيأتي بيانه.

وقد طلب حلفاء بريطانيا سعود بن فيصل وعيسى بن خليفة من المقيم السياسي البريطاني التدخل للحيلولة دون استخدام الدولة العثمانية للبحر في حر ا هذه، غير أن وزير الشؤون الخارجية لحكومة الهند البريطانية أدرك أن حججه القانونية في التدخل ضعيفة، إذ أن أي تدخل بريطاني يعد غزوا لأرض أجنبية تحت سيادة الدولة العثمانية، كما أن المعاهدات التي عقد ا بريطانيا مع قبائل الساحل محدودة جدا، إذ هي فقط لمنع الاعتداءات البحرية بين القبائل بعضها على بعض، وأنه لا يمكن أن تخضع الإجراءات البريطانية في البحر للسياسات العربية في البر(إذ أن ذلك يجر بريطانيا إلى المشاكل الداخلية للقبائل العربية الذين قد لا نعرفهم ولا نتفهم ظروفهم)، وهذا اعتراف بريطاني بعدم وجود دويلات أو إمارات في المنطقة إلى سنة 1871م بل قبائل تابعة للخلافة العثمانية.

وهكذا نجحت الخلافة العثمانية من بسط نفوذها على الجزيرة العربية مرة أخرى، والتأكيد على حقها في بسط سياد ا على أقاليمها التابعة لها، وقد حاول السفير البريطاني في الأستانة الاستفسار من رئيس الوزراء العثماني عن أهداف الحملة، فرد عليه بأن تركيا دولة مستقلة لها الحق في ممارسة شؤو ا كما تشاء، وأنه لا شك في تبعية عبدالله بن فيصل للخلافة العثمانية، فقد تم تعيينه بمرسوم وفرمان سلطاني، كقائممقام في نجد، التي هي جزء لا يتجزأ من أقاليم الدولة العثمانية، وأن للخليفة العثماني حق فرض سلطته، باعتباره خليفة المسلمين، ولا يمكن أن يسمح للقبائل وصغار الزعماء بتهديد مكة، والمدينة، وأمن الدولة العثمانية، أما بالنسبة للكويت التي اتخذها الجيش العثماني نقطة انطلاق فقد أدرك البريطانيون أنه لا يحق لهم اتخاذ أي إجراء بخصوصها، ولا التدخل في موضوعها، لأ ا بلا شك - كما يقول كيلي - ضمن المناطق الخاضعة للسيادة العثمانية، إذ أن والي بغداد قد اعترف بعبدالله بن صباح كقائممقام في الكويت بفرمان سلطاني، تم تسليمه بشكل رسمي إلى عبدالله في يناير 1867م[251].

---

[251]بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/582- 597 ، ومذكرات مدحت باشا 240- 243، وسياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج 213- 217 .

وعندما سيطرت الدولة العثمانية على الساحل الشرقي من الخليج العربي، لم تكن الكويت قد وجدت بعد، ثم بعد أن ظهرت كميناء صغير لم تكن ذات أهمية، وقد كانت تدفع الزكاة لوالي بغداد، العثماني في العشرينات من القرن الثامن عشر.[252]

وهكذا ثبت صحة ما توصل إليه الخبراء القانونيون البريطانيون آنذاك من أن الوجود البريطاني في الخليج إنما يقوم على أسس اعتبارية لا قانونية، كالسراب يصور الماء حيث لا ماء، فهو على أحسن الفروض غزو بحري، وأن المعاهدات مع شيوخ قبائل الساحل هي لكف الاعتداءات فيما بين الموقعين على المعاهدات فقط، ولا حماية بريطانية لهم تجاه الدول الأخرى، وأن الحملة العثمانية إنما هي حملة لدولة تريد دفع تمرد على أراض تدعيها، فلا يمكن والحال هذه أن تتدخل بريطانيا في الموضوع[253].

وقد صدرت تعليمات من والي بغداد مدحت باشا إلى قائد الحملة نافذ باشا تحدد مهمة الحملة، وتؤكد وجوب تطمين الأهالي في الإقليم وعدم التعرض لأحد منهم، ووجوب نشر العدل بينهم، ومعاملتهم بالشفقة، وعدم التعدي عليهم، وشراء احتياجات الجنود، وعدم قبول الهدايا منهم، وتعيين قضاة في الأحساء، والقصيم، والرياض، من علماء أهل كل بلد، من أتباع المذهب الحنبلي، وجعل عبد الله بن فيصل متصرف على لواء يضم هذه الأقاليم، فإن خيف منه، فيترك قائمقاما على الرياض فقط، ويجعل على البلدان الأخرى قائمقاميات.[254]

وقد استعان الجيش العثماني بقبيلة ع ة والمنتفق والظفير، كما وقفت قبيلة العجمان مع سعود بن فيصل، ووقف أكثر أهل نجد مع أخيه عبد الله، وقد استنجد قاسم بن ثاني بقبيلة بني هاجر للقدوم للبدع للوقوف مع الحملة العثمانية، كما راسل شيخ قبيلة النعيم راشد بن جبر، وكذا كتب برسالة إلى عبد الرحمن بن أحمد الأشقر من شيوخ آل مرة، يشرح لهما تطور ما جرى من أحداث

---

[252] بريطانيا والخليج لجون كيلي 1/ 58- 59 .

[253] سياسة الأمن 214- 215 .

[254] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص 61- 65 من وثائق الأرشيف العثماني.

في قطر، وقد أرسل عبد الله بن فيصل برسالة يؤكد فيها سيطرته ثانية على الوضع في نجد، ودخول الجميع في طاعة السلطان والخليفة عبد العزيز العثماني (وأن نجد وتوابعها تعد الآن من أخلص المخلصين للسلطان وكافة سكا ا مطيعون له)[255].

وقد تحركت القوات العثمانية ووصلت إلى الكويت في مايو سنة 1870م، فاستقبلت استقبالا حافلا من الأهالي، وقد خرج قائمقام الكويت عبد الله الصباح بثمانين مركبا في خدمة الجيش العثماني، وخرج معها من البر مبارك الصباح مع قوات من فرسان قبيلة ع ة بقيادة عبد المحسن الهذال، وقبيلة المنتفق بقيادة منصور السعدون، وقد تأخر وصول مبارك للأحساء واعتذر بقيام قبيلة مطير التي ما زالت تؤيد سعود بقطع الطريق على قواته، مما اضطره إلى العودة إلى الكويت لاصطحاب مزيدا من القوة، كما قطعت قبيلة مطير الطريق على ابن هذال ومن معه من ع ة وأخذت خيلهم وجمالهم.[256]

وبعد سيطرة الجيش العثماني على الدمام والقطيف وإطلاق سراح محمد بن فيصل بن سعود الذي سجنه أخوه سعود في قلعة الدمام، فر عبد العزيز بن سعود بن فيصل وعبد الله بن ثنيان بن سعود إلى قطر ثم إلى البحرين، وأخبر عبد العزيز بأن والده سعود في الصبيحية - قرب الكويت - تتوافد عليه القبائل السبع الرئيسية في نجد لمناصرته، وقد راسل أهل البحرين نافذ باشا يؤكدون له تبعيتهم للدولة العثمانية، وخشيتهم من عيسى بن خليفة، وقد أرسل عبد الله الصباح رسائله إلى شيخ البحرين، وإلى قاسم بن ثاني، وناصر بن مبارك للقدوم على نافذ باشا وتقديم فروض الطاعة، حتى لا يفقدوا مكانتهم وسلطتهم.[257]

وقد نزل الجيش العثماني بالإحساء في إبريل سنة 1871م، وسيطر عليها، وقام قائد الفرقة حافظ باشا بقراءة البيان على أهل القطيف وقال فيه:

---

[255] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص 66- 69 من وثائق الأرشيف العثماني.

[256] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص 72 نقلا من وثائق الأرشيف العثماني وجريدة الزوراء البغدادية.

[257] الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص 77- 81 من وثائق الأرشيف العثماني.

(إن نجد وملحقا ا كلها جزء من الخلافة العثمانية، كالعراق، واليمن، ومصر، وبما أن سعود قد أطاح بالحكم، وبالقائممقام الشرعي الأمير عبدالله، فقد اضطرت الحكومة العثمانية إرسال هذه الحملة).

ثم توجه الجيش العثماني، وعبدالله بن فيصل مع قواته إلى الرياض، وتعرضوا لخسائر في المواجهة مع قوات سعود من القبائل، وقد أبدى سعود استعداده ليصبح قائممقاما عثمانيا، وأن يدفع الزكاة للباب العالي، وقد نجح الجيش العثماني في توسيع سيطرته على الساحل إلى قطر، وتم رفع العلم العثماني عليها، بعد أن أرسل القائد العثماني نافذ باشا عبدالله الصباح، ليطلب من محمد بن ثاني رفع العلم العثماني، وقد أكد مدحت باشا للبريطانيين - بعد أن استفسروا عن هذه الخطوة - أنه لا يوجد ما يمنع من أن تكون قطرفي نطاق تحرك الحملة، وقد بدأت السفن العثمانية العسكرية تجوب البحر في المنطقة ما بين المكلا، وحضرموت، والبصرة.[258]

وقد طلب والي بغداد مدحت باشا من الصدر الأعظم تكريم عبد الله بن صباح وأخويه محمد ومبارك على خدمتهما في الحملة العسكرية، وتم منحهما نياشين عثمانية.[259]

وقد قام والي بغداد مدحت باشا بعد ذلك، في أغسطس سنة 1871م، بتحديد مناطق توابع نجد، فذكر عشر مناطق منها البحرين، والشارقة، وأبوظبي، ودبي، مما أثار القلق في أوساط حكومة الهند البريطانية في بومبي، وقد كتب المسئولون فيها للحاكم العام رسالة كما يلي: (إن أمير الرياض يستلم الزكاة السنوية من مسقط، كما أنه لا يكف عن المطالبة بالسيادة على البحرين، وساحل قطر، وأبوظبي، وإذا قدر لعبدالله بن فيصل أن يسترد نجد بمساعدة القوات التركية في نجد، فلا شك بأنه سيعود لفرض سيطرته على هذه المناطق، وسيصبح تدخل الأتراك في شئون القبائل الساحلية في هذه المناطق أمرا نافذا)، وقد اعترفت

---

[258]بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/600-606، ومذكرات مدحت باشا 246-249، وسياسة الأمن 218-221.

[259]الحملة العسكرية العثمانية على الأحساء ص 83 من وثائق الأرشيف العثماني.

حكومة الهند بأ ا عاجزة عن مقاومة المد العثماني، كما اعترفت بأن تلك المناطق كانت تدفع الزكاة لنجد، ولا يهم بريطانيا ما يحدث على البر مادامت لا تأثر على سياد ا في البحر.[260]

وقد تم وضع الإحساء تحت السيادة العثمانية المباشرة، كما تم تعيين جاسم بن ثاني قائمقاما عثمانيا على قطر، وبعد عدة أشهر ثار أهل الرياض على سعود بقيادة عمه عبدالله بن تركي، وفر سعود من الرياض، وأرسل عبدالله رسالة إلى نافذ باشا، وإلى ابن أخيه عبدالله بن فيصل، الذي عينه نافذ باشا واليا على نجد حتى يصل إليها عبدالله، وأرسل إليه بالعتاد والمؤن، كما تم إرسال قوات عثمانية إلى قطر للمرابطة فيها لحفظ الأمن والاستقرار، وقد استمر الصراع في الرياض بين عبدالله بن فيصل وأخيه سعود مدة دون حسم، ورأى نافذ باشا أن آل سعود لم يعودوا صالحين لحكم الرياض، بعد أن ضج الناس من صراعهم على السلطة، واضطربت أوضاع نجد، وقد سلم فريق باشا سنة 1873م إقليم الإحساء إلى براك بن عريعر شيخ بني خالد، ووضع فرقة جندرمة للدفاع عن نجد والإحساء في شرق الجزيرة العربية، كما تم في الوقت نفسه إتمام السيطرة العثمانية على مناطق عسير، ولحج، والجهة الغربية من الجزيرة العربية.[261]

وقد حاولت بريطانيا الاعتراض على هذه الحملة أيضا، فكان رد السفير العثماني في لندن صريحا وواضحا، حيث أكد:(بأنه لا حق للحكومة البريطانية في التدخل بين السلطان ورعاياه، في شبه الجزيرة العربية بما في ذلك لحج، وبأن اليمن وغيرها من المناطق في شبه الجزيرة العربية تخضع للخلافة العثمانية منذ قرون بحكم فتح الأتراك لها، وبحكم سياد ا الشرعية عليها، وبأنه من البديهي أن مسألة شبه الجزيرة العربية قضية حساسة باعتبارها جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي، وأن هذه المنطقة وحكامها بلا استثناء متفقون على حق الخلفاء العثمانيين بحكم هذه المنطقة).[262]

---

[260] بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/602- 603، وسياسة الأمن 218- 219 .

[261] بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/612- 623 .

[262] بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/646- 647 .

وفي سنة 1874م قدم بعض آل خليفة المنفيين عن البحرين عريضة للخليفة العثماني يؤكدون الولاء له، ويطالبونه برد حقوقهم التي انتهكتها السلطات البريطانية، حيث صادرت ممتلكا م، وأ ا نفت حاكم البحرين السابق محمد بن خليفة، وحاكم الدمام محمد بن عبدالله إلى الهند[263].

وفي شهر أغسطس 8 سنة 1874م أفرج والي بغداد عن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي، الذي كان قد احتجز في بغداد منذ سنة 1872م، كضمان لحسن سير أخيه سعود في الرياض، وبعد خروجه اتصل بقبائل الإحساء من العجمان والمرة التي كانت على الاستعداد للثورة على ابن عريعر، وقد قام عبدالرحمن ومعه تلك القبائل بالهجوم على الهفوف، فأصدر الوالي في بغداد رديف باشا أمره إلى ناصر السعدون متصرف لواء البصرة وشيخ المنتفق باتخاذ الإجراء اللازم للقضاء على التمرد، فقام بإعداد جيش كبير، وتحرك من ميناء البصرة للإحساء، وفر عبدالرحمن - الذي كان هدفه أن يتم تعيينه واليا على الإحساء بدلا من ابن عريعر- وتوجه إلى الرياض بعد أن تخلت عنه القبائل، وعين ناصر السعدون ابنه على الإحساء[264].

وقد قام الشيخ ناصر السعدون عام 1875م، بإعادة صرح بناء الإدارة العثمانية في المنطقة، وعاد إلى البصرة، وتكونت ولاية البصرة التي ضمت إليها الإحساء، وأصبح أول حاكم لهذه الولاية المستحدثة، التي تمتد من البصرة إلى الإحساء، مرورا بالكويت، وأصبحت المنطقة تابعة تبعية كاملة للدولة العثمانية[265].

وقد أكدت الدولة العثمانية سياد ا على المنطقة، وعلى حقها في استخدام الخليج العربي وموانئه، لبسط سيطر ا على داخل الجزيرة العربية، دون أن تستطيع بريطانيا الحيلولة دون ذلك.

---

[263]بريطانيا والخليج لجون كيلي 649/2 .

[264]بريطانيا والخليج لجون كيلي 653/2- 654 .

[265]سياسة الأمن 229 .

وقد خشيت بريطانيا أن تكون هناك أيضا خطة للهجوم بعد ذلك على البحرين، فحذر السفير البريطاني في اسطنبول من خطورة الإقدام على ذلك، مؤكدا في الوقت ذاته أنه ليس لبريطانيا سيادة على البحرين، إلا أ ا مصممة على حمايتها بموجب المعاهدة التي بين الطرفين سنة 1861م، خاصة أن البحرين يفصلها عن الجزيرة العربية البحر الذي تحرص بريطانيا على تأمين مصالحها فيه.[266]

لقد نجحت الدولة العثمانية في إحكام سيطر ا على الجزيرة العربية وحمايتها من جديد، وسمحت لرجلها القوي في شمال نجد ابن رشيد أمير حايل بالسيطرة على الرياض، وضبط الأوضاع فيها، بعد صراع آل سعود فيما بينهم، وتم تحقيق ذلك، وبذلك فشلت بريطانيا في اختراق نجد بدعمها لسعود بن فيصل عن طريق مسقط والبحرين ليحتل الرياض، وأحبطت الدولة العثمانية ووالي بغداد مدحت باشا هذه المؤامرة، غير أن بريطانيا ستعيد الكرة مرة أخرى بعد ثلاثين سنة، ليس عن طريق مسقط والبحرين، بل عن طريق الكويت البوابة الرئيسية لنجد!

[266] بريطانيا والخليج لجون كيلي 2/655- 656 .

(عبيد بلا أغلال)

(11)

(الاحتلال البريطاني الثاني للرياض والسيطرة على نجد والإحساء سنة 1900م)

يمكن القول بأن خريطة الشرق الأوسط اليوم، والعالم العربي على وجه الخصوص، هي من الألف إلى الياء خريطة غربيةاستعماريةصليبية، لم يكن لشعوب المنطقة كبير أثر في رسمها على هذا النحو، وكما يقول ديفيد فرومكين عن هذه الفترة التي تم فيها خلق هذا المسخ من الكيانات المصطنعة:(لقد كان عصرا اصطنعت فيه بلدان الشرق الأوسط وحدوده في أوربا، فالعراق والأردن، هما اختراعان بريطانيان، والخطوط رسمت على خارطة بيضاء من قبل سياسيين بريطانيين بعد الحرب العالمية الأولى، بينما أنشئت حدود المملكة العربية السعوديةوالكويتوالعراق، من قبل موظف مدني بريطاني عام 1922م، ورسمت فرنسا الحدود بين المسلمين والمسيحيين في سوريا ولبنان، وقد اعتقدت دول أوربا آنذاك أن باستطاعتها تغيير آسيا الإسلامية في صميم أساسيات وجودها السياسي، فاستحدثت نظام دول مصطنعة في الشرق الأوسط، مما جعل منه منطقة لبلدان لم تصبح أمما حتى يومنا هذا، لقد اقترح الروس الشيوعية بدل الدين كأساس للحياة السياسية في الشرق الأوسط، وفعل مثلهم البريطانيون فاقترحوا القومية أو الولاء للأسر الحاكمة عوضا عن الدين، ويبدوا أن عام 1922م كان نقطة اللاعودة من حيث وضع مختلف العشائر في الشرق الأوسط على طرقها المؤدية للتصادم)[267].

وهذا أدق تحليل وأصحه عن جذور الأزمة التي تعاني منها المنطقة منذ سقوط الخلافة العثمانية إلى اليوم، وهي أمم لم تصبح أمة بعد، ولم تقم فيها دولة تعبر عن هويتها القومية أو الحضارية أو الدينية، ولهذا تم استحداث الولاء للأسر المتحالفة مع الاستعمار!

---

[267] ولادة الشرق الأوسط 15- 17.

وكما يقول المؤرخ السياسي الفرنسي جان جاك بيربي في كتابه(جزيرة العرب):

(بسبب الخلافات القبلية والعائلية والطائفية التي استشرت مـن جـراء ضـعف الامبراطورية العثمانية وانحلالها وجدت الجزيرة العربية في القرن العشرين نفسها مقسمة إلى عدة كيانات سياسية متنافرة ومتنافسة، ومنطق الحقائق الاقتصـادية الذي لا يقاوم الكامن في اكتشاف البترول شجع ال عة الاستقلالية الانفصـالية كما تشهد بذلك الكويت)[268].

وقد صارت المنطقة كلها تحت النفوذ البريطاني المباشر الذي كانـت لـه اليـد الطولى ـ كما يقول جان بيربي ـ في تقسيمها وتحديد حدودها فيما بينها حيـث كانت تخضع للحماية البريطانية بموجب معاهدات (تخولها الإشراف التـام علـى سياستها وعلاقا ا الخارجية والامتيازات البترولية وهذا الوضع الممتاز لبريطانيـا كان ابن سعود قد اعترف به رسميا في المادة السادسة من معاهـدة جـدة سـنة 1927م، ومن وجهة تاريخية كانت إقامة أول مقيم بريطـاني في مسـقط أحـد الأسباب التي أتاحت للحكومة البريطانية أن تستأثر بـالنفوذ في هـذه المنطقـة الحساسة من العالم هذه السيطرة البريطانية المطلقة على الخليج العربي التي مضـى عليها ما يقارب القرن)[269].

لقد كانت بريطانيا ومنذ دخولها للمنطقة، وسيطر ا على الخليج العربي، وتوقيعها لمعاهدات الحماية مع مشيخات الموانئ الساحلية، وهي تتطلع إلى قلب الجزيـرة العربية، وتخطط للسيطرة على الإحساء ونجد من خلال الوصول إلى الرياض، وقد أدركت الدولة العثمانية خطورة الوضع، ونجحت في قطع الطريق على بريطانيا في المرة الأولى سنة 1870م، إلا أ ا فشلت في المرة الثانية سنة 1900م!

لقد عملت بريطانيا على يئة الوضع لدخول المنطقة، واحتلالها عسكريا بشـكل مباشر، وكانت تلجأ في البداية إلى دعوى حفظ الأمن والاستقرار في المناطق التي تريد أن تدخلها، ثم لا تلبث أن تحتلها بعد ذلك، كما هو شأ ا مع (مصر الـتي

---

[268] جزيرة العرب لجان جاك بيربي ص 24 .

[269] المصدر السابق 232.

كانت من وجهة رسمية لا تزال جزء من الإمبراطورية العثمانية، حتى احتلتها بريطانيا، معلنة أن هدفها هو إعادة النظام ثم تغادر البلد، ولكن بريطانيا بقيت فيه بدلا من أن تغادره)[270].

وكما قال مدحت باشا والي بغداد العثماني (كان سياح الإنجليز يكثرون التردد على نجد ويكتبون عنها المقالات الطويلة، ومن عوائد الإنجليز التقرب من أمراء العرب واستمالتهم، وترك بلادهم على حالها وحمايتهم باسم الإنسانية، وابتلاع البلاد بعد تدريب أهلها على الخضوع للعلم الإنجليزي، ومخادعة الأهالي تارة بالمال وطورا بالهدايا، جرى الإنجليز على هذا النحو في بلاد مسقط والمكلا وعمان وحضرموت والبحرين ووضعوا كل هذه البلاد تحت حمايتهم بهذه الطريقة، وكان مشايخ تلك القبائل يديرون بلادهم كما شاءوا وشاءت أهواؤهم، ولكن القول الفصل في الأمور الهامة فيها للإنجليز)[271].

وقد نجحت بريطانيا في تحقيق مشروعها في الجزيرة العربية، في مدة ربع قرن، وذلك من خلال ما يلي:

أولا:إقامة (دويلات) ساحلية تقع تحت الحماية البريطانية، يمكن من خلالها انطلاق الحملة العسكرية بريا نحو الداخل، وهو ما ظلت بريطانيا تطمح إليه عقودا طويلة، إذ لم يكن لها أي وجود عسكري في الجزيرة العربية سوى ميناء عدن على مساحة سبعين ميلا مربعا، ولما كان الوضع على النحو المذكور آنفا من عدم وجود دولة أو شبه دولة يمكن الاتفاق معها بشكل رسمي، بدأت في العمل على خلق وإيجاد كيانات مصطنعة مع القبائل الساحلية، ووقعت معها اتفاقيات غير رسمية، لتضمن من خلالها حقوقها بعد احتلالها للمنطقة وتقاسمها، كما طرحته بريطانيا في مؤتمر برلين سنة 1880م.

لقد نجحت بريطانيا – كما يقول د. حسن الإبراهيم – في إنشاء دول كبيرة وصغيرة في العالم العربي بصورة اصطناعية، في نهاية الحرب العالمية الأولى، كنتيجة

---

[270] ولادة الشرق الأوسط 92 .

[271] مذكرات والي بغداد مدحت باشا 240 وما ذكره مدحت باشا قبل أكثر من مائة سنة ما زال قائمة إلى اليوم غير أنه جاء بعد الإنجليز إخوانهم الأمريكان!

لتفكك الإمبراطورية العثمانية، وتقاسم العالم العربي من قبل الدول الغربية، وقد نجحت القوى الغربية الاستعمارية في تشجيع الفرقة العربية، وتشجيع المصالح المحلية لجميع الفئات، فقاعدة (فرق تسد) واحدة من أهم خصائص الحكم البريطاني في العالم العربي، لقد كان العالم العربي وحدة واحدة، وأمة واحدة، وإلى أن تفككت الدولة العثمانية، في بداية القرن العشرين، كان يشار إلى العالم العربي ككل على أنه الإقليم العربي في الدولة العثمانية[272].

لقد كانت خطة حكومة الهند البريطانية تؤكد (إن ما نريده ليس شبه الجزيرة العربية موحدة، بل نريدها مقسمة ضعيفة، ممزقة إلى إمارات صغيرة خاضعة إلى أقصى ما يمكن لسيطرتنا، وعاجزة عن القيام بعمل منسق ضدنا).[273]

وقد أدرك المسئولون البريطانيون في مصر الهاجس الذي تعيشه حكومة الهند البريطانية التي تشرف على شئون جزيرة العرب الشرقية، فكتب كلايتون رسالة إلى وينغنيت قال فيها: (إن الهند البريطانية مسكونة اجس الخوف من دولة عربية موحدة، وهذه الدولة لن تظهر إلى الوجود ما لم تبلغ الحماقة بنا حد خلقها)[274].

ثانيا: توقيع اتفاقيات مع تلك (الكيانات) الدويلات العشائرية، تمنعها من التجارة بالسلاح واستيراده، لمحاصرة الخليج والجزيرة العربية حصارا عسكريا، ولمنع شعو ا من الحصول على الأسلحة التي قد يقاومو ا ا، وقد كانت لها تجار ا المريرة مع القبائل المسلحة، وكذا للحيلولة دون وصول السلاح للمسلمين في الهند - درة التاج البريطاني - وأفغانستان، التي كانت تشهد اضطرابات ضد الاحتلال البريطاني، فقد اكتشفت حكومة الهند البريطانية أثناء الحرب الأفغانية سنة 1879- 1880م أن كميات كبيرة من الأسلحة تأتي إلى موانئ الخليج العربي، حيث يتم تصديرها بعد ذلك برا إلى داخل إيران وأفغانستان، فأصدرت أوامرها لبومبي بمراقبة حظر تصدير الأسلحة بكميات كبيرة لموانئ الخليج العربي،

---

[272] الكويت للإبراهيم 25- 26 .

[273] ولادة الشرق الأوسط 117 .

[274] ولادة الشرق الأوسط 117 .

وقد نجحت بريطانيا بعد الضغط على شاه إيران في استصدار أمرا سـنة 1881م يحرم دخول السلاح إلى إيران، إلا بأمر وإذن خاص من حكومة الشـاه، وبحـق الحكومة في مصادرة أي سلاح، كما نجحت بريطانيا في جعل سلطان مسقط يصدر أمرا في مارس سنة 1891م يحظر فيه استيراد أو تصدير الأسلحة من ميناء جوادر التابع له على البر الفارسي، و ذا أحكمت قبضتها على المنطقـة الممتـدة مـن سواحل الخليج إلى الهند[275].

وفي سنة 1897م شهدت مناطق شمال غربي الهند ثـورات قبائليـة، ووجـدت بريطانيا أن أكثر الأسلحة تأتي من موانئ الخليج العربي، كما أن كثرة الأسلحة في يد القبائل في الخليج العربي يشكل خطرا على الوجود البريطاني، فطلبت بريطانيا من سلطان مسقط إصدار إعلان في يناير سنة 1898م بمنع التجارة في الأسـلحة وتوريدها من مسقط وموانئ عمان، إلى الهند وإيران، وبحق السفن البريطانيـة في تفتش السفن العمانية للتأكد من العمل بالإعلان، وحقها في مصادرة الأسلحة.

كما أمرت بريطانيا في إبريل سنة 1898م شيخ البحرين بالإعلان عن منع توريد وتصدير الأسلحة والذخيرة والاتجار فيها منعا باتا، وحـق بريطانيـا في تفتـيش السفن ومصادرة الأسلحة.

وفي مايو سنة 1900م أمرت بريطانيا مبارك الصـباح بإصـدار إعـلان مماثـل فاستجاب لها، غير أنه لم يتم نشره لكون الكويت لم تزل تحت السيادة العثمانيـة بشكل رسمي.

وفي نوفمبر سنة 1902م طلبت بريطانيا من شيوخ قبائل ساحل عمان المهـادن توقيع اتفاقيات يلتزمون بموجبها بالمنع من ذلك.

ولم يبق من مناطق وموانئ الخليج سوى قطر، حيث مـا زالـت تحـت السـيادة العثمانية مما حدا بريطانيا إلى التفاهم مع الدولة العثمانيـة للسـماح للسـفن البريطانية بتفتيش السفن القطرية التي ترفع العلم العثماني، غـير إن اسـطنبول

---

[275] سياسة الأمن 83- 84 .

اشترطت أن يكون لها حق مماثل بتفتيش السـفن البريطانيـة، ومـن ثم صـرفت بريطانيا النظر عن موضوع قطر.

وفي مارس سنة 1904م درست بريطانيا إمكانية منع مسقط من تصدير الأسلحة والذخيرة أو الاتجار ا مع موانئ البحرين، والكويت، وساحل عمان المهادن، ولم ينفذ الاقتراح لكون الكويت تحت السيادة العثمانية، ولأ ا أيضا هـي المصـدر الرئيسي للسلاح الذي يصل لعبد العزيز بن سعود من جهة بريطانيـا، وكانـت لندن قد طلبت بتاريخ 24يونيو سنة 1904م أن لا يحظر السلاح عن ابن سعود المناوئ لابن رشيد المساند للدولة العثمانية كما جاء في الوثائق البريطانية[276].

وفي سبتمبر سنة 1909م بدأت حكومة الهند البريطانية تزيد مـن تشـديدها في فرض الحصار على المنطقة حيث جاء في وثائقها :

(إن هذه الأسلحة تزيد من مصاعبنا لو اقتضت الظروف أن نتدخل في أفغانستان لضرب أي ثورة ا لإسكات حاكمها إذا جاهرنا العداء، وأشد ما نخشى أن تصل هذه الأسلحة إلى أيدي الثوار بالهند ..ونرى أن الحصار الناجح سـيوقف هـذه التجارة عند مسقط)[277].

وفي فبراير سنة 1910م - أي قبل الحرب العالمية الأولى بأربع سنوات - طلبت حكومة الهند البريطانية من مبارك الصباح الإعـلان عـن اتفاقيـة منـع تجـارة الأسلحة، بعد أن نشطت هذه التجارة في ميناء الكويت، وقد تعهد لها بـالالتزام بما في المعاهدة[278].

وبعد أن سيطر ابن سعود على الإحساء والموانئ التي فيه سنة 1913م، وأخلاه من القوات العثمانية، لم تعد بريطانيا في حاجة إلى ميناء الكويـت لـدعم ابـن

---

[276]سياسة الأمن لحكومة الهند 88- 92، ودليل لوريمر التاريخي 3770/6 - 3776. وهذا يؤكد صحة ما ذكره ابن بسام في تاريخه بخصوص الاتفاق بين ابن سعود وبريطانيا لاحتلال الأحساء سنة 1911م.

[277]سياسة الأمن 94 .

[278]سياسة الأمن 95 .

سعود، إذ أصبح الدعم البريطاني له يأتي مباشرة إلى موانئ الإحساء وبدأت تشدد الحصار على ميناء الكويت.

وفي نوفمبر سنة 1916م أكملت بريطانيا سيطرتها على الخليج العربي ومحاصرتها له وذلك باتفاقها مع قطر على منع دخول السلاح منها وإليها[279].

وكل هذا الحظر لدخول الأسلحة للمنطقة تم بعد مؤتمر برلين سنة 1880م الذي قررت فيه أوربا الصليبية احتلال العالم الإسلامي وتقاسم أقاليم الخلافة العثمانية، وهو الأسلوب الذي ما تزال تمارسه الدول الغربية مع العالم الإسلامي حيث يتم فرض الحصار على أي بلد يخشى منه أن يشكل قوة عسكرية في المنطقة ليسهل بعد ذلك احتلاله!

ثالثا: الانطلاق في اختراق وسط الجزيرة العربية الذي ظل اختراقها والسيطرة عليها حلما يراود الحملات الصليبيةالبرتغاليةوالهولنديةالتي عجزت عن تحقيق هذا الحلم قرونا طويلة حيث تتحطم حملاتهم على أطرافها، وعلى أطراف أقاليم الدولة الإسلامية الأخرى، التي تحول دون وصولهم إلى الجزيرة والحرمين الشريفين!

لقد نجحت بريطانيا بعد ذلك في اتخاذ الكويت نقطة انطلاق لحملتها العسكرية على العراق شمالا، وعلى نجد غربا، واعتمدت على دعم ابن سعود في شرق الجزيرة، وعلى دعم الشريف حسين في غربها، وتم لها ذلك وفق المخطط الآتي :

1- توقيع معاهدة الحماية السرية مع الكويت:

حيث تم توقيع معاهدة سرية بين مبارك وحكومة الهند البريطانية في يناير سنة 1899م، والتي كانت أول اتفاقية بين الكويت وبلد آخر، والتي أصبحت الكويت بموجبها تحت الحماية البريطانية، تلك الحماية التي كانت تقوم على أساس حكم البلد من خلال المستشارين البريطانيين، الذين كانوا يوجهون سياسة البلدان التي تحت سلطتهم بكل براعة وذكاء، باستخدام صيغة الرجاء والإشارة

---

[279] المصدر السابق 103 .

بدل صيغة الأمر المباشر، لتصدر القرارات بعد ذلك باســم المســئولين في تلــك البلد، لا باسم الحكومة البريطانية[280].

وبعد أن التزم مبارك بالتبعية الكاملة للسياسة التي تشير ا عليه بريطانيا خاصة في شئونه الخارجية، بدأت بريطانيا فورا بالنظر إلى نجد قلب الجزيــرة العربيــة، ولقد (مكنت هذه الاتفاقية بريطانيا ليس من التدخل في شئون الكويت فحسب، بل وفي شئون نجد والعراق أيضا).[281]

ووجدت بريطانيا الفرصة مناسبة من خلال عبد الرحمن بن فيصل، الــذي ســبق لبريطانيا أن دعمت أخاه سعود ليحتل الرياض، وقد كان عبد الرحمن قد لجأ إلى الكويت، بعد سيطرة ابن رشيد على الرياض.

وقد كانت الدولة العثمانية تجري مخصصا ا المالية على ابن سعود، وعلى والده عبد الرحمن بن سعود، وأسرته التي كانت لاجئة قبل ذلك في الكويت[282].

لقد كان وجود عبد الرحمن بن فيصل وأسرته في الكويت بناء على موافقة من الدولة العثمانية كواحد من رعاياها، فبعد خروجه من الرياض سنة 1891م توجه إلى الأحساء، ثم إلى الكويت حيث رفض شيخها آنذاك استقباله لكونه قائمقاما عثمانيا، فلجأ إلى قبيلة العجمان وآل مرة، ثم وافقت الدولة العثمانية على قدومه إلى الكويت مع أسرته، وتم تخصيص مرتبات مالية له ولأسرته وهي 60 ليرة شهريا، ولبث في الكويت نحو تسع سنين حتى عاد إلى الرياض[283].

وقد كان عبد الرحمن على اتصال بالمقيم البريطاني في أبو شهر بإيران، حيث كتب عبد الرحمن بن سعود إلى المقيم السياسي البريطاني في (بوشهر) يخبره فيه بخروجه

---

[280] ولادة الشرق الأوسط 94 .

[281] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 34 .

[282] تاريخ الكويت لخزعل 178/2 .

[283] عبد العزيز وبريطانيا ص 28 .

من الكويت إلى الرياض، ويرجو من بريطانيا أن تضع نظرها عليه، وأن تشمله بعطفها ولطفها.[284]

كما كتب عبد الرحمن بن سعود سنة 1902م، كتابا إلى نقيب الأشراف في البصرة رجب النقيب، عند خروجه من الكويت إلى الرياض، يشرح فيه أسباب ما جرى، ويؤكد فيه تبعيته للدولة العثمانية، وجاء فيه:

(ونحن خدام محسوبون على الدولة العلية، ولم نلتج إلى أحد إلا إلى الله تعالى، ثم إلى ظل عدالة أمير المؤمنين، أدام الله مجده، ونحن في كل الأحوال نؤدي الخدمات لحضرة أمير المؤمنين، باذلين الجد والاجتهاد فيما يحصل به رضاه، منقادين إلى أوامر الدولة العلية، فنرجو من مراحم وتفضلات حضرة أمير المؤمنين حلول أنظاره علينا، ورفع تعديات ابن رشيد، وإجراء ما تفضل به من المعاش).[285]

لقد جاءت معاهدة الحماية البريطانية مع الكويت - وفي ظل وجود عبد الـرحمن وولده عبد العزيز فيها - لتفتح الطريق أمام بريطانيا للسيطرة على نجد، فبعـد هذه المعاهدة مباشرة سيخرج من الكويت شاب على رأس قوة كـبيرة ليحتـل الرياض، ويسانده جيش جرار يبلغ عشرة آلاف مقاتل من كل القبائل سـيخرج من الكويت وسيتوجه إلى حايل ليشغلها عن الرياض، وذلك بتوجيـه وتخطـيط وتمويل مادي وعسكري بريطاني وجنود عرب لتنفيذ المشروع الذي طالما طمحت إليه بريطانيا!

لقد ظل اهتمام بريطانيا في وسط الجزيرة ضعيفا بسبب صعوبة الوصـول إليـه، ولكن بعد عودة ابن سعود إلى نجد سنة 1900م، تغير الموقف البريطاني، وتزايـد اهتمامها بالمنطقة نظرا إلى تحالف مبارك مع ابن سعود[286].

لقد تم سنة 1900م الإعداد لتنفيذ المشروع البريطاني عن طريق مبارك الصباح، الذي زاره المقيم البريطاني في الخليج العربي واجتمع به، وأرسل إلى حكومة الهند

---

[284] المصدرين السابقين.

[285] تاريخ الكويت لخزعل 179/2 ، وتاريخ الكويت للرشيد ص 179 .

[286] لوريمر دليل الخليج القسم التاريخي 1717/3 .

البريطانية رسالة فيها(إن الشيخ مبارك يعرف جيدا ما هو فاعل، فلا يحتمل أن يتخذ في عملياته الحالية أية خطورة قد تؤدي به إلى نزاع مع سلطات البصرة)[287].

فقد كانت بريطانيا تسير بحذر في طريقها لتنفيذ مخططها، ففي الوقت الذي كانت تهدف إلى السيطرة على الخليج والجزيرة العربية، كانت تحاذر من اكتشاف الدولة العثمانية لخطتها، فتبادر للتخلص من مبارك، أو الهجوم على الكويت قبل أن تثبت بريطانيا أقدامها في المنطقة، وتفشل خطتها كما فشلت أول مرة، وقد اطمأنت بريطانيا إلى قدرة مبارك على تنفيذ خطتها دون أن يثير الخلافة العثمانية، التي كان يظهر لها مبارك في الوقت نفسه الخضوع والتبعية، وقد بدأت بريطانيا أول خطواتها بعد توقيع المعاهدة سنة 1899م، بتجهيز جيش سنة 1900م، من القبائل الحليفة لمبارك - وهي أول مرة في تاريخ مدينة الكويت يكون لها تطلع يتجاوز حدود أسوارها - وقد تشكل هذا الجيش الذي بلغ تعداده عشرة آلاف مقاتل من قبيلة مطير، والعجمان، والمنتفق - وغيرهم من القبائل - بالإضافة إلى ثمانمائة من مدينة الكويت مع مبارك الصباح، وبضع مئات من أهل نجد مع ابن سعود[288].

لقد كان الهدف من إعداد هذا الجيش هو إشغال ابن رشيد في حائل عن الرياض، ليقوم ابن سعود - الذي تم تزويده من بريطانيا بكل ما يحتاجه من مال وعتاد وقوات عن طريق مبارك - بالتوجه إلى الرياض التي كانت تحت حكم ابن رشيد التابع للدولة العثمانية، وقد نجح ابن رشيد في هزيمة هذا الجيش في معركة الصريف الشهيرة في مارس سنة 1901م، وبعد هزيمة مبارك ومن معه، ترك أرض المعركة ومعه سلطان الدويش، وكان سلطان في خيمة مبارك حين وقعت الهزيمة، ولحق بهم السعدون وتوجهوا إلى الزلفي ورفض أهلها دخولهم خوفا من ابن

---

[287] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 51 .

[288] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 53 .

رشيد، فتوجهوا إلى الصمان حيث قبيلة مطير، ومـن هنـاك توجـه مبـارك إلى الكويت[289].

2- احتلال الرياض :

ومع أن مبارك الصباح وعبد الرحمن بن سعود قد هزما في معركة الصريف، غـير أن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن سعود نجح مع قواته بعـد ذلـك في احـتلال الرياض، وقد أدرك الباب العالي أبعاد المخطط البريطاني، وأن حـرب الصـريف واحتلال الرياض هو تنفيذ لمشروع بريطانيا الذي تم مناقشته في مؤتمر برلين سنة 1880م، والذي يقضي بضرورة تقسيم الدولة العثمانية بـين الـدول الغربيـة الاستعمارية، فبادرت الخلافة العثمانية بدعم ابن رشيد الذي تقدم بجيوشه نحـو الكويت، غير أن بريطانيا تدخلت للحيلولة دون احتلال ابن رشيد للكويت، كما أعدت سفينة لنقل مبارك الصباح على متنها إذا سقطت المدينة، وقـد خففـت الدولة العثمانية من حدة التوتر، وضغطت على ابن رشيد ليتراجع عن هجومـه على الكويت، وقد تراجع غير أنه حاصرها حصارا بريا، وبسـط نفـوذه علـى صحراء الكويت، وقطع الطرق التجارية بينها وبين نجد، مما أثر علـى وضـعها الاقتصادي تأثيرا كبيرا، حيث أصبحت الطرق التي تربطها بنجد والعراق تحـت رحمة ابن رشيد وسيطرته، وقد أغارت قوات ابن رشيد علـى القبائـل المواليـة لمبارك، وكانت على آبار الصبيحية، ونشب بينها وبين قوات ابن رشـيد قتـال شديد، كما جاء في رسالة مبارك إلى المقيم السياسي البريطاني[290].

وقد تعهدت بريطانيا لمبارك إذا ظل داخل مدينة الكويت وخليجها بحمايته مـن أي اعتداء يشنه ابن رشيد، كما تقضي بذلك معاهدة الحماية التي تقصر حمايتـها على المدينة دون ما وراءها[291].

---

[289] تاريخ الكويت السياسي 48/2 .

[290] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 55و62و81 .

[291] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 82 .

وقد دفع ديد ابن رشيد وحصاره المتواصل مبارك وابن سعود للتوسل للبـاب العالي، والتأكيد على تبعيتهما للخلافة العثمانية، والخضـوع لسـياد ا، وقـد وافقت الدولة العثمانية على تعيين ابن سعود كقائممقام لنجد، وصـدر بـذلك فرمان من الباب العالي سنة 1904م.

وبعد دخول ابن سعود الرياض، تتابع له المدد المالي والعسـكري مـن مبـارك الصباح - الذي كانت كل شؤونه الخارجية تحت إشراف بريطانيا كما تنص عليه المعاهدة - وقد كان نجاح ابن سعود في احتلال الرياض مسـتحيلا دون ضـمان بريطانيا للوضع في الكويت، ودون الدعم المطلق منها له، وقد تتابعـت قوافـل الإمدادات التموينية والعسكرية من الكويت إلى الرياض، لدعم صمود ابن سعود في الرياض، أمام الحصار الذي حاول فرضه ابن رشيد عليها[292].

فقد كان مبارك الصباح كما يقول مؤرخ الكويت (ركن ابن سـعود الأعظـم، الذي عليه يعتمد، يبعث إليه الإمدادات بسخاء، ويخرج إليه الحملات الواحـدة تلو الأخرى، ويرسم له الخطط الحربية، وهو في مدينته)[293].

وهو ما لا يمكن أن يقوم به مبارك تحت الحماية البريطانية إلا بترتيب بريطاني!

وقد بات ابن رشيد على قناعة تامة بأن هناك خطة بريطانية كويتيـة سـعودية مشتركة في كل ما يدور من أحداث، ولا قبل له وحده في مواجهتها، وقد طلب دعما من الدولة العثمانية، كما أكد لها بأن بريطانيا تدعم ابن سعود بالأسلحة، غير أن ابن سعود بادر فأرسل إلى والي البصرة يقر له بالتبعية للخليفة العثماني، مما جعل الباب العالي يتحفظ على طلب ابن رشيد ويدعوه للهدوء[294].

3- تحطيم قوة حائل تمهيدا لاحتلالها :

---

[292] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 77 و80 .

[293] تاريخ الكويت للرشيد 175.وكل ذلك كان بتمويل ودعم مالي وعسكري بريطاني.

[294] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 78-79، ودليل الخليج للوريمر القسم التاريخي 1703/3.

وفي مارس سنة 1903م وبعد اجتماع بين المبعوث البريطاني الكـابتن هـاملتون ومبارك دار الحديث فيه عن ابن رشيد وخطره، وضرورة مواجهته بعد ضـعفه، فتوجه ابن سعود بجيش من الرياض إلى الكويت، ثم خرجت قوات مشتركة مـن الكويت بقيادة جابر بن مبارك وابن سعود تقدر بعشرة آلاف مقاتل، لشن هجوم على عماش الدويش الذي كان حليفا لحائل وابن رشيد، فوقعت معركة جو لـبن في الصمان على مسيرة يومين من الكويت، بين ابن صباح وابن سعود ومن معهم من القبائل من جهة، وعماش الدويش ومن معه من قبيلة مطير من جهة أخـرى، وقد باغتت القوات المشتركة الدويش الذي قتل في تلك المعركة، وغنمت خمسـة آلاف من الإبل، وقد كتب مبارك بتفاصيل الحادثة إلى المقيم البريطـاني بتـاريخ 1903/4/14م، ويخبره فيها زيمة قبيلة مطير، وقتل عماش الدويش، وغنيمـة مواشيهم، كما كتب القنصل البريطـاني في البصـرة إلى السـفير البريطـاني في اسطنبول يخبره بالحادثة[295].

لقد كان الهدف واضحا من هذه الحملة العسكرية الكبيرة - التي بلغت عشـرة آلاف مقاتل - فقد كان عماش الدويش ومن معه من مطير حلفاء لحائل وابـن رشيد، في الوقت الذي كان ابن عمه سلطان الدويش ومن معه مـن مطـير مـع مبارك في حرب الصريف، وقد قال لوريمر (شيخ القبيلة الأكبر حاليـا - سـنة 1904 - هو الشيخ سلطان بن الحميدي الدويش، ويبلغ الستين من العمر، وقد رفض بنو عبد الله الخضوع لسلطانه لفترة طويلة، وخاصمه الصهبة لمـدة خمسـة عشر عاما، ولذلك فسلطته غير مطلقة، ويبدو أنه ليس الشيخ الرئيسي لقبيلـة مطير، بل هو شيخ علوه، ويترأس بريه نايف بن هذال بن بصيص من الصـعران، ويبلغ من العمر خمس وأربعين سنة...وفي عام 1878م كانت علاقة قبيلة مطـير مع ابن رشيد ودية، ولم يكونوا تابعين لابن رشيد، وفي الصراع الذي نشب بـين حائل والوهابيين، انضم رجال مطير إلى الرياض وشاطروها النصر النهائي، وهناك علاقة مصاهرة بين الكويت وقبيلة مطير)[296].

---

[295] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 86- 93، وتاريخ الكويت للرشيد 181، وخزعل 179/2.

[296] دليل الخليج العربي القسم الجغرافي 1632/4.

وقال لوريمر أيضا عن الانقسام السياسي داخل قبيلة مطير مما جعلها تنقسـم إلى قسمين بين حائل والرياض :(ينتمي للقبيلة بطنان أصيلان فقط هما علوى وبريه، وقد أضيف إليهما قريبا بطن ثالث رئيسي وهو بني عبد الله، ومن المحتمل أنه قد تفرع من بريه، وأثناء الصراع الأخير للسيطرة على أواسط الجزيرة العربية، أيد بنو عبد الله ابن رشيد، بينما وقفت أغلبية القبيلة مع ابن سعود، وقـد اسـتمر التباعد بينهما حتى تمت هزيمة ابن رشيد ائيا، فعاد بنو عبد الله إلى هيكل القبيلة العام)[297].

فقد كانت الحملة على عماش الدويش تمهيدا لكسر شوكة ابن رشيد، حيث يمثل وجود حلفاء له في الصمان مصدر خطر على الكويت والرياض معا، كما كـان عماش أغنى شيوخ البادية في عصره لكثرة ما يملكه من الإبل، وفي أخذها مصدر تمويل مهم لما يحتاجه مبارك وابن سعود في حملا ما العسكرية لتنفيـذ المشـروع البريطاني في الصحراء!

لقد كان موقع أراضي قبيلة مطير الاستراتيجي كحاجز بـين الكويـت وحائـل والرياض سببا رئيسا في حرص كل طرف على كسبها لصـفه في معركتـه مـع خصومه، وكان وقوفها ضد ابن رشيد في النهاية عنصر حسم للصراع الذي دام نحو ربع قرن بين الدولة العثمانية وبريطانيا من خلال صراع حائـل والريـاض والكويت.

وفي شهر 7 /1903م قام مبارك بدعم ابن سعود بقوات وأسلحة وذخيرة، ليحتل القصيم التي كانت تتبع ابن رشيد، وقد كان كل الـدعم المـادي والعسـكري البريطاني الذي كان يصل ابن سعود في الفترة ما بين 1900م إلى 1904م، إنمـا كان يصل عن طريق الكويت[298].

وكلما تحرك ابن رشيد باتجاه الكويت بادرت بريطانيا بالضـغط علـى الدولـة العثمانية، لوقف تقدمه بدعوى ضرورة المحافظة على الوضع القـائم، والحيلولـة

---

[297] دليل الخليج العربي القسم الجغرافي 1627/4.

[298] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 94، ولوريمر التاريخي 3607/6 .

دون حدوث اضطرابات في المنطقة، بينما لا تتخذ بريطانيا أي إجراء ضد مبارك الصباح حينما يتحرك - بإيعاز منها - للهجوم على ابن رشيد، أو حين يـدعم ابن سعود بالقوات والعتاد[299].

وهو ما يؤكد أن بريطانيا مع تظاهرها بالحرص على عدم حدوث أي اضطرابات في الجزيرة العربية، كانت في الوقت نفسه تعمل على تعزيز وضعها بدعم حلفائها مبارك الصباح وابن سعود، وكانت حكومة الهند البريطانية تـدعمهما بشـكل مطلق، في الوقت الذي كانت حكومة لندن تخشى استثارة الدولة العثمانية قبـل تغلغلها في المنطقة بشكل يسمح لها بالحركة في الوقت المناسب حين تبدأ المواجهة مع الدولة العثمانية.

وقد كتبت حكومة الهند البريطانية إلى لندن برقية تتضمن وجهة نظرها بضـرورة استمرار الدعم لمبارك الصباح - الذي بات تحت تأثير المقيم البريطاني - وعـدم فرض حصار على توريد الأسلحة من الهند إلى الكويت من أجل تفوق حليفها ابن سعود على ابن رشيد، وأن الإخلال في هذا الدعم سيضـر بمكانـة بريطانيـا في المنطقة، وقد يتعرض مبارك إلى هجوم على أراضي الكويت غير المحددة الحدود مع الداخل، كما أكدت حكومة الهند أن الدولة الوهابية الجديدة دولة إقليمية غـير متعصبة، وأن وجودها أقل سوء من عودة النفوذ العثماني إلى نجد[300].

كما أكد الوكيل السياسي البريطاني في الكويت في رسالة إلى المقيم البريطـاني في الخليج بتاريخ 1904/9/3م بأن الاحتمال بعيد جدا في أن يستطيع ابن سـعود تثبيت وضعه دون مساعدة خارجية، مما يعني سقوطه في وقت قصير، ولن يجد إلا حليفه مبارك الذي سيلجأ إليه في كل مشكلة، حيث يرسل مبارك دعما أسبوعيا من الأسلحة والذخيرة والمؤن إلى الرياض[301].

---

[299]العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 93و95 .

[300]العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 98، ولوريمر القسم التاريخي 1719/3 .

[301]العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون ص 100 .

وعندما شددت بريطانيا في سنة 1904م على موانئ الخليج العربي حصارها ومراقبتها البحرية، لمنع تصدير الأسلحة والذخيرة، أو استيرادهما، استثنت ميناء الكويت، من أجل وصول الأسلحة لعبد العزيز بن سعود الذي بدأ يحقق نجاحا في وسط نجد.

وقد أرسل مبارك إلى ابن سعود في سنة 1906م بثلاثة آلاف بندقية، تقدر قيمتها بمائة وخمسين ألف دولار[302].

4- المشروع البريطاني للسيطرة على الأحساء :

وفي سنة 1906م طلب ابن سعود بشكل سري من المقيم السياسي البريطاني في البحرين مرارا وبإلحاح شديد توقيع معاهدة حماية مع بريطانيا (وأنه يود أن يرتبط بالحكومة البريطانية باتفاقيات كتلك التي ارتبط ا شيوخ ساحل عمان المتصالحة، وأن يقيم في بلاطه مسئولا سياسيا بريطانيا) مع ضمان بريطانيا حمايته بحريا عند احتلاله للإحساء[303].

ولم تستجب بريطانيا لطلبه حينها، حيث أن الظروف التي كانت تمر ا آنذاك لم تكن مناسبة، إذ كانت تدرك خطورة استثارة الدولة العثمانية في الإقدام على مثل هذه الخطوة، واكتفت بالدعم العسكري والمالي له عن طريق مبارك الصباح، الذي كان في هذه الفترة يشرف على تحركات ابن سعود ويوجهها، كما تقتضيه السياسة البريطانية.

وفي يناير سنة 1907م حاول مبارك الصباح تشكيل حلف يضم كلا من فيصل الدويش شيخ قبيلة مطير، ونايف بن هذال شيخ قبيلة ع ة، ومحمد أبا الخيل أمير مدينة بريدة، وقد انضم إليهم سلطان بن حمود الرشيد أمير حائل الجديد، الذي حاول الاتصال بالبريطانيين مرارا بعد أن قطعت عنه الدولة العثمانية المساعدات، ولم تعترف به خلفا لمتعب الرشيد[304].

---

[302] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 118، ولوريمر القسم التاريخي 1343/4 .

[303] لوريمر التاريخي 1721/3 .

[304] لوريمر القسم التاريخي 1743/3 .

وقد كان هذا التحالف الذي شكله مبارك بإيعاز بريطاني، بعد أن أصـبح ابـن رشيد أقرب للبريطانيين منه للعثمانيين، و ذا نجحت بريطانيا عن طريق مبارك من الوصول في نفوذها إلى وسط نجد، وهذا ما توقع حدوثه قبل ثلاثين سنة مـدحت باشا والي بغداد سنة1870م لاتصال الكويت بنجد وقر ا منها.[305]

[305]مذكرات مدحت باشا 239 .

(عبيد بلا أغلال)

(12)

(الاحتلال البريطاني للإحساء سنة 1913م)

وكما نجحت بريطانيا في تشكيل تحالف قبلي يضم عشرة آلاف مقاتل، ينطلق من الكويت لاحتلال الرياض وجنوب نجد، فقد شكلت تحالفا قبائليا يضم عشرة آلاف مقاتل، ينطلق من الكويت لاحتلال البصرة والعراق شمالا، وهو ما تنبأ به مدحت باشا والي بغداد سنة 1870م، فقد استكمل المشروع البريطاني قبيل الحرب العالمية تهيئة المشهد السياسي على الأرض، فبعد معاهدات الحماية مع مشيخات موانئ الخليج، وبعد فرض الحصار البحري لمنع دخول السلاح للمنطقة، وبعد احتلال الرياض، جاءت الخطوة التالية!

4- اختراق جبهة البصرة - حائل:

ففي شهري فبراير ومارس سنة 1910م، نجح مبارك الصباح - بتخطيط وإشراف ودعم بريطاني - في تشكيل تحالف قبائلي آخر ضم نحو عشرة آلاف مقاتل من قبائل مطير، والعجمان، والعوازم، وبني هاجر، والمرة، وبني خالد، وعتيبة، وقحطان، وسبيع، بالإضافة إلى ابن سعود ومعه أربعمائة رجل، وتحرك الجيش من الجهراء شمالا، بقيادة جابر بن مبارك، متوجها نحو سعدون المنصور شيخ المنتفق بالبصرة، ومعه شيوخ قبيلة الظفير، وقد وقعت المواجهة بين الطرفين، ونجح سعدون في هزيمة هذا التحالف القبائلي في معركة هدية، وقد أرسل سعدون بيرق ابن سعود الذي كان ضمن غنائم المعركة إلى حليفه سعود الرشيد في حائل[306].

---

[306] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 125و133 ، وتاريخ الكويت للرشيد 185، وخزعل 2/227- 231 .

وقد جاء وصف لهذه المعركة في مقتطفات يومية وكالة الكويت السياسـية رقـم 12 عن الأسبوع الثالث من مارس 1910 حيث ورد فيها (في الصباح المبكر من ذلك اليوم شنت القوات المشتركة هجوما على المنتفـق الـذين تراجعـوا دون خسارة كبيرة، وبعد ذلك بقليل شن سعدون هجوما مضادا قويا علـى الجنـاح الأيمن المكون من عريب دار الكويت وبدو مطير، ولم يقم رجال الكويت بصورة ظاهرة للصمود، إذ لاذ الشيخ جابر وأتباعه بالفرار، تاركين بيرق ابـن صـباح ونصف ركائبهم بأيدي الأعداء، وفي نفس الوقت كان ابن سعود يسنده العجمان في الجناح الأيسر مشتبكين مع بعض قوة سعدون ..).[307]

ويلاحظ وصف (القوات المشتركة) وهو مصطلح جديد غير معهـود آنـذاك إلا لدى الجيوش الأوربية الاستعمارية!

لقد كان هدف الحملة واضحا، وهو تحطيم قوة السعدون الحليف الاسـتراتيجي لسعود بن رشيد أمير حائل، حيث يشكل تحالفهما (المنتفق في البصرة – وشمر في حائل) جبهة شمالية عثمانية، مناوئة لمبارك وابن سعود ومن ورائهما بريطانيا، التي كانت تحركهما وتدعمهما بكل ما يحتاجانه، من أجل تمهيد الطريق لمـد نفوذهـا على العراق شمالا ونجد غربا وجنوبا، ولا توجد أي قوة يمكن لها أن تعيق مخططها سوى قبيلة المنتفق القوية بقيادة السعدون في البصرة شمالا، وقبيلة شمـر القويـة بقيادة ابن رشيد في حائل غربا، وكلاهما حليـف اسـتراتيجي وتـابع للدولـة العثمانية التي بدأت تتهاوى، خاصة بعد خلع السلطان عبد الحميد سنة 1908م، الذي نجح طوال ثلاثين سنة في إحباط المؤامرات الغربية الصليبية، لتقسيم الدولة العثمانية والعالم الإسلامي كما تقرر في مؤتمر برلين سنة 1880م.

وفي ‍ اية شهر مارس نجح مبارك في إعداد جيش ثان يقدر بنحو خمسة عشر ألـف مقاتل، ليعيد الكرة على سعدون المنصور، غير أن بريطانيا هذه المرة أمرته بعدم المغامرة ثانية في حرب لا أحد يعلم نتائجها النهائية، وقـد تجـره إلى مواجهـة مباشرة مع الدولة العثمانية - كما جاء في برقية الوكيل السياسي البريطـاني في الكويت للمقيم في الخليج - وهو ما لا تريده بريطانيـا الآن، فـالتزم مبـارك

[307] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 322 .

بالأوامر التي وجهتها بريطانيا إليه، وتفرق التحالف القبائلي الواسع الذي شكله مبارك ثانية بعد هزيمته في هدية، وهو ما يؤكد أن الجيش الأول قد تحرك بإيعـاز بريطاني أيضا، وكان بإمكان بريطانيا إيقافه لو أرادت، غير أ ا كانت تتوقع لـه النصر الذي سيضعف الطرفين الحليفين للدولة العثمانية في البصرة وحائل، فلما أدركت قوة الوضع العسكري لسعدون المنصور، أمرت مبـارك بـالتوقف عـن الهجوم ثانية.

وبعد شهر من هزيمة مبارك في هدية، أغار ابن رشيد في شهر إبريل علـى بعـض عشائر مطير في الصمان على مقربة من الكويت، دون أن يحرك مبـارك سـاكنا، كما أغار بعض قبيلة مطير على بعض القبائل التابعة لعبد العزيز بن سعود الذي ما يزال مقيما في الكويت استعدادا للحرب ثانية على سعدون، وقـد أدى كـل ذلك إلى تصدع التحالف القبائلي الذي حشدته بريطانيا، ووقوع الخـلاف بـين مبارك وابن سعود، بعد أن رفض مبارك أن يشن ابن سعود غارة على بعض قبيلة مطير الذين كانوا في صحراء الكويت.[308]

كما قام مبارك بإعداد جيش لقتال قبيلة الظفير الذين كانوا يقطنون شمـالا مـن الجهراء، فأرسل ابنه جابرا على رأس قواته، فصادف منهم غرة فأخـذ إبلـهم، وبعد ثمانية أشهر حشد سعدون السعدون قبائل المنتفق، ومعه ابن سويط وقبائل الظفير، شمال غرب مدينة الكويت، في أم المدافع، وواجههم مبارك بقواتـه، ولم تقع بينهما حرب، بل تم الصلح بين الطرفين، بتدخل من والي البصـرة، غـير أن مبارك الصباح جهز في صفر سنة 1329 – 1911م خالد أبو شويربات- شيخ قبيلة البرزان من مطير - ليقوم بغارة على الظفير، شمال الكويت، فأغار عليهم، وتنصل مبارك من مسئولية تلك الغارة أمام والي البصرة.[309]

وقد نجح والي البصرة حسين جلال في إصلاح الأوضاع بـين سـعدون ومبـارك، وانصاع مبارك الذي ما يزال قائمقاما عثمانيا لضغط والي البصرة، وقـد شمـل

---

[308] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 133- 134 .

[309] تاريخ الكويت للرشيد 189 .

الصلح قبيلة الظفير وشيخها ابن سويط، كما تم لقاء بين والي البصرة وابن سعود في صفوان، وهدأت الجبهة الشمالية للكويت[310].

فقد ظل ابن سعود يقر ظاهريا بالتبعية للخلافة العثمانية والحكومة التركية كما ورد في رسالته للشريف حسين سنة 1912م والتي جاء فيها:

(ولنا أمل بالله أن تكونوا واسطة قوية بيننا وبين متبوعنا الحكومة الشورية، وتعرضوا خدماتنا لدولتنا الدستورية، وسترونني حاضرا أنا وأهل نجد لكل ما تكلفوننا وتأمروننا به أفدي السدة العثمانية بعزيز روحي.

التوقيع : خادم الدولة والملة والدين أمير نجد ورئيس عشائرها عبد العزيز بن سعود)[311].

وقول ابن سعود (حكومتنا الشورية ودولتنا الدستورية) قصد به الحكومة الاتحادية التي تم تشكيلها بعد عزل الخليفة عبد الحميد الثاني سنة 1908م، وعودة العمل بالدستور العثماني.

وبعد حرب هدية التي تعرض فيها مبارك الصباح إلى خسارة كبيرة، زاد مبارك- بتوجيه بريطاني - من نسبة الضرائب على تجار المدينة، ومنعهم من الغوص، ليحشد أكبر قدر من الرجال للحرب، مما حداهم للاعتراض على سياسته، وكان على رأس المعارضة ثلاثة من كبار التجار، وهم هلال بن فجحان المطيري، وإبراهيم المضف الهاجري، وشملان بن علي، الذين هاجروا من الكويت إلى البحرين، وقد أرسل مبارك ابنه سالما ليسترضيهم، ليعودوا للكويت، بعد أن ضج أهلها من هجرة كبار تجارها، فرجع الجميع مع سالم، إلا هلال المطيري الذي كان أثرى رجل في الخليج آنذاك، والذي أصر على أن يأتي مبارك نفسه ليسترضيه، فذهب مبارك ومعه جماعة من كبار أهل الكويت، إلى البحرين، حيث استقر هلال، فطلب منه مبارك الرجوع مكرما معززا، فرضي وعاد للكويت[312].

---

[310] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 140- 141 .

[311] المصدر السابق 41/3 .

[312] تاريخ الكويت للرشيد 190.

5- احتلال الإحساء سنة 1913م :

وبعد ذلك بدأت حكومة الهند البريطانية بتوجيهنظر ابن سـعود إلى الإحسـاء لاحتلالها - بعد أن تمكن له الوضع في الرياض وجنوب نجـد - وإ ـاء النفـوذ البحري العثماني على الخليج العربي، الذي ظل يهدد النفوذ البريطاني في المنطقـة ويحد من فعاليته، وقد كان لشكسبير الوكيل السياسي البريطاني في الكويت يـد طولى في نجاح هذه الخطة.

فقد تم تعيين شكسبير وكيلا سياسيا بريطانيا في الكويت سنة 1910م، وسافر إلى نجد في تلك السنة، كما حضر في تلك السنة في الكويت اجتماعا ضمه ومبـارك الصباح وابن سعود، ودار الحديث بين شكسبير وابن سعود عن طموحات ابـن سعود في استرداد بلده من العثمانيين، وقد عززت تلك المباحثات أواصر الصداقة بينهما[313].

ثم قابل ابن سعود الوكيل السياسي البريطاني في الكويت في إبريل سـنة 1911م (وعرض عليه الفكرة، وألمح له بما سيعود على بريطانيا من فوائد فيما إذا وقفت إلى جانبه عند تنفيذ خطته، ومع أنه لم يلق جوابا بريطانيا حاسما، إلا إنه لم يغـب عن ذكائه موقف الرضا الذي يكمن في ثنايـا الصـمت البريطـاني، إذ لم تكـن السلطات البريطانية غافلة عن الفوائد التي ستعود عليها من عملية كهذه) علـى ما ورد في تقارير الوكيل السياسي البريطاني في الكويت عن هذه المقابلة[314].

بينما يؤكد مؤرخ نجد ابن بسام المتوفى سنة 1927م في تاريخه تحفة المشـتاق[315]، في حوادث سنة 1329هـ 1911م حصـول اتفـاق بـين الطـرفين، حيـث

---

[313] عبد العزيز وبريطانيا للزيدي ص 39 .

[314] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 142- 143 . يحاول هنا الوكيل السياسي في الكويت التابع لحكومة الهند إثبات عدم تورطهم في الأحداث بشكل مباشر بسبب تحفظ حكومة لندن في هذه الفتـرة على تحركات حكومة الهند البريطانية في الخليج وخشيتها من استثارة الدولة العثمانية أو الدخول معها في حرب، فكان الوكلاء السياسيون لحكومة الهند ينفذون خططهم في الخليج عـن طريـق حلفـائهم، وكأ م لم يوعزوا لهم بشيء، مع الدعم الكامل لهم ماديا وعسكريا!

[315] تحفة المشتاق ص 410 .

قال:(وفيها عقدت معاهدة بين الإمام والإنجليز على أن يحتـل الإمـام الأحسـاء والقطيف ودارين والعقير ويمنعون عنه الإنجليز أي دولة تأتيه من البحر، ولقـاء ذلك يكون تابعا لهم، ولا يحدث محاربات دون علمهم، ولا يحارب بدون إذ ـم، ولهم حق التفتيش على المعادن في جزيرة العرب واسـتخراج ذاـك، وإذا أراد الإنجليز أن يسير لحرب أي جهة يسير لها وهي تمده).

كما تم اللقاء ثانية بينهما في رحلة شكسبير إلى نجد في 7 كـانون الثـاني سـنة 1911م، حيث تعرف شكسبير على قدرات ابن سعود العسكرية، وفي هذا اللقاء تم التباحث بينهما بشأن احتلال ابن سعود للإحساء في الوقت المناسب وبسـرية تامة، وطلب ابن سعود من شكسبير حث حكومته على توفير الدعم لـه مقابـل تحالفه مع بريطانيا[316].

وقد كتب شكسبير بعد هذا اللقاء في 8 نيسان إلى كوكس يؤكد حاجة ابن سعود للدعم البريطاني العسكري لقطع الطريق على القوات العثمانية من أجـل نجـاح تحركه لاسترداد الإحساء[317].

لقد كان موضوع احتلال الإحساء بتخطيط ودعم بريطاني،فلم يكن قدوم ابـن سعود إلى الكويت في هذه الفترة وتركه للرياض، من أجل أن يعرف فقـط رأي الوكيل البريطاني، والذي عرفه قبل ذلك عن طريق مبارك، كما كـان يسـتطيع معرفته عن طريق إرسال مبعوث خاص بدلا من حضوره شخصيا، ولا يضـطر إلى ترك عاصمته في الوقت الذي ما يزال ابن رشيد يمثل خطرا قريبا؟!

وهذا يؤكد أن المبادرة بإيعاز وتخطيط من حكومة الهند البريطانية، الـتي كانـت تخالف رأي حكومة لندن في سياستها في الخليج العربي، حيـث تتسـم مواقفهـا بالجرأة، على خلاف سياسة لندن الحذرة من التورط في أي صراع أو حرب مـع الدولة العثمانية في غير الوقت المناسب، غير أن حكومة الهنـد والتزامـا منـها بالسياسة العامة البريطانية، تعمل على تحقيق أهدافها من خلال حلفائها، دون أن

[316] عبد العزيز وبريطانيا للزبدي ص 40.

[317] عبد العزيز وبريطانيا للزبدي ص 40.

تتورط بشكل مباشر يحملها المسئولية أمام حكومة لندن، كما قد يحمـل لنـدن المسئولية أمام الدولة العثمانية التي ما تزال علاقتها حتى الآن ببريطانيـا علاقـة تحالف وصداقة بشكل رسمي.

فكانت حكومة الهند، ومقيموها السياسيون، ووكلاؤها في الخليج العربي، ينفذون خططهم، ويحققون أهدافهم بالدعم العسكري الذي لم ينقطع عن الكويت طـول فترة الحصار الذي فرضته بريطانيا على موانئ الخليج العربي، لمنع توريد الأسلحة إلى المنطقة، وقد بلغ حجم العتاد العسكري الذي زودت بـه بريطانيـا مبـارك الصباح في إحدى المرات في سنة 1912م وحدها - بناء على طلب من المعتمـد البريطاني برسي كوكس - مليون طلقة لأسلحته القديمـة، وسـتة آلاف بندقيـة جديدة، مع كل بندقية أربعمائة طلقة[318].

وهذا الدعم العسكري الكبير هو الذي يفسر أبعاد تحركات مبارك الكثيرة، وقيام التحالفات العشائرية الكبيرة، وحدوث الحروب الخطيرة، في هذه الفترة من تاريخ المنطقة - وفي ظل معاهدة الحماية البريطانية للكويت والتي تفرض على مبارك أن لا يتصرف بأي شأن خارجي إلا بعد الرجوع إليها - حيث لم يسبق للكويت أن تجاوزت حدود أسوار المدينة نحو الصحراء غربا، إلا في هذا الوقت الذي بـدأت فيه بريطانيا مشروعها للسيطرة على شرق ووسط الجزيرة العربية، وعلى البصرة شمالا.

فقد كان مبارك المصدر الرئيسي الذي كانت بريطانيا تستقي منه معلوما ا عـن الأوضاع وتطورها في نجد، إلى أن تم تعيين وكيل سياسي بريطاني في الكويـت في شهر 8 سنة 1904م، كما أنه وراء كتابة عبد الرحمن بن فيصـل آل سـعود - والد عبد العزيز - خطابه الذي وجهه إلى المقيم السياسي البريطاني في بوشهر في إيران في شهر مايو سنة 1902م، طالبا من بريطانيا رعايـة الحكـم السـعودي الوليد في الرياض[319].

[318] تاريخ الكويت لخزعل 146/2 .

[319] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 165، وتاريخ الكويت لخزعل 179/2 .

وحين اطمأن ابن سعود بعد ذلك الاجتماع مع الوكيل السياسي في الكويت للدعم البريطاني في إبريل 1911م، الذي كان قد سبق أن طلبه مرارا منذ سنة 1906م وبعد دخوله تحت حماية حكومة الهند البريطانية - كما نص على ذلك ابن بسام - بادر بتنفيذ الخطة، فقام بإعداد العدة، وتجهيز جيشه، وتحرك نحوالإحساء بدعوى تأديب بعض القبائل، حتى إذا سنحت له الفرصة في فبراير سنة 1913م، قام باحتلال الإحساء والموانئ الرئيسية فيه، أي قبل بدأ الحرب العالمية الأولى بأشهر! في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية تعيش في وضع حرج جدا، حيث كانت تخوض حروب طرابلس سنة 1911م، والبلقان سنة 1912م، تلك الحروب التي أظهر فيها مبارك وابن سعود وقوفهما مع الدولة العثمانية، كقائمقامين لها في الكويت ونجد، في الوقت الذي كانا ينفذان فيه المخطط البريطاني للسيطرة على الخليج والجزيرة العربية، وقد اعترف الباب العالي بابن سعود بعد احتلاله للإحساء واليا عليه سنة 1913م، وقد أصبح اتصاله ببريطانيا مباشرا، بعد أن صار يطل على الخليج العربي، وصار ميناء العقير والقطيف تحت سيطرته، وأصبح الدعم البريطاني يأتيه مباشرة منهما دون حاجة لميناء الكويت، ودون حاجة لدعم مبارك الصباح.

وقد أرسل مبارك - الذي ما زال يمثل الأب الروحي لعبد العزيز، وحلقة الوصل بينه وبين بريطانيا، والموجه الرئيسي لتحركاته بإيعاز من مندوبيها - برسالة إلى ابن سعود في هذه السنة، بعد احتلاله للإحساء يدعوه فيها للدخول تحت الحماية البريطانية سرا - في الوقت الذي وافقت الدولة العثمانية على أن يكون ابن سعود واليا على نجد والإحساء - وقد جاء في رسالة مبارك إلى ابن سعود التي يحثه على الدخول مع بريطانيا في معاهدة حماية مباشرة :

(وكل من دخل تحت نظرهم - أي حمايتهم - اعتز واستراح، مثلما تشوف - أي ترى - نحن وراعي - أي شيخ - البحرين وعمان، ورفيقهم عامر وعزيز، ويا ولدي يا عبد العزيز لو يطلبون منا واردات الإحساء والقطيف كان نعطيهم، لأجل عز الرأس والراحة، وخلنا نستريح من هالذاهبين- أي الترك الزائلين)[320].

---

[320] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 168 .

وهذا يؤكد بأن معاهدة الحماية السرية الأولى بين حكومة الهند البريطانية وابـن سعود سنة 1911م التي ذكرها ابن بسام وذكر بنودها، ظلت طي الكتمان حتى عن مبارك، حتى كشفتها بعض الصحف العثمانية آنذاك، وسيوقع ابـن سـعود معاهدة حماية أخرى وستكون بينه وبين حكومة لندن وستضاف لها بنود أخـرى غير بنود الاتفاقية الأولى.

وبعد تسرب خبر المعاهدة بين بريطانيا ومبارك، الذي مازال آنذاك موظفا تابعـا للبصرة كقائمقام عثماني، بادرت الدولة العثمانية لتأكيد سياد ا على الكويت، وحشدت قوا ا في البصرة، وحركت ابن رشيد أمير حائل التابع لها للتوجه نحـو الكويت، وقد أدركت الخارجية البريطانية خطورة الموقف، فاعترفـت بسـيادة الدولة العثمانية على الكويت، في الوقت الذي حاولت حكومة الهند البريطانيـة رفض هذا الاعتراف، بل وادعاء استقلال الكويت عن السيادة العثمانيـة، مـن أجل دفع لندن إلى الدخول في مواجهة مع الضغوط العثمانية، غير أن المشكلة تم حلها بين بريطانيا والدولة العثمانية باتفاقية سـنة 1913م، الـتي تم بموجبـها الاعتراف بالسيادة العثمانية على الكويت رسميا، واعتراف الدولة العثمانيـة في المقابل بمصالح بريطانيا فيها، ويكون الشيخ هو القائمقام فيها، ولا يكون هنـاك أي معارضة لتعيين مندوب عثماني في الكويت، وتمتد أراضي الكويت على دائرة نصف قطرها من مدينة الكويت حتى الرأس الشمالي لجزيرة وربة، ويدخل ضمنها بوبيان كلها، وحددت دائرة خارجية تكون فيها القبائل تابعة لمبارك، على أن لا تكون هناك أي حامية عثمانية[321].

وقد نجحت أيضا بريطانيا سنة 1913 بواسطة كـوكس مقيمهـا السياسـي في الخليج في أخذ موافقة مبارك الصباح على منح بريطانيا وحدها حق الامتيـاز في التنقيب عن النفط الذي تم اكتشافه بشكل أولي في منطقة برقان[322].

---

[321] تاريخ الكويت لخزعل 143/2، والكويت لحسن الإبراهيم 61- 64 .

[322] تاريخ الكويت لخزعل 143/2 .ويلاحظ أن الامتياز لم يتم توقيعه إلا بعـد المعاهـدة البريطانيـة العثمانية التي اعترفت بريطانيا فيها بالسيادة العثمانية على الكويت، واعترفـت الدولـة العثمانيـة بمراعاة المصالح البريطانية فيها، مما يؤكد بأن النفط وراء كل هذه التطورات السياسية في المنطقة!

فقد كان النفط أحد الأسباب الرئيسة التي دفعت بريطانيا للتفريط بتحالفها مع الدولة العثمانية مقابل السيطرة على النفط في المنطقة بعد أن تم اكتشـافه منـذ أواخر القرن التاسع عشر، حيث بدأ التنافس المحموم بين الألمـان والبريطـانيين للسيطرة عليه وعلى غيره من ثروات المنطقة الطبيعية.

(عبيد بلا أغلال)

(13)

(الاحتلال البريطاني للبصرة سنة 1914م)

وموقف علماء السنة ومراجع الشيعة

ثم كان الهدف البريطاني التالي - بعد السيطرة على الرياض والإحساء - الذي طالما خطط له البريطانيون ومهدوا له ألا وهو:

6- الهجوم على العراق واحتلاله :

فبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى في أغسطس سنة 1914م، وفي شهر نوفمبر وافق مبارك - مع أنه مازال موظفا عثمانيا - على الوقوف مع بريطانيا للهجوم على أم قصر، وصفوان، والبصرة، وتم إعلان الحماية البريطانية على الكويت بصورة رسمية، لتشكل الحرب العالمية بذلك منعطفا تاريخيا مهما في تاريخ المنطقة[323].

لقد سبق أن وعد البريطانيون عرب الجزيرة بأ م إذا وقفوا مع انجلترا في هذه الحرب ضد الخلافة العثمانية(ستضمن انجلترا عدم حدوث تدخل داخل شبه الجزيرة العربية، وستقدم للعرب كل مساعدة ضد العدوان الخارجي...لقد كان ريجينالدوينغنيت- المندوب السامي البريطاني في مصر - يؤمن بتحريض القبائل في شبه الجزيرة العربية لمصلحة بريطانيا، وكان يحث على عامل فوري منذ بداية الحرب دف إغراء العرب بالابتعاد عن الدولة العثمانية وقد كتب بتاريخ 14 / 1 / 1915م إلى كلايتون قائلا: أخشى أن يكون العمل البريطاني قد تأخر طويلا حتى إني بدأت أشك في إمكانية نجاحنا الآن في فصل العرب عن العثمانيين).[324]

---

[323] الكويت دراسة سياسية لحسن الإبراهيم 66 .

[324] ولادة الشرق 114 .

وقد رد مبارك بتاريخ 18/ 8 سنة 1914م على خطـاب الوكيـل السياسـي البريطاني الذي أخبره باندلاع الحرب برسالة جاء فيها :

(وإني معكم ومعي جميع العشائر الذين رأيتموهم، وبكل اجتهادنا ورجالنا وسفننا تحت أمركم)!

كما رأت الخارجية البريطانية في سبتمبر ضرورة التحالف مع ابن سعود بشـكل مباشر لمواجهة الدولة العثمانية على أرضها وعلى يد موظفيها في الجزيرة العربية، فأرسلت في شهر نوفمبر من السنة نفسها الكابتن شكسبير في مهمة سرية إلى ابن سعود للاتصال به شخصيا، ومرافقته للتأثير عليه ليقـف مـع الحلفـاء، كمـا استخدمت مبارك الصباح أيضا لتحقيق هذا الغرض، وقد قام مبـارك بإرسـال رسالة بإملاء من الوكيل السياسي في الكويت إلى ابن سعود قال فيها:

(إن الدولة البهية - بريطانيا - تبغي منا ومنكم المساعدة الكاملـة للتـأثير في أصدقائنا وعشائرنا والقبائل التابعة لنا، وأن نعرف شريف مكة وابـن شـعلان بغواية الدولة الجرمانية، وسترسل الدولة لكم الكابتن شكسبير المعـروف عنـد العرب جميعا حتى يعرفكم بمقاصد الدولة البهية ونيا ا، وهي تبغي مـنكم أنـت والشيوخ المقيمين على شط البحر وساحل الخليج ألا تفعلوا شيئا من الحركـات حتى بعد نشوب الحرب).[325]

وقد أجاب ابن سعود على رسالة مبارك بالوقوف مع بريطانيا بأن أمره تابع لأمر مبارك، وأنه لا يخالف أمره، وأن موقفه مع بريطانيا معروف، وأنه لا يتخذ أمـرا إلا بعد إعلام وكيلها السياسي في الكويت[326].

و ذا نجحت حكومة الهند البريطانية التي تدير شئون الخليج العربي وشرق الجزيرة العربية في ترتيب الأمور، كما نجحت في رها ا على دعم ابن سعود، قبل حكومة لندن ومندو ا السامي في القاهرة والخرطوم، الذي كان يدير شئون البحر الأحمر وغرب الجزيرة العربية، وكان يراهن على الشريف حسين، وعلـى حـد قـول

[325] العلاقات بين الكويت ونجد 153- 157، وتاريخ الكويت لخزعل 2/153- 156.

[326] العلاقات بين الكويت ونجد للمسعدون 158.

فرومكين(لقد عبر ابن سعود لشكسبير، كما فعل عبد الله بن الشريف حسـين في القاهرة، عن استعداده لكي تصبح إمارته دولة زبونة لبريطانيا .. وما إن نشبت الحرب حتى رأت الهند نفسها حرة في دعم صاحبها ابن سعود، ووجدت في الوقت ذاته أن القاهرة كانت تدعم منافسه في مكة، كانت الهند تعتقد أنه إذا ما انقلب العرب يوما على الحكومة العثمانية فيجب أن يقود هذه الثورة ابن سعود، ولكن في ديسمبر 1914/12م رأى نائب الملك في الهند أن عملا كهذا سابق لأوانـه، بينما اتخذ كيتشنر وأتباعه في الخرطوم نظرة معاكسة فتطلعوا إلى الشريف حسين باعتباره حليف بريطانيا الهام)[327].

وقد أدى ذلك إلى اعتقاد حكومة الهند البريطانية- التي تدعم ابن سعود - بـأن أشد أعدائها خطرا عليها ليس الألمان، بل المسئولين البريطانيين في مصـر الـذين مضوا في حبك مؤامرا م في مكة مع الشريف حسين، بوعدهم إياه بالخلافة بعـد ثورته على الدولة العثمانية، وهو ما سيثير المسلمين في الهنـد - الـذين يبلـغ تعدادهم سبعين مليونا - والذين يرفضون الاعتراف بأي خليفة سـوى الخليفـة العثماني، كما يرفض حلفاؤها كابن سعود وخزعل ومبارك مثل هذا الاعتـراف للشريف حسين، بل أكدوا لها بأن موضوع الخلافة كله لا يعنـيهم، ولا مهـم إطلاقا في حال سقوطها[328].

لقد كان الصراع خفيا بين حكومة الهند البريطانية التي تتولى شئون الخليج العربي وشرق الجزيرة العربية وتدعم ابن سعود من جهة، ومكتـب المنـدوب السـامي البريطاني في القاهرة الذي يتولى شئون غرب الجزيرة العربية ويـدعم الشـريف حسين من جهة أخرى!

لقد مضت حكومة الهند البريطانية في حشد حلفائها في شرق الجزيـرة العربيـة للوقوف مع بريطانيا في الحرب العالمية الأولى، فقد وجه الميجر كـوكس المقـيم البريطاني في الخليج العربي رسالة إلى مبارك بعد شهر من رسالته الأولى جاء فيها:

[327] ولادة الشرق 119 .

[328] ولادة الشرق 119- 122 .

(إن الحكومة البريطانية قد أمرتني أن أبلغ سعادتكم شكرها لولائكم ولعرضـكم العون، وأن أرجوكم أن اجموا أم قصر وصفوان وبوبيان وتحتلوها، وعليكم بعد ذلك أن تحاولوا بالتعاون مع الشيخ خزعل والأمير عبد العزيز بن سعود وغيرهم من الشيوخ الموثوق م تحرير البصرة من يد الأتراك، فإذا لم تستطيعوا فعلـيكم أن تجروا الترتيبات إذا كان ممكنا للحيلولة دون وصول الإمدادات التركيـة إلى البصرة أو إلى القرنة إلى أن يصل الجنود البريطانيون ... وإن الحكومة البريطانية تتعهد بحمايتكم من كل ما ينجم عن هذا العمل، وتعترف أن مشـيخة الكويـت حكومة مستقلة تحت الحماية البريطانية)[329].

ولاحظ العبارة البريطانية(تحرير البصرة) وقار ا بالعبارة الأمريكيـة البريطانيـة (حرب تحرير العراق)، وتأمل الأحداث اليوم والمتورطين فيها تجد أن الوضـع في المنطقة لم يتغير منذ قرن!

وقد تم تنفيذ ذلك فعلا حيث ورد في شهر سبتمبر سـنة 1914م كتـاب مـن حكومة الهند البريطانية جاء فيه ما يلي:

(أكد شيخ الكويت وهو صادق في ذلك بأن شيوخ الكويت والمحمرة بالاتفاق مع شخصيات البصرة الذين هم على اتصال وثيق م، وبالتعاون مع ابـن سـعود قادرين على تمهيد الطريق لاحتلال البصرة بشكل سلمي أو إبقائها معزولـة إلى حين يصبح في مقدورنا اتخاذ اللازم)[330].

موقف علماء الكويت وإعلان العصيان المدني:

وقد أثار هذا الموقف العلماء في مدينة الكويت، الذين أصدروا الفتاوى بحرمـة هذا الفعل، وكفر من يقف مع الإنجليز ضد الدولة العثمانية، فطلبـت بريطانيـا

---

[329] تاريخ الكويت لخزعل 155/2، والكويت في الوثائق البريطانية للأعظمي101، وتـاريخ الخلـيج العربي لزكريا 17/3 .

[330] الكويت في الوثائق البريطانية 100 .

فورا من مبارك بمنع الدعاية المضادة لها في البلدة، وقد تعهد مبارك في تنفيذ مـا طلبته منه بريطانيا بخصوص هذا الموضوع[331].

كما أفتى علماء نجد بكفر الدخول تحت الحماية البريطانية كما في فتوى عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ عن مثل هذه الأحوال وقد سئل عن دخول أهل الخليج تحت حماية بريطانيا فقال (وانتقل الحال حتى دخلوا في طاعتهم واطمأنوا إليهم وطلبوا صلاح دنياهم بذهاب دينهم وهذا لا شك من أعظم أنواع الردة)!

وقال أيضا هو والشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف وسليمان بن سحمان في بيان حكم الدخول تحت الحماية الأجنبية (أما الدخول تحت حماية الكفار فهي ردة عن الإسلام)[332]!

وبعد احتلال الإنجليز البصرة (ثار الثائرون على خزعل، وأعلنوا عليه الجهـاد، لشده أزر المقاتلين للدولة العثمانية، فأراد من مبارك أن يمده بجند من الكويـت، فعلم الكويتيون أ م سيقاتلون إخوا م، وأظهروا العصيان، وجاهروا بالامتناع، سيما والعلامة المحدث الشيخ محمد الشنقيطي، والشيخ حافظ وهبة المصري، إذاك كانا يطوفان اﻟﻤﺎلس، ويغشان الأندية، لتحذير الناس من الطاعة، وأن من انقـاد قد يحكم عليه بالارتداد من الدين، فأثار ما قالاه الحماس في النفوس حتى صـمم القوم على الإباء، مهما نزل م من البلاء، فذهبوا إلى جابر بن مبـارك، وقـد تأبطوا مسدسا م، فقالوا له عندما أمرهم بالمسـير، لا نسـمع ولا نطيـع، لأن الطاعة في هذا الأمر معصية، والنبي صلى الله عليه وسلم قال (لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق)، فبهت جابر من مفاجأ م له بذلك)[333].

---

[331] تاريخ الكويت لخزعل 154/2 .وانظر كيف يتم تكميم الأفواه اليوم، ويمنع بل ويسجن كل مـن يرفض ولو بالكلمة ما تقوم به الحملة الصليبية الاستعمارية على أفغانستان والعراق، وكيف يتم سجن العلماء والشيوخ والدعاة وتقديمهم للمحاكمات لا لشيء إلا لكو م يرون جهاد الشـعب العراقـي والأفغاني ضد الاحتلال جهادا مشروعا كما تقره كل الشرائع السماوية والمواثيق الدولية، لتعرف أن الاستعمار هو الاستعمار والأساليب هي نفس الأساليب!

[332] الدرر السنية 11/8 و435/10 .

[333] تاريخ الكويت للرشيد 203، وتاريخ الكويت لخزعل 258/2 .

وقد قام مبارك - بإيعاز بريطاني - بإغلاق الجمعية الخيرية في الكويت سنة 1914م، التي كان القائمون عليها يقفون مع الخلافة العثمانية، ضد بريطانيا، كما قام بطرد العلامة محمد أمين الشنقيطي، الذي كان يعظ الناس في المساجد، محذرا من خطورة الوقوف مع بريطانيا، ضد المسلمين العثمانيين، كما أصدر علماء الكويت فتوى في حرمة السمع والطاعة لمبارك الصباح، حين أمر أهل الكويت بتجهيز السفن لمساعدة صديقه الشيخ خزعل شيخ عربستان، الذي وقف مع بريطانيا حتى احتلت الفاو.[334]

فتوى مراجع الشيعة بالجهاد ضد بريطانيا :

كما أصدر علماء النجف فتواهم الشهيرة، وأرسلوها إلى خزعل، يحرمون عليه فيها الوقوف مع بريطانيا ضد الدولة العثمانية، ويوجبون (الاتفاق مع المسلمين في درء خطر هذا الغزو، لأن حكم الدين لا يفرق بين الإيراني والعثماني)، كما كتب إليه مرجعه الأعلى الشيخ عبد الكريم الجزائري، يأمره بعدم الوقوف مع الإنجليز، غير أن خزعل لم يلتفت إلى ذلك، فثارت العشائر في عربستان عليه ثورة كبرى بتحريض من المراجع، فكادت أن تسقطه، لولا تدخل بريطانيا، التي طلبت من مبارك مساعدة خزعل، فرفض أهل الكويت تحريك سفنهم، وقد بلغ الأمر بالعامة في الكويت أن خرج أبناء المدارس يجهرون بالشوارع والأسواق بسب الإنجليز، فقام مبارك بعد رجوعه من عربستان بالاجتماع بأهل الكويت الذين قال لهم :(أنا مسلم عثماني، أغار على ديني، وعلى دولتي العثمانية، ولا أحب من يتعرض لهما بسوء، غير أني اتفقت مع الإنجليز على أمر فيه نفع لي ولبلدي، ولهذا لا أرضى بالطعن فيهم، وإن كنت لا أحبهم، وديني غير دينهم)!

ثم قام مبارك - الذي كان يخشى أن يحدث في الكويت ما حدث في عربستان - بطرد الشنقيطي، وكان المعتمد البريطاني يريد اعتقاله في الكويتونفيه إلى الهند، غير أن مبارك الصباح كان يخشى تبعات هذا العمل، وقد حاول خزعل بعد هدوء

---

[334] تاريخ الكويت للرشيد 206، وتاريخ الكويت لخزعل 259/2 ، وأعلام الفكر الإسلامي للخالدي 107-119 .

الثورة إرضاء مرجعه الشيخ الجزائري فرد عليه بقوله (فرق مـا بـيني وبينـك الإسلام)[335].

المخطط البريطاني لإثارة الفتنة الطائفية في المنطقة :

لقد نجحت بريطانيا في اجتذاب شيوخ المـوانئ في الخلـيج إلى صـفها غـير أن المشكلة تتمثل في (رعاياهم الذين كانوا بدافع من شعورهم العاطفي والروحـي يميلون إلى الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة الإسلامية، ومما يؤكد ذلك أن معظم القبائل في جنوب فارس والعراق لم تقبل التعاون مع الإنجليز، كما تعـرض كل من شيخ الكويت والمحمرة لردود فعل عنيفة من قبل مواطنيهم الذين ساءهم انضمام شيوخهم صراحة إلى جانب الإنجليز، وعلى الرغم من أن إعلان الدولـة العثمانية للجهاد يشكل خطرا على الوجود البريطاني في الخلـيج إلا أن برسـي كوكس المقيم السياسي في الخليج كان يرى بأنه يمكن التغلب على هذه الحركـة بإحكام السيطرة البريطانية على الخليج واستغلال الخلافات المذهبية والسياسـية القائمة بين فارس والدولة العثمانية)[336].

لقد كان هناك سخط شعبي إسلامي عام في كل مكـان ضـد الحملـة الصـليبية والدول الغربية التي تحارب الخلافة العثمانية، فأرادت بريطانيا شق الصف بـين السنة والشيعة الذين كانوا جميعا رعايا للدولة العثمانية، وإثارة الفتنة الطائفيـة بينهم، ليسهل لها السيطرة عليهم جميعا،وكما يقول فرومكين في ولادة الشرق:

(وحقيقة الأمر هي أن الرأي العام الإسلامي حتى في المناطق غير التركيـة كـان بوجه عام مؤيدا للدولة العثمانية، وهذا ما بينته لاحقا تقارير وزارة الخارجيـة البريطانية والمكتب العربي ... إن البريطانيين في القاهرة عند تقويمهم للتقارير التي تحدثت عن استياء من الحكم العثماني في بعض أقسام الدولة العثمانية، قد أخطأوا

---

[335] تاريخ الكويت للرشيد 206، وتاريخ الكويت لخزعل 259/2 ، وأعلام الفكر الإسلامي للخالدي 107- 119 .

[336] تاريخ الخليج العربي لزكريا 14/3، وتأمل كيف نجحت الحملة الصليبية الجديدة اليوم من استغلال الخلاف الطائفي بين السنة والشيعة في العراق لتحتل المنطقة من جديد بتعاون وتورط من الجميع مـن مراجع دينية وأحزاب دينية!

في فهم إحدى الخصائص البارزة للشرق الإسلامي، الذي لم يكن مستعدا للقبول بحكم غير إسلامي، فقد كانوا يعتبرون الحكم من قبل دولة أوربية مسيحية مثـل بريطانيا أمرا لا يطاق).[337]

وهذا ما أكده سليمان فيضي النائب العربي في المبعوثان - البرلمان - العثماني عن الموصل في مذكراته حيث جاء فيها: (إذا كان مدحت باشا أبا الأحرار الأتـراك، فإن عزيز علي المصري يعد بحق أبا العرب الأحرار، وهو كغـيره مـن الأحـرار العرب في ذلك الوقت يرى في الحكم اللامركزي خير علاج، ولم يكن يرى بأسـا من الإبقاء على الدولة العثمانية كمجموعة قوية تستطيع الدفاع عن نفسها إزاء أطماع الدول الأوربية الاستعمارية، على أن تتمتع الشعوب المنضمة تحت لوائها بالاستقلال الداخلي ... وقد أسس جمعية العهد السرية عـام 1913 وجـاء في منهاجها: غاية الجمعية السعي وراء الاستقلال الداخلي للبلاد العربية علـى أن تكون متحدة مع حكومة اسطنبول، وأن الجمعية ترى ضـرورة بقـاء الخلافـة الإسلامية وديعة مقدسة بيد آل عثمان، و تم الجمعية بأمر سلامة اسطنبول مـن مطامع الدول الأجنبية لاعتقادها أن اسطنبول رأس الشرق لا يمكنـه أن يعـيش بدو ا)[338].

وهذا ما صرح به السيد طالب النقيب للبريطانيين حين طلبوا منه في تشرين سنة 1914م التعاون معهم ليحتلوا البصرة، فرفض رفضا قاطعا، ثم طلبـوا منـه أن يلزم الحياد مقابل أن تجعله بريطانيا حاكما عاما مدى الحياة على العـراق مـن الفاو إلى آخر نقطة يصل إليها الجيش البريطاني، فكتب طالب النقيب رسالة لهم قال فيها:

---

[337] ولادة الشرق 102. الغريب أن مثل هذه التقارير الموضوعية الحقيقيـة لا تـأتي إلا بعـد وقـوع الكارثة، فقد شن الصليبيون الجدد حر م على العراق بدعوى وجود أسلحة دمار شـامل، ثم عـادوا ليعترفوا أن التقارير الاستخبارية السابقة كانت غير صحيحة!

[338] مذكرات سليمان فيضي 156 .

(إني أرفض كل اقتراح من هذا القبيل، وقد عزمت على السفر إلى نجد، فـابحثوا عمن يعينكم على استعمار بلاده، واعلموا أن الذي لا يرضـى بحكـم الأتـراك إخوانه في الدين، حري به أن يأبى حكم الإنجليز)[339].

لقد كانت النظرة البريطانية هي أنه يمكن التحكم بالعالم الإسـلامي باسـتغلال زعاماته (وعن طريق شراء أو استغلال قياداته الدينية)، كما كانت تخشى أشـد الخشية (قيام حرب إسلامية مقدسة ضد بريطانيا)[340].

لقد أصبحت ميناء الكويت - رغم السخط الأهلي ورفض العلماء فيهـا- مـن قواعد انطلاق الحملة العسكرية البريطانية على نجد والعراق، حيث ترابط فيهـا سفنها الحربية، وتستخدم مخزنا للعتاد والأسلحة، كما أصـبحت المدينـة خـط الدفاع الأول في وجه أي هجوم عثماني ألماني على بريطانيا في الخلـيج العـربي، حيث تم إحاطة الكويت بتحالف من القبائل لحماية الكويت من هجـوم مضـاد، ولحماية ظهر الجيش البريطاني الذي يتجه صوب البصرة[341].

وفي الوقت الذي كان مبارك الصباح وابن سعود يتعاونان مع بريطانيا لاحتلال البصرة كانا يتظاهران في الوقت ذاته للدولة العثمانية بالولاء والطاعـة، فقـد أرسل والي بغداد جاويد باشا سنة 1914م بعد ديـد بريطانيـا واسـتعدادها لاحتلال البصرة إلى كل العشائر العربية للدفاع عن البصرة، وأرسل إلى مبـارك الصباح وابن سعود فأجاب مبارك بالسمع والطاعة لما أمر به والي بغداد باتخـاذ كل ما يلزم من تسهيلات ومعونات ذا الصدد وجاء في خطابه :

(نعمل حسبما أمر سعادتكم مع الممنونية ... هذا والمأمول توجهـاتكم القلبيـة والأمر لكم أفندم! التوقيع حاكم الكويت ورئيس قبائلها مبارك الصباح)[342].

---

[339] مذكرات سليمان فيضي 159 .

[340] ولادة الشرق 108 .وانظر كيف نجحت أمريكا اليوم بشراء الزعامات الدينية في حملتها الصـليبية على العالم الإسلامي واحتلالها أفغانستان والعراق بدعوى مكافحة الإرهاب، لتصدر الفتاوى المشبوهة من السنة والشيعة على حد سواء التي تحرم مقاومة الاحتلال!

[341] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد ص 157 .

[342] تاريخ الكويت السياسي لخزعل 98/2 .

لقد بدأ الضباط السياسيون البريطانيون بإعداد و يئة المنطقة للتحولات الخطيرة والكبيرة التي ستحدث فيها بعد انتهاء الحرب، والتي طالب مارك سـايكس مـن تشرشل أن يكون له يد في صناعتها، ليشتغل ضد الدولة العثمانية، حيث لديـه القدرة - كما يقول عن نفسه - على(أن ينشئ فرقة من أوغاد أهل الـبلاد[343]، وأن يربح النبلاء إلى جانبه، وأن يقوم بأي عمل غريب آخر) - كمـا جـاء في رسالته لتشرشل في صيف 1914م - وقد وافق تشرشل على ضم مارك سـايكس إلى لجنة (دو بونسين) تلك اللجنة التي ستقرر (الأسماء التي ستطلقها على مختلف المناطق التي قد ترغب في تقسيم الدولة العثمانية إليها، دون حاجة للتقيد بخطوط التقسيمات السياسية التي كانت قائمة في الدولة العثمانية - أي الولايات - وأن لها الحرية في أن تعيد رسم خريطة الشرق الأوسط بالشكل الذي يرونه مناسـبا، وقد اقترحت اللجنة بقيادة مارك سايكس، إنشاء خمس ولايات متمتعة بـالحكم الذاتي، وهي: الأناضول، سوريا، وفلسطين، والجزيرة، والعراق ... بالإضافة إلى نقل الخلافة جنوبا ... وقد كتب سايكس إلى صديقه الحميم عضو مجلس العمـوم أوبري هيربرت قائلا: يجب أن تزول تركيا من الوجود، أزمير ستكون يونانيـة، وأضاليا إيطالية، وسوريا فرنسية، وفلسطين والعراق بريطانية، وما عدا ذلك بما فيها القسطنطينية روسية، وسوف أنشد(لنسبحك يا الله) في كنيسـة القديسـة صوفيا، وسأترنم في مسجد عمر (الآن أيها السيد تطلق سـبيل عبـدك فيـذهب بسلام) سننشدها بلغة أهل ويلز، وباللغة البولونية، وباللغة الأرمنيـة، تكريمـا للأمم الصغيرة)[344]!

لقد أدركت الخلافة العثمانية الخطر الصليبي الذي يحيق ا، وحاولت حث ابـن سعود على الوفاء بالتزاماته لها، حسب الاتفاق الذي سبق التوقيع عليه من ابـن سعود والدولة العثمانية في شهر مايو سنة 1914م، والذي يقضي بتعيينه واليـا عثمانيا على نجد والإحساء، مقابل الاعتراف بالتبعية لها، وإرسال قوات عسكرية عند دخول الدولة العثمانية في حرب مع أي بلد أجنبي، غير أنه لم يلتفت للمطلب

[343]تأمل في هذه العبارة وانظر كيف وظفوا الأوغاد من جديد في خدمة حملتهم الاستعمارية الجديدة في المنطقة ليحكم عاصمة هارون الرشيد بول بريمر وأوغاده!

[344]ولادة الشرق 162- 164 .

العثماني كما تقضي به تلك المعاهدة وكما يقضي به منصبه كموظف عثماني رسمي، بل وقف مع بريطانيا، بعد أن أرسل إليه المقيم السياسي في الكويت برسالة تتعهد فيها الحكومة البريطانية بحمايته من الدولة العثمانية، وحمايته بحريا من أي هجوم عليه، مع الاعتراف بمركزه الواقعي في نجد والإحساء.[345]

الوفد الإسلامي للاستنجاد بابن سعود :

وقد أرسلت الدولة العثمانية وفدا عثمانيا لمقابلة ابن سعود واستنهاض همته للوقوف مع الخلافة العثمانية، وكان من بين أعضائه علامة العراق السيد محمود شكري الآلوسي، وقد اعتذر ابن سعود عن إجابة طلبهم بأن الوقت قد فات، وأنه لا يستطيع فعل شيء[346].

وكان ابن سعود قد أبدى ظاهريا موافقته للسيد طالب النقيب على الوقوف بجانب الدولة العثمانية، بعد أن وسطته لإقناع ابن سعود بذلك، وأرسل طالب برقيتين لاسطنبول يخبرها بموقف ابن سعود وضرورة تجهيز الجيش الوهابي بالمؤن والأسلحة، غير أن طالب النقيب وسليمان فيضي اللذين كانا قد هربا من البصرة إلى ابن سعود، وكانا يحثان ابن سعود على الوقوف مع الدولة العثمانية ضد بريطانيا أدركا أن ابن سعود لم يكن مجدا في زحفه للدفاع عن البصرة، وأنه كان يتريث لكسب الوقت، وفي هذه الأثناء وصل كتاب من البحرين من الكابتن البريطاني شكسبير ينصح ابن سعود بلزوم الحياد التام، وبعد أيام وصل شكسبير إلى ابن سعود وأقام عنده إلى أن لقي حتفه بتاريخ 1915/1/24م في معركة جراب بين ابن سعود وابن رشيد، فتأثر ابن سعود تأثرا بالغا لمقتل صديقه، وقد احتل الإنجليز البصرة بعد هزيمة الجيش العثماني في 19/11/ 1914م، واضطر طالب النقيب الذي مازال في معية ابن سعود للاستسلام للبريطانيين فكتب ابن سعود كتابا إلى كوكس يقترح عليه استسلام طالب لبريطانيا على أن يتم نفيه إلى بومبي حتى تنتهي الحرب، وحمل سليمان فيضي هذا الكتاب إلى كوكس في البصرة، فوجد الحياة فيها قد تغيرت تغيرا جوهريا (اجتماعيا وسياسيا، وبرزت

---

[345]تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد لخالد السعدون 160.

[346]تاريخ الخليج العربي 26/3 .

طبقة جديدة من التجار والمتعهدين والوجهاء بالغت في الترحيب بالمحتلين الجدد، وربطت مصالحها بمصالحهم، بينما ناوأ المستعمر أولئك الذين أعرضوا عن التمرغ على أعتابه، وربأوا بأنفسهم من التهالك على نيل مرضاته)[347].

معركة الشعيبة واحتلال البصرة:

وبعد احتلال الجيش البريطاني للفاو، وقعت معركة الشعيبة بين الجيش العثماني والجيش البريطاني، واحتل البريطانيون البصرة، وتداعى علماء العراق السنة والشيعة على حد سواء، إلى إصدار الفتاوى بوجوب الجهاد، ودفع المحتل، وأنه صار فرض عين على كل مسلم، وكان شيخ الإسلام خيري أفندي أول من أصدر فتواه ذا الخصوص، ثم صدرت فتاوى مراجع الشيعة في العراق، وكان من أشهر العلماء الشيعة الذين أصدروا الفتاوى بوجوب الجهاد، من مراجع النجفوكربلاءوغيرهم: الشيخ فتح الله الأصبهاني، ومصطفى الكاشاني، ومهدي الخرساني، وعلي التبريزي، ومحمد حسين المهدي، وكاظم اليزدي، وعبد الكريم الجزائري[348].

وقد اشترك العلامة الشنقيطي بالقتال مع المجاهدين في معركة الشعيبة، وكان بمعية الشيخ عجمي السعدون، الذي قاد عشائر المنتفق مجاهدا مع الجيش العثماني، ومدافعا عن العراق، وقد صار مضرب المثل في بطولته في مواجهة الجيش البريطاني، حيث كان يشن الغارات الخاطفة مع فرسان المنتفق على المفارز البريطانية، فيفتك ا، ثم يكر راجعا، وقد شارك في القتال أيضا السيد محسن الحكيم[349]، وغيره من علماء العراق، وأدبائه، ومشاهيره، وبعد هزيمة الشعيبة، خرج الشنقيطي إلى نجد بإشارة من عجمي السعدون، الذي خاف عليه من الإنجليز، وقد استقر في القصيم، وهناك شرع في التعليموالخطابة، وكان يحث العامة على الجهاد، وكان من تلاميذه الشيخ عبد الرحمن السعدي، ولما علم ابن

---

[347] مذكرات سليمان فيضي 202- 207، وتاريخ الخليج لزكريا 27/3 .

[348] أعلام الفكر الإسلامي للخالدي 137.

[349] من المفارقات أن يقاتل محسن الحكيم ضد الاحتلال البريطاني دفاعا عن العراق، ويأتي ولده عبد العزيز الحكيم على ظهر دبابة الاحتلال البريطاني الأمريكي ليحكم العراق!

سعود بذلك طلب منه برسالة (أن لا يفرط في إثارة الحماس الديني ضد الإنجليز، كما فعل في الكويت والعراق)، فقد أراد بذلك (عدم إثارة المواضيع السياسية، ولو باسم الدين، وأن لا يتعرض خصوصا للإنجليز)، وقد ضاق الشنقيطي ذرعا ذا الحصار الذي فرضه عليه ابن سعود، فخرج بعد وفاة مبارك الصباح إلى الكويت، فاستقبله سالم الصباح شر استقبال، وأخبر البريطانيين بوجود الشنقيطي في الكويت، فخرج منها إلى الزبير خائفا يترقب[350].

وفي الوقت الذي كان القتال دائرا في العراق بين البريطانيين من جهة، والجيش العثماني والشعب العراقيمن جهة أخرى، الذين كانوا يتطلعون إلى نصرة ابن سعود، وصل الكابتن شكسبير إلى مخيم ابن سعود في منطقة الخفس في 1914/12/31م، ورأى منه تعاطفا ورغبة صادقة في الوقوف مع بريطانيا، وقدم دليلا على ذلك بتحركه بجيشه، ومنعه ابن رشيد من دعم الدولة العثمانية، وبجعل نفسه قدوة للعالم العربي في التعاطف مع بريطانيا، على حد تقرير شكسبير، الذي كتبه إلى حكومة الهند بخصوص موقف ابن سعود[351].

وقد قام ابن سعود بالدخول مع ابن رشيد في مواجهة في معركة جراب - بعد فترة طويلة من الهدوء بين حائل والرياض - وذلك بتاريخ 1915/1/24م، وكان معه في هذه المعركة الكابتن شكسبير، الذي ظل ملازما له منذ وصوله إليه، وقد قتل يومها على يد قوات ابن رشيد، وكان شكسبير (مسئولا عن حملة البنادق في جيش ابن سعود) وقد عثر ابن رشيد في أرض المعركة على رسائل مبارك إلى ابن سعود، التي يحثه فيها علىالوقوف مع بريطانيا ضد الدولة العثمانية[352].

[350]أعلام الفكر الإسلامي 139-149و157 .وهذا ما يحدث اليوم حيث يتم منع سفر العلماء والدعاة في بلدا م بإيعاز من الولايات المتحدة كإقامة جبرية للحيلولة دون تحركهم واستنهاضهم للهمم، ومنعهم من أي نشاط لمواجهة الحملة الصليبية على الأمة الإسلامية بدعوى المحافظة على الاستقرار والهدوء ليستفرد العدو بكل بلد على حدة!

[351]تاريخ العلاقات للسعدون 161 .

[352]العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 163، وتاريخ الكويت للرشيد 212، وخزعل 214/2 ، وقصة السيطرة لمي الخليفة409، وتحفة المشتاق412 .

وقد كانت علاقة ابن سعود بضابط الاستخبارات البريطاني الكابتن وليم شكسبير قديمة، وقبل اندلاع الحرب العالمية، حيث توطدت علاقة الصداقة الشخصية بينهما حين كان شكسبير مقيما سياسيا في الكويت[353].

لقد أثبتت الوثائق البريطانية بأن شكسبير كان يؤدي مهمة عسكرية في معسكر ابن سعود كلف ا من قبل الحكومة البريطانية كضابط في الاستخبارات، كما كان يشرف على إطلاق القنابل من مدفع كان مع ابن سعود لكونه ضابطا في سلاح المدفعية، وقد طلب منه ابن سعود أن يترك المعركة فرفض ذلك قائلا (إن أوامري أن أكون معكم وفي ذهابي مخالفة لشرفي وأوامري، ويجب أن أبقى بالطبع، أرجو إبلاغ أسفي لحكومة جلالة الملك في بريطانيا)[354].

لقد وفى ابن سعود بما أبداه لشكسبير من تعاطف وتعهد ووقف بصف بريطانيا، من خلال الدخول في حرب مع ابن رشيد، الذي كانت الدولة العثمانية في أشد الحاجة إلى قوته العسكرية لحماية البصرة من الهجوم البريطاني القادم من الكويت، ونجح ابن سعود في تحييد ابن رشيد وإشغاله في معركة جراب، التي كان النصر الآني فيها لصالح ابن رشيد، غير أن الهدف الاستراتيجي من الحرب كان قد تحقق لصالح بريطانيا، على يد ابن سعود، ومستشاره العسكري البريطاني الكابتن شكسبير[355].

لقد كان موت شكسبير كارثة على بريطانيا وعلى ابن سعود الذي لم يعد بعد ذلك قادرا على التأثير في مجريات الأحداث في الجزيرة العربية، ولكن كوكس لم يلبث أن أجرى اتصالاته بابن سعود من جديد[356].

وكان ابن سعود قد كرر طلبه لشكسبير في الدخول تحت الحماية البريطانية مباشرة في يناير قبل مقتله في جراب، ثم بعد موت شكسبير أرسل ابن سعود إلى

---

[353] فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص 80.

[354] فصول من تاريخ العراق للمس بيل 81، وتاريخ الخليج العربي لزكريا 29/3 .

[355] انظر تاريخ الخليج العربي لزكريا 27/3 .

[356] المصدر السابق 29/3 .

المقيم البريطاني في الخليج يخبره بموت شكسبير ويعزيهم به، ويطلب منهم إتمام موضوع المعاهدة التي شرع شكسبير في الإعداد لها، كما طلب أن يكون الاتصال به مباشرة عن طريق المسئولين البريطانيين في البصرة، التي باتت تحت الاحتلال، لا عن طريق مبارك الصباح أو الكويت، وقد تم فعلا توقيع اتفاقية الحماية الثانية مع بيرسي كوكس المقيم السياسي لبريطانيا في الخليج، وكان اللقاء بينه وبين ابن سعود في القطيف آخر سنة 1915م[357].

وقد قامت بريطانيا مباشرة بتقديم دعم مالي إلى ابن سعود وقدره عشرين ألف جنيه، وألف بندقية، وسمحت له باستيراد السلاح من البحرين[358].

وقد عقد ابن سعود لقاء ثانيا مع كوكس في العقير سنة 1916م، وتم الاتفاق على مواجهة ابن رشيد في حايل، كما دعا كوكس بعد مؤتمر الكويت ابن سعود لزيارة البصرة، فوصلها ابن سعود في زيارة رسمية بتاريخ 27 تشرين الثاني 1916م بعد الاحتلال البريطاني لها بمدة يسيرة، حيث تجول بين الوحدات العسكرية والقاعدة الجوية البريطانية في الشعيبة، وهو ما عزز الشعور لدى أهالي البصرة بضرورة الرضوخ للأمر الواقع، وهو ما كانت تهدف إليه بريطانيا من زيارة ابن سعود للبصرة[359].

وقد قابل ابن سعود في زيارته للبصرة تحت الاحتلال البريطاني السيدة جورترودبيل - الموظفة في المخابرات البريطانية ثم في المكتب السياسي في بغداد، والتي كانت وراء اختيار الشريف فيصل ملكا على العراق - وقد حصل ابن سعود في هذه الزيارة على خمسة آلاف جنية مساعدة شهرية، وأربعة مدافع رشاشة، وثلاثة آلاف بندقية مع الذخيرة، بشرط أن يقوم بإعداد جيش من أربعة آلاف جندي، يكون هدفه الرئيسي مقاومة ابن رشيد، ممثل الدولة العثمانية في نجد[360].

---

[357] تاريخ العلاقات للسعدون 170، وقصة السيطرة البريطانية 410 .

[358] قصة السيطرة البريطانية 411 .

[359] عبد العزيز وبريطانيا ص 101 .

[360] قصة السيطرة البريطانية 411، وتاريخ الخليج العربي 40/3 .

وقد قامت السلطات العسكرية البريطانية التي تسيطر على البصرة بتكريم ابن سعود ودعوته لزيارة مراكز قيادة الجيش البريطاني في الشعيبة، ثم طلبت الحكومة البريطانية هناك أن يوجه كتابا منه يناشد فيه عجمي السعدون شيخ قبيلة المنتفق بالوقوف مع بريطانيا والعمل على تحرير العرب من الدولة العثمانية، فرد عليه عجميبرسالة جاء فيها: (من عجمي السعدون إلى عبد العزيز السعود أخي المبجل من المعلوم أن موقفي هو موقف من يسعى لمرضاة الله العلي العظيم، وأي ولاء أعظم من أن أسارع بإخلاص إلى ما أمرني الله به في كتابه اليد بالجهاد ضد الكافرين أعداء الله وأعداء الدين، ولا يمكن أن تأخذني في الله لومة لائم، أنا الذي أسعى لحب الله وحماية بلادنا من أن يدنسها الكافرون، وقد كان لي أمل كبير في تدينكم وحميتكم العربية أن توافقوني في آرائي وتؤيدوني فيما أقوم به، من أجل إعلاء كلمة العرب، وليس هذا بفضل الله تمردا، وإذا كانت الحكومة التركية تذب عن حوزة الإسلام فهي عضيدي وعضيد قبائلي، وقد أعطيت عهدا بخدمة ديني وحكومتي وحميتي، وإذا حاججتموني بترك الدين جانبا فإن الواجب يدعوني إلى الوفاء بالعهد الذي قطعته على نفسي لحكومتي وهذا أول ما تقتضيه شيمة العرب)!

وبعد هذا الخطاب لم تبذل الحكومة البريطانية أي مساع لتغيير موقف عجمي السعدون عن مناصرة الدولة العثمانية[361].

كما حرص كوكس على عقد اجتماع خاص في البصرة مع (ابن سعود وفهد بن هذال حاكم ء ة وكان هذا الاجتماع دف استغلال الحكومة البريطانية لحليفها الجديد ابن سعود بغية التوسط بينها وبين الشيخ فهد ابن هذال، ويبدو بالفعل أن مساعدة ابن سعود لبريطانيا لدى شيخ ء ة على درجة كبيرة من الأهمية بحيث قررت حكومة الهند أن تزيد المساعدة التي كانت تصرفها له إلى مائة ألف جنيه سنويا، ولا شك أن اجتماعات العقير والكويت والبصرة أدت إلى تحسن موقف الحكومة البريطانية خاصة بعد أن تم الاتفاق مع الشيخ فهد بن هذال الذي كان

361 فصول من تاريخ العراق للمس بيل 83، وتاريخ الكويت السياسي لخزعل 108/3 .

يسيطر على الطريق الصحراوي بين بغداد ودمشق على حماية الموصلات في المناطق التي وصل إليها النفوذ البريطاني في العراق)[362].

وقد حاول عجمي السعدون العبور من أراضي قبيلة ع ة للحاق بالجيش العثماني بالشمال، فرفض فهد بن عبد المحسن الهذال شيخ عشائر ع ة، وخالفه ابن عمه فهد بن دغيم الهذال وأذن له بالعبور وقال له (إننا نترك اليوم العداوة القديمة بيننا لوقت آخر، أما اليوم فالواجب أن نقف مع إخواننا المسلمين في الجهاد ضد الأعداء)، ف ل عجمي السعدون وخيم عنده، فأرسلت بريطانيا قوة عسكرية بقيادة القائد البريطاني لجمن للهجوم عليه ومعهم فهد بن عبد المحسن الهذال، فتصدى لهم عجمي ومن معه فهزمهم، ثم ارتحل إلى شمر وترك أهله عندهم، وتوجه إلى تركيا شمالا، فأكرموه ومنحوه بلدة كرموش.[363]

---

[362] تاريخ الخليج العربي لزكريا 40/3 ، وعبد العزيز وبريطانيا ص 102 .

[363] التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ص487- 480 .

(عبيد بلا أغلال)

(14)

(هزيمة الحلفاء وحصار قبيلة العجمان وإخضاعها للمشروع البريطاني!)

هزيمة جيوش الحلفاء في الغرب والشرق سنة 1915م:

وفي هذه الفترة التي بدأت فيها جيوش الخلافة العثمانية تتصدى لجيوش الحملة الصليبية على أراضيها (الجيش الروسي الأرثوذكسي شمالا، والجيش البريطاني البرتستانتي جنوبا، والجيش الفرنسي الكاثوليكي وحلفائه غربا) كانت جيوش الحلفاء تواجه أكبر هزيمة عسكرية في حملة غاليبوليللسيطرة على مضيق البسفور واحتلال اسطنبول، تلك الحملة التي تصدى لها الجيش العثماني ببسالة رت قادة جيوش الحلفاء، وأوقعت بقوا م عشرات الآلاف من الضحايا، وأدت إلى سقوط الحكومة البريطانية في مايو 1915م، وإقالة تشرشل عن القيادة العسكرية وكما يقول فرومكين: (فقد أخفقت الأوساط السياسية البريطانية في استيعاب حقيقة جوهرية، وهي أن قيادة قوات البر والبحر البريطانيين يخسرون الحرب، وأن الحلفاء هم الجانب الخاسر في الحرب الدائرة في الشرق، وأن الجانب الآخر العثماني هو الجانب الرابح، وأن شجاعة وصمود الجنود الاستراليين والنيوزلنديين والبريطانيين والفرنسيين، كانت تماثلها شجاعة وصمود خصومهم العثمانيين)[364].

هزيمة الجيش البريطاني في معركة كوت العمارة:

وفي الوقت الذي استطاع الجيش العثماني هزيمة الحلفاء في الغرب، نجح أيضا في هزيمتهم في الشرق، حيث استطاع في العراق أن يحاصر الجيش البريطاني في كوت العمارة، ذلك الجيش الذي تحرك منذ أن أعلنت بريطانيا الحرب على الدولة

[364] ولادة الشرق 181.

العثمانية في 1914/11/6منحو البصرة، وقد تراجع أمامه الجيش العثماني، مـا دفع البريطانيين للتقدم، حتى حاصرهم الجيش العثماني في العمـارة مـدة 146 يوما، حاول البريطانيون خلالها فك الحصار عنهم بأي وسيلة، فلم ينجحوا، حيث تم تدمير القوات البريطانية المحاصرة، إلى أن استسلم قائدها دون شرط في شـهر إبريل سنة 1915م، وتم اقتياد الجنـود الـذين أ كهـم الجـوع والمـرض إلى الأناضول، حيث مات أكثرهم في الطريق، ولم يبق منهم على قيد الحيـاة سـوى عدد قليل، بعد أن لحق م عشرة ألاف إصابة، وثلاث وعشرون ألف إصـابة في القوات التي جاءت من أجل إنقاذها، وعلى حد فرومكين(كانت هذه مذلة قومية أخرى حلت ببريطانيا على يد العدو العثماني، الذي كـان البريطـانيون دائمـا يعتبرونه عديم الفاعلية، وكان المكتب العربي في القاهرة يعتزم سـحقه بواسـطة عمل تخريبي داخلي في وقت لاحق من عام 1916)[365].

الإعداد البريطاني للثورة العربية وخيانة الدولة العثمانية:

لقد كانت الاستخبارات البريطانية قبل الحرب العالمية بسنوات طويلة تعد لهـذه الثورة التي ستقلب موازين الحرب لصالح بريطانيا على يد العرب، بعد خيانتـهم للدولة العثمانية التي كانوا يعملون كموظفين تابعين لها في ولايا ا، وقـد رفـض الضباط العرب في الجيش العثماني التورط في هذه الخيانة التي تورط فيها بعضهم، فقد ثبت كما يقول فرومكين (أن السكان العرب لم يغيروا ولاءهم، وأن الجنـود العرب أظهروا ولاءهم ليس فقط للإسلام، بل للحكومة العثمانية أيضا، وقد جاء في مذكرة أعد ا المخابرات البريطانية على أساس مقابلات مع الضـباط العـرب الأسرى في معسكرات أسرى الحرب، أن معظم الضباط كانوا في الحقيقة مؤيدين للحكومة العثمانية، وحتى الأقلية منهم التي لم تكن مؤيـدة لم تسـتطع بـوازع الضمير أن تقبل القيام بثورة مسلحة والبلاد في مواجهة العدو)[366].

---

[365] ولادة الشرق 228 .

[366] ولادة الشرق 233 .

وهذا ما عبر عنه سليمان فيضي للكابتن لـورنس العـرب في 1916/4م بعـد احتلال الجيش البريطاني للبصرة حيث تم استجواب فيضي على يد لورنس الـذي سأله:

(أليس الترك أعداءكم؟ ألم يكن مستعبديكم؟ ألم تكونوا تؤلفون الجمعيات السرية للتخلص منهم؟

فرد عليه فيضي - الذي كان سكرتيرا لجمعية الإصلاح التي يرأسها النقيـب - فقال: أما الترك فلم يستعبدونا قط، ولم يكن أي فرق بين التركي والعربي سواء من جهة الحقوق أو من جهة الوظائف في الدولة والجـيش، فـالتركي والعـربي متساويان في الدرجات والحقوق والوظائف، وكمـا أن التركـي يكـون واليـا ومتصرفا كذلك العربي، وكل الوظائف في بلادنا تقريبا بيد أهل البلد، أما تأليفنا الجمعيات السرية وعملنا ضد الأتراك فأسباب ذلك الـ اع تنحصـر في أمـور محددة، ولو لم تحدث الحرب لكانت البلاد العربيـة قـد حصـلت علـى أكثـر مطالبها)[367].

الخطط البريطانية لصناعة الزعامات العربية:

لقد طلب لورنس من فيضي أن يقوم بتدبير أمر الثورة ضد العثمانيين في المناطق التي ما زالت تحت حكمهم، ووعده بجعل أموال البنك تحت تصرفه، وكذا كل ما يحتاجه من السلاح من أجل الثورة، وعندما اعتذر فيضي عن ذلك محتجا بأنـه لا نفوذ له ولا عشيرة يستطيع تحريكها أجابه لورنس العرب بقوله: (إن المال الذي سأجعله تحت أمرك هو الذي يجعل الناس يلتفون حولك من كل جانـب، فـإذا نصبت لك خياما عديدة في جهة من البر، وعينت لك عددا كبيرا مـن الحـراس والخدم، وهيأت الزاد، وبذلت الأموال والهدايا والعطايا أصبحت رئيسا مطاعا، وأقبل الناس إليك أفواجا، وجمعت لك في مدة وجيزة جيشا عظيما لا يقاوم، ولا أهمية لما تذكره من تألم الشعب فإنه وقتي!)[368].

---

[367] مذكرات سليمان فيضي 233 .

[368] مذكرات سليمان فيضي 229 .

وهذا يفسر كيف ظهرت فجأة زعامات في الخليج والجزيـرة العربيـة في مطلـع القرن العشرين، لتشكل تحالفات قبائلية كبرى، وتقود جيوشا عشائرية جرارة لا يستطيع أحد جمعها إلا الذهب البريطاني والتخطيط البريطاني والسلاح البريطاني، وهو ما نشاهد مثله اليوم في أفغانستان والعراق!

لقد وجدت بريطانيا ضالتها ليس في الضباط العرب في الجيش العثماني، والـذي يشكل العرب فيه نسبة كبيرة جدا، ولا في قادة الأحزاب والمنظمـات العربيـة السرية، ولا في الزعماء السياسيين في المدن والأمصار، بل في الصحراء العربية في الحجاز ونجد والخليج!

التخطيط البريطاني للقضاء على قبيلة العجمان في الأحساء:

وبعد معركة جراب وانتصار ابن رشيد على ابن سعود المدعوم بريطانيا، نجحـت الدولة العثمانية في تشكيل تحالف بين ابن رشيد وقبيلة العجمان القوية بقيـادة ابن حثلين - التي يمتد نفوذها من الإحساء جنوبا إلى مدينة الكويـت شمـالا - لتستطيع بذلك تحييد ابن سعود وشل حركته، حتى يستطيع ابـن رشـيد تقـديم الدعم للدولة العثمانية في حر ا الدائرة في العراق مع البريطانيين هنـاك، وقـد قدمت الدولة العثمانية دعما ماليا للعجمان مقابل صمودهم.

وبعد توقيع بريطانيا معاهدة دارين مع ابن سـعود في شـهر 4 سـنة 1915م خططت بريطانيا لضرب العجمان أعداء ابن سعود في الإحساء فقد (استفاد ابن سعود فائدة كبيرة من توقيع معاهدة القطيف في إمداد بريطانيا له بالسلاح الذي كان في حاجة ملحة إليه لمقاتلة العجمان حلفـاء آل رشـيد، هـذا بالإضـافة للمساعدات النقدية، والمساعدات العينية، كما سهلت لـه بريطانيـا اسـتيراد الذخيرة لحسابه الخاص من البحرين، حتى يستطيع أن يفي باحتياجات الحملة التي وجهها ضد قبائل العجمان)[369].

---

[369] تاريخ الخليج لزكريا 35/3 .

وقد أرسل الوكيل السياسي في الكويت وليم كراي – وكان وكيلا من 1915-1917 - رسالة إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي يؤكد له دعم ابن رشيد للعجمان، ودعم العثمانيين له، وقد دعمت بريطانيا ابن سعود مـن أجـل القضاء على العجمان - كما يقول فيلبي - بعشرين ألف جنيه، وألف بندقيـة، ومهد له الوكيل السياسي في البحرين السبيل لاستيراد الذخيرة والمعدات الحربية لدحر العجمان[370].

وقد قامت بريطانيا بالتنسيق بين مبارك الصباح وابن سعود، للقضاء على خطـر العجمان جنوبا وكسر شوكتهم، ليتمكن ابن سعود بعد ذلك من الهجـوم علـى حائل شمالا، واتفق ابن سعود ومبارك على تحريك قوات مشتركة لتنفيذ الهجـوم المرسوم، ووصل ابن سعود إلى الإحساء في شهر 6 سنة 1915م، قبل أن تصـله قوات الكويت بقيادة سالم بن مبارك، وهجم ابن سعود على العجمان في معركـة (كـ ان)، غير أ م نجحوا في هزيمته وقتل أخيه سعد بن عبد الرحمن، فانسحب ابن سعود إلى الهفوف حيث أرسلت إليه الحكومة البريطانية الأسلحة والذخيرة مـن البحرين على الفور، كما جاء في برقية الوكيل السياسي في البحرين إلى المقـيم السياسي في الخليج العربي بتاريخ 1915/8/6م[371].

وقد بلغ عدد قوات ابن سعود أربعة آلاف مقاتل، وقد تعرضت لهزيمة شنيعة على يد العجمان، وتكبدت خسائر فادحة في المعركة.[372]

وبعد وصول المدد العسكري البريطاني من البحرين، ووصول جيش سالم الصباح إلى الإحساء، واتباع الخطة العسكرية -التي أيدها الوكيل السياسي البريطاني في الكويت الذي رسمها ابتداء وأمر مبارك ا - نجح ابن سـعود وسـالم في هزيمـة العجمان في شهر اكتوبر 10سنة 1915م بعد أن تم محاصر م من ثلاث جهات،

[370]تاريخ نجد لجون فيلبي ص 318، وعبد العزيز وبريطانيا ص 185 .

[371]تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 172- 173 .

[372]عبد العزيز وبريطانيا 184 نقلا عن الوثائق البريطانية.

مما اضطرهم للرحيل شمالا نحو الكويت، حيث استقبل مبـارك الصـباح شـيوخ العجمان استقبلا لائقا بعد أن شرط عليهم لزوم الهدوء.[373]

وقد كانت الخطة البريطانية تهدف إلى فتح الطريق للعجمان لإخـلاء الإحسـاء منهم، حتى يتفرغ ابن سعود للمهمة التي ستوكل إليه بعد ذلك للـهجوم علـى حائل، وقد كان مبارك يسير على هدي ما يشير به عليه الوكيـل السياسـي في الكويت، والذي كان قد وضع خطة مبارك في الهجوم على العجمان مـن ثـلاث جهات، فلما تحقق لبريطانيا ما تريد من إخراج العجمان من الإحسـاء، وكسـر شوكتهم، أرادت أن تحاصرهم في منطقة محددة ليكونوا تحت المراقبة، وهـو مـا نفذه مبارك، غير إن ابن سعود لم يرض من مبارك أن يقوم بحماية أعدائه العجمان، ولهذا أرسل ابن سعود إليه رسالة جاء فيها:(إنني لم أحارب العجمان إلا إكراما لك).[374]

وهو ما يؤكد أن حرب العجمان في الإحساء كانت بإيعاز من مبارك، الذي كان يتحرك ضمن المشروع البريطاني المحكم، والذي نجحت بريطانيا في توظيف الجميع من أجل إنجاحه وتحقيقه، وقد دفعت القبائل ثمن هذا المشروع فادحا من خلال ما تعرضت له من تهجير وقتل وتشريد من أراضيها بشكل جمـاعي، ومحاصـرتها في مناطق معزولة كإقامة جبرية، وهو شبيه تماما لما تعرض له الهنود الحمر على يـد الأنجلو سكسون[375]!

وقد توفي مبارك بعد ذلك في شهر نوفمبر 11 سنة 1915م، بعد أن قام بتنفيـذ كل ما يشير به عليه الوكيل السياسي البريطاني في الكويت مـدة عقـد كامـل، وكانت قد تعهدت له بريطانيا مقابل وقوفه مع الحلفـاء (أن تضـمن الحكومـة

---

[373] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 174- 176 ، وكان هـذا بإيعـاز بريطـاني لتحييـد العجمان وفرض إقامة جبرية عليهم بعيدا عن خطوط المواجهة بين حلفائها وابن رشيد.

[374] تاريخ الكويت لخزعل 219/2 .

[375] وما زال بعض كبار السن من الرجال والنساء من القبائل يروون قصصا مروعة لما تعرضوا له على يد حلفاء بريطانيا وطيرانها من حروب وقتل وتشريد أصبح أكثره طـي النسـيان إلا أن التـاريخ لا ينسى!

البريطانية في كل الأزمان بقاء الشيخ مبارك وورثتـه وخلفـاءه شـيوخا علـى الكويت، ومنذ اللحظة التي احتلت فيها القوات البريطانية العراق ظلت الحكومة البريطانية محافظة على تعهدا ا والتزاما ا تجاه شيخ الكويت).[376]

وهي التعهدات نفسها التي تعهدت ا بريطانيا لحلفائها في المنطقـة، ومازالـت شعوب الخليج العربي تدفع ثمنها غاليا إلى اليوم بمصادرة حقها الطبيعـي كبقيـة شعوب العالم في اختيار حكوما ا، ومازال الاستعمار وفيا بالتزاماته لهـا، ومـا زالت هي وفية بالتزامها تجاه مشروعه الاستعماري الصـليبي في المنطقـة علـى حساب حرية شعو ا وسياد ا واستقلالها!

وقد كانت بريطانيا حين وفاة مبارك قد وطدت علاقتها بابن سعود، ووقعت معه معاهدة حماية في 4 ديسمبر 1915م، أي بعد وفاة مبارك بشهر واحد، إذ سيحل ابن سعود محل مبارك الصباح في استكمال تنفيذ المشروع البريطاني في المنطقة.

وفي 22/ 12/ 1915م أمرت بريطانيا جابر المبـارك بترحيـل العجمـان مـن الكويت، وأمرته بمنعهم من التزود بالمؤن من سوقها، وحاصر م شمالا في صفوان جنوب الزبير وفرضت عليهم إقامة جبرية في هذه المنطقة، لمراقبتهم حتى لا يقدموا الدعم لحائل أو للسعدون حليفي الدولة العثمانية، وقد ذهب قسم من العجمان للسعدون، وقسم آخر لحائل، وقد نجحت بريطانيا بعد ضغطها علـى العجمـان ومحاصر م، وقطع الإمدادات عنهم، في الحصـول منـهم علـى تعهـد بلـزوم الهدوء[377].

وقد بعثت بريطانيا الكولونيل هاملتون الوكيل السياسي لحكومة الهند البريطانية في الكويت إلى الرياض في آخر سنة 1917م وقضى مدة ثلاثة أسابيع في الرياض، وكان هدف بعثته تشجيع ابن سعود على مهاجمة حايـل، ومحاصـرة الحاميـات العثمانية فيما وراء حدود العراق الغربية، وفرض الحصار على طرق الإمداد عبر

---

[376] الكويت وجارا ا 145/1 .

[377] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 185، وتاريخ الخليج لزكريا 56/3.

الصحراء بين دمشق والأتراك، ووضع سياسة سلمية بين ابن سـعود والعجمـان يرضى ا الطرفان[378].

وقد أثار هاملتون مع ابن سعود المشكلات التي تخص عددا من القبائل في المنطقة كالعجمان والعوازم ومطير، خاصة مشكلة مغادرة مطـير والعـوازم الكويـت وتوجههم للإحساء، وقد عرض ابن سعود على هاملتون أن يرد مطير والعـوازم إلى الكويت، بشرط أن تطرد الكويت شيخ العجمان ابن حثلين، وأن يقطع ابـن حثلين اتصالاته مع ابن رشيد، ووافق هاملتون على هذه الشروط[379].

وقد كتب هاملتون باقتراحاته لحكومته وتضمنت:

1- رغبة ابن سعود في معاملة بريطانيا له كمعاملتها للشريف حسين.
2- رغبته باعتراف بريطانيا بمركزه في نجـد، وأن يحظـى مـن بريطانيـا بلقب(جلالة حاكم نجد).
3- كما يرغب بأن تخضع وتدين له جميع القبائل العربية في وسط الجزيـرة العربية وتشمل ع ة ومطير وعتيبة وبني هاجر والدواسـر والمناصـير وبني عبد الله من مطير والعجمان والظفير وشمـر، وأن تصـبح هـذه القبائل تحت سيادته، وأن يحصل على تفويض من بريطانيا عن طريـق المقيم البريطاني في الخليج العربي يعترف بموجبه بتبعية هـذه القبائـل لسلطته.
4- يتعهد ابن سعود مقابل ذلك بعدم الدخول في علاقات مع أي دولة غير بريطانيا، كما يمتنع عن التعرض للقبائل العربية أو القـوى الحليفـة لبريطانيا.[380]

وهذا ما تحقق فعلا حيث تم إخضاع قبائل المنطقة الرئيسية العصية لسيطرة ابـن سعود من خلال الدعم المالي والعسكري التي قدمته بريطانيا لـه مقابـل تنفيـذ

[378] عبد العزيز وبريطانيا ص 105 ، نقلا عن (يوميات هاملتون).

[379] عبد العزيز وبريطانيا ص 105، وتاريخ العلاقات البريطانية الكويتية للمخترش ص93.

[380] عبد العزيز وبريطانيا ص 106 نقلا من مذكرات هاملتون، وقد نجحت بريطانيا في تنفيذ مـا أراده ابن سعود وأخضعت له كل القبائل في نجد والإحساء بدعم مالي وعسكري ولوجستي.

مشروعها الاستعماري للمنطقة، واضطرت القبائل الرئيسة في نجـد والإحسـاء، والتي كانت تستلم مخصصا ا من خزينة الدولة العثمانية، إلى الخضوع والتبعيـة لبريطانيا، بعد سيطر ا على المنطقة!

الحمية البريطانية لقبيلة العجمان جنوب الزبير :

كما قامت بريطانيا بعد وفاة جابر وتولي سالم الصباح للحكم سنة 1917 والذي كان يميل إلى دعم العجمان والسماح لهم بدخول الكويت (بعقد تسوية مع كـل من ابن سعود وسالم الصباح وشيوخ العجمان في 4 مـارس 1918م تم الاتفـاق بموجبها على أنه بموجب إرادة صديق بريطانيا ابن سعود، وبعد توسـط الشـيخ سالم للعجمان الذين هم تحت رعايته الآن، فقد وافقت الحكومـة البريطانيـة أن تجعل قبائل العجمان تحت حمايتها لمدة عام من اية الحرب، شريطة انتقـالهم إلى مكان آخر تحميهم فيه جنود بريطانية، وتوافق عليـه بريطانيـا، وألا يـدخلوا الكويت إلا بتصريح من المندوب البريطاني في العراق وبعد موافقة مسـبقة مـن شيخها، وأن تعتبر مقاطعات الكويت خارجة عن حدود القبيلة، وأنه بعد توقيع هذه الاتفاقية من قبل شيوخ العجمان ينقلون إلى الزبير إلى حين تحديد مكان آخر لاستقرارهم فيه، وأن هذه القيود لا تفرض على أفراد العجمان الذين يعيشـون في الكويت والذين يشتغلون في صيد اللؤلؤ وفي حيا م العامة، وإنما تفرض على الشيخ ابن حثلين وأتباعه من الشيوخ البارزين)[381].

وكان الهدف من فرض الحصار عليهم حتى يستطيع ابن سعود التقدم شمالا ليحتل حائل عدوة بريطانيا التي ما تزال المدينة الرئيسية الوحيدة في نجد في هذه الفترة التي ترفض التعاون مع بريطانيا ضد الخلافة العثمانية، ولم يستطع ابـن سـعود الهجوم عليها بعد أن أمره البريطانيون بذلك، بسبب وجود العجمان في جانبـه الجنوبي والشرقي، مما حدا ببريطانيا لطردهم ومحاصر م شمال الكويـت في أبعـد نقطة عن ابن سعود، ليتفرغ للمهمة التي أوكلته بالقيام ا.

وقد كان السبب في ترحيل العجمان من الكويت إلى صفوان، هـو مـا وصـل بريطانيا من معلومات بأن جابر المبارك - للتأثير الديني عليه - كان يميل قلبيـا

[381]تاريخ الخليج العربي لزكريا 58/3 .

مع الدولة العثمانية وحليفها ابن رشيد، وكانت صلته به قوية، وسعى للإصلاح فيما بينه وبين ابن رشيد، الذي وصل بقواته، حتى نزل على الجهـراء، وأرسـل رسالة يطمئن الكويت فيها إلى حسن نواياه، حيث لم يعد أمامه طريقا للتموين إلا ميناء الكويت، بعد أن أصبحت البصرة والزبير تحت الاحتلال البريطاني، وهو ما عرض حائل للخطر بقطع طرق التجارة عنها ومحاصر ا، وقد علمت بريطانيا ذه الحركة، فأرسلت برسالة لجابر، نصت على أنه لا يحق له بموجـب المعاهـدة أن يدخل في أي علاقة ودية مع ابن رشيد، قبل قيامه بالتشاور الكامل مع السلطات البريطانية، وقد اعتذر جابر لها بأنه كان يحاول إقناع ابن رشيد بالتحـالف مـع بريطانيا، غير أن بريطانيا ظلت تشك في موقفه، وأرسلت له رسالة ديد وتحذير شديد اللهجة، أعلن جابر بعدها خضوعه المطلق لبريطانيـا، ورغبتـه في تنفيـذ رغبا ا، وقد أمرته بمنع قوافل التجارة المتجهة لحائل ومصادر ا، فنفذ الأمر[382].

وبعد أن حكم سالم الصباح بعد أخيه جابر الذي لم يعش طويلا تعاطف سالم مع العجمان لميوله الدينية مع الدولة العثمانية، وأخذ يدعمهم ضد ابن سعود سرا، إلى أن توسط كوكس بينهما على أن يكف ابن سعود عن ديد الكويت شـريطة أن يقوم سالم بطرد العجمان إذا لجأوا إليه بعد هجوم ابن سعود عليهم (والواقع أن شيخ لكويت كان يود توسيع إمارته على حساب مناطق العجمان في الجنوب فساعدهم على الثورة على ابن سعود بتوزيع الأسلحة عليهم مما جعل مركز ابن سعود حرجا من كل جانب)[383].

ويلاحظ أن جابر المبارك وبعده سالم المبارك لم يحكما طويلا، وكلاهما لم يكن مخلصـا لبريطانيـا، وكلاهما توفي في ظروف غامضة!

وقد ألح ابن سعود في طلب مقابلة مع كوكس وتمت في العقير في شهر 11 سـنة 1916م، حيث أوضح ابن سعود لكوكس سبب فشله في تنفيذ ما طلب منه بشن هجوم على حايل شمالا، وأن ذلك يعود لحروبه مع العجمان وآل مرة، وأنـه لا يستطيع مواصلة الحرب في جبهتين في آن واحد، وقد عنى اجتماع العقـير هـذا

---

[382] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد 192- 195، وتاريخ الكويت للرشيد 231.

[383] تاريخ الخليج العربي 35/3 .

ببحث الطرق ولوسائل التي تمكن ابن سعود من تجهيز حملة عسكرية قوية ضد ابن رشيد[384] .

غير أنه(لم تمض مدة طويلة على استقرار العجمان في شمال الكويت حتى حـدثت بينهم وبين قبيلة مطير وقبيلة الهواجر عدة اشتباكات، كما هاجموا بعض القوافل النجدية، وعندما أبدى ابن سعود استياءه من ذلك، وجهت الحكومة البريطانيـة تحذيرات إلى شيوخ العجمان وتركهم لانتقام ابن سعود، وفي الوقت نفسه أبلغت السلطات البريطانية ابن سعود أن في إمكانه اتخاذ مـا يـراه مناسـبا لتأديـب العجمان، ونتيجة لذلك سنحت الفرصة لابن سعود لتوجيه غزوة ضد العجمـان انتهت باستسلامهم وخضوعهم له في عام 1919، حيث اعترفوا به إماما عليهم، وانخرطوا في صفوف الأخوان التي لم يكونوا قد انضموا إليها بعد لأ ـ م كـانوا يتوجسون من نوايا ابن سعود الرامية إلى إضعافهم)[385] .

ولم يقتصر ابن سعود على ذلك بل (لجأ إلى تطبيق سياسة الحصار التجاري بعـد مؤتمر العقير، وهو المؤتمر الذي خرج منه غانمـا الكـثير مـن قبائـل الكويـت وأراضيها، ولذلك أدرك أن كثيرا من القبائل التي انتقلت تبعيتها إليه كالعوازم والعجمان ومطير لها علاقات وثيقة بالكويت، وكان من الطبيعي إذا مـا حـدث اتصال تجاري أن تعود الاتصالات بين هذه القبائل وبين الأقسام الـتي اسـتمرت تحت تبعية الكويت، إذ أن النجديين كانوا لا يكتفـون فقـط بالمسـابلة - أي المتاجرة - وإنما كانت تتم مصاهرات بينهم وبين قبائل الكويت، ولما كان ابـن سعود يخشى من وجود هذه العلاقة فقد تشدد في فرض الحصـار التجـاري، لأن ذلك من شأنه أن يقف حائلا أمام اتصالات قبائله بقبائل الكويت الـتي هـي في حقيقة الأمر جزء منها)[386] .

---

[384] تاريخ الخليج العربي لزكريا 37/3 .

[385] تاريخ الخليج العربي 59/3 .

[386] تاريخ الخليج العربي 106/3 .

وهكذا دفع شعب الخليج والجزيرة والقبائل الرئيسة في المنطقة ثمن المخطط البريطاني الخطير، الذي جزأ الشعب والقبيلة الواحدة، بين حلفاء بريطانيا الجدد، يتقاسمون عشائرها وأراضيها، التي طالما عاشت عليها حرة عزيزة موحدة، ولتحاصرها بريطانيا في كانتونات جديدة، ولتقسم أراضها التي عاشت عليها قرونا طويلة لصالح دويلات الطوائف الجديدة التي لم يكن لها أي وزن أو وجود قبل تحالفها مع الاستعمار البريطاني الذي كافأها على ذلك بترويض القبائل لها، وإحكام السيطرة عليها، ومد نفوذها إلى داخل الصحراء من خلال سلاح البحرية والطيران البريطاني، لا لتصبح جزءا منها له كامل الحقوق على الأرض التي كانت في الأصل لها، بل لتتحول إلى فئات دخيلة على أراضيها، خاضعة لسيطرة الأسر التي ضمنت بريطانيا لها الحكم بشكل وراثي ائي، واعترفت لها بالأرض والسلطة والثروة وحق منح امتياز النفط، قبل أن تصبح دولا، وقبل أن يكون لها شعب، لتبدأ أزمة الهوية في الخليج والجزيرة العربية، ولتدفع شعوب المنطقة ضريبة الاحتلال البريطاني، وضريبة قيام دويلات الطوائف، وإقطاعيات الأسر الحليفة له، وضريبة سقوط الدولة العثمانية الموحدة لكل مد ا وقبائلها مدة خمسمائة عام، بل وسقوط الدولة الإسلامية الموحدة تحت ظل الخلافة منذ ظهور الإسلام إلى سقوطها في الحرب العالمية الصليبية الثامنة على العالم الإسلامي!

(عبيد بلا أغلال)

(15)

(الثورة العربية والاحتلال الصليبي للحجاز ومؤتمر الكويت سنة 1916م)

وفي الوقت التي كانت جيوش الحلفاء تجر أذيال الخيبة والهزيمة، بعد معركة غاليبولي على يد الجيش العثماني، وفي أواخر سنة 1915م، رجع مارك سايكس إلى لندن يحمل خبرا (أكثر مدعاة للذهول في ذلك الحين، وأهميته أكثر ديمومة، إنه نبأ شاب عربي غامض ادعى أمام سايكس أنه وأصدقاءه يستطيعون مساعدة بريطانيا على كسب الحرب، كان اسمه محمد شريف الفاروقي، لا شيء كان معروفا عن الفاروقي آنذاك، وقليل ما هو معروف عنه ألآن)[387].

مشروع المملكة العربية المتحدة :

لقد كان الفاروقي وسيط المنظمات العربية السرية والشريف حسين أمير مكة، الذي عرض على بريطانيا وقوف العرب معها، مقابل الاعتراف بحقهم في إقامة دولة عربية تضم الجزء العربي الآسيوي من الدولة العثمانية، أي الشام، والعراق، والجزيرة العربية، وكان الشريف قد اتفق مع المندوب السامي البريطاني في مصر هنري مكماهون منذ بداية الحرب العالمية في خريف 1914م أن يلزم الحياد كقوة روحية دينية دون أن يقف مع بريطانيا ماديا، فالمهم أن لا يستخدم مكانته الروحية ضد بريطانيا، غير أن موقف بريطانيا تغير بعد هزيمتها في غاليبولي، وبعد لقاء الفاروقي الذي أكد للبريطانيين أنه يمثل منظمات عربية سرية خلف خطوط الجيش العثماني، وأنها قادرة على الثورة ضد الدولة العثمانية، إذا ضمنت بريطانيا إقامة مملكة عربية واحدة كما طلب الشريف حسين، وقد اقتنع البريطانيون بأن الثورة العربية هي الأمل الوحيد لإنقاذ جيوش الحلفاء التي كانت

---

[387] ولادة الشرق 195 .

تقاتل في سبيل إنقاذ أرواح جنودها، عند أطراف جزيـرة غـاليبولي في مضـيق الدردنيل[388].

لقد كان النصر حليف الجيش العثماني مدة سنتين من اندلاع الحرب العالمية الأولى وكما يقول فرومكين: (كان أداء الدولة العثمانية في زمن الحرب ناجحا نجاحـا مدهشا، فقد كانت تحارب على ثلاث جبهات، فهزمت بريطانيا وفرنسا في الفترة ما بين 1915 إلى 1916م، وسحقت قوات الهند البريطانية الزاحفة في الشرق - في العراق - وأوقفت قوات الغزو الروسي في الشمال، وكـان الأداء العثمـاني خلف خطوط العدو أيضا مثيرا للإعجاب)[389].

لقد كانت ثورة الشريف حسين، وخيانة العرب في الجزيرة العربية، في يونيو 6/ 1916م، هي التي ستؤدي إلى قلب الموقف، وإلى كسب بريطانيا الحرب العالميـة الأولى، وإنقاذ الحلفاء من هزيمة كانت قد تحققت على يد الجيوش العثمانية!

بداية الثورة العربية والاحتلال البريطاني للحجاز :

لقد بدأ الشريف حسين بثورته العربية بعد أن طلب من الدولة العثمانية نصـف مليون جنيه من الذهب، لتجهيز جيش لمواجهة البريطانيين، وحماية الحجـاز، وفي نفس الوقت استلم دفعة من بريطانيا، لتجهيز الثورة على الخلافة العثمانية، وبعد إعلانه للثورة في يونيو 1916م، طلب من بريطانيا حماية سواحل الحجاز، لمنع أي إنزال عثماني بحري على سواحل البحر الأحمر، إلا أنه لم يتعاطف معه أحـد مـن العرب(فلم تنضم إليه أي وحدات عربية في الجيش العثماني، ولا انضم إليه، ولا إلى الحلفاء أية شخصية سياسية أو عسكرية في الدولة العثمانية، وكانت قـوات الحسين مؤلفة من بضعة آلاف من رجال القبائل، الذين يحصلون على دعم مـالي من بريطانيا، وهجما م على الحاميات العثمانية في مكة، والطـائف، والمدينـة، وجدة، قد صدت، ولم يكن هناك أي تأييد منظور للثورة في أي جزء من العـالم العربي، وقد هبت السفن والطائرات البريطانية لنجد ا، فهاجمت جدة، ومـا أن

---

[388] ولادة الشرق 196- 200 .

[389] ولادة الشرق 239 .

ضمن البريطانيون السيطرة على الميناء، حتى أنزلوا جنودا مسلمين مـن الجـيش المصري، بدءوا تقدمهم إلى الداخل لمساعدة الشريف في السـيطرة علـى مكـة والمدينة، وهكذا سيطر الأسطول البريطاني على ساحل شبه الجزيرة على البحـر الأحمر، وأقام وجودا بريطانيا على البر في الموانئ)[390].

بل حتى المنظمات السرية العربية في الشام والعراق، التي كان يـراهن الشـريف حسين على تأييدها للثورة(كانت تعارض شديد المعارضة مخططات بريطانيا تجـاه الشرق الأوسط، وكانت عازمة على مساندة الدولة العثمانية لمواجهـة الخطـر الأوربي، وظلت وفية لما عزمت له، لقد فضلت الحكم الذاتي، أو الاسـتقلال إذا أمكن تحقيقه، وإلا فإ ا تفضل حكم المسلمين الأتراك على حكم المسيحيين)[391].

لقد كان القوميون العرب يختلفون عن القوميين الغربيين آنذاك (ومع أن هـؤلاء كثيرا ما يوصفون بأ م قوميون، إلا أ م لم يطالبوا بالاستقلال، بل بقدر أكبر من المشاركة، ومن الحكم المحلي، وكانوا راضين إلى حد كبير بأن يكون الحكم إلى حد كبير حكما تركيا، لأن الأتراك مسلمون، وهم خلافا لما كان عليـه القوميـون الأوربيون، أناس معتقدا م قائمة في إطار ديني، أكثر مما هـي قائمـة في إطـار علماني، فقد كانوا يعيشون ضمن أسوار مدينة الإسلام، ولا يتطابق عيشهم مـع طريقة عيش أوربا ضمن العالم المسيحي منذ مطلع القرون الوسطى، ذلك أنه على غرار المدن التي شيدت في العالم العربي في القرون الوسطى، كانت حياة المسلمين تقع ضمن دائرة، نقطة المركز فيها هي المسـجد، ولم يكونـوا يمثلـون جماعـة أثنية)[392].

---

[390] ولادة الشرق 246- 247 . وما زالت المأساة تتكرر، فقد كانت بريطانيا بالأمس تحتل السـودان بالجيش المصري، وتحتل الحجاز بالجيش المصري، واليوم تقوم الجيوش العربية بتسهيل مهمات دخـول الجيوش الصليبية، وتفتح المطارات لها، وتزودها بكل المؤون والوقود، وتحميها من أي مقاومة شعبية، وتجند بريطانيا وأمريكا من الأفغان ومن العراقيين من يقاتلون نيابة عنها ليحتل الصليبيون أرضهم ثم يعلنوا على العالم لقد تحررنا!

[391] ولادة الشرق 248 .

[392] ولادة الشرق 113 .

لقد أنفقت بريطانيا على ثورة الشريف حسين العربية من أجل إنجاحها 11 مليون جنيه إسترليني، أي ما يقارب أربعمائة مليون دولار بسعر العملـة الحـالي، ولم تستطع الثورة تحقيق أي تقدم عسكري لولا الطيران والبحرية البريطانيـة، لقـد كانت القنابل، والقذائف البريطانية هـي الـتي أسـقطت جـدة، وقـد كتـب ريجينالدوينغيت- الذي خلف كيتشنر ثم مكماهون في منصـب الحـاكم العـام البريطاني في مصر – قائلا(لقد نظر المسلمون عامة حتى الآن إلى ثـورة الحجـاز، وإلى نصيبنا فيها، بعين الريبة والكراهية، وإنه لأمر هام ألا نسـمح بـأن يبـدو الحسين فاشلا لئلا تسوء سمعة بريطانيا)[393].

مؤتمر القبائل في الكويت للإعلان عن تأييد بريطانيا والوقوف معها:

بعد أن رأى العالم بأنه لم يقف أحد في العالمين العـربي والإسـلامي مـع ثـورة الشريف، بل نظر المسلمون إليها على أ ا خيانة للإسلام، قامت بريطانيا بترتيب مؤتمر عربي إعلامي لشد أزر الشريف، وإثبات تأييد العرب له، وعقدت الحكومة البريطانية اجتماعا موسعا في الكويت - من أجل دعم ثورة الشريف حسين التي لم يتعاطف معها أحد - بتاريخ 23/ 1916/11م، ودعت إليه جابر بن مبارك، وابن سعود، وخزعل، ومائة شيخ من شيوخ عشـائر قبيلـة مطـير، والظفـير، والعجمان، وغيرهم من شيوخ القبائل، وترأس المؤتمر برسي كوكس كبير الضباط البريطانيين في العراق، الذي أعلن في المؤتمر عن نيات بريطانيـا الحسـنة تجـاه العرب، وأ ا ترغب في استعادة مجدهم، وتوحيدهم وجمع كلمتهم، ليكونوا كتلة واحدة[394]، ليستطيعوا صداي هجوم خارجي على بلادهم، وضـرورة أن تعـود الخلافة للعرب، ووجه كلمته لابن سعود قائلا (إن جلالة ملك بريطانيا يستحسن إسناد منصب الخلافة إليك ويساعدك في تحقيقه)، وقد تحدث ابن سعود في كلمة مطولة عن عداوته للدولة العثمانية التي فرقت العرب، وتعهـد بتحالفـه مـع

---

[393] ولادة الشرق 250- 151 .

[394] وقارن بين هذا المؤتمر ومن وراءه وما قيل فيه والشعارات التي رفعها والأهداف التي أعلن عنـها، ومؤتمر المعارضة الأفغانية سنة 2001م في ألمانيا، والمعارضة العراقية سنة 2002م في لندن، وما قيـل فيهما، ومن كان برأسهما، وبرتب شئو ما، لتعرف أن المسرحية نفسها ما زالت تعرض مشـاهدها في العالم الإسلامي وإن تبدل أبطالها ورجالها!

بريطانيا التي تسعى لحمايتهم وتوحيدهم، كما أكد للحضور بأن الشريف حسين هو الأصلح ليكون خليفة على العرب، وقد أثارت كلمتـه إعجـاب المسـئولين البريطانيين لما أبداه ابن سعود من حماس للتعاون معهم ودعمهم في حـرم ضـد الخلافة العثمانية! بينما لم يزد جابر في كلمته على قوله بأنه (واحد من العـرب ولن يخالف ما يتفقون عليه)، وفي رواية مؤرخ الكويت الرشيد(أما جابر فقـال قولا أكبره الناس لأجله قال: نحن مسلمون، فإذا ما أجمع المسلمون على شخص، فنحن له طائعون)، وقد خرج المؤتمرون بإعلان دعمهم المطلـق لبريطانيـا ضـد الدولة العثمانية، ووجهوا برسائل التأييد للشريف حسين بإيعاز من البريطانيين، وقد تم في هذا المؤتمر تقليد جابر بن مبارك وابن سعود وسام فارس الهند البريطاني للخدمات الجليلة، وهو أعلى وسام يقدم لحلفاء بريطانيا، وقد بعث ابن سـعود وجابر المبارك ببرقية إلى نائب ملك بريطانيا في الهند يشكراه على الوسامين جاء فيها: (حضرة صاحب السعادة حاكم الهند العام ونائب جلالـة الملـك المعظـم والإمبراطور، نشكر عواطفكم الكريمة بتنازلكم بالتهنئة على النياشين السـامية الشأن، التي تعطف ا صاحب الجلالة الملك المعظم على المخلصين الصادقين، إننا نقبل هذه التعطفات بمزيد الشكر والامتنان، ونرجوا أن نكون دائمـا كاسـبين رضاكم بالخدمة الخالصة، وملحوظين بعين عنايتكم الجليلة)، وقد دعا كوكس بعد هذا المؤتمر ابن سعود لزيارة البصرة[395].

لقد ظهرت فكرة عقد هذا المؤتمر القبلي في الكويت في تشرين 1915 عنـدما أرسل الوزير البريطاني السير شمبرلن إلى نائب الملك في الهنـد يـأمره بالاهتمـام لكسب ولاء شيوخ العرب وجاء فيه (إن العرب مترددون وقد يقفون مع الأتراك إذا نحن لم نبذل الوسائط الفعالة في الإغراء)، وفي اية 1916 وجـه كـوكس دعوة إلى ابن سعود وابن صباح وإلى أكثر من مائة شيخ مـن شـيوخ العشـائر العربية وضرب لهم موعدا في الكويت[396].

---

[395] العلاقات بين الكويت ونجد 184، وتاريخ الكويت للرشيد 231، ولخزعل 105/3 .

[396] تاريخ الكويت السياسي لخزعل 33/3 .

(وقد عقد هذا المؤتمر في 23 نوفمبر سنة 1916م وحضره بجانب ابـن سـعود وجابر الصباح والشيخ خزعل أكثر من مائة من رؤسـاء العشـائر العربيـة في الإحساء وجنوب العراق)[397].

وقد ورد في الوثائق البريطانية ذكر شيوخ قبيلة مطير والعجمان والظفير وغيرهم ممن حضروا ذلك المؤتمر بدعوة من كوكس، مما يؤكـد أن بريطانيـا بتوجيههـا الدعوة لهم مباشرة كانت تتعامل معهم في هذه الفترة، كما كان الحال في فتـرة الحكم العثماني الذي يتعامل مع القبائل بشكل مستقل عن شيوخ الموانئ والمدن، فقد بعث الكرنل ويلسن المندوب البريطاني في جدة بتاريخ 1916/11/26 كتابا إلى الشريف حسين في مكة يخبره بالاجتماع الذي تم في الكويت ورد فيه:

(تسلمت برقية من المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي السير برسي كوكس يخبر فيها أنه عقد اجتماعا في الكويت حضره ابن سعود وشيخا الكويت والمحمرة، وحوالي مائتين من رؤساء عشائر شمر والظفير ..الخ وقد ألقى هـؤلاء الشـيوخ خطبا ضد تركيا، وشكروا بريطانيا على ما أظهرته للعرب دائما مـن مسـاعدة وعطف....الخ)[398].

كما جاء في تقرير مطول كتبه برسي كوكس نفسه بتاريخ 1917/1/9 تفصـيلا عن المؤتمر وما دار فيه وذكر حضور شيوخ عشائر الأسلم مـن شمـر، وشـيوخ الظفير، وشيوخ مطير ..وأنه تمت مراسلة شيوخ ع ة فهد الهذال وابـن مهيـد وجزاع بن مجلاد شيخ الدهامشة وغيرهم للانضمام إلى التحالف الذي أسفر عنه مؤتمر الكويت.. الخ.[399]

وقد نجحت بريطانيا في هذا المؤتمر - الذي حضره مائتا شيخ من شيوخ القبائـل على قدم المساواة مع ابن سعود وابن صباح - بتشكيل أكبر تحالف قبلي في الجهة الشرقية من الجزيرة العربية، لمواجهة الدولة العثمانية - كما نجحت في الوقـت

[397] تاريخ الخليج العربي 38/3 .

[398] الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية 779/2 و794 و801 .

[399] الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية 649/3و651- 652 .

نفسه في الإعداد للثورة العربية مع الشريف حسين وقبائل الحجاز، في الجهة الغربية من الجزيرة العربية، ودعم الجميع ماديا وعسكريا - والذي سيكون لهما أكبر الأثر في ترسيخ الوجود الاستعماري البريطاني في الخليج والجزيرة العربية[400].

لقد تبنت بريطانيا فكرة استقلال العرب عن الدولة العثمانية، تحت شعار القومية العربية، ووعدهم بالحماية والمساعدة على تحقيق هذا الهدف، بإقامة (المملكة العربية المتحدة)، التي تضم الجزيرة العربية، والشام، والعراق، أي الجزء العربي الآسيوي من الدولة العثمانية، كما جاء في تعهدات هنري مكماهون الذي (استخدم عن قصد كلمات شديدة الالتواء، قصد منها ألا يلزم نفسه بشيء)[401].

تلك التعهدات التي قال عنها نائب الملك في الهند: (أخشى أن يكون المندوب السامي قد حصل على انطباع بأني من المؤمنين بإنشاء مملكة عربية موحدة برئاسة الشريف، هذا التفكير بعيد كل البعد عن آرائي الحقيقية، ولكن اعتقد أنه من المناسب لنا جميعا أن نعطي قادة الحركة العربية هذا الانطباع)[402].

مشروع الخلافة العربية تحت السيادة البريطانية:

لقدوعد بريطانيا الشريف حسين ليس فقد بإقامة (المملكة العربية المتحدة)، بل وبدعم ونقل الخلافة إلى عربي صميم من آل بيت النبي محمد!

وعلى حد قول فرومكين في كتابه ولادة الشرق: (لقد كانت إعادة الخلافة إلى شبه الجزيرة العربية حيث مولد محمد هي استراتيجية كيتشنر التي رسمها استعدادا للمنافسة مع روسيا التي ستتبع انتهاء الحرب ضد ألمانيا، ولكن أنى للعرب الذين كانوا يعيشون في الإطار السياسي لشبه جزيرة العرب أن يفهموا ما يدور في ذهن

---

[400] وتأمل كيف نجحت بريطانيا وأمريكا في تشكيل تحالف قبائلي وسياسي لاحتلال أفغانستان والعراق فما أشبه اليوم بالبارحة!

[401] ولادة الشرق 201 .

[402] ولادة الشرق 207 .تأمل في هذه العبارة فهي توجز لك الطريقة الاستعمارية الصليبية في قطع الوعود وعقد المعاهدات ثم التنصل منها كما حذر منهم القرآن في قوله تعالى{كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم}!

كيتشنر.... بل كان الراجح ألا يدركوا أن كيتشـنروويـنغيتوكلايتون كـانوا قاصرين عن فهم طبيعة الخلافة، إن الانشقاق بين السلطتين الدينيـة والدنيويـة الذي وضع البابا في مواجهة الإمبراطور في أوربا القرون الوسطى ليس له وجود في العالم الإسلامي، لقد أخطئوا في اعتقادهم أن الخليفة يمكن أن يكـون زعيمـا روحيا فقط، ذلك أن الحياة كلها في الإسلام بما فيها الحكومة والسياسة تقـع في نطاق حكم الشريعة بحيث أن المسلمين السنة، والسلطان العثماني، وأمـير مكـة منهم، يرون أن سلطة الخليفة بصفته حامي الشريعة هي سلطة شاملة، إن الخليفة حاكم وقائد في المعركة، مثلما هو إمام في الصلاة، وكانت خطة كيتشنر تـدعو ابن سعود زعيم الطائفة الوهابية، إلى الاعتراف بالسلطة الروحية لحـاكم مكـة السني)[403].

لقد كانت بريطانيا - من خلال رجالها في المنطقة - تخطط لما بعد الحرب، وكانت أخشى ما تخشاه وقوف الخليفة العثماني - بما يملكه من سيطرة روحية على العالم الإسلامي - إلى صف ألمانيا أو روسيا، فيشكل بذلك خطرا على مصالح بريطانيا في الهند ومصر، حيث الشعوب الإسلامية الأكثر عددا تحت الحكـم البريطـاني، فعملت بريطانيا(ليكون مرشحها هو الخليفة، وبما أن النبي محمدا ولـد في شـبه الجزيرة العربية فقد شجعت الرأي القائل بأن الخليفة يجب أن يكون مـن شـبه الجزيرة العربية، وقد رأت ميزة ذلك في سهولة سيطرة الأسطول البريطاني علـى ساحل شبه الجزيرة العربية، وبذلك تستطيع بريطانيا أن تعزل الخليفة عن نفـوذ منافسيها الأوربيين، وأنه ما إن تتمكن من تنصيب خليفة داخل الجزيرة العربيـة حتى تتمكن من التحكم بالإسلام، وأن أمير مكة مرشح عربي للخلافة)[404].

وقد نجحت بريطانيا في مؤتمرها في الكويت لترويج هذا الرأي عن طريـق ابـن سعود الذي كان من أشد الحاضرين حماسة لهذه الخطة البريطانية.

[403] ولادة الشرق لديفيد فرومكين 115 .

[404] ولادة الشرق 109، وهذا ما تحقق لها فعلا بعد ذلك بإقامة حكم هـاشمي في مكـة تحـت النفـوذ البريطاني وما تلاه من ترتيبات لابقاء هذا النفوذ!

لقد كانت قضية حيوية بالنسبة لبريطانيا البحث في (إمكانية حلول زعيم من شبه الجزيرة العربية صديق لبريطانيا محل السلطان العثماني في مركز خليفة المسلمين... ولما كنت الأماكن المقدسة في مكة والمدينة ضمن الحجاز، فإن من يحكم الحجـاز هو في وضع قوي للحفاظ علـى حـق المسـلمين البريطـانيين في مواصـلة أداء الحج)[405].

لقد كان مخطط تحريك القبائل في الجزيرة العربية وثور ا ضد الدولة العثمانية من اختراع ريجينالدوينغيت، الذي طرح الفكرة سنة 1914م - عندما كان حاكما عاما للسودان، قبل أن يحل محل مكماهون في مصر كمندوب سامي لبريطانيـا في مصر وحاكم عام فيها - وقد نجح توماس لورنس في إقناعـه باسـتخدام قبائـل الشريف حسين كقوات غير نظامية، في حرب عصابات، تحت قيـادة بريطانيـة، ويكون هو ضابط الاتصال الذي سيتعامل معه فيصل بن الحسين، الذي سـيقود تلك القوات، التي فشلت في تحقيق أي نصر عسكري، مع ما دفعته بريطانيا لهـا من الذهب والأسلحة، وفشلت في إسقاط المدينة المنورة، التي كانت تحميها حامية عثمانية، غير أن القبائل بقيادة فيصل، وتوجيه الضباط البريطـانيين، نجحـت في قطع سكك الحديد التي تربط الشام بالحجاز، لقطع المدد عـن حاميـة المدينـة ومحاصر ا.[406]

لقد نجحت الخلافة العثمانية في الصمود في وجه أعدائها ما بـين خريـف سـنة 1916م، إلى خريف 1917م، بينما ا ارت جميع الحكومات في دول الحلفاء، في بريطانيا، وروسيا، وفرنسا، جراء الهزائم التي تعرضت لها قوا ا، في كل مكـان، على يد الجيش العثماني.[407]

التيار السياسي الصهيو - صليبي وقيادته للحملة الصليبية:

---

[405] ولادة الشرق 112 .

[406] ولادة الشرق 255 .

[407] ولادة الشرق 259.

لقد أصبح لويد جورج رئيسا للوزراء في لندن، وكان يؤمن بأن الشرق سيكون السبب في كسب الحرب، وكان ينطلق من كره شديد للدولة العثمانية، ويتبنى طموحات الصهيونية في فلسطين، وكان يتوقع قيام وطن قومي يهودي فيها، تحت حكم بريطانيا، لقد كان أول رئيس وزراء بريطاني يجعل من الشرق الأوسط غاية وهدفا في حد ذاته، لا مجرد طريق ووسيلة لحماية مصالح بريطانيا في الهند[408].

لقد كانت السياسة الاستعمارية الإمبريالية الطاغية قد بلغت ذروتها في هذه الفترة، وقد صاحبها فساد سياسي عريض في كل الحكومات الغربية تمثل في (الفساد المالي، ومضاربات بالعقارات، وبامتيازات السكك الحديدية، وامتيازات الكابل البحري للاتصالات والبرقية)وقد وصف تشرشل ما كان يجري في فرنسا من فساد في استغلال السلطة بأنه (لا مثيل له إلا في عالم العصابات في شيكاغو)[409].

لقد كانت تلك الحكومات التي تعاني كل ذلك الفساد هي التي تخطط للسيطرة على الخلافة العثمانية، التي كانت عاصمتها اسطنبول قد خلبت ألباب السياسيين الغربيين بعظمتها، حتى قال تشرشل حين شن حملته العسكرية في غاليبولي:

(هذه واحدة من أعظم الحملات العسكرية في التاريخ، فكروا بما تمثله القسطنطينية شرقا، إنها أهم من لندن، وباريس، وبرلين، مجتمعة في مدينة واحدة، فكروا بسيطرتها على الشرق، وفكروا بما يعنيه سقوطها)[410].

لقد صمدت الدولة العثمانية في مواجهة كل الظروف القاسية المعاكسة، وقد تم إسقاط كل الحكومات التي أدخلت دول الحلفاء في الحرب ضد الدولة العثمانية، فسقطت حكومة اسكويث في بريطانيا، وسقطت حكومة رينه فيفياني في فرنسا، وحكومة القيصر في روسيا، وقامت الثورة البلشفية فيها سنة 1917م، وخرجت

---

[408] ولادة الشرق 263 .

[409] ولادة الشرق 265، وهو ما يجري اليوم تماما في العراق وأفغانستان حيث يتنافس نائب الرئيس ديك تشيني وشركته هالي بيرتون وغيره من المسئولين الأمريكان وحلفائهم العرب على نهب ثروات المنطقة تحت شعار تحريرها من الأنظمة الاستبدادية وإقامة أنظمة حكم ديمقراطية!

[410] ولادة الشرق 279 .

بذلك روسيا من الحلفاء، ورفضت الاشتراك في الحرب، وقد كان لصمود الدولة العثمانية، وصمود جيشها في مضيق الدردنيل، أكبر الأثر في سقوط تلك الحكومات[411].

لقد رفضت الولايات المتحدة آنذاك دخول الحرب مع الحلفاء، وقد حذر الرئيس الأمريكي ويلسون - الذي كان قبل ذلك يؤيد مسح تركيا من الخريطة، وكان همه في الشرق الأوسط منصبا على دعم الإرساليات التبشيرية في المنطقة، لـ عتـه المسيحية الدينية - من خطورة أهداف الحرب الإمبريالية الاستعمارية، وعندما اطلع على اتفاقية سايكس بيكو، وغيرها من الاتفاقيات السرية، التي ـدف إلى تقسيم الدولة العثمانية بين الحلفاء، قال رافضا لها(هذه خطة كلها سوء، وهذا ما قلته لبلفور، إ م يجعلون من الشرق الأوسط مكانا يستولد حربا في المستقبل)[412].

وقد جاء لويد جورج - الذي كان محاميا لدى الحركة الصهيونية ولدى مؤسسها تيودور هرتزل في بريطانيا سنة 1903م - إلى الحكومة وهو يتطلع إلى احتلال فلسطين على وجه الخصوص، وإقامة وطن قومي لليهود فيها، لقد(تربى على دراسة تعاليم الكتاب المقدس)، وكان يطمح إلى إعادة فلسطين إلى الحياة من جديد وفق ما ورد عنها في الكتاب المقدس، وكان على معرفة تامة بالاتجاهات المسيحية الإنجيلية، التي تدعو إلى تقدم الصفوف من أجل إعادة فلسطين لليهود، وهذه الاتجاهات هي التي شكلت عقلية لويد جورج وعقيدته، كواحد من أبرز الصهاينة المسيحيين في بريطانيا، وهو الاتجاه الأكثر شيوعا بين الطبقات العليا في المجتمع البريطاني، الذين يؤمنون بأن المسيح المخلص لن يعود إلا إذا عاد اليهود إلى فلسطين، وهو ما ظلت الدولة العثمانية ترفضه بكل شدة، حتى وهي في أضعف فترا ا التاريخية، كما سيفتح إعادة اليهود إلى فلسطين الطريق لبريطانيا

---

[411] ولادة الشرق لديفيد فرومكين 279.

[412] ولادة الشرق 284و288- 289 .كان الرئيس الأمريكي يرفض تقاسم الدولة العثمانية في الوقت الذي بدأت الولايات المتحدة تأخذ مكا ا على المسرح الدولي دون أن يكون لها نصيب الأسد من الغنيمة، وهو مشابه لموقف فرنسا الرافض اليوم من احتلال بريطانيا والولايات المتحدة للعراق لخسارة شركا ا النفطية، ومع ذلك صرح الرئيس شراك بأن فرنسا لن تقبل زيمة جيوش الحلفاء في العراق!

للتدخل المباشر في شئون الدولة العثمانية، بدعوى حماية اليهود، كما تفعل روسيا مع المسيحيين الأرثوذكس، وفرنسا مع الطائفة المارونية في لبنان، كما عزز هذه السياسة البريطانية والتطلعات الصهيو-مسيحية تحالفها مع التيارات الليبرالية في بريطانيا التي كانت تجد الدعم من اليهود، لقد (أراد لويد جورج شـأنه شـأن وودرو ويلسون، الذي كان اهتمامه في الشرق الأوسـط موجهـا إلى المـدارس والإرساليات البروتستانتية الأمريكية، أن تتولى بلاده ما كان يعتبره عمل الـرب في المنطقة)، وهو ما أدى إلى إعلان وعد بلفور سنة 1917م بإقامة وطن قـومي يهودي في فلسطين[413].

وهكذا نجحت بريطانيا في تحريك القوميتين العربية واليهودية لمواجهـة الدولـة العثمانية في الحرب العالمية، وكما قامت بدعم العرب ماليا وعسـكريا للثـورة، عملت أيضا على تشكيل كتيبة يهودية في الجيش البريطـاني مـن أجـل تحقيـق أهدافهما.

لقد كانت الحرب على الدولة العثمانية بكل أبعادها حربـا صـليبية، توجههـا العقيدة المسيحية المتطرفة في ميولها الصهيونية، كما عبر عن ذلك ليـو أيمـيري مساعد أمين السر في مجلس الوزراء البريطاني الحربي حين قال:

(فيما عدا الولايات المتحدة، ما من بلد سوى انجلترا، الشغوفة بالكتاب المقدس، والتي يغلب الكتاب المقدس على تفكيرها، يعتبر دائم الرغبة في عودة اليهود إلى وطنهم القديم)[414].

لقد كان لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني الجديد يؤمن بأنه(سيأتي اليوم الذي تتحقق فيه كلمات الأنبياء ويعود شعب إسـرائيل إلى أرضـه)، وكـان رجـال

---

[413] ولادة الشرق لديفيد فرومكين 300- 307 .قارن بين تصريح الرئيس الأمريكـي آنـذاك وودروا ولسن حول تنفيذه مهمة وعمل الرب في المنطقة، وتصريحات جورج بوش الثاني وإعلانه أنه يقوم بمهمة كلفه ا الرب، وأن حملته ستكون حملة صليبية ليتأكد صحة ما قاله رئيس الوزراء الصهيوني شمعـون بيريز في كتابه(معركة السلام)بأن السياسة الأمريكية لا ترتكز ولا تقوم على الدولار بل على التوراة في عهديه القديم والجديد، وكما يعزو الرئيس الأمريكي نيكسون في كتابه(مـا وراء السـلام) سـبب النصر على الشيوعية لكون الولايات المتحدة (دولة تحت خيمة الرب)!

[414] ولادة الشرق 311.

حكومته يؤمنون بأنه لا تعارض بين طموحات القوميتين العربية واليهوديـة، وأن فلسطين، والعراق، والجزيرة العربية، يجب أن تظل ضمن النظـام الإمبراطـوري البريطاني وتحت سيطرته، حتى بعد انتهاء الانتداب، وبعد استقلالها[415].

لقد كانت رؤية سايكس للمستقبل تقوم على تحقق (تفـاهم بريطـاني فرنسـي بالتحالف مع العرب واليهود والأرمن، يجعل الإسلام عديم الأذى)[416].

لقد اقترح سايكس على حكومته دعم إثارة القبائل العربية خلف خطوط الدولة العثمانية، ووافقت بشرط عدم الالتزام للعرب بأي تعهدات قد تضـر بالمصـالح البريطانية[417].

وقد تم إقامة حفل في لندن، نظمه الاتحاد الصهيوني، بعد الإعلان عن وعد بلفور بثلاثة أيام، حضرته وفود عربية، ويهودية، وأرمينية، تحدث فيـه الجميـع عـن ضرورة مضي الجميع قدما في مساعدة بعضهم بعضا، ضد الدولة العثمانية، وقد ساد الحفل (روح التوراة، والاحتفاء والإيمان بعاطفة حماسية بقرب تحقيق نبـوءة قديمة)، فقد كانت النبوءة التوراتية هي الدافع الأول التي دفعت بريطانيا لدعم إقامة الوطن القومي اليهودي على أرض فلسطين، لقد صدر وعد بلفور بتشـاور مع أمريكا، وفرنسا، وإيطاليا، والفاتيكان، ووجد ترحيبا لـدى الـرأي العـام الغربي كافة[418].

---

[415] ولادة الشرق 317 ، وهو ما تم فعلا فقد ظلت تحت سيطرة بريطانيـا إلى أن سـلمت العهـدة إلى أمريكا وما تزال التحالفات كما هي والحلفاء والوكلاء للاستعمار في المنطقة كما هم!

[416] ولادة الشرق لفرومكين 326 .وهو ما يجري اليوم على أرض الواقع من خلال التحـالف الغـربي العربي لفرض ثقافة إسلامية جديدة في مناهج التعليم والإعلام ترفض حق الأمة في مقاومة الاحـتلال، تحت ذريعة مكافحة التطرف والإرهاب، حتى جاءت كونديليزا رايس لتعلم العالم الإسلامي قيم الإسلام السامية الداعية للتسامح التي نسيها المسلمون، في الوقت الـذي تـدك جيوشـها المـدن في العـراق وأفغانستان بشكل همجي إجرامي لا مثيل له في التاريخ الإنساني حتى بلغ ضحايا هذه الحرب الصليبية خمسة ملايين عراقي بين قتيل وجريح ومهجر!

[417] ولادة الشرق 323 .

[418] ولادة الشرق 334 .وانظر كيف اجتمع العرب واليهود في لندن للاحتفال بوعد بلفور، قبل كامب ديفيد وأوسلو بسبعين سنة!وانظر إلى الروح الصليبية الطاغية لدى الرؤساء الغربيين في تلك الفتـرة وقار ا بالروح الصليبية التي تحرك بوش وبلير وبيرلسكوني رئـيس وزراء إيطاليـا وعدائـه الصـريح

(16)

(الاحتلال الصليبي للقدس ودمشق سنة 1917م وسقوط اسطنبول)

الحملة (الصليبية – العربية) لاحتلال الشام وفلسطين:

وبعد سقوط الجزيرة العربية والعراق تحت السيطرة البريطانية تحرك القائد البريطاني، أدموند اللنبي من مصر بقواته ليحتل فلسطين، وقد استطاع لورنس أن يشتري بعشرة آلاف جنيه عودة أبو تايه شيخ قبائل الحويطات في شمال الجزيرة العربية الغربي، الذي نجح في احتلال ميناء العقبة جنوبي فلسطين، بتاريخ 1917/7/6م، وصار بإمكان الأسطول البريطاني أن ينقل رجال القبائل العرب إلى فلسطين، وصار بإمكان قوات الشريف حسين، أن تقدم مساعدا الفعلية لحملة القائد البريطاني اللنبي القادمة من مصر لتحتل الشام وفلسطين، وقد تم منح فيصل بن الحسين رتبة جنرال بريطاني تحت إمرة القائد اللنبي، وفي الوقت الذي كانت قوات اللنبي تتقدم على خط غزة - بئر السبع، كانت قوات فيصل تناوش الجيش العثماني وتشاغلها، على الجناح الأيمن للقوات البريطانية، وكان لورنس يجند القبائل العربية ويشتريها بالذهب، لتقطع سكك الحديد، ولتسهيل مهمة تقدم القوات البريطانية، لتحتل فلسطين، وليدخل اللنبي مدينة القدس في 1917/12/11م، وليحتفل رئيس الوزراء البريطاني في عيد الميلاد بتحرير (أقدس مدينة في العالم) وقد كتب (إنه بتحرير القدس تمكن العالم المسيحي من استرداد أماكنه المقدسة)، وبعد (الاستيلاء على القدس أظهرت قوات فيصل

للإسلام، في دول تدعي العلمانية وهي ما تزال تخوض حربا صليبية على العالم الإسلامي ليظهر جليا مدى تأثير الدين وسلطانه في العالم الغربي!

العربية، بقيادة ضباط عرب وبريطانيين جدارا في الحرب، وكانت تقوم بحملتها من شرق الأردن، وصار اللنبي في وضع يسمحله بالزحف على دمشق)[419].

لقد كانت دمشق هي الهدف الثاني للقائد اللنبي، بل إنها أكثر أهمية من القـدس وبغداد، وكان يقود جيوشه تحت رايات عديدة، ومنها راية قوات الشريف حسين العربية، التي صممها مارك سايكس، وقد جعل ألوانها الأبيض، والأسود، والأحمر، والأخضر، رمزا للأمجاد العربية، التي يريد إحياءها الشريف حسين، وقـد أمـر سايكس بصنع أعلام الشريف، من قبل هيئة الإمـداد العسـكرية البريطانيـة في مصر، وتسليمها للحجاز، لقد وضع علم القومية العربية البريطـانيون، وصـنعه البريطانيون، في الوقت الذي كانت قوات اللنبي تزحف لتحتل دمشق، ولتقـيم بريطانيا مملكة عربية، أو كونفدرالية عربية، تحت السيطرة البريطانية[420].

ويلاحظ أن هذا العلم الذي صممه البريطانيون هو الأكثر شـيوعا إلى اليـوم في العالم العربي!

لقد نجحت بريطانيا الصليبية في تشكيل تحالف عربي يهودي سـاهم في احـتلال بريطانيا لفلسطين، والشام، وقد تم بترتيب بريطاني جمـع فيصـل بـن الحسـين وايزمان زعيم الحركة الصهيونية الذي بلغ من إعجابه بفيصل أن كتـب عنـه يقول:

(إنه أول قومي عربي حقيقي اجتمع به، إنه قائد ذكي جدا، وصادق جدا، وهـو غير مهتم بفلسطين، وينظر نظرة احتقار لعرب فلسطين، بل إنه لا يعدهم عربا)!

وقال عنه وليم غور(إن الحركة القومية العربية موجودة خارج فلسطين، والحركة التي يقودها الأمير فيصل ليست مختلفة عن الحركة الصهيونية، ويجب على الحركة الصهيونية أن تعد الحركة العربية، ومركزها الحجاز أصلا، حركة زميلـة، ذات

---

[419] ولادة الشرق 344- 349 .

[420] ولادة الشرق 351- 352 ، وها قد عادت بريطانيا لتحتل العراق ولتقوم بوضع علمـه الجديـد وترتيب كل ما يلزم من أجل إقامة نظام ديمقراطي جديد بعد قرن كامل في مشهد مسـرحي ضـاحك يعرض نفس الأدوار ونفس الأحداث!

مثل سامية)، وقد تقبل فيصل فكرة التعاون العربي اليهودي، وفكرة قيام وطـن قومي يهودي في فلسطين[421].

هذا في الوقت الذي كانت حكومة تركيا الفتاة في الدولة العثمانية تشك في نوايا سكان فلسطين من غير المسلمين، خاصة اليهـود، الـذين اسـتقبلتهم الدولـة العثمانية، بعد فرارهم من اضطهاد روسيا القيصرية، وعندما أدرك جمـال باشـا خطر وجودهم في فلسطين، بعد دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية، قرر طرد جميع اليهود المهاجرين، المستوطنين في فلسطين، فدمر مستوطنا م، بعد أن أيقـن أ م مكمن الخطر(وقد ثبت إلى حد ما أن نبوءته هذه أثبتت صحتها ... إن أقلية صغيرة منهم بالغة الفعالية، كانت تعمل ضد الدولة العثمانية)[422].

وفي 1918/9/19م، تقدمت قوات اللنبي نحو دمشق، وكانت خمسة وأربعين ألف جندي، بريطاني، ونيوزلندي، وأسترالي، وهندي، وفيلق يهودي، وشنت هجومها على القوات العثمانية المدافعة التي يبلغ عددها ثمانية آلاف جندي، وكانت قوات الشريف فيصل تحاصرها، وتقطع خطوط تراجعها، فأصبح الجيش العثمـاني بـين فكي كماشة، وقد استسلمت حامية معان في شرقي الأردن للقوات الأسـترالية، خوفا من المذبحة التي قد تتعرض لها على يد قوات فيصل، وقد أمر اللنبي فيصـل بن الحسين، أن يتقدم بقواته ليدخل دمشق أولا(لمنع المقاومة من قبـل عاصـمة إسلامية قد تكون معادية لاحتلال مسيحي)، غير أن الخطة لم تنجح فقـد كـان فيصل على بعد ثلاثة أيام، وقد خرج الجيش العثماني من المدينة فجأة، واضطرت القوات الأسترالية ثم البريطانية دخولها، ثم دخلها فيصل بترتيب بريطاني دخـول الفاتحين! فدخل بتاريخ 1918/10/3م، وفي نفس اليوم أخبره اللنبي بأن سوريا ستكون تحت الحماية الفرنسية، وأنه لا علاقة له بلبنان الـذي سـيكون تحـت السيطرة الفرنسية، وفلسطين التي ستكون تحت السلطة البريطانية، وقـد رفـض فيصل وضع سوريا تحت حماية فرنسا رفضا قاطعا، وطلب أن تكون تحت الحمايـة البريطانية، غير أن اتفاقية سايكس بيكو، البريطانية الفرنسـية السـرية تقضـي

[421] ولادة الشرق 360 -361.

[422] ولادة الشرق 234 - 235 .

بذلك، ولم تكتف فرنسا بإقامة دولة مارونية مسيحية في جبل لبنان، بل ضـمت إليها مناطق شاسعة غالبية سكا ا مسلمون، وجعلتـهم تحـت سـيادة حكومـة مسيحية تحت حمايتها[423].

وقد قامت بريطانيا وفرنسا بإصدار بيان مشترك بتاريخ 1918/11/9 موجـه للشعوب العربية جاء فيه :

(إن الغاية التي من أجلها خاضت فرنسا وانجلترا غمار الحرب في الشـرق، هـي تحرير الشعوب التي رزحت تحت الاحتلال مظالم الأتراك تحريرا تاما ائيا، وإقامة حكومات قومية تستمد سلطتها من اختيار السكان لها اختيارا حـرا، ولتحقيـق ذلك اتفقت الدولتان فرنسا وبريطانيا على أن تعينا على إقامة حكومات وطنية في كل من سوريا والعراق، البلدين الذين حررهما الحلفاء، يختارهما السكان، وأن تضمنا عدلا يساوي بين الجميع، ويسهل تنمية البلاد اقتصاديا، ونشر العلم)[424].

احتلال القوات الصليبية لعاصمة الخلافة اسطنبول:

وبينما كانت جيوش الحلفاء تحاول إكمال سيطر ا على الدولة العثمانية باحتلال عاصمتها اسطنبول، ومحاصر ا للخليفة الذي كاد أن يوقع اتفاقية استسلام، قاد مصطفى كمال حرب تحرير الأناضول، بعد أن جمع شـتات القـوات العثمانيـة، ووقف معه علماء الدين، الذين أثبتوا أ م أخلص أنصاره، وقد عصى مصـطفى ومن معه أوامر الخليفة وحكومته التي عدها الثوار أسيرة في يد جيوش الحلفـاء، وفي الوقت الذي كان الحلفاء في لندن يعقدون مؤتمرهم بتاريخ 1920/2/28م، لتقسيم تركيا بين الحلفاء، فاجأ م أخبار انتصارات الجـيش العثمـاني بقيـادة مصطفى كمال، على الفرنسيين، واليونانيين[425].

---

[423] ولادة الشرق 372- 380 .

[424] الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية 499/5 .وهذا البيان بعينه ومضمونه هـو البيـان المشـترك الصادر عن بريطانيا والولايات المتحدة قبل شن الحرب على العراق سنة 2003 واحتلاله بحجة إقامة الديمقراطية وتنمية العراق وتحريره من حكومته!

[425] ولادة الشرق 435- 454 .

وفي هذه الأثناء كانت بريطانيا وفرنسا قد اتفقتا على تقاسم الجزء العربي من الدولة العثمانية، فمصر، والعراق، والجزيرة العربية، وفلسطين، والأردن، تحت السيطرة البريطانية، وسوريا، ولبنان، تحت السيطرة الفرنسية، كما تم تقسيم أجزاء من الأناضول بين اليونان، وأرمينيا، على أن يبقى قسم من تركيا مستقلا اسميا، تحت سلطة الخليفة، وقد وقعت معاهدة سيفر في شهر 8 سنة 1920م، على هذا الأساس[426].

وقد قام الضباط الأتراك بقيادة مصطفى كمال باتخاذ أنقرة مقرا لقيادتهم، وأعلنوا ميثاقهم الوطني الذي نص على إنشاء دولة وأمة إسلامية تركية مستقلة، وأقر مجلس النواب الجديد في اسطنبول في جلسة سرية هذا الميثاق، في يناير سنة 1920م، ورفضوا شروط الحلفاء التي قسموا فيها تركيا، وقد تحركت جيوش الحلفاء واحتلت اسطنبول، واعتقلت القادة السياسيين والعسكريين ونفتهم إلى مالطا، فكان ذلك نهاية لسلطة الخليفة العثماني، غير أن قادة المقاومة في أنقرة كانوا بعيدين في هضبة الأناضول عن قوات الحلفاء، وقد لجأ إليهم أعضاء البرلمان الذين فروا من قبضة جيوش الحلفاء، وتم تأليف برلمان جديد في أنقرة، وتأسيس حكومة وطنية، يرأسها مصطفى كمال، وحلت الفوضى العارمة في تركيا، وهضبة الأناضول، وفي 1920/6/15م، وهاجمت قوات المقاومة التركية الجيش البريطاني قرب اسطنبول، حيث كان السلطان أسيرا، وقد وافقت بريطانيا على أن تقوم اليونان بالتقدم بجيوشها نحو اسطنبول، وعلى احتلال أزمير، مما دفع السلطان إلى توقيع معاهدة سيفر، وبحثت اليونان مع بريطانيا إمكانية التقدم العسكري نحو الأناضول والقضاء على المقاومة فيها نهائيا، وتقدمت نحو أنقرة، حتى لم يبق ما يحول دون سقوطها، وتراجعت قوات المقاومة خمسين ميلا للخلف، ثم تصدت المقاومة للجيش اليوناني، وفي صيف 1921م، أذهلت المقاومة التركية العالم بانتصاراتها على الجيش اليوناني، المدعوم من الحلفاء، ومن بريطانيا على وجه الخصوص، والذي أخذ يتراجع أمام ضغط المقاومة، واستمرت قوات المقاومة بالتقدم نحو اسطنبول، وتركيا الأوربية، لتحريرها من جيوش الاحتلال، وقد وقع القائد العام للجيش اليوناني في قبضة الأتراك، وقد دب الرعب في قلوب

---

[426] ولادة الشرق 457 .

اليونانيين، حتى كتب رئيس أساقفة أزمير في 1921/9/7م، رسالة يستغيث فيها وجاء فيها:

(الهيلينية في آسيا الصغرى، والدولة اليونانية، والأمة اليونانية، كلها تنحدر الآن إلى الجحيم، وما من قوة تستطيع أن تنتشلها أو تنقذها)!

وقد حاولت أساطيل الحلفاءالبحرية، البريطانية، والفرنسية، والإيطالية، والأمريكية، إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الفارين من رعايا دولها، ومن الجنود اليونان، الفارين طلبا للنجاة من الغضب التركي، ومع حلول نهاية سنة 1922م، كان قد فر مليون ونصف يوناني من تركيا، هربا من قوات المقاومة، وأخذت دول الحلفاء تتنصل من المسئولية عن الكارثة التي حلت باليونانيين والأرمن، التي ورطتهم دول الحلفاء في هذه الحرب، التي كانت تهدف إلى تقسيم تركيا بينها، وإلغائها من الخريطة نهائيا، وقد اعترف وزير خارجية الولايات المتحدة آنذاك بأن (حكومته غير مسئولة بأي شكل من الأشكال عن الأوضاع القائمة، فالولايات المتحدة لم تشترك في مكائد دبرت في القسطنطينية، وليست مسئولة عن الكارثة التي حلت بالجيوش اليونانية، إن دبلوماسية أوربا خلال تلك المدة هي المسئولة عن الكارثة)[427].

وقد واصلت قوات المقاومة التركية تقدمها بعد القضاء على الجيش اليوناني نحو اسطنبول وقوات الحلفاء التي تحتلها، وقد دعت بريطانيا في 1921/9/16م، إلى عقد مؤتمر للصلح مع تركيا، بشرط توقف تقدم القوات التركية، والقبول بالمفاوضات، وضرورة وقوف أستراليا، ونيوزلندا، وكندا، وجنوب أفريقيا، وغيرها من دول الدمنيون، مع بريطانيا، ضد تقدم القوات التركية، وعبر البيان البريطاني (عن الخوف مما قد يفعله العالم الإسلامي، إذا تبين له أن تركيا الدولة المسلمة الضعيفة نسبيا، تمكنت من إلحاق هزيمة كبيرة بالحلفاء، إذ أن ذلك قد يشجع بقية العالم الإسلامي على التخلص من الحكم الاستعماري)، وقد واجهت القوات التركية الجيش البريطاني في تشنق، واضطر الحلفاء الذين أدركوا خطورة الموقف للتفاوض مع مصطفى، الذي اشترط لقبول المفاوضات تنفيذ ما شرطه

[427] ولادة الشرق 607- 615 .

الميثاق الوطني التركي من انسحاب الحلفاء عن اسطنبول، والدردنيل، وتراقيـا الشرقية، أي من كل الأراضي التركية القومية، وهو ما كان يرفضه مـن قبـل رفضا قاطعا رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج، وونستل تشرشل الذي صـرح قبل ذلك لمجلس الوزراء بأنه(إذا أخذ الأتراك شبه جزيرة غاليبولي والقسطنطينية سنكون قد خسرنا كل ثمار الحرب)، وأكد ذلك رئيس الوزراء بقوله(إننـا لـن نسمح بأي حال من الأحوال، وتحت أي ظرف أن نسمح للأتراك بالاستيلاء على غاليبولي، إنها أهم موقع استراتيجي في العالم، ويجب أن نقاتلـهم لنمـنعهم مـن ذلك)[428].

لقد صرح ستانلي بولدوين أحد أعضاء الحكومة من حزب المحافظين في بريطانيـا بأن جورج لويد (كان طوال الوقت يتجه إلى الحرب، وقد خطط لجعل بريطانيـا تخوض الحرب مع تركيا، لكي تكون حربا مسيحية ضد المسلمين)[429].

وإذا كان من العرب من وقف مع الحملة الصليبية وسـاهم في هزيمـة الدولـة العثمانية، فقد كان منهم من ساهم في تحرير تركيا بعد سقوط اسـطنبول تحـت الاحتلال وكان من أبرزهم الزعيم الليبي العظيم السيد أحمد الإدريسي الذي كان يواجه في ليبيا ثلاثة حروب مع الإيطاليين في الشـمال والبريطـانيين في الشـرق والفرنسيين في الجنوب الغربي مما حداه إلى السفر إلى السفر إلى اسـطنبول سـنة 1917م لطلب المدد فما إن سقطت تركيا تحت الاحتلال سنة 1918م حتى توجه إلى الأناضول واستخدم نفوذه الديني والروحي في إشعال جذوة الحمية الدينيـة والغيرة العثمانية التركية للجهاد في سبيل الله (وأخذ يتنقل بين مدن الأناضـول وقراه داعيا الناس إلى مؤازرة الغازي مصطفى كمال، وأسـهمت جهـود إمـام السنوسية بالإضافة إلى اسمه اليد بقسط وافر لا يقاس بنجاح الحركة الكماليـة بين فلاحي الأناضول الذين لم تكن الكلمات القومية تعني شيئا بالنسـبة إلـيهم

428 ولادة الشرق 616 .

429 ولادة الشرق 621.

والذين كانوا طوال أجيال يعتبرون شـرفا لهـم أن يهبـوا حيـا م في سـبيل الإسلام).[430]

وإذا كانت الروح الصليبية هي التي أيقظت أوربا الممزقة من سبا ا وكانت وراء وعيها بذا ا ووحد ا الثقافية ومن ثم السياسية والعسكرية التي فاجـأت العـالم الإسلامي في الحرب العالمية الأولى، فإن فقد الروح الإسـلامية وضـعفها كـان السبب في تشظي دولة الخلافة العثمانية الواحدة بسبب النعرات القومية التركية والعربية التي تشظت هي أيضا إلى نعرات وطنية أشد خطرا وأبلغ أثرا في ضعف العرب، في الوقت الذي ما زالت الروح الصليبية وراء استمرار وجود جيـوش الحلفاء وحلف الناتو إلى اليوم للسيطرة على العالم الإسلامي والعربي(إن خيـال الحروب الصليبية لا يزال يرفرف فوق الغرب حتى يومنا هذا).[431]

---

[430] الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) للمستشرق المسلم محمد أسد ص 277 ط8 سنة 1994 دار العلـم للملايين ـ بيروت.

[431] الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص 18.

(عبيد بلا أغلال)

(17)

(الثورات العربية ضد الاحتلال الصليبي ومؤتمر القاهرة سنة 1920م وتأسيس دويلات الطوائف)

الثورات الشعبية العربية والإسلامية بعد الحرب الصليبية:

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة 1918م، وسقوط العالم العربي والإسلامي تحت الاحتلال الصليبي الغربي، ثارت الشعوب العربية والإسلامية ضد الاستعمار، فقام الشعب المصري بثورته سنة 1919م، بعد أربعين سنة من سقوط مصر تحت الحماية البريطانية سنة 1882م، كما ثار الشعب الأفغاني سنة 1919م، بعد 12 سنة من جعله محمية بريطانية سنة 1907م، وثار الشعب العراقي ثورة العشرين سنة 1920م، ضد الاحتلال البريطاني، الذي احتل البصرة سنة 1914م، وبغداد سنة 1917م، حيث هبت القبائل العراقية التي تشكل خمسة وسبعين بالمائة من سكان العراق ضد الاستعمار البريطاني، وتم إعلان الجهاد ضد بريطانيا في بغداد وكربلاء، وعمت الثورة مدن العراق وعشائره، كما ثار الشعب السوري ضد الاحتلال الفرنسي سنة 1920م، وكذا ثار الشعب الفلسطيني ضد بريطانيا، وضد حركة الاستيطان اليهودية، وقد اضطرت بريطانيا لمواجهة كل هذه الثورات بكل دموية وعنف، وكانت معاملة بريطانيا للشعوب العربية لتي وعدت بتحريرها من الدولة العثمانية أسوء وأشد ظلما، بشهادة رجالها، كما قال لورنس في مقاله في صحيفة صاندي تايمز حيث جاء فيه:

(حكومتنا أسوء من النظام التركي البائد، إ ا تبقي على أربعة عشر ألف مجند محلي، وتقتل 200 عربي سنويا، من أجل المحافظة على الهدوء، إننا نحتفظ بتسعين ألف رجل مع طائرات وسيارات مصفحة، وقطارات، لقد قتلنا في انتفاضة هذا

الصيف سنة 1920م، نحو عشرة آلاف عربي، وليس في مقدورنا أن نحافظ على هذا المعدل إنه بلد فقير، قليل الكثافة السكانية)[432].

وهذا ما أكده جون غلوب بقوله (باشرت بريطانيا فور احتلالها للعراق إلى جني الثمار التي استهدفتها من وراء ذلك الاحتلال، ألا وهي الضرائب من الشعب العراقي، والتسلط عليه بالقوة، والمبادرة باستغلال ثرواته الطبيعية، وعلى الأخص النفطية منها، ففي الوقت الذي كان فيه الجيش البريطاني يزحف إلى الشرق والغرب والشمال لإكمال احتلال الأراضي العراقية، كانت فرق الجيولوجيين تسير مع الجيش لزاحف للتنقيب عن النفط في كل بقعة من بقاع العراق التي احتلها الجيش البريطاني)[433].

لقد حاول البريطانيون تحميل مسئولية هذه الثورات جهات خارجية، بينما كانت الحقيقة أن بريطانيا نفسها هي وراء هذه الثورات (ففي منطقة اشتهر سكا ا بكرههم للأجانب، وفي عالم الأغلبية فيه من المسلمين، كان لبلد أجنبي مسيحي أن يتوقع مجا ة الأعداء، إذا حاول أن يفرض حكمه على المنطقة، إن ما واجهته بريطانيا من ثورات منفصلة، لم تكن موجهة من الأجانب، بل كانت موجهة ضد الأجانب)[434].

لقد كانت استراتيجية تشرشل - الذي أصبح وزيرا لشئون المستعمرات في مطلع سنة 1921م - تقوم على أساس(قمع ثورة أهل البلاد، وأن تحكم رعاياها العرب بالإكراه، لا بالإقناع، وكانت هذه الإستراتيجية صدى لتجاربه في حملة

[432] ولادة الشرق 559 ، تأمل فيما تقوم به اليوم قوات الحلفاء الصليبية والطيران والجيش الأمريكـي ضد الشعب العراقي والمدن التي ترفض وجوده حتى بلغ عدد القتلى من المدنيين أكثر من مليون قتيل، وأربعة ملايين مهجر، كل ذلك تحت شعار تحرير العراق وإقامة الديمقراطية!

[433] مذكرات هنري جلوب المشهور بغلوب باشا ص 103.

[434] ولادة الشرق 526 ، وانظر كيف يوصف العراقيون ومن يقاومون الاحتلال الأمريكي في العراق - وعلى لسان الحكومة العميلة - بأ م أجانب إرهابيون بينما يوصف الغزاة المحتلون الصليبيون بالقوات الحليفة والصديقة!

كيتشنر في السودان، ولسهولة إخضاع الأسلحة الأوربية الحديثة سكانا محليين مسلحين فقط بأسلحة تقليدية)[435].

لقد انسحبت الولايات المتحدة من ائتلاف الحلفاء فيما بين عام 1919و 1920م ورفضت الولايات المتحدة اتفاقيات الصلح بين الحلفاء وتركيا، ورفضت معاهدة فرساي، وكذا رفضت الدخول في عصبة الأمم بعد الحرب، وأصرت على مراعاة مصالحها في المنطقة، وأهم المصالح التي شددت عليها - بالإضافة إلى حماية الكليات والأنشطة الإرسالية التبشيرية المسيحية البروتستانتية - (مصالح شركات النفط الأمريكية، تلك المصالح التي قادت الولايات المتحدة إلى التصادم مع بريطانيا، لقد كانت مختلف الترتيبات التي جرى التفاوض بشأ ا بين بريطانيا وفرنسا في زمن الحرب، لاقتسام ثروة النفط في الشرق الأوسط بعد الحرب قد ظلت سرية، وفي مؤتمر سان ريمو في إبريل سنة 1920م، عقدت بريطانيا وفرنسا صفقة نفط سرية ائية اتفقتا بموجبها على احتكار كامل الإنتاج المستقبلي من نفط الشرق الأوسط فيما بينهما، وقد اعتبرت الولايات المتحدة اتفاق سان ريمو ليس مؤذيا فقط لشركة أو شركات، بل مؤذيا لمصالح الولايات المتحدة كدولة، وبدأ ينبثق حل لل اع بين بريطانيا وأمريكا في صيف 1920 عندما أشار مهندسون جيولوجيون على الحكومة البريطانية بأن إمكانات النفط في العراق أغنى مما هو معتقد، وهي ضخمة إلى حد أن بريطانيا تفتقر إلى رأس المال اللازم لتطويرها بنفسها، ولذلك لا بد من الاستعانة بالمشاركة الأمريكية)[436].

---

[435] ولادة الشرق 564 ، وهذا الذي يفسر الإصرار الغربي الصليبي على حرمان العالم الإسلامي من أي مصدر قوة، ومن القدرة على التصنيع العسكري، ومحاصرته ومنعه من أن يمتلك تكلونوجيا المعلومات والصناعات العسكرية والطاقة النووية ليظل تحت السيطرة الصليبية.

[436] ولادة الشرق 598- 601 .وهو ما يفسر عودة التحالف الأمريكي البريطاني لاحتلال العراق مؤخرا للسيطرة على ثرواته النفطية بعد أن ثبت بأن العالم سيحتاج إلى نفط الخليج العربي بشكل كامل بعـد ربع قرن!

لقد كتب بعض المهندسين الجيولوجيين الأمريكيين عن النفط في العراق (إنه أكبر إمكانيات نفط متبقية في العالم، وإن الفطيرة كبيرة جدا، إلى حد أنه ينبغي عمل أي شيء، من أجل أن تنال الحقوق التي هي قطعا حقوق المواطنين الأمريكيين)[437].

لقد نكث الإنجليز بوعودهم التي قطعوها للعرب وللشريف حسين أمير مكة بإقامة (الولايات العربية المتحدة)، التي كان يطمح الشريف إلى تأسيسها ورئاستها، والتي تضم الجزيرة العربية والعراق والشام، أي القسم العربي الأسيوي من الدولة العثمانية بعد سقوطها وتقاسم الحلفاء أقاليمها، وقد أدرك البريطانيون خطورة تنفيذ مثل هذا المشروع الذي ثار الشريف حسين على الدولة العثمانية من أجل تحقيقه، إذ لم يكن هدف الحلفاء تحرير العرب من الأتراك، بل تحطيم الخلافة والدولة الإسلامية التي تمثل الوحدة لشعوب العالم الإسلامي، والسيطرة على أقاليمها الغنية بالثروات الطبيعية، وبالنفط الذي تم اكتشافه مطلع القرن العشرين، وقبل قيام الحرب العالمية الأولى.

وقد رأت بريطانيا أن تستعيض عن مشروع الوحدة (المملكة العربية المتحدة) الذي وعدت الشريف حسين به، بمشروع التجزئة (المملكة العربية السعودية)، وبمشرعها الجديد للشرق الأوسط الذي أقام دويلات الطوائف على النحو الحالي بعد مؤتمر القاهرة سنة 1920م، بعد أن أدركت خطورة قيام دولة عربية موحدة في الجزيرة والشام والعراق!

---

[437] ولادة الشرق 599.

مؤتمر القاهرة سنة 1920 وتأسيس دويلات الطوائف العربية:

ما إن سقطت الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية بعد انتهاء الحرب الصليبية العالمية عليها سنة 1918م، وما إن انفرط عقد سلطا ا عن أقاليمها التابعة لها، حتى انتشرت بترتيبات بريطانية كيانات سياسية كثيرة على أرض الجزيرة العربية، بعضها يمثل ميناء، وبعضها مدينة، وبعضها جزيرة، وبعضها إقليما، فظهر في وسطها إمارة نجد ويحكمها ابن سعود، وفي شمالها إمارة حائل ويحكمها ابن رشيد، وإمارة الجوف ويحكمها ابن شعلان، وفي جنو ا إمارة عسير ويحكمها الإدريسي، وإمارة أ ا ويحكمها آل عائض، وفي غر ا مملكة الحجاز ويحكمها الشريف، وفي شرقها إمارة الكويت ويحكمها ابن صباح، والبحرين ويحكمها آل خليفة، وقطر ويحكمها ابن ثاني، وشيوخ ساحل عمان المهادن الستة، ومسقط ويحكمها آل سعيد، واليمن في الجنوب ويحكمها آل حميد الدين، كما كانت هناك مشيخات المكلا والشحر وظفار وعمان، وكان أكثرها قد ارتبط قبل الحرب العالمية أو أثنائها أو بعدها بمعاهدات حماية مع بريطانيا[438].

وقد جعلت بريطانيا من هذه الكيانات السياسية دولا، مع أ ا لا تمتلك مقومات الدول، ولا الأسس التي تقوم عليها الدول، إذ لا تعبر عن كيانات قومية، فكل سكا ا عرب أقحاح من قومية واحدة، كما لا تمثل كيانات دينية إذ كل سكا ا مسلمون، كما لا توجد حدود طبيعية تفصل بينها، فكلها منطقة جغرافية واحدة، فقامت بريطانيا بتقسيمها وفق مخطط صليبي يخدم مصالحها فكانت ولادة دويلات الطوائف الصليبية بعد مؤتمر القاهرة ولادة قهرية قسرية تجاوزت كل الشروط الموضوعية الجغرافية والسياسية والتاريخية لقيام الدول!

1- ظهور دولة العراق والمملكة الأردنية الهاشمية:

لقد عقد تشرشل مؤتمرا في القاهرة بتاريخ 1921/3/12م، وتم عقد خمسين جلسة في المؤتمر، الذي حضره خمسون مسئولا بريطانيا، لمناقشة وضع المستعمرات، وقد رشحت حكومة الهند البريطانية ابن سعود أو أحد أبنائه

---

[438] عبد العزيز وبريطانيا ص119.

ليحكم العراق، وقد اعترض تشرشل على هذا الاختياروقرر المؤتمر تنصيب فيصل بن الحسين ملكا على العراق (مع بذل كل جهد لجعل العرض يبدوا وكأنه جاء من السكان أهل البلاد، وليس من بريطانيا، ومن أجل المحافظة على وجود بريطاني في البلاد)[439].[440]

وتم تقسيم أرض فلسطين إلى شرقية وغربية، وذلك بأن يكون غربي النهر وطنا قوميا لليهود، كما تم اختيار عبد الله بن الحسين ملكا على منطقة شرق ر الأردن، بشرط أن لا يساعد الشعب السوري على مواجهة الفرنسيين الذين يحتلون سوريا، وأن(يساعد على ضبط الحركات المعادية لفرنسا والصهيونية)، كما يرى تشرشل، كما أنه(يصلح وكيلا مثاليا لبريطانيا في المنطقة، لأنه شخص لا يتمتع بسلطة كبيرة، وليس من أهل شرق الأردن، ولكنه يعتمد على حكومة بريطانيا في الاحتفاظ بمنصبه) على حد قول توماس لورنس.[441]

كما تم في هذا المؤتمر رفع الدعم المالي لحليف بريطانيا في نجد ابن سعود إلى مائة ألف جنيه سنويا، من أجل إرضائه حيث تم تنصيب خصومه الهاشميين في

---

[439] ولادة الشرق 565- 572.

[440] تماما كما بدت الانتخابات العراقية على الدستور ثم على الجمعية الوطنية سنة 2006م فلا تحتـاج لإضفاء الشرعية على الحملة الصليبية إلا إلى انتخابات برلمانية صورية مزورة، وفتـوى دينيـة مـن المرجع، فإذا الاحتلال قد صار تحريرا، والعبودية حرية، والتبعية استقلالا، وإذا الأشـراف والسـادة الهاشميون الجدد من السنة والشيعة قد صاروا زعماء وقادة للعـراق الجديـد، تحـت حـراب قـوات الاحتلال، وشعارات يا لثارات الحسين، لا من الاحتلال بل الثأر من الشعب العراقي نفسه! في مشـهد ساخر يبرأ منه الحسين وآل بيته الأطهار، بعد أن صارت الخيانة سياسة، والعمالة كياسة، وإذا قـوات حكومة آل البيت الديمقراطية تحاصر مدن العراق المقاومة للاحتلال مدينة مدينـة مـن الفلوجـة إلى كربلاء لتدكها على رؤوس أهلها مع قوات التحالف الصليبي بدعوى مكافحة الإرهاب، فقتل مليـون نسمة، و جير خمسة ملايين عراقي، ثمن بخس ليعود الحكم والحق إلى آل البيت ليملؤا الأرض عدلا بعد خراب البصرة وبعد تدمير العراق كله، ثم يكون كل هذا الخزي والعار باسم آل البيـت الأطهـار في عصر غيبة العقل!

[441] ولادة الشرق 565- 572.

العراقوالأردن، وقد اختتم مؤتمر القاهرة أعماله بتاريخ 3/23 وزار تشرشل عبد الله، وكتب في تقريره لمجلس الوزراء البريطاني عنه بأنه كان (معتدلا ووديا، وموقفه من المتظاهرين العرب ضد الصهيونية، موقف صحيح، فهو يؤنب المتظاهرين، ويقول إن البريطانيين أصدقاؤه، وأن بريطانيا ستفي بوعودها للعرب واليهود على حد سواء، وقد وافق عبد الله أن يحكم الأردن ستة أشهر، وأن يتلقى النصح من ضابط بريطاني، مع دعم مالي بريطاني، مع قواعد جوية)، كما كتب تشرشل إلى كورزون (لقد تبين لي أن عبد الله انحاز كليا إلى أسلوبنا في معالجة المشكلة العربية، آمل أن لا يحز أنصاره عنقه)، كما كانت الآمال على فيصل لا تقل عنها في عبد الله، الذي سيتم اختياره ملكا على العراق المولود حديثا(على أن يبدو الأمر وكأن فيصل قد اختير اختيارا حرا وعفويا، من قبل الشعب العراقي، وقد تلقى المسئولون البريطانيون ما يطمئنهم إلى أن فيصل مستعد للتعاون)، وقد طلب لورنس بعد مؤتمر القاهرة، من فيصل أن يتوجه من لندن إلى مكة، ومن هناك يراسل الشخصيات العراقية الكبيرة، ويتظاهر بأن هناك من أصدقائه من يحثه على الذهاب للعراق، وأنه بناء على ذلك سيتوجه للعراق لتقديم خدماته للشعب هناك، وقد تم استقبال فيصل بالنشيد الملكي البريطاني، وتم إجراء انتخابات بريطانية حصل فيها فيصل على 96% من الأصوات، ليصبح أول ملك للعراق بناء على ترشيح لورنس، ضابط الاستخبارات، وتزكية كرزون وزير الخارجية، وقرار تشرشل وزير المستعمرات، ورعاية كوكس المندوب السامي البريطاني في المنطقة، ودعم من ولسون ممثل شركة النفط الإنجلو- فارسية![442]

ولاحظ تكرر المشهد نفسه بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، وإجراء الانتخابات تحت حراسة الجيش المحتل، ليفوز بالانتخابات من جاءوا على ظهر الدبابات الصليبية!

وبعد تتويجه ملكا رفض فيصل صيغة الانتداب البريطاني على العراق، تحت ضغط العراقيين الرافضين للانتداب، ووافق على معاهدة بينه وبين بريطانيا، وقد قرر

[442] ولادة الشرق 565- 572.

مجلس الوزراء البريطاني الاجتماع للنظر في موضوع فيصل فإما أن يتم عزله، أو تنسحب بريطانيا من العراق، بسبب ضغط الرأي العام البريطاني، وارتفاع تكاليف الوجود البريطاني في المنطقة، غير أن رئيس الوزراء أكد أنه (ضد سياسة الهروب من العراق أو من أي مكان آخر) وقد أشار إلى احتمال اكتشاف احتياطي كبير من النفط في المنطقة(وإذا تركنا البلد، فقد نجد بعد عام أو عامين، أننا سلمنا الفرنسيين والأمريكيين حقلا من أغنى حقول النفط في العالم)[443].

ولاحظ تكرر المشهد نفسه، والجدل الدائر في العراق اليوم حول رحيل أو بقاء قوات الاحتلال، وكيف سينتهي الأمر وفق صيغة جديدة يرتضيها بل يفرضه المحتل، ويصدرها البرلمان، وتنفذها حكومة الاحتلال باسم الشعب العراقي!

وقد رأت بريطانيا بعد ذلك ضرورة الحيلولة دون وحدة العرب في العراق والشام والجزيرة العربية، وضرورة تحديد الحدود بين هذه الكيانات الجديدة المصطنعة في العراق، والأردن، والسعودية، والكويت، حيث تم عقد مؤتمر العقير سنة1922م، الذي فرض كوكس فيه على المتمعين اتفاقية تحديد الحدود بين العراق، والمملكة السعودية، والكويت[444].

وكما نجحت بريطانيا في توظيف بعض الزعماء السياسيين لخدمة مشروعها الاستعماري، فقد نجحت أيضا في توظيف رجال الدين، كما فعلت مع نقيب الأشراف ببغداد السيد عبد الرحمن الكيلاني، ومرجع الشيعة الأعلى السيد محمد كاظم اليزدي، فقد كان المرجع اليزدي كما تقول مس بيل (يحمل أفكارا تشابه أفكار نقيب بغداد، حيث أنه بالرغم من الضغط الذي تعرض له، إلا أنه رفض أن يدلي بشيء يكون في غير صالح التدخل الأجنبي في العراق، وهذا أقصى ما يؤمل

---

[443] ولادة الشرق 565- 572.

[444] ولادة الشرق 565- 572، وقصة السيطرة البريطانية 403- 406، وعبد العزيز وبريطانيا 148- 151.

من رجل متفرغ للشئون الدينية تمام التفرغ، ولو تخطى هذا الحد لتعرض تأثيره كرئيس ديني للخطر، فتقل بذلك قيمة تأييده الضمني لنا)[445].

هذا في الوقت الذي تصدى علماء آخرون للاحتلال ومخططاته كالسيد يوسف السويدي من علماء السنة، و المرجع الشيعي محمد تقي الحائري الشيرازي حيث أصدر فتواه بتحريم العمل في الوظائف في الإدارة البريطانية، كما أفتى بكفر من يريد تأسيس حكومة غير إسلامية، ودعا إلى خروج المظاهرات السلمية لنيل الاستقلال[446].

[445] فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص 463 ، وانظر إلى ما كتبـه بـول بريمـر حـاكم العـراق الأمريكي في مذكراته عن تعاون المراجع الدينية معه لتعرف سر مأساة الأمة في زعمائها وعلمائها!

[446] فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص 388 و 441 و463 .

(عبيد بلا أغلال)

(18)

(الترتيبات البريطانية لإقامة دولة الكويت وتحديد حدودها مع الرياض)

كانت الكويت كميناء، والرياض كمدينة، بلدتين تابعتين لدولة واحدة هي الدولة العثمانية إلى الحرب العالمية الأولى سنة 1914م - 1918م، تلك الدولة التي ورثت العالم العربي والإسلامي، وقامت بحمايته، وحافظت على وحدته نحو خمسة قرون تقريبا، حتى جاء المشروع البريطاني والحملة الصليبية على العالم الإسلامي، التي احتلته ثم قسمته إلى دويلات طوائف، وفق مصالحها الاستعمارية، ليبدأ الصراع بين هذه الدويلات على الحدود المصطنعة، التي سيكون لبريطانيا الدور الرئيس في رسمها وتحديدها، بعد أن أخلفت وعدها للشريف حسين بإقامة مشروع الوحدة (المملكة العربية المتحدة) التي تضم الجزيرة العربية والعراق والشام تحت حكم الشريف حسين، وسيكون البديل مشروع التجزئة (العراق، سوريا، الأردن، فلسطين، لبنان، السعودية، اليمن، عمان، الكويت، البحرين، قطر، ساحل عمان)!

وبعد أن فرغت بريطانيا من ترتيب وضع العراق والأردن وفلسطين، وتركت سوريا لفرنسا، بدأت بريطانيا بترتيب إقامة كيانات في الجزيرة العربية تحت حمايتها، ومنفصلة عن بعضها، بما يخدم الوجود الاستعماري البريطاني في المنطقة!

بداية ظهور كيان الكويت :

في أثناء الحرب العالمية الأولى في شهر فبراير 1917م تـوفي جـابر بـن مبـارك الصباح، وجاء بعده سالم بن مبارك الذي كان أكثر منه ميلا للدولة العثمانيـة، وأكثر تدينا، على خلاف حال أبيه مبارك، فقد (كان سالم متعصبا للإسلام، وكان يعتقد أن سياسة والده الموالية لبريطانيا موجهة ضد بلد إسـلاميهو تركيـا، في سبيل تأييد إنجلترا البلد الكافر، وفي تأييـده للعثمـانيين سمـح الشـيخ سـالم للإمدادات أن تمر من الكويت عبر الصحراء إلى الأتراك في دمشق، وقـد تلقـى تحذيرا من الحكومة البريطانية بأ ا ستسحب اعترافها بالكويت كمشيخة مستقلة تحت الحماية البريطانية، كما قامت بخطوة أخرى، وهي محاصرة الكويت اعتبـارا من فبراير سنة 1918 إلى أن انتهت الحرب في ذلك العام)[447].

لقد كان سالم الصباح أكثر تساهلا مع قبيلة العجمان، التي كانت تشن غارا ـا من جنوب العراق على قبائل ابن سعود عابرة أرضي الكويت، وبتواطئ مع قبيلة العوازم، التي بدأ ابن سعود يأخذ منها الزكاة مدعيا أ ا من قبائله، مع وجودها في المنطقة الممتدة ما بين الكويت والإحساء - إذ لم تكن هناك آنذاك حدود، ولم تقم دول أصلا في المنطقة - وهو ما أجج حالة التوتر بين سالم وابـن سـعود - المشغول في المهمة البريطانية لتحييد حائل والهجوم عليها - وقد دفع ذلك سـالم للتحالف مع العجمان، ليستعين م على حماية الكويت من جهة الجنـوب، بعـد تفاقم الأزمة بينه وبين ابن سعود، مما جعل بريطانيا تتدخل لحسم الموضوع[448].

وقد أرسلت الحكومة البريطانية في نوفمبر 1917/11الكابتن هاملتون الوكيـل السياسي في الكويت إلى ابن سعود، ثم بعثت بعده جون فيلبي الذي اقترح لحـل المشكلة ضم الكويت إلى ابن سعود الحليف الأقوى لبريطانيا في المنطقة - بعد أن كان مبارك هو حليف بريطانيا، الذي كان يسيطر علـى حركـة ابـن سـعود ويوجهها وفق المشروع البريطاني - فقد قلبت بريطانيا ظهر المجن للكويت، بعـد أن تضاءل دورها وأثرها في خدمة المشروع البريطاني، أمام أثر ابن سعود ودوره

---

[447] الكويت رؤية سياسية لحسن الإبراهيم 66.

[448] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 197. وقد تحولت هذه القبائل اليوم من سكان أصليين تلجأ إليهم مشيخات المدن لحماية مد ا وتوسيع نفوذها من خلال تحالفها مع تلك القبائل، إلى عنصـر دخيل على أرضه في ظل الدولة الحديثة!

الذي بات يستحق أن تكون الكويت تحت سيطرته، وميناء من موانئ دولته، كما اقترح ذلك جون فلبي في رسالة رسمية لحكومته، التي أجلت النظر في الموضوع[449].

وقد أدرك سالم خطورة الوقوف أمام المشروع البريطاني الذي قد يفضـي بضـم الكويت إلى عدوه، وقبل سالم التفاهم مع ابن سعود، الحليف الرئيسي لبريطانيـا بعد مبارك الصباح، وبدأ سالم بالتفاوض في شأن العجمان الذين أصر ابن سعود على جلائهم من الكويت، فقررت بريطانيا وضعهم تحت حمايتها إلى ما بعد انتهاء الحرب العالمية لمدة سنة، بشرط أن يخرجوا مـن الكويـت، وأن لا يـدخلوها في المستقبل، ولا يتزودون بالمؤن منها، وأن يستقروا في جنوب الزبير، على أن تقوم بريطانيا بإجراء مرتبات لشيوخهم بعد توقيعهم اتفاقية معاهدة مع بريطانيا ذا الخصوص، ولا تشمل الاتفاقية العجمان الذين يشتغلون في الغوص في الكويـت، ومن كان منهم من أهل مدينة الكويت أصلا[450].

المخطط البريطاني للسيطرة على القبائل وإخضاعها لحلفائها:

ولم تحل تلك الاتفاقية بين العجمان واستمرار هجما م على أراضي ابـن سـعود الذي ما زال يحاول فتح حائل، ففي شهر 1917/7م تحالفت قبائل من شمر مـع العجمان على شن الغارات، وكانت بتواطئ من قبيلة العـوازم، لتنفيـذ هـذه الهجمات عبر أراضي الكويت، مما أثار الأزمة مجددا بين سالم وابن سـعود، وقـد اقترح جون فيلبي ممثل بريطانيا في الرياض على رؤسائه في بغداد - بعد احـتلال بريطانيا لها - أن يتم محاصرة قبيلة أسلم الشمرية وقبيلة العجمـان، وأن يـتم منعهم من التزود بالمؤن من الأسواق التي تحت سلطة بريطانيا، كما اقترح توجيه إنذارا لسالم الصباح بخلعه من الإمـارة إذا لم يلتـزم بـأوامر بريطانيـا ـ ذا الخصوص[451].

[449] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 200 .

[450] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 202، وتاريخ الكويت للرشيد 238، وخزعل 207/4.

[451] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 204 .

وقد قامت بريطانيا بأخذ تعهد على قبيلة العجمان وقبيلة شمر، وأخـذت منـهم رهائن للالتزام بالتعهد، واعتبرت أن كل من يخالف التعهد عدوا لبريطانيا وابـن سعود، كما أمرت بريطانيا الكويت باحتلال آبار الجهـراء والآبـار الأخـرى قربمدينة الكويت، وأمرت ابن سعود باحتلال آبار الحفر، والقـوات البريطانيـة باحتلال آبار صفوان[452].

وهذا دليل على عدم تبعية تلك الأراضي آنذاك للكويت أو للرياض، وأ ا كانت خاضعة للقبائل التي تتبع تلك الآبار مناطق نفوذها، ولهذا طلبت بريطانيـا مـن حلفائها احتلال تلك الآبار!

وكان الهدف هو محاصرة هذه القبائل ومنعها من الوصول إلى موارد المياه، وهي الآبار التي طالما تزودت منها هذه القبائل منذ مئات السنين!

وكانت هذه إحدى الخطوات التي اتبعتها بريطانيـا لتـدجين القبائـل العربيـة وترويضها لسلطة حلفائها في المنطقة، ليسهل لها السيطرة عليها بعد ذلك وهو ما تحقق بالفعل.

كما استخدمت بريطانيا أسلوبا آخر في ترويض القبائل حيث قامت باقتراح من المعتمد السياسي البريطاني في الكويت هاملتن بعد محادثات أجراه مع ابن سعود في الرياض في نوفمبر 1917م من أجل تعزيز نفوذ ابن سعود بتحويل صرف(كـل المخصصات المالية التي تقدمها بريطانيا - بعد سقوط الدولة العثمانية - لقبائـل وسط الجزيرة العربية ومن ضمنها قبائل ء ة وعتيبة ومطير وسبيع وبني هـاجر وقحطان والدواسر والمناصير والمرة وبني عبد الله من مطير والسهول والعجمـان وشمر والظفير، ودفعها من خلال ابن سعود، واعتماد مقـيم سياسـي بريطـاني لديه)[453].

[452] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 206، وهذا يؤكد أنه لم تكن الجهراء مـن الكويـت آنذاك، ولا تحت سيطرة سالم، إلا بعد أن أمرت بريطانيا سالما باحتلال آبارها والسيطرة عليها، لمنـع ابن رشيد من العودة إليها بعد أن سيطر عليها عدة أشهر وحاصر الكويت منها قبيل ذلك.

[453] الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية 670/3 .

فقد أصبحت القبائل - التي كانت تستلم مخصصا ا من الدولة العثمانية مباشرة سابقا، ثم من بريطانيا بعد احتلالها للمنطقة - تحت رحمة ابن سعود بعد أن صـار دفع مخصصا ا المالية عن طريقه لاخضاعها لنفوذه وسلطته.

وقد نجحت الخطة البريطانية في محاصرة هذه القبائل حيث وافق العجمـان علـى الرجوع إلى أراضيهم ودخولهم تحت سلطة ابن سعود، كما انخـرط العـوازم في حركة الإخوان الوهابية، وهو ما دفع سالم إلى البحث عن حلفاء آخرين فاستمال بعض قبائل مطير للوقوف في صفه[454].

وقد نصت الاتفاقية العثمانية البريطانية لسنة 1913م التي بموجبـها تم تحديـد مناطق النفوذ بينهما في ماد ا السابعة على أن حدود الكويت مع نجد تبدأ مـن حفر الباطن مرورا بآبار اللصافة واللهابة والقرعة شرقا، والتي هي أراضي لقبيلة مطير، فكانت تمثل حاجزا قبليا بين سالم وابن سعود، مما حدا سالم إلى التحـالف معها ضد خطر ابن سعود.

ولم يتم توقيع تلك الاتفاقية بين بريطانيا والدولة العثمانية بشكل ائي، حيـث قامت الحرب العالمية الأولى بينهما مما أبطل مفعول الاتفاقية، وقد وقعت بريطانيا مع ابن سعود معاهدة في ديسمبر 1915م - بعد أن ضمنت دخوله تحت حمايتها - نصت في المادة السادسة منها على أن حدود أراضيه سيتم تحديدها مع جيرانه فيما بعد، مما يؤكد أن بريطانيا لم تعترف بالحدود التي أشارت إليها اتفاقية سـنة 1913م غير الموقعة[455].

خاصة أن تلك الحدود التي تضم الصمان إلى الكويت تم ادعاؤها من طرف مبارك بإيعاز من بريطانيا، لتحصل بريطانيا بموجبها على أكبر مساحة مـن الصـحراء لمحميتها الكويت من الدولة العثمانية التي كانت تعيش أضعف مراحل تاريخهـا في تلك الفترة، إذ لم تكن سلطة شيخ الكويت قبل ذلك تتجـاوز حـدود أسـوار

---

[454] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 207 .

[455] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 214 .

المدينة، حتى بدأ المشروع الاستعماري البريطاني في المنطقة، والذي اتخذ مبارك وسيلة لتحقيق أهدافه، فكان أول شيخ يتطلع إلى الصحراء غربا.

وقد تزوج مبارك الصباح لتعزيز نفوذه غربا ابنة فهد الأصقه الدويش وأسكنها الجهراء[456].

وكما يقول لوريمر فقد جعل مبارك الصباح (من نفسه حليفا لقبيلة مطير وذلك بالزواج منهم، ومطير لهم شأم في نجد، ويعسكرون في الصمان، أو عند رأس خليج الكويت في الصيف)[457]، وحيث (يقطن جزء من الصمان التابع للكويت قبيلة مطير فقط، ويخيم عدد كبير منهم في الجهراء كل موسم)[458].

فقد كان هدف مبارك واضحا من توطيد علاقته بقبيلة مطير عن طريق التحالف والمصاهرة، إذ تسيطر القبيلة على الصحراء غربا، حيث تمتد الصمان العاصمة الصحراوية للقبيلة، لتشكل بذلك حاجزا قبليا بين كل من الكويت وحائل والرياض، وقد حاول كل من أرد توسيع نفوذ مدينته من شيوخ وأمراء هذه المدن الثلاث كسب القبيلة إلى صفه كما يقول لوريمر (ففي عام 1878م كانت علاقة قبيلة مطير مع ابن رشيد ودية، ولم يكونوا تابعين له في يوم من الأيام، وفي الصراع الطويل الذي نشب بين الأمراء الشمريين والوهابيين انضم رجال مطير إلى الدولة الجنوبية وشاطروها النصر النهائي، وقد أدى التحالف بين ابن سعود وشيخ الكويت أثناء الحرب إلى قيام علاقات أوثق، وكان شيخ الكويت يقوم بترتيب مع ابن سعود وبالنيابة عن ابن سعود بجمع الزكاة من القبيلة التي تعيش ضمن أراضيه، وبعد جمع الزكاة يقوم المزكي بدفع جزء منها للشيوخ الرئيسيين للقبيلة، ويحمل الباقي لشيخ الكويت، وهناك علاقة مصاهرة بين الكويت وقبيلة مطير، ورجال القبيلة مسلحون جيدا بالبنادق كما يليق بحليف للكويت)[459].

---

[456] لوريمر في دليل الخليج القسم الجغرافي 1633/4و1108/3 .

[457] لوريمر في دليل الخليج القسم الجغرافي 1343/4 .

[458] لوريمر في دليل الخليج القسم الجغرافي 1341/4 .

[459] لوريمر في دليل الخليج القسم الجغرافي 1627/4 .

وقد أدى تنافس المدن الثلاث على كسب ود قبيلة مطير إلى انقسام القبيلة بـين حلفائها كما قال لوريمر (وأثناء الصراع الأخير للسيطرة على أواسـط الجزيـرة العربية، أيد بنوعبد الله - من مطير - ابن رشيد، بينما وقفت أغلب القبيلة مع ابن سعود، حتى تمت هزيمة ابن رشيد ائيا فعاد بنوعبد الله إلى هيكـل القبيلـة العام)[460].

لقد أراد سالم الصباح أن يقوم من خلال تحالفه مع بعض قبائـل مطـير بتـأمين حدوده غربا، كما فعل والده من قبل، غير أن بريطانيا - وبعد أن وصـلت إلى وسط الجزيرة العربية عن طريق ابن سعود الذي أصبح تحت حمايتها رسميـا - لم تعد في حاجة خدمات شيخ الكويت، الذي لا يستطيع منافسة حليفها الجديـد، فأصبحت بريطانيا تراهن على ابن سعود في ترسيخ أقدامها في الجزيرة العربيـة، بعد أن أثبت لها مدى إخلاصه وتعاطفه معها في الحرب العالمية الأولى.

الحصار البريطاني للكويت:

وقد ازدادت علاقة سالم الصباح سوء ببريطانيا بعدما ثبت لها عجزه عـن قطـع طرق الإمداد إلى الجيش العثماني في الشام التي تصل من طريق الكويت، وحيـث يبدي سالم تعاطفا مع الدولة العثمانية التي تتعرض جيوشها في دمشق وفلسـطين للحصار الاقتصادي البريطاني، وقد فرضت بريطانيـا حصـارا اقتصـاديا علـى الكويت، وفرضت مراقبة صارمة على كل ما يرد على الكويت أو يخرج منـها، وحددت في أواخر سنة 1917م للقبائل أسواقا خاصة هـي الـزبير والكويـت والخميسية للتزود منها بالمؤن، وجعلت عليها مراقبين بريطانيين مهمتـهم فـرز القبائل المؤيدة لبريطانيا من المعادية لها، ويتم تزويد القبائل المؤيـدة بالرخصـة للشراء من هذه الأسواق، وتحرم القبائل المعادية من هذا الحق، خشية أن ـرب

[460]لوريمر في دليل الخليج القسم الجغرافي 1633/4و1108/3 . والهزيمة النهائية التي يعنيها لـوريمر هي معركة الرويضة بين ابن سعود وعبد العزيز بن متعب الرشيد في 1906/4/11م، والتي قتل فيهـا ابن رشيد وخلفه ابنه متعب على إمارة حائل، كما يقول لوريمر في دليـل الخلـيج القسـم التـاريخي 1738/3 .

هذه القبائل المؤن لحائل أو الشام، والتي ما زالت تحت الحصار البريطاني من أجل احتلالها في المستقبل[461].

وقد حرص ابن سعود بريطانيا على محاصرة الكويت ومراقبتـها للحيلولـة دون خروج أي قافلة للدولة العثمانية ومن يقف معها، وأنه على بريطانيا أن تقضـي على المشكلة في مهدها في الكويت، وقد فرضت بريطانيا حصارا بحريا وبريا على الكويت وهددت سالم المبارك باحتلال الكويـت عسـكريا، ومنعـت أن يصـل الكويت من الهند شيء من المؤن أكثر من حاجة المدينة وحاجة قبائلها المـاورة لها، والموالية لبريطانيا، واستمر الحصار على الكويت إلى أن انتهت الحرب العالمية الأولى في نوفمبر 1918م[462].

الاتفاق البريطاني مع قبيلة ع ة:

وفي الوقت الذي تم فيه فرض الحصار البريطاني على الأسواق الرئيسـة - الـتي ترتادها القبائل في الجزيرة العربية والعراق والشام - لقطع الطريق على القوافل التي تزود الجيش العثماني والمناطق العربية التي لا تزال موالية للدولة العثمانيـة بالمؤون، قامت بريطانيا بدفع الأموال والمؤن لشيوخ القبائل الذين تعاونوا معها، كما فعلت مع شيخ شيوخ قبيلة ع ة فهد الهذال الذي خصصت لـه بريطانيـا منحة مالية وتعهد بالمحافظة على السلم ومنع مرور البضائع عبر البادية، ومع أن خطر الماعة لم تستثن منه البادية، غير أن عشيرة فهد تسلمت كميات كبيرة مـن الحبوب والتمور بشكل منتظم، فكانت الجموع الجائعة تعبر البادية ملتجئـة إلى فهد، وكما قالت المس بيل :

(وما حل كانون الثاني حتى كان مائة ألف بدوي - من قبيلة عـ ة وحـدها - يخيمون على مقربة من فهد، وادعين سهلي الانقيـاد، مثـل سـلالات كلا ـم،

---

[461] العلاقات بين الكويت ونجد 208، وتاريخ الكويت للرشيد 238، وخزعل 107/4 .

[462] العلاقات بين الكويت ونجد 210، وتاريخ الكويت للرشيد 239، وخزعل 135/4 .

وخيلهم المشهورة، ولم يحدثوا أي اضطراب، بل قبلوا بمنة المؤونة التي زودوا ا، وعندما ملأ العشب ضروع نياقهم في الربيع أخذوا يرجعون إلى ديارهم)[463].

وبذلك نجحت بريطانيا في ترويض القبائل العربية والسيطرة عليها لصالح مشروعها الاستعماري في المنطقة، ومن أجل إقامة(دويلات الطوائف) على أنقاض الخلافة العثمانية!

معركة حمض بين سالم الصباح وقبيلة مطير:

وفي إبريل سنة 1920م قام تراحيب بن شقير الدويش وبعض قبيلة مطير ببناء هجرة(قرية) على آبار قرية، التي كانت موطنا منذ القدم لقبيلة مطير[464].

وقد رأى سالم أن ذلك اعتداء على حدود أراضيه الجنوبية بحسب الاتفاقية الانجلو عثمانية التي لم توقع، فاشتكى إلى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت، كما أمر بمنع قبيلة مطير من دخول مدينة الكويت للتزود بالمؤن ليخضعها لسلطته، وقد عدت قبيلة مطير ذلك المنع بمثابة إعلان حرب عليها، إذ مدينة الكويت هي مصدر تزود القبيلة بالمؤن منذ قديم الزمان - وهو ما أقرت به الحكومة البريطانية التي حملت سالم تبعات مثل هذا المنع[465]- مما حدا القبيلة إلى قطع الطريق بين الكويت ونجد، والإغارة على أطرافها، فأرسل سالم جيشا بقيادة دعيج الصباح وعبد الله الجابر الصباح إلى (قرية)، مما حدا بابن شقير الدويش إلى طلب النجدة من فيصل الدويش القائد الأعلى للأخوان آنذاك الذي بادر - على رأس ألفين من قواته- لمواجهة دعيج الصباح، فاشتبك الجيشان في معركة حمض، وقتل أكثر جيش دعيج الصباح، بعد أن تعرض لهزيمة شنيعة، وكان عدد القتلى في صفوف قوات دعيج كبيرا، ولم ينج دعيج وعبد الله الجابر الصباح من الموت

---

[463] فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص 131.

[464] العلاقات بين الكويت ونجد 218 .

[465] الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية 319/5 .

والأسر إلا بأعجوبة، وغنمت قبيلة مطير أموله التي تقدر بـثلاثين ألـف جنيـه إسترليني[466].

وقد توجه الدويش بقواته بعد ذلك مباشرة إلى الكويت مما أثار الرعب والهلع في قلوب الناس في القرى المجاورة الذين فروا إلى المدينة، بعد أن بلغتهم أخبار هزيمة دعيج الصباح في حمض، وخبر تقدم الدويش نحو الكويت، وقد أمر سالم بتشـييد سور الكويت لحمايتها من الهجوم القادم الذي لم يمنع من وقوعه سـوى حـرارة الصيف الحارقة، ولم يتحمل سالم نفقات السور، بل بناه أهل المدينة من أمـوالهم، حيث بنى أهل كل حارة ما يليهم من جوانب السور الذي بلغ طوله نحو خمسـة أميال على شكل نصف دائرة من البحر إلى البحر[467].

اللجنة البريطانية لتحديد الحدود بين الكويت والرياض:

وقد طالب سالم الصباح وابن سعود من بريطانيا التدخل لحل المشكلة، والفصـل في موضوع الحدود، فأمرت الطرفين بعدم إثارة المشاكل حتى تفرغ من تشـكيل لجنة ذا الخصوص، فقد كانت بريطانيا سنة 1920م تواجه في العـراق ثـورة العشرين للشعب العراقي مما أشغلها عن مشاكل محميا ا الخلفية.

وقد نبهت بريطانيا سالم الصباح إلى عدم الاحتجاج في موضوع الحدود بالاتفاقية الأنجلو عثمانية لسنة 1913م لكو ا لم توقع، ولأنه حل محلها المادة السادسة من معاهدة الحماية البريطانية مع ابن سعود لسنة 1915م، التي أجلت تحديد حدوده مع الكويت إلى المستقبل[468].

---

[466] الكويت وجارا ا لدكسون 256/1، والعلاقات بين الكويت ونجد 218- 222، وتاريخ الكويـت للرشيد 248، وتاريخ الكويت لخزعل 225/4 .

[467] العلاقات بين الكويت ونجد 223، وتاريخ الكويت للرشيد250، وخزعل 226/4 .

[468] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 232 .

وقد أثار سالم الصباح سخط بريطانيا بسبب تعنته في حل مشاكله مع ابن سعود بالطريقة التي تقترحها عليه، حتى بلغ الأمر بأن فكر المسئولون البريطـانيون في بغداد بإمكانية عزل سالم ونصب خليفة له أكثر مرونة منه[469].

الخلاف بين سالم وابن سعود على تبعية قبيلة العوازم:

وقد أرسل ابن سعود رسالة إلى سالم الصباح في يوليو سنة 1920م جاء فيها:

(لم يكن في الماضي قضية حدود بين أراضينا، فأرضك باقية في الكويت، وأراضي تحت سيطرة القبائل، لقد بدأ مبارك أولا باستيفاء الزكاة من العوازم حين كنـا ضعفاء، وحينما أخضع الإحساء، كان والدك يدفع للدولـة العثمانيـة سـتمائة دولار عن زكاة العوازم)[470].

وقد رضي الطرفان بتوقيع تعهد يلتزمان فيه بقبول التحكيم البريطاني في موضوع الحدود، وقد طالب سالم أن يشمل التحكيم جميع القضايا المختلف عليها ومنـها زكاة قبيلة العوازم التي بدأ ابن سعود بأخذها منهم، والغـزوات الـتي تشـنها القبائل على الكويت، فرد عليه المقيم السياسي في الخليج بقوله :

(إن الزكاة اعتادت القبائل أن تدفعها لمن يوفر لها الحماية، أو لمن يكرهها على الدفع، أو لمن تتوفر له هيبة كافية لجعل القبائل تدفعها لـه دون إكـراه، وأمـا الغزوات والغزوات المضادة فإ ا من متطلبات الحياة اليومية في بلاد العرب فليس التحكيم قادرا على إيقافها).[471]

وقد أرسل سالم بتعهد بتاريخ 1920/9/7م حدد فيه الحدود التي يدعيها كمـا جاءت في اتفاقية سنة 1913م، ومنها آبار اللهابة واللصافةوالقرعة - وهي تقع في الصمان التابع لقبيلة مطير - وانطاع، حيث العشائر التي تشرب منها وتـرد عليها تختاره هو لا ابن سعود، كما طالب في الملحق الرابع من شروط تعهده أن

[469] انظر تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون حاشية ص 233 .

[470] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 358 .

[471] العلاقات بين الكويت ونجد 235 -237، وتاريخ الكويت للرشيد 253، وخزعل 241/4 .

تعطى قبائل البادية حرية الاختيار في أداء زكا م لمن يشاءون من الطرفين، علـى أن يتحمل الطرف الذي يستوفي زكا م مسئولية أعمالهم إلى أن يفارقوه ويؤدوا الزكاة لغيره، وفي حال الاعتداء بين قبائل الطرفين، وفي حال الإخفاق في حلـها، يحال الأمر لبريطانيا ويلتزمان بحكمها، وأن تظل التجارة حرة بين الطرفين[472].

وقد كان هدف سالم - من منح القبائل حرية الاختيار المشـروط في المعاهـدة - فتح اﻟﻤﺠال له في المستقبل حين تتغير موازين القوى بانضمامها إليه متى ما شاءت، إذ أدرك بأن حدوده هي حدود قبلية لا جغرافية، وأ ا تمتـد بامتـداد أراضـي القبائل الراغبة بالانضمام له بدفع زكا ا إليه، وهو ما نجح ابن سعود في تحقيقـه في تلك الفترة.

وقد أكد ابن سعود - في تعهده بالتزام نتائج التحكيم - أن حدود سـالم هـي أسوار مدينة الكويت طبقا لما كان عليه الحال أيام أسلافه، حين كانـت سـلطة شيخ الكويت قاصرة على مدينة الكويت ذا ا فقط على حد ما جاء في رسـالته للمقيم السياسي البريطاني[473].

تحالف سالم الصباح وشمر والعجمان :

ولم تباشر بريطانيا بالفصل بين سالم وابن سعود، بعد تعهد الطرفين خطيا بقبـول نتائج التحكيم البريطاني، فبادر سالم - كما تؤكـد الوثـائق البريطانيـة - إلى تشكيل تحالف ضم قبيلة الأسلم من شمر بقيادة ابن طوالة، التي كانت تسـتوطن شمال الكويت على آبار صفوان، فانتقلت بناء على طلـب سـالم إلى الجهـراء، لتشكل قوة مشتركة بقيادة دعيج الصباح وابن طوالة لحماية الكويت، كما نجح سالم في التحالف مع بعض قبائل العجمان، وكذا نجح في جذب قسم مـن قبيلـة مطير إلى صفه ممن كانوا ضد الدويش، فاستجابوا لطلب سالم وانحازوا إليه ونزلوا الجهراء، كما ضم إلى تحالفه ابن سويط وقبيلة الظفير[474].

---

[472]العلاقات بين الكويت ونجد 235- 237، وتاريخ الكويت للرشيد 253، وخزعل 241/4 .

[473]تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 237 .

[474]تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 238 .

الحل البريطاني لمشكلة الكويت وحدودها:

وقد اجتمع برسي كوكس في العقير مع ابن سعود وطرح عليه ابن سعود فكـرة فلبي، التي اقترح فيها ضم الكويت إلى ابن سعود، فلم يرد كوكس عليه جوابـا واضحا، كما اجتمع بعدها كوكس بسالم بتاريخ 29/9/ 1920م، واستطلع رأيه في المشكلة، وقد أصبح كوكس بعد هذه اللقاءات أكثر إدراكـا لمعرفـة أبعـاد الأزمة وكيفية حلها، وقد رأى ضرورة أن يكون لمدينة الكويت مساحة صحراوية خلفية تحميها من الأخطار الخارجية، كما رأى أنه ليس لسالم أن يتشبث باتفاقية سنة 1913م، بين بريطانيا والدولة العثمانية، إذ لم يكن الهدف منها تحديد حدود الكويت، بل مد النفوذ البريطاني على حساب النفوذ العثماني، وتحديـد منطقـة نفوذ كل منهما، وبما أن الدولة العثمانية قد خرجت من المنطقة فلا معنى لتشبث سالم بمثل هذه الاتفاقية، كما توصلت التقارير البريطانيـة إلى ضـرورة وجـود الكويت بمساحة واسعة لتكون حاجزا بين العراق ونجد، كما توصلت إلى أن ابن سعود أقدر من سالم على السيطرة على القبائل الصحراوية، فمن الأفضـل ضـم القبائل في جنوب الكويت إلى ابن سعود، وكذلك أكد المقيم السياسي في الخليج العربي أن بريطانيا وإن كانت تعترف بالحدود التي يدعيها مبارك، إلا أ ـ ا غـير ملزمة بالاعتراف بتلك الحدود لخلفائه، كما أثار الوكيل السياسي البريطـاني في البحرين موضوع أن بريطانيا غير ملزمة بنص معاهدة الحماية أن تحمي الكويـت من جهة الصحراء، بل توفر لها الحماية البحرية فقط، وهو ما استقر عليـه رأي السلطات البريطانية، إلا أن بريطانيا لن تسمح بالهجوم البري على المدينة من أي طرف ليكتسحها، كما رأى الوكيل السياسي في البحرين بأن وجود ابن سعود - الذي قدم خدمات ومساعدات قيمة لبريطانيا في الحرب ضد الدولة العثمانيـة - على رأس حكومة قوية في نجد سيكون مناسبا لبريطانيا، حيث يصبح جيرانـه في خوف دائم منه، يدفعهم إلى الخضوع لرغبات بريطانيا التي تمليها عليهم، غير أ ا لن تسمح له في المقابل بضمها وتوحيدها[475].

---

[475] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 240- 244 .

معركة الجهراء بين سالم الصباح وفيصل الدويش:

وفي 1920/10/7م تحركت قوات فيصل الدويش زعيم الأخوان التي تقدر بأربعة آلف مقاتل من آبار الوفرة إلى آبار الصبيحية، فتحرك سالم الصباح إلى الجهراء ومعه نحو ثلاثة آلف مقاتل، لمواجهة الهجوم المتوقع، وكان قد استنجد بضاري بن طوله شيخ قبيلة الأسلم من شمر الذي كان معسكرا قرب صفوان شمال الكويت، وطلب منه سالم النزول هو وقبيلته على الجهراء فنزل ضاري عليها، وفي تاريخ 10/10 اشتبك الجيشان في معركة الجهراء، وقد لجأ سالم ومن معه إلى القصر الأحمر بعد تعرضه لهزيمة ساحقة، ودبت الفوضى في القصر وفي القرية، وقد تم التفاوض بين الطرفين، بعد أن علم فيصل ما كان عليه حال أهل القصر(من الضيق والقلق فرق فيصل الدويش لحالهم، وعزم على أن يقترح عليهم شروط الهدنة التي تتلخص بالعودة إلى حظيرة الدين الإسلامي الصحيح، فلم يعارض الشيخ سالم بفتح باب المفاوضة)، وقد جاء في شروطهم أيضا طرد القنصل البريطاني في الكويت[476].

وقد دار حديث في القصر بين سالم الصباح ومبعوث الدويش الشيخ عثمان بن سليمان قال سالم فيه :

(لماذا هذا القتال بيننا وكلنا مسلمون موحدون وأمامنا عدو لدود يريد القضاء علينا جميعا؟ - يقصد بريطانيا - هيا لنرم الضغائن والأحقاد ونكون يدا واحدة عليه، وهذه فكرة جميلة تدل - كما يقول المؤرخ الرشيد الذي كان مع سالم في القصر وأثناء المفاوضات - على صدق سالم وإخلاصه، ولكن التصريح بها أمام مثل هذا الرجل يدل على السذاجة والبساطة، وقد أكثر سالم القول هناك بما لا أحب ذكره هنا) كما يقول مؤرخ الكويت الرشيد[477].

وهذا يؤكد أن سالم المبارك كان يضمر العداوة لبريطانيا ويرى أنها كانت وراء كل ما كان يتعرض له من حصار وتضييق وحروب بسبب موقفه من الدولة

---

[476] تاريخ الكويت لخزعل 268/4 ، وتاريخ الخليج العربي لزكريا 71/3 .

[477] تاريخ الكويت للرشيد 259 .

العثمانية، كما دعا سالم الدويش إلى الوقوف جميعا صفا واحدا في وجه بريطانيا، التي طالب الدويش في شروطه طرد قنصلها من الكويت، واعتذر سـالم بأنـه لا يستطيع تنفيذ مثل هذا الطلب، وفي الوقت الذي يشترط زعيم الأخوان فيصـل الدويش على سالم الصباح التخلص من النفوذ والوجود البريطاني في الكويت، لم يكنالدويش ومن معه يعلمون بأن ابن سعود هو أيضا كان قد وقع اتفاقية سـرية منذ خمس سنوات في سنة 1915م أصبح بموجبها تحت الحماية البريطانية بشـكل رسمي!

وبعد الصلح وموافقة سالم على الالتزام بتنفيذ ما اتفق عليه من الشروط ومـن ذلك إزالة المنكرات، رفع الدويش الحصار عن القصر، ورحـل إلى الصـبيحية، وأقام عليها أياما ينتظر مدى التزام سالم بالصلح، وقد أرسل سالم إلى الـدويش برسالة مختصرة عندما وصل الكويت جاء فيها(أعداؤكم أعـدائي وأصـدقاؤكم أصدقائي)، وقد أرسل الدويش برسالة إلى ابن سعود يخبره فيهـا بالصـلح، وأن هدفه من الهجوم على الجهراء كان لمنع سالم من تكرار الاعتداء عليهم كما حدث في حمض[478].

وفي 10/14 أرسل الدويش وفدا - وكان ما يزال على آبـار الصـبيحية - إلى سالم في الكويتليتأكد من الوفاء بما التزمه من الشروط في عهد الصلح، ويـدعوه إلى الانضمام إلى حركة الأخوان، وقد تعلل سالم بالمرض عدة أيام لعله يجد حـلا لهذه المشكلة إذ ما زالت جيوش الدويش قريبة دد الكويت، فاضطر إلى طلـب التدخل البريطاني لحمايته، فبادرت إلى إرسال سفينتين حربيتين للمرابطـة أمـام ساحل الكويت، كما أمرت بإرسال بعض الطائرات البريطانية الحربيـة لقصـف مخيمات الدويش ومن معه على الصبيحية، وقد ألقت الطائرات منشورات جـاء فيها على لسان المندوب البريطاني في العراق ما يلي:

(طالما ظلت الـ اعات محصورة في الصحراء أو في الجهراء فإننا لسنا مدعوين لفعل أكثر من بذل مساعينا الحميدة من أجل السلام، لكننا حين نجد التهديـد ضـد مدينة الكويت فلن نظل والحال هذه مراقبين، إ م إذا بذلوا أية محاولة للـهجوم

[478] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 260 .

على مدينة الكويت فسيعاملون من قبل السلطات البريطانية على أ ـ م مجرمـ ي حرب).

وقد قامت السلطة البريطانية بنصب بعض المدافع الرشاشة وإقامة مجموعة مـ ن الجنود على السور، وقد عقد سالم وبحضور الوكيل السياسي البريطاني لقاء مـ ع وفد الدويش الذي قرر الرحيل عن الصبيحية في 10/28 بعد أن حملـ وا سـ الم مسئولية الإخلال بتنفيذ المعاهدة، كما أرسل المندوب البريطاني في بغداد إلى ابن سعود يأمره بأن تبقى آبار الصبيحية غير محتلة من قبل أي من الطرفين إلى أن يتم حل ال اع، وكذلك اعترف بأن المنطقة المحاطة بالدائرة الحمراء حسب الاتفاقية الأنجلو عثمانية لسنة 1913م والتي تمتد على شكل نصف دائرة من الخور شمـ الا إلى ضلع القرين جنوبا أراضي كويتية غير قابلة لل اع، وأما الدائرة التي بعـ دها باللون الأخضر، فتعد أرض محايدة لا يحق لأحد احتلال آبارها، وهي التي نصـ ت الاتفاقية على أن تكون قبائلها تابعة لشيخ الكويت لكو قائمقاما عثمانيا[479].

لقد كان واضحا أن بريطانيا لا تعد الصحراء وقرية الجهراء جزءا من الكويـ ت بحسب المعاهدة التي أبرمتها مع مبارك، وأنه لا يلزمها بناء على ذلـ ك حمايتـ ها والدفاع عنها، وأ ا ملزمة فقط بحماية الكويت المدينة فإذا (تعدى الأمر وشملت التهديدات مدينة الكويت والرعايا البريطانيين القاطنين فيها، وتعرضت تأكيدات بريطانيا لشيخ الكويت للخطر، فإن حكومة بريطانيا لا تستطيع أن تبقى مكتوفة الأيدي)[480].

ومما يؤكد ذلك ما جاء في خطاب مبارك الصباح إلى صديقه خزعل شيخ عربستان سنة 1904وقد ورد فيه(نحن الآن في الجهراء وسنحدر إلى بلدك الكويت).[481]

---

[479]انظر تفاصيل معركة الجهراء في الكويت وجارا ا لدكسون 1/256-261، والعلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 260-266و247، وتاريخ الكويت للرشيد 261، وتحفة المشتاق ص 418، وتـ اريخ الكويت السياسي لخزعل 4/276، وتاريخ الخليج العربي3/71-76 .

[480]الكويت وجارا ا لدكسون 1/261 .

[481]تاريخ الكويت السياسي لخزعل 2/250 .

وهو ما يؤكد أن الكويت هي المدينة فقط، ولم يكن يطلق على صحرائها اسـم الكويت إلا بعد سنة 1913 حين كادت بريطانيا أن توقع اتفاقية مـع الدولـة العثمانية لتحديد حدود برية للكويت، بعد أن اتسع نفوذ مبارك الصباح خـلال تنفيذه المشروع البريطاني في المنطقة.

وفي شهر 1920/12م أغار فيصل الدويش على أطراف الكويت فأغار على ابن عمه ابن ماجد الدويش ومعه قبائل من مطير ظلوا حلفاء لسالم الصباح وبطـش م، وكانوا على الجهراء، كما أغار أيضا على الظفـير حلفـاء سـالم الصـباح وأخذهم، ثم توجه إلى الزبير فهددته السلطات البريطانية بطائرا ا، فرجع فيصل الدويش ومر بالجهراء مهددا لها ثانية[482].

وقد أراد الشيخ خزعل شيخ المحمرة في عربستان التوسط بين سالم وابن سـعود، فاقترح الأمر على برسي كوكس في العراق، فاقترح عليـه كـوكس أن يضـم الكويت إلى بلده، أو يوافق على ضمها إلى ابن سعود، فـرفض خزعـل الضـم ووافق على السعي في الصلح[483].

[482]العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 268، وتاريخ الكويت لخزعل 289/4.

[483]تاريخ الكويت لخزعل 296/4 .

(عبيد بلا أغلال)

(19)

(بيرسي كوكس وفرض الحدود بين الكويت والسعودية 1921م)

ولم ير كوكس بعد وفاة سالم الصباح في فبراير 1921م ما يدعو إلى حل عاجل لقضية الحدود بين الكويت والرياض، غير أن القتال المتكرر بين قبائل المنطقة بدأت تثير القلاقل خاصة بين نجد والحكومة الهاشمية الوليدة في بغداد على يد بريطانيا، مما دفع بريطانيا إلى طرح قضية تحديد الحدود بين الدول التي اخترعتها بريطانيا وحمتهاوحددت حدودها!

وقد واجهت بريطانيا مشكلة في غاية التعقيد إذ كما يقول الأستاذ السعدون :

(لم تكن عملية رسم الحدود عملية هينة، إذ لم تعرف هذه المنطقة منذ وجودها شيئا اسمه الحدود، فأغلب مساحا ا صحار شاسعة، تقطنها قبائل بادية، السمة الأساسية لحيا ا التنقل الحر طلبا للكلأ والمياه، أو الغزو في ديرة قبيلة معادية، إذ لكل قبيلة مراع وآبار خاصة يمكن تمييزها بالخبرة والعرف المتوارث، ولذلك لم يكن معروفا لدى تلك القبائل مفهوم الوطن الذي نعرفه الآن، فانتماؤها إلى هذا الكيان السياسي أو ذاك يتحدد من خلال علاقات الرهبة والرغبة التي تربط مشايخها برئيس الكيان وهي عرضة للتغيير والتبديل بسرعة كبيرة بحيث لا يمكن القول إلا نادرا بأن هذه القبيلة تنتمي إلى هذا الحاكم أو ذاك بصورة مطلقة وفي

كل وقت، وكان من الصعب تقبل أفراد القبيلة فكـرة وضـع حـدود تفصـل الكيانات السياسية عن بعضها دون أن تراعي الواقع القبلي المـوروث، وسـيما وأن تلك الكيانات لم يكن يفصلها عن بعضها معالم طبيعية يمكن تمييزها بسـهولة مثل الجبال أو الأ ار، وقد فطن لذلك الأمر دكسون الوكيل السياسي البريطاني في البحرين الذي كتب إلى المندوب السامي البريطاني في العراق مقترحا أن يـتم تحديد الحدود بين نجد والكويت على أساس التعرف على القبائل التابعـة لكـل طرف، وتمييز الآبار الخاصة بكل قبيلة، ثم تضم بعد ذلك القبيلة والأراضي الـتي تستخدمها مخيما صيفيا إلى الطرف الذي تدين له بالولاء، وحذر من أن أي محاولة لحل المشكلة على أساس رسم خط للحدود على النمط الأوربي سوف تقـود إلى معارك قبلية متصلة، إذ لن تطيع القبائل أبـدا قـرارا يحرمهـا مـن حقوقهـا القديمة)[484].

لقد كانت حقيقة المشكلة تتمثل في أن المنطقة تمثل إقليما جغرافيا واحدا، تعيش عليه قبائل تعود إلى أصل قومي واحد، وتتحدث لغة واحدة، وتدين بدين واحد، ولها ثقافة وقيم واحدة، وظلت منذ أن وحدها الإسلام تمثل جزء من دولة وكيان سياسي واحد على مر العصور، ولم يجرؤ أي حاكم أو سلطان أن يحـدد حـدودا يفصل فيها بين الشعب العربي المسلم الواحد، على هذه الجزيرة الواحدة، حيـث تنتقل القبائل شمالا وجنوبا طلبا للكلأ منذ ما قبل الإسلام حتى جاء الاسـتعمار البريطاني وخلق هذه الكيانات المصطنعة، لقد كان اقتـراح دكسـون في رسـم

[484] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 279- 280 .

ولاحظ كيف أدرك البريطانيون خطورة وأثر تحديد الحدود على وضع القبائل الـذين هـم السـكان الأصليون للصحراء، والتي لم تعرف في تاريخها الجاهلي والإسلامي كله مثل هذه الحدود التي تحرمها من حقوقها الطبيعية والتاريخية حتى قامت دويلات الطوائف البريطانية، التي اسـتعانت ببريطانيـا علـى ترويض القبائل لسلطتها لتستولي على أراضيها باسم الدولة الحديثة، بينما الواقـع هـو أن القبائـل أرغمت على التخلي عن أرضها لا لشعب تصبح هي جزء منه، بل للأسر الحاكمة الحليفة للاسـتعمار التي صارت تتصرف في أراضي القبائل الشاسعة كما يتصرف الإقطـاعي في أرضـه بعـد أن كـان لا يستطيع أحد المرور فيها والعبور إليها ولا الشرب من مياهها إلا بإذن من قبائلها، لتصـبح القبائـل العربية غريبة على أرضها دخيلة عليها في ظل دويلات الطوائف في ظل الحملة الصليبية!

الحدود بحسب الانتماء والامتداد القبلي هو الحل الوحيد، إذ لا يمكن الحل بحسب عامل الجغرافيا، إذ تمثل المنطقة وحدة جغرافية واحدة، ولا بحسب عامل العـرق القومي، إذ كل سكا ا عرب أقحاح، ولا بحسب العامل التاريخي، إذ لم يسبق أن قامت كيانات سياسية مستقلة تماما، لها حدودها الخاصة، إلا أن المشـكلة الـتي تواجه اقتراح دكسون هو أن الامتدادات القبلية شاسعة جدا، فقبائل العجمـان والعوازم والهواجر والخوالد تمتد من الكويت إلى الإحساء جنوبا، كما تمتد قبيلة مطير من الكويت والخليج العربي شرقا إلى الصمان، ثم الدهناء، ثم القصـيم، ثم الحجاز، ثم البحر الأحمر غربا، كما تمتد قبيلة المنتفقوالظفير من الكويت جنوبـا، إلى العراق شمالا، وكذا تمتد قبيلة شمر من شمال الكويت إلى حايـل في الشـمال الغربي، مما يجعل تقسيم الحدود كما اقترحه دكسون مستحيلا مع أنه هو الخيـار الوحيد المتاح، إذ لا يمكن تقسيم المنطقة على هذا النحو إلا على حساب القبيلة الواحدة، ووحدة عشائرها، لتكون القبائل هي ضحية هذه المؤامرة الاسـتعمارية التي راعت بريطانيا فيها مصالحها ومصالح حلفائها على حساب مصلحة شـعب وقبائل المنطقة الواحدة، كما أن اقتراح دكسونبأن يراعى في تحديد إقامة القبيلة مكان استقرارها صيفا لا يحل المشكلة، إذ أن قبيلة مطير التي يستوطن قسم مـن عشائرها صيفا ومنذ قديم الزمان رأس خليج الكويـت والجهـراء والـوفرة وأم الهيمان وأبو دوارة والطوال قريبا من واره - وهي كلها آبار أصبحت جزء من حدود الكويت الدولة - تستوطن أيضا أقسام آخرى من عشائرها آبار الصمان والحفر والدهناء ....الخ.

وكذا حال باقي قبائل الكويت، وهو ما يجعل الاعتداد بالاستقرار الصيفي للقبيلة غير ذي جدوى، لانتشار عشائر القبيلة الواحدة في مخيمـات اسـتيطانية شـبه مستقرة في الصيف قرب الآبار التي تشرب منها.

كما تتمثل الإشكالية الثانية في أن أبناء القبائل لم يتعودوا طاعة أي حكومة، بل ويرفضون وجودها، ويقاومون خضوعهم لمثل تلك الحكومة[485].

---

[485] ولادة الشرق لديفيد فرومكين 505.

فلم يكن ابن صباح في نظر القبائل آنذاك سوى شيخ مدينة، لا يتجاوز نفـوذه أسوارها، بل ولا يعادل في نفوذه وسلطتة نفوذ شيوخ القبائل على قبائلهم، كما لا تعادل مساحة الأرض التي له عليها سلطة فعلية، مساحة الأرض التي تسـيطر عليها تلك القبائل كمراعي لها منذ قديم الزمان.

كما إن الانتماء هو للقبيلة ذا ا، ولا يوجد أي انتماء آخر بالنسـبة للقبائـل، وعلاقتها بشيوخ المدن، كعلاقتها بشيوخ القبائل الآخرين على حد سواء، وهذا الذي أدى إلى نشوب الحرب بين الكويت كمدينة، ومطير كقبيلة، كما حدث في معركة حمض حيث اعتبرت القبيلة آبار قرية لها، ف لت عليها، ورفض سالم ذلك، فنشبت الحرب بينهما، كما تنشب بين قبيلتين، لا بين دولة وقبيلة كما يشـيع في الثقافة المعاصرة الزائفة، إذ كان الجميع شعبا واحدا، في وطـن واحـد، ضـمن سيادة الدولة العثمانية إلى الحرب العالمية الأولى!

مؤتمر العقير ومسرحية التقسيم:

وقد تم عقد مؤتمر العقير في شهر 11/ 1922م بحضور ابـن سـعود، والوكيـل السياسي البريطاني في الكويت الميجر مور نائبا عن أحمد الجابر، وصبيح نشـأت وزير المواصلات العراقي نائبا عن ملك العراق فيصل بن الحسين، وبيرسي كوكس الذي كان الحكم بينهم، وقد ادعى ابن سعود تبعية قبيلتي الظفـير والعمـارات الع ية له واللتين تمتد ديارهما من نجد إلى ر الفرات، وبعد جـدل طويـل بـين الأطراف، أخذ كوكس القلم وخريطة الجزيرة العربية(وخط عليها بقلم أحمر خطا فولد بذلك لأول مرة في التاريخ خط حدود فصل نجدا عن كـل مـن العـراق والكويت)[486].

وقد أقر كوكس بحرية قبائل كل طرف بدخول أراضي الطرف الآخر مـن أجـل الوصول إلى الآبار والمراعي، وحرم على الطرفين لذلك بناء القـلاع والمراكـز الثابتة على طول خط الحدود الفاصل بين البلدين أو على جانبي المنطقة المحايدة، كحل وسط بين مبدأي الحدود على نمط الحدود الأوربية، والحدود القبلية، وقـد وهب كوكس بجرة قلم ثلثي مساحة الكويت كما جاء في الاتفاقية الأنجلو عثمانية

[486]تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 284 .

لسنة 1913م إلى ابن سعود، كما اقتطع مساحات شاسعة مـن نجـد ووهبـها للعراق، مما دفع ابن سعود للبكاء أمام كوكس من هذا الإجحاف الـذي لحـق بأراضي قبائله التي يدعي تبعيتها له[487].

وقد كان دكسون حاضرا ذلك المؤتمر وأبدى ملاحظاته على ما قام به كـوكس حيث قال :

(لقد أخطأ السير بيرسي كوكس في إحضاره فهد بك الهذال، لأن فهد بك ونوري الشعلان يعتبران أنفسهما زعيمي اتحاد قبائل ع ة كلها، ويدعيان أ ـمـا أعلـى م لة من آل صباح في الكويت وابن سعود نفسه، إنه أمر طبيعي أن يمتعض ابـن سعود من وجود أحد أفراد القبيلة في المؤتمر ينظر إليه أنه وكأنـه أوضـع منـه نسبا.... ومع أن ابن سعود كان يعتبر نفسه حليفا وصديقا لبريطانيـا إلا إنـه يشعر بأنه مطوق من جميع الجهات بعدد من الدويلات الدمى التي خلقتها حليفته! وفي اجتماع خاص ضم بيرسي كوكس وابن سعود وأنا فقط حيث فقد كـوكس صبره وا م ابن سعود بأنه تصرف تصرفا صـبيانيا في اقتـراح فكـرة الحـدود العشائرية، ولم يكن كوكس يجيد اللغة العربية فقمت أنا بالترجمة ولقد أدهشـني أن أرى كوكس يوبخ سيد نجد كتلميذ وقح ويبلغه بلهجة قاطعة أنـه سـيخطط الحدود بنفسه بصرف النظر عن كل اعتبار! وهكذا انتهى هـذا الفصـل مـن المسرحية فا ار ابن سعود وأخذ يتودد ويتوسل معلنا أن السير كوكس هو أبـوه وأمه وأنه هو الذي صنعه ورفعه من لا شيء إلى المكانة التي يحتلها[488]، وأنه على استعداد أن يتخلى عن نصف مملكته بل كلها إذا أمـره كـوكس بـذلك! وفي اجتماع عام للمؤتمر أخذ كوكس قلما أحمر ورسم على الخريطة خطـا وأعطـى العراق مساحة كبيرة من الأراضي التي تدعي نجد ملكيتها، وإرضاء لابن سـعود حرم الكويت بدون شفقة من ثلثي أراضيها تقريبا وأعطاها لنجد بحجة أن سلطة

[487] العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 288، وتاريخ الكويت لخزعل 241/5 .

[488] وتأمل في عبارة دكسون ووصفه لما جرى في المؤتمر بالمسرحية التي ما تزال فصولها تعرض على خشبة المسرح على أرض الخليج والجزيرة العربية منذ ذلك الحين إلى اليوم!

ابن صباح في الصحراء أصبحت أقل مما كانت عليه يوم أن وضـعت الاتفاقيـة البريطانية العثمانية.وفي الساعة التاسعة مساء حدثت مقابلة مدهشة فقد طلـب ابن سعود مواجهة بيرسي كوكس على حدة، واصطحبني كوكس معه، فوجـدنا ابن سعود واقفا وحده وسط خيمة الاستقبال بادي الاضطراب وبـادر مخاطبـا كوكس: يا صديقي لقد حرمتني نصف مملكتي الأفضل أن تأخذها كلها وتـدعني أذهب للمنفى، وانفجر باكيا وتأثر كوكس وأمسك بيد ابن سعود وأخذ يبكـي هو الآخر وقال له: يا صديقي إني أعرف شعورك ولهذا السبب أعطيتـك ثلثـي الكويت، ولست أعرف كيف سيتلقى ابن صباح الصدمة؟وظل خط الحدود الذي رسمه بيرسي قائما لم يتغير إلى الآن)[489].

لقد تحولت القبائل التي كانت توالي الكويت في عهد مبارك وسالم إلى ابن سـعود بعد أن تجاهلها أحمد الجابر، وتجاهل أهمية كسبها إلى جانبه، فقد كانت سلطة أي شيخ على أية أرض إنما يستمدها من نفوذه على القبائل التي تستوطنها، والتي لا توالي إلا من يدعمها ماديا ومعنويا، فالولاء القبلي ليس للإمـارة والمدينـة بـل للأشخاص والزعماء الذين يستميلون هذه القبائل[490].

لقد كانت القبائل وتبعيتها وامتداد ديارها هي الأساس الذي تم بناء عليه تحديد الحدود الزائفة لمنطقة واحدة، وشعب واحد، لم تفصل بين مدنه الحدود والحواجز منذ أن كان هناك عرب في جزيرة العرب، حتى جاء الاستعمار البريطاني بدويلات الطوائف الحديثة التي لا تعبر عن هوية شعب هذه الجزيرة، ولا تمثل إرادته، بـل تعبر عن هوية الأسر العشائرية التي تحكمها فقط، وتمثل إرادة الاسـتعمار الـتي أوجدها لتحقيق مشروعه بالسيطرة على الخليج والجزيرة العربية.

لقد كان شأن تلك الحدود كما قال دكسون عنها :

(إن الحدود الاعتباطية التحكمية بين العراق ونجد كانت في رأيي خطأ كـبيرا، إذ أن ابن سعود حصر تنقلات قبائل نجد السنوية ربما ولأول مرة في التاريخ باتجـاه

---

[489] الكويت وجارا ا لدكسون 1/278- 283 .

[490] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد للسعدون 288.

الشمال، إن المشكلة قد حلت حسب المقاييس الأوربيـة ولـيس حسـب تلـك المقاييس المفهومة في العالم العـربي ولـذلك لم يـنجم عـن تلـك السياسـة إلا المشاكل)[491].

إن تسوية العقير - بشهادة الغربيين أنفسهم - ما هي إلا أفكار أوربية بعيدة عن طبيعة الواقع العربي، حيث الحياة البدوية، والصحاري الواسعة بلا حدود، ففكرة الحدود الثابتة لا يمكن أن تطبق على المساحات الواسعة من البوادي والصحاري في شبه الجزيرة العربية التي لا يعترف ا المجتمع البدوي ولا يقرها بتاتا[492].

وقد رأى دكسون نفسه كيف تتم الرحلة السنوية للقبائل النجدية إلى العـراق وقد وصفها فقال عنها:

(وصلنا الشق - منطقة تقع جنوب غرب الكويت - وكانت الجمال سارحة ترعى بعشرات الآلاف، وكانت تأتي من الجنوب الشرقي باتجاه الشق جمال ثقيلة الأحمال تنقل الخيام والأمتعة، إ ا الهجرة الشمالية الغربية الكبرى لقبيلة مطير الخارجـة من الصمان بعد أن وصلت لها أخبار المراعي الجيدة وبرك الماء الكثيرة)[493].

لقد كان تحديد الحدود ذاته، والتحكم في سير هجرة القبائل العربية السنوية شمالا وجنوبا للبحث عن الكلأ، الوسيلة الرئيسة التي استخدمها البريطانيون للسيطرة عليها، كما فطنت لذلك (مس بيل) المسئولة البريطانية عـن الإدارة الملكيـة في العراق بعد الاحتلال البريطاني له، حيث رأت أن السيطرة على قبائل شمر مرهون بقطع طريق هجر ا، حيث قالت:

(لكن سيطرتنا عليهم على كل حال ستتوقف خلال السنوات القلائـل القادمـة على قدرتنا على قطع طريق هجر م شمالا وجنوبا)[494].

---

[491] الكويت وجارا ا 284/1 .

[492] عبد العزيز وبريطانيا 203.

[493] الكويت وجارا ا 182/2 .

[494] فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص 166 .

وكذا فطنت إلى ضرورة ضم القبائل قسرا إلى المدن والموانئ والمشيخات فيها التي ترتاد القبائل مد م للسيطرة عليها، حيث تقول :

(إن من الأمور الأساسية أن يجري تفاهم تام مع الأمراء العـرب الـذين ترتـاد قبائلهم الجوالة أطراف البلاد المعمورة، وليس هذا شيئا صعبا أيام السلم، لأ م يعتمدون في احتياجا م المعيشية الضرورية على الأسواق الـتي يقصـدو ا لهـذا الغرض، ومن الممكن أن يجعل السماح لهم بالاتصـال ـذه الأسـواق منوطـا بمسلكهم الحسن، على أ م طالما كانوا يحترمون حدود المدينة التي يتصـلون ـا وحدها فإن التزاما م يمكن أن يقال عنها أ ا تحققت، فليست هناك أي حكومـة يمكنها أن تتوقع السيطرة على ما يفعلونه ضمن دير م)[495].

و ذه الطريقة تمكن البريطانيون من السيطرة على القبائل الرئيسـة في الجزيـرة العربية التي يمكن أن دد وجودهم واستقرارهم في المنطقة، كقبيلة عـ ة وشمـر ومطير التي ترتحل شمالا وجنوبا، وقد قدرت المس بيل عدد أفـراد قبيلـة عـ ة وحدها بربع مليون نسمة على أقل تقدير[496]، في الوقت الذي كان مجموع سكان مدينة الكويت آنذاك لا يتجاوز عشرين ألف نسمة!

[495] فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص 85 .

[496] فصول من تاريخ العراق للمس بيل ص 129.

(عبيد بلا أغلال)

(20)

(المشروع البريطاني لتأسيس المملكة العربية السعودية)

نجحت بريطانيا في إقامة المملكة العربية السعودية كمشروع تجزئة على أنقـاض مشروع الشريف حسين وثورته العربية في مكة التي وعدته بريطانيا أن تقيم لـه مقابل وقوفه معها ضد الخلافة العثمانية (المملكة العربية المتحدة)التي تضم جزيرة العرب والعراق والشام، وهو ما رأت بريطانيا خطورة تحقيقه بعد سقوط الخلافة العثمانية، فكان مشروع (المملكة العربية السعودية) البديل البريطـاني لمشـروع (المملكة العربية المتحدة) لتقسيم المنطقة وتسهيل مهمة السيطرة عليها والتحكم بها!

لقد دعمت بريطانيا ابن سعود - الذي خرج من الكويت بعد أن أصبحت تحـت الحماية البريطانية المباشرة، وبدعم كامل من بريطانيا ماديا وعسكريا عن طريـق مبارك الصباح الذي التزم بموجب معاهدة الحماية أن يلتزم في شئونه الخارجيـة بالسياسة البريطانية - وقد كان عبد العزيز (ينظر إلى شـبه الجزيـرة بكاملـها باعتبارها من الممتلكات السابقة لعائلته، وأنه يتحتم عليه اسـتعادة كـل هـذه الأملاك، وقد أوضح ابن سعود هذه الحقيقة للريحاني عندما قال:لا نطلب غير ما

كان لآبائنا وأجدادنا قبلنا، ليعلم ذلك أصحابنا الإنجليز وليعلم ذلك الشـريف وأولاده)[497].

وفي الوقت الذي يؤمن ابن سعود بأن نجدا ملك له فقد(كان البدو - كما يقول جون س - لا ينتمون إلا إلى أنفسهم، كما كانت الصحراء بكاملها موطنا لهـم ... فلم يكن لهم موطن أو أرض)[498].

لقد كانت بريطانيا(تراقب تلك القوة الجديدة، وفي الوقت ذاته تساعدها سرا عن طريق الكويت، لكو ا الحليف غير المباشر لبريطانيا ضد الأتراك، وكان ابن سعود بدوره يخطب ود الإنجليز ويرسل لهم في نفس الفترة - سنة 1906 - مبعوثا من قبله للتفاوض مع الكابتن بريد وكس المعتمـد السياسـي في البحـرين، طالبـا مساعدة بريطانيا للتخلص من الأتراك في الإحساء، ومؤكـدا رغبتـه في عقـد معاهدة معهم، وعلى تواجد معتمد إنجليزي في الإحساء والقطيف)، وقد توقعت بريطانيا بأن ابن سعود سيواجه القراصنة في الخليج العربي، وسيساعد بريطانيـا على التخلص منهم[499].

ولهذا لجأ ابن سعود بعد قيام حركة الأخوان النجدية الجديدة إلى تقدمها وقياد ا (بصفته زعيما دينيا(إماما) وبصفته أيضا سلطانا).[500]

ولا يمكن التوفيق بين هاتين النظريتين بل العقيدتين - عقيدة ابن سعود من جهـة، حيث يؤمن بأن الأرض ملك له ورثها عن آبائـه وأجـداده، وعقيـدة عـرب الصحراء من جهة أخرى الذين يؤمنون بأن الصحراء كلها وطن لهم لا يمـنعهم منها أحد - إلا بإعادة طرح مفهوم الإمامة الدينية التي تسمح بتحقيق هدف ابن

---

[497]الأخوان السعوديون لجون س 52 .

[498]الأخوان السعوديون لجون س 46 .

[499]قصة السيطرة البريطانية في الخليفة ص 357 .والقراصنة اصطلاح بريطاني يطلق آنذاك على كـل من كان يقاوم الوجود الاستعماري في المنطقة، وهو كمصطلح إرهابيين الذي يطلق اليوم على كل من يقاوم الحملة الصليبية على العالم الإسلامي أو ويرفض الاحتلال الأجنبي!

[500]الأخوان السعوديون لجون س 53 .

سعود باستعادة ملك آبائه من خلال عرب الصحراء أنفسهم الذين يؤمنون بـأن الأرض لهم!

ظهور حركة الأخوانفي نجد:

لقد انبعثت الحركة الدينية الجديدة في نجد على يد الشيخ عبد الكـريم المغـربي الذي كان من كبار علماء البصرة في حضرة شيخ المنتفق فالح السعدون، وبعـده صار مع الشيخ مزعل السعدون، ثم رحل إلى نجد وكان متأثرا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقام بإحيائها من جديد بعد أن اسـتقر بالأرطاويـة- قبـل أن تصبح هجرة رئيسية من هجر الأخوان بعد ذلك - ونشر دعوته في حدود سـنة 1899م، وبالتأكيد - كما يقول دكسون - لم يكن لابن سعود - ولا لعلمـاء نجد - أي يد في ظهور هذه الحركة، ولم يلتفت إليها ابن سعود إلا بعد أن احتل الإحساء سنة 1913م[501].

أي أن ظهور حركة الأخوان وانبعاثها من جديد كان قبل خروج ابن سعود مـن الكويت واحتلال الرياض، فلم يكن له ولا للوهابيين في نجد دور في إحيائها، بل كان مجددها هو الشيخ عبد الكريم المغربي الأصل البصري البلد!

ولا يبعد أن يكون السلطان عبد الحميد قد أوعز للسـعدون بـذلك، إذ كـان مشروعه للجامعة الإسلامية، وحركة الإحياء الديني، قد بـدأ في هـذه الفتـرة تقريبا، وكان يولي عناية بإحياء الدعوة الدينية في كل إقليم بحسب مذهب كـل بلد، وهو ما أشارت له بعض التقارير البريطانية كما سيأتي!

لقد قدر لحركة الأخوان هذه كما يقول فرومكين(أن تغير طبيعة الأمور السياسية في شبه الجزيرة العربية لمصلحة ابن سعود، فقد بدأ رجال القبـائليييعون جمـالهم وممتلكا م، كي يستقروا في تجمعات زراعية وتعاونية، ويعيشـوا حيـاة دينيـة وهابية، وعلى الفور وضع ابن سعود نفسه على رأس هذه الحركة، التي وفرت له جيشا من البدو، أعظم المحاربين في شبه الجزيرة العربية، وأخذت تتقلص سـلطة

---

[501]الكويت وجارا ا لدكسون 143/1 .

شيوخ كل قبيلة ضمن حركة الأخوان، ويتقلص معها الانفصال بين القبائل، بينما أخذت تنموا سلطة ابن سعود)[502].

لقد حاولت بريطانيا بعد ذلك معرفة كـل تفاصـيل حيـاة الأخـوان الجـدد، وأفكارهم، وغايا م(وفي الوقت الذي بدأت تتسرب فيه الأخبـار عـن حركـة الأخوان، كانت هذه الأخبار قد تشوهت، إما عن طريق المبالغة في روايـة هـذه الأخبار، أو عن طريق تحريفها عن قصد، أو عن طريق التضليل)[503].

وقد قال عنهم دكسون نفسه:

(برغم ما كتب عن قسوة الأخوان ورعبهم لا بد أن أسجل الرأي الذي يقول إن كل ذلك كانت تجري المبالغة فيه بحذق وعناية خدمة لأهداف سياسـية في ذلـك الوقت، كنت أكن للأخوان دائما إعجابا حافدا، ويحتمل أن يكـون السـبب في ذلك هو أن هناك سحرا عجيبا يحيط ؤلاء الرجال الصادقين، المؤمنين بالله حقا، وأنا أعترف بأني ما تعرفت على أحد هؤلاء الأخوان حتى اكتشـفت أن الفـرق بينهم وبين الأنواع الطيبة من العرب البدو في الأماكن الأخرى يسير جدا)[504].

وهذا ما أكده الوكيل السياسي البريطاني في البحرين في تقريـر رسـمي بتـاريخ 1920/6/7م عن الشائعات حول قتل الدويش للنساء والأطفال بعـد معركـة حمض بين مطير وابن صباح:

(أما فيما يتعلق بالروايات الواردة بشأن مقتل النساء والأطفال على يد مطـير، فقد ظهر أ ا كما كان متوقعا قصة لا أساس لها من الصحة مطلقا، والواقـع أن امرأة وطفلين قتلا مصادفة برصاصة طائشة، وأنا شخصيا لم أصدق ما قيل عـن وقوع مذبحة للنساء، فهذا أمر لا يفعله العرب مطلقا، وحـتى في عمليـة ـب

---

[502] ولادة الشرق لديفيد فرومكين ص 474 .

[503] الأخوان السعوديون لجون س 61 .

[504] الكويت وجارا ا 142/1، والأخوان السعوديون لجون 61 .

كربلاء سنة 1801م التي قام ا سعود الكبير، لم تمس امرأة واحدة وهـذا أمـر موثق رسميا)[505].

لقد بدأت حركة الأخوان في سنة 1898م تقريبا، وفي سـنة 1912م ، وكمـا يقول جون س(نشأت أول هجرة في الأرطاوية، وبعدها بوقـت قصـير أنشـئت الهجرة الثانية في الغطغط، وقد أدى شيوع صيت هاتين الهجرتين اللـتين كانتـا تسكنهما أقوى قبيلتين في نجد مطير وعتيبة إلى بدأ سباق قامت بـه قبائـل نجـد الأخرى ليكون لكل منها هجرته)[506].

وقد تحولت الأرطاوية في وقت قصير إلى مدينة يقطنها نحو 35000 نسـمة مـن الأخوان وأسرهم[507].

وبقيام الأرطاوية في شمال شرق الرياض، والغطغط في الجنوب الغربي لها، كمـدن عسكرية جهادية تؤمن بفكرة الأخوان العقائدية والسياسية الـتي تقـوم علـى التوحيد المطلق دينيا وسياسيا، بتوحيد الدين لله، وتوحيد الأمة في دولة واحدة، حدثت التحولات الكبرى المعاصرة في تاريخ نجد والحجاز (فمـن وجهـة النظـر السياسية العسكرية - كما يقول جون - فإن ذلك الالتزام مـن قبـل فيصـل الدويش، العدو التقليدي لعائلة الرشيد، قلل من أهمية قدرات ابـن رشـيد في مواجهة ابن سعود، والسبب في ذلك أن قبيلة مطير بدأت تضع ثقلها في مواجهة عاصمة بن رشيد في حائل، وبنفس الطريقة فإن قبيلة عتيبة تحت قيادة سلطان بن بجاد في الغطغط راحت تحمي الجناح الغربي من الهجمات التي يحتمل أن تأتي مـن الحجاز، هذان المركزان بحكم موقعهما الاستراتيجي، كانا بمثابة منارتين تصـدر عنهما إشارات الصحوة الإسلامية مصحوبة بكل حماس الحركة العسكرية الفتيـة الناجحة... وخلال عقد ونصف من تأسيس أول هجرتين تم إنشاء ما يزيد عـن مائتي هجرة)[508].

---

[505] الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية 320/5 .

[506] الأخوان السعوديون لجون س 95.

[507] الأخوان السعوديون لجون س 99.

[508] الأخوان السعوديون لجون س 108 .

وقد بلغ عدد سكان تلك الهجر أربعين ألفا في هجر قبيلة مطير، وثلاثين ألفـا في هجر قبيلة حرب، واثنين وعشرين ألفا في هجر قبيلة عتيبة، وخمسة عشر ألفا في هجر قبيلة العجمان، وكذا مثله في هجر قبيلة العوازم، وكذا بلغ عدد سـكان هجر قبيلة شمر خمسة عشر ألف نسمة أيضا، وعشرة آلاف في هجر قبيلة المرة[509].

وبلغ عدد المقاتلين في هذه الهجر التي استوطنها الأخوان من كل قبيلـة كمـا في تقارير جون س كالآتي :

قبيلة مطير نحـو(13000) مقاتـل، وعتيبـة نحـو(12000)، وحـرب نحـو (10000)، وقحطان نحو(8000)، والعجمـان نحـو(6000)، وشمـر نحـو (5000)، والعوازم(4000)، ويام نحو(4000)، والدواسـر نحـو(3000)، والمرة والهواجر نحو(3000)[510].

وهذه أعداد المقاتلين من القبائل التي أمكن تقدير عدد مقاتليها، وهناك قبائـل أخرى كان لها نشاط في هذه الحركة الفكرية ولها هجر خاصة ا كقبيلة السهول، وع ة، والظفير، وسبيع، وبني خالد[511].

وقد قدرت قوات الأخوان في الجزيرة العربية في أوج قو ا بنحو ثلاثمائـة ألـف مقاتل[512].

وسيكون لهذه الحركة فيما بعد الدور الرئيسي في توحيد وسط الجزيرة العربيـة وضم المدن الرئيسية فيها، فقد نجح الدويش وقبيلة مطير في حصار حائل عاصمة ابن رشيد وضمها، وكذا نجح الدويش في محاصرة المدينة المنورة وانتزاعهـا مـن الشريف، كما نجح سلطان بن بجاد بقبيلة عتيبة في حصار مكة عاصمة الشـريف وضمها.

---

[509] الأخوان السعوديون لجون س 132 .

[510] الأخوان السعوديون لجون س 295 الجدول التاسع .

[511] الأخوان السعوديون لجون س 283 الجدول الثامن .

[512] الأخوان السعوديون لجون س 133 .

وقد كان أول مشاركة للأخوان كقوة عسكرية مؤثرة في سنة 1914م في معركة جراب بين ابن سعود وابن رشيد، وكان ذلك أول ظهور لهم بشكل عسكري (الذي أدى بعد ذلك إلى تغيير ميزان القوى في شبه الجزيرة بأكملها)[513].

وقد كان أبرز زعماء الأخوام فيصل الدويش - أبرز شيوخ قبيلة مطير الذي كان بمثابة القائد العسكري الأعلى لهذه الحركة - وسلطان بن بجاد وهو أبرز شيوخ قبيلة عتيبة، ومحسن الفرم وهو من أبرز شيوخ قبيلة حرب، وضيدان بن حثلين أبرز شيوخ العجمان[514].

وفي الوقت نفسه وفي 26 كانون الأول عام 1915م كما يقول جاك بيربي (وقع عبد العزيز مع بريطانيا معاهدة مشا ة لتلك التي تربط كلا من البحرين والكويت بإنجلترا، وهو الأمر الذي يجهله على العموم، أو يغفل عن ذكره كثير من المؤرخين، إذ أنه مقابل مساعدة مالية شهرية قدرها خمسة آلاف جنيه إسترليني، اعترف سلطان نجد للبريطانيين بحق الإشراف على علاقاته الخارجية، وتعهد عبد العزيز بألا يتنازل عن أي شبر من أراضيه وألا يقيم علاقات مع أي دولة إلا بعد الحصول على موافقة الحكومة البريطانية على ذلك، وتعهدت بريطانيا من جانبها بحماية ابن سعود من كل اعتداء خارجي مهما كانت الظروف)[515].

التخوف البريطاني من حركة الأخوان :

وقد أبدى المسئولون البريطانيون تخوفهم من هذه الحركة حيث كتب المندوب السامي البريطاني في مصر ريجينالدوينجات إلى آرثر جيمس ميلر في أكتوبر سنة 1918م تقريرا حول هذا الموضوع جاء فيه:

(ليست لدي معلومات كافية عن قوة الأخوان وأهدافهم، ولكني تعلمت من تجربتي في السودان مدى الخطر الذي يشكله تنظيم سري يعمل تحت عباءة الدين

---

[513] الأخوان السعوديون لجون س 117 .

[514] الأخوان السعوديون لجون س 128 .

[515] جزيرة العرب لجان جاك بيربي 53 .

بين سكان غير متحضرين، ففي وقت الشدة يلجأ هذا المسلم إلى الـدين مثلمـا يلجأ بعض أفراد النصرانية إلى الخمر، ويكون المسـلم أكثـر تعرضـا لالتقـاط الشرارة الأولى من شرر التشدد الذي يتحول إلى حريق إذا ما أذكاه زعيم غـير حصيف أو مضلل أو يستحيل السيطرة عليه بأي حال من الأحوال)[516].

وقد كانت السلطات البريطانية تخشى أن تكون الدولة العثمانية وراء قيام هـذه الحركة في نجد لمواجهة بريطانيا في المنطقة بإذكاء الروح الإسلامية الـتي تـرفض الوجود الأجنبي، غير أن السلطات البريطانية رجحت أن تكون الحركة ردة فعـل على الاضطراب السياسي الذي تعيشه الجزيرة العربية منذ عقود[517].

وقد كتب ريجينالد أيضا رسالة إلى جمس بلفور بناء على تقارير فلبي إليـه جـاء فيها:

(إن هناك اضطرابا دينيا كبيرا في بعض أجزاء وسط الجزيرة العربية يجـري فيـه تحريض الناس على إخوا م الذين باعوا أنفسهم للنصارى، وبخاصة ضـد الملـك حسين- شريف مكة الذي قام بالثورة العربية ووقف مع بريطانيا ضـد الدولـة العثمانية -)[518]

وقد وصف الضابط السياسي البريطاني في بغداد في مايو سـنة 1918م حركـة الأخوان بقوله:

(إ ا حركة اشتراكية بمعنى أن الأغنياء يـتعين علـيهم أن يقتسـموا بضـاعتهم وسلعهم مع عامة الناس، وقد وردت حالات كثيرة لمشايخ تعين عليهم أن يسلموا ما لديهم من إبل إلى أتباعهم)[519].

---

[516] الأخوان السعوديون لجون س 62 .

[517] الأخوان السعوديون لجون س 63 .

[518] الأخوان السعوديون لجون س 65 .

[519] الأخوان السعوديون لجون س 64 .

لقد تحولت قوة الأخوان إلى شبح يخيف السلطات البريطانية التي كثرت تقـارير ضباطها السياسيين التي تؤكد أن ابن سعود ليست له أي سيطرة على هذه القوة (كما تزايد عدد الإنذارات - من الضباط البريطانيين - بالقياس إلى قوة الأخوان العسكرية)[520].

وبدأ القلق البريطاني يزداد من تلك القوة التي بدأت تتطلع إلى ما وراء الخطوط الحمراء البريطانية في العراق والشام، والتي كان ابـن سـعود لا يطمـح إليهـا وليست في رأيه من ملك آبائه وأجداده، كما أ ا تحت سيطرة بريطانيا التي هـو تحت حمايتها، بينما كان الأخوان يرون توحيدها ضمن دولة واحدة هـو هـدف استراتيجي وأصل عقائدي يقوم على الإيمان بالتوحيد الذي جاء به النبي صـلى الله عليه وسلم ووحد به العرب دينيا وسياسيا في الجزيرة العربية!

هجوم الأخوان على الشريف وهزيمته في تربة:

لقد واجه الأخوان الشريف عبد الله بن حسين في تربة 25/ 5/1919م (وكـان على رأس حملة قوامها خمسة آلاف رجل من الجيش الحجـازي المـدرب، ومعـه الأسلحة الحديثة التي زوده ا البريطانيون خلال الحرب العالمية الأولى، ووصلت قوة من الأخوان قوامها 1100 رجل، من الهجانة، انطلقت قبل تحرك قوات ابن سعود بعملية استكشافية، فهاجمت معسكر عبد الله بالسيوف، والرماح، والبنادق القديمة، وكانت هزيمة قوات الشريف حسين هزيمة كاملة، ممـا اسـتدعى مجـيء بريطانيا لإنقاذه، فأرسلت طائرات بريطانية للحجاز، وأرسلت إنذارات إلى ابن سعود، الذي تفادى الما ة، وتظاهر بالم ول على رغبات بريطانيا، مـدعيا أنـه يبذل قصارى جهده لضبط الأخوان، وتمكنت من عقد هدنة بينـهما في شـهر 8 سنة 1920م).

[520] الأخوان السعوديون لجون س 115 .

وقد صرح مسئول في الخارجية البريطانية مدافعا عن سياسة الوقوف مع الشريف، في مواجهة ابن سعود الذي هو حليفهم أيضا، فقال:(سنبدو كلنا حمقى إذا ما هزم صنيعتنا بمثل هذه السهولة)[521].

لقد كان بوسع بريطانيا أن تضبط حركة حليفيها، لولا الصراع الخفي بين حكومة الهند البريطانية التي تشرف على شرق الجزيرة العربية وتدعم ابن سعود، والمكتب العربي للمندوب السامي البريطاني في القاهرة الذي يشرف على شئون غرب الجزيرة العربية ويدعم الشريف حسين!

إلا إن دخول الأخوان كحركة دينية للمسرح السياسي والعسكري، سيرجح كفة ابن سعود، بعد أن تخلت بريطانيا تماما بعد ذلك عن الشريف، الذي فشل في مواجهة جيوش الأخوان التي(جعلت قوات الملك حسين عاجزة عن حماية الطائف، ومكة، والمدينة، وجدة، لقد استعمل حسين الطائرات التي يقودها المرتزقة في مواجهة هؤلاء الأخوان ... كما جعلت القوات العراقية جيدة التدريب والتي كان يقودها ضباط بريطانيون عاجزة عن مسايرة أولئك الأخوان حتى في مرحلة ما بعد غارات الطائرات والمركبات المدرعة والحملات الميكانيكية على هؤلاء الأخوان ... إن القوات جيدة التدريب في الأردن عجزت هي الأخرى عن التعامل مع الأخوان، ورضيت بالتنسيق بين كل من ابن سعود والبريطانيين في كل من الأردن والعراق لإخضاع الأخوان)[522].

لقد نجحت تلك الحركة باعتراف الضباط والسياسيين البريطانيين بتحقيق الأمن والسلم في كل المناطق التي سيطرت عليها وعلى حد قول جون س: (إن الأخوان كانوا جنودا متشددين لا يخشون الموت ولا ينشدون متع الحياة وإنهم بقدر ما كانوا يدخلون الرعب في قلوب أعدائهم كانوا يعيدون السلام والأمن للمناطق المضطربة)[523].

---

[521] ولادة الشرق 475 .

[522] الأخوان السعوديون لجون س .ص138 .

[523] الأخوان السعوديون لجون س 140 .

وقد كتب فلبي في يناير سنة 1929م عن ذلك فقال:

(في كل أنحاء الجزيرة العربية الوهابية بطولها وعرضها يسود الآن جو من السلام والأمن لم تشهده البلاد في أية مرحلة من المراحل السابقة... فقد امتـد ظـلال الجيش الوهابي المخبأ في مستقرات الأخوان إلى كل أنحاء الصـحراء، وأصـبحت تغمر الجزيرة العربية كلها، كما أن الجيش هو الذي يزرع خضـرواته وتمـوره وحبوبه في مستقراته وقت السلم)[524].

إلا أن ذلك كله لن يشفع لهذه الحركة عند بريطانيا، حيث قـررت بعـد ذلـك ضرورة القضاء عليها، وعلى كل القوى المسلحة في الجزيرة العربية، ليبدأ فصل جديد من عصر العبودية في ظل دويلات الطوائف..

---

[524] الأخوان السعوديون لجون س 140.

(عبيد بلا أغلال)

(21)

(الدعم البريطاني للرياض لاحتلال حائل والحجاز)

بدأت قبضة بريطانيا على وسط جزيرة العرب تزداد بازدياد نفوذ ابن سـعود، لقد (بدت شبه الجزيرة العربية، منذ سنة 1919م، أ ا من بـين كـل أراضـي الشرق الأوسط منطقة محظورة على غير البريطانيين، فسواحلها البحرية الطويلـة يسهل على الأسطول البريطاني أن يسيطر عليها، واثنان من سـاد ا الرئيسـيين، الشريف حسين في الغرب، وابن سعود في الوسط والشرق، هما بحماية بريطانيـا، ويتلقيان دعما ماليا كبيرا منتظما من الحكومة البريطانية، لقد بقيـت السـاحة خالية لبريطانيا)[525].

لقد كانت السياسة البريطانية - كما يقول جون س- تقـوم في شـبه الجزيـرة العربية على عدة اعتبارات تغيرت مع تغير الأوضاع الدولية هي كالآتي :

[525] ولادة الشرق لديفيد فرومكين 473 .

أولا: قبل الحرب العالمية كان مفروضا على السياسة البريطانية أن تعترف بسيطرة الدولة العثمانية على الجزيرة العربية، وألا تفعل ما يخالف هذه السياسة.

ثانيا: أثناء الحرب العالمية الأولى كان هناك تخطيط بريطاني لقيام ثورة عربيـة في الجزيرة العربية ضد الدولة العثمانية في الحجاز يقوم ا الشريف حسين، وحرب ضد حليف الدولة العثمانية ابن رشيد في حائل يقوم ا ابن سعود.

ثالثا:بعد انتهاء الحرب العالمية وسقوط الخلافة العثمانية تغير الموقف مـن ابـن رشيد، إذ أصبح وجوده يعيد توازن القوى التي تحافظ بريطانيا على استمراره في المنطقة حتى لا تستفرد قوة واحدة عليها مما قد يهدد مصالح بريطانيا.

الخلاف بين حكومة الهند ولندن في دعم ابن سعود والشريف حسين:

وقد زاد من تعقيد الوضع أن الضباط والسياسيين البريطانيين في الجزيرة العربيـة انقسموا في مواقفهم إلى قسمين بحسب الجهات التي يتبعو ا، فبينما كانت حكومة الهند البريطانية تدعم ابن سعود وتشرف على الجهة الشرقية من الجزيرة العربية، حيث كان فلبي وولسن يؤيدان ابن سعود، كان المندوب السـامي البريطـاني في مصر ريجينالدوينغيت، ولورنس العـرب في مكتـب بغـداد التـابع للخارجيـة البريطانية في لندن، التي تشرف على شئون الحجاز، يقفان مع الشريف حسين[526].

وقد زادت حدة الصراع بين الشريف وابن سعود خاصة بعـد انتـهاء الحـرب العالمية الأولى (حتى اضطر مجلس الوزراء البريطاني للاعتراف بأن سياسته في شبه جزيرة العرب قد اختلت، فالخصومة بين حليفي بريطانيا، الشريف حسين الـذي يتلقى 12 ألف جنيه شهريا من الدعم البريطاني، وابن سعود الذي يتلقى بدوره خمسة آلاف جنيه، كانت على أشدها)[527].

وعلى حد قول جون س لقد(كانت الحكومة البريطانية تستغل كـلا مـن الملـك حسين وابن سعود لتحقيق أهدافها الحربية في شبه الجزيـرة العربيـة، وخاصـة

---

[526]الأخوان السعوديون لجون س 156 .

[527]ولادة الشرق 473 .

احتواء القوة التركية في المنطقة، وإشغال القوات التركية الموجودة على الجبهة في الجزيرة العربية حتى لا تتفرغ للعمل على الجبهتين الأوربية وجبهة الهلال الخصيب اللتين لهما طابع استراتيجي أكثر من الجزيرة العربية، وما إن تحقق هذا الهـدف وبعد هزيمة الأتراك مباشرة، قررت الحكومة البريطانية السماح بانغماس الملـك حسين وابن سعود في التطورات الداخلية، وذلك طبقا للتعليمات التي أرسـلت للسير ريجينالدوينجات بعد استسلام المدينة - لقوات الشريف حسين التي كانت تحت إشراف الضباط البريطانيين ودعمهم العسكري حيث خرج الجيش العثمـاني الذي كان يدافع عن المدينة النبوية - وبناء على تغير الظروف واستسلام حامية المدينة فلن تجني الحكومة البريطانية شيئا من التدخل في الـ اع الدائر بـين ابـن سعود والملك حسين - كما ورد في التعليمات - وقد ألغيت التعليمات الخاصـة بتوجيه إنذار إلى ابن سعود)[528].

لقد احتل البريطانيون المدينة النبوية ونجحوا في إخراج الحامية العثمانيـة منـها بواسطة قوات الشريف حسين، كما احتلت بريطانيا القدس بدعم قوات الشريف فيصل بن الحسين!

وقد كتب ابن سعود بتاريخ 2/8/ 1920م رسالة إلى بريطانيا - التي كانت تمده بخمسة آلاف جنيه إسترليني شهريا، وبترسانة من الأسلحة والذخيرة - قال فيها:

(ساندوني وأنا أضمن ألا أسمح برواج المؤامرات المضادة لبريطانيا بـين العـرب، إنكم تسبغون على أصدقائكم الخونة الألقاب - يعني الملك حسين - وتمنحـو م الأراضي الخصبة - يعني الشام والعراق - وأنا صديقكم المخلص أظل أفقر ممـا كنت عليه من قبل! أرجوكم أن تطلبوا إلى حكومة صاحبة الجلالة زيادة إعـانتي وأن تزيد من مساعدا ا المالية لي، أنا لا أستطيع الاستمرار، ردوا علي، علموني كيف أقاوم وأتحمل)[529].

---

[528] الأخوان السعوديون لجون س 167 بتصرف.

[529] الأخوان السعوديون لجون س 150.

لقد كانت المشكلة الرئيسية التي واجهها ابن سعود هي في إصرار الأخوان بقيادة فيصل الدويش على البدء بقتال الشريف حسين لكفره في نظرهم بتحالفـه مـع بريطانيا والنصارى، بينما كان ابن سعود بتوجيه بريطاني يحاول صرف أنظـارهم عن الشريف حسين رجل بريطانيا في غرب الجزيرة العربية، وتوجيههم نحو حائل وابن رشيد الذي كان حليفا للدولة العثمانية وعدوا لبريطانيا، وقد عقـد ابـن سعود مؤتمرا عاما في مدينة شقراء، حضره الزعماء من البدو والحضر، وقد أعلن ابن سعود عن موقفه بضرورة قتال ابن رشيد بدعوى أنه أضعف عسـكريا مـن الشريف حسين وكما يقول جون س من خلال الوثائق:

(طالبت المعارضة بزعامة فيصل الدويش شيخ قبائل مطير والناطق باسم الأخوان أن يقوم الأخوان بالهجوم على الإنجليز، والملك حسين، الـذي سـلحه الإنجليـز والذي يهدد إخواننا في العقيدة في الخرمة)[530].

ولم يستطع ابن سعود الاعتراض على هذه الحجة - بإعلان أن المشكلة ليست مع الإنجليز ولا بتحالف حسين مع الإنجليز، إذ كان هو نفسه حليفـا لهـم، وتحـت حمايتهم، ويستقبل دعمهم - بل برر تحفظه على مثل هذا الرأي الذي يطالبه بـه الأخوان والدويش بحجة أن الشريف أقوى عسكريا، وأن حائل أشد خطرا، وقد نجح في آخر المؤتمر في إقناع المعارضة(وأن يثبت ولاءه للبريطانيين مع تقوية أمـن ممتلكاته في آن واحد)[531].

وفي الوقت الذي يدور الـ اع بين ابن سعود والشريف في الحجاز تحت إشـراف بريطاني في جهة الغربوقع صراع آخر شرقا وكما يقول جون س:

(نشب الخلاف ـ بين الأخوان وسالم الصباح ـ عندما أرسل سالم قوة من رجاله لإجبار الإخوان من قبيلة مطير في موقع اسمه قرية على تركها من منطـق أ ـ ا أراضي كويتية، وأعقب ذلك نشوب العديد من المعارك التي كان أشهرها معركة الجهراء في اكتوبر 1920م، بقيادة فيصل الدويش الذي خرج منها منتصرا، وقد

---

[530]الأخوان السعوديون لجون س 151 .

[531]الأخوان السعوديون لجون س ص 152 .

أدت حشود الكويتيين وربما الهجوم الضاري الذي قام به الأخوان علـى مدينـة الكويت نفسها إلى إرسال بعض سفن المدفعية البريطانية، إلى المياه الكويتية لوضع الطيران في موضع الاستعداد، في إشارة قوية من بريطانيا إلى التزامها بالدفاع عن محميتها والحفاظ عليها، وقد أدت عمليات الأخوان العسكرية هـذه إلى إخـلاء تلك المنطقة وإلى الأبد من الرعاة الكويتيين وقطعا م، كما نتج عنها أن أصبحت تلك الأراضي جزء لا يتجزأ من نجد، ومعترفا به دوليا، بناء على اتفاقية الحدود النجدية الكويتية التي أبرمت في العقير في 7/12/ 1920م)[532].

سقوط حائل وضمها للمشروع البريطاني:

منذ بداية الحرب العالمية الأولى ووقوف حائل ضد الحملة الصليبية على الدولـة الإسلامية العثمانية، قررت بريطانيا إسقاطها واحتلالها على يد عبد العزيز بـن سعود، وقد خطط وليم شكسبير لهذا الهدف، وقد قتل في معركة جراب بين ابـن سعود وابن رشيد سنة 1915م، ثم واصل الكولونيل هاملتون مهمـة شكسـبير وزار الرياض سنة 1917م لتنفيذ هذا المخطط، ثم حل مكانه فيلبي الذي وصـل قادما من بغداد إلى الرياض في 30 تشرين الثاني سنة 1917م لتحقيـق هـدفين الأول إسقاط حائل وضمها للرياض، والثاني توثيق التحالف بـين ابـن سـعود والشريف حسين في مكة لمواجهة الدولة العثمانية التي ما تزال حاميتها العسكرية تسيطر على المدينة المنورة، وقد قدر فيلبي احتياجات ابن سعود لينفذ المهمـة في حرب ابن رشيد بخمسة عشر ألف رجل مسلح، وعشرة آلاف رجـل احتيـاطي، وخمسين ألف جنيه نفقات شهرية، وعشر آلاف بندقية، وأربعة مـدافع ميـدان، وعشرين ألف جنيه للمواد الغذائية، وكتب فلبي هذا التقرير لحكومتـه وأكـد على ضرورة زيادة الدعم لضمان نجاح ابن سعود في مهمته[533].

وقد تحفظ المندوب السامي البريطاني في القاهرة ريجينالدوينغيت على زيادة الدعم خشية أن يستخدم الأخوان هذا الدعم في مهاجمة الشريف في الحجاز الذي كـان

---

[532] الأخوان السعوديون لجون س 183 .

[533] عبد العزيز وبريطانيا ص 108 -109 .

يتبع في شئونه المندوب البريطاني في القاهرة، بينما أكد كوكس المقيم البريطاني في بغداد الذي يتبع حكومة الهند البريطانية ضرورة زيادة الدعم خاصة وأن ابن سعود قد أصبح تحت الحماية البريطانية بمعاهدة رسمية سنة 1915م في دارين، وأن الهدف الذي تسعى إليه بريطانيا(ينصب على رؤية اية سريعة لابن رشيد، والإبقاء على ابن سعود والشريف كقوتين سياسيتين في وسط وغربي الجزيرة العربية، لما يشكلانه من ثقل في السياسة البريطانية في تلك المنطقة)[534].

وبعد هزيمة الدولة العثمانية، وانتهاء الحرب العالمية سنة 1918م، خففت حكومة الهند من اندفاعها فكتب كوكس إلى مرؤوسيه في لندن (إننا لا نريد أن ندفع ابن سعود الذي لا يعتبر عبقريا عسكريا في عمليات خطيرة مثل محاصرة حائل)[535].

إلا إن فيلبي ظل متمسكا بضرورة دعم احتلال ابن سعود لحائل، إذ (سيساهم ذلك - كما جاء في تقرير فيلبي - في تعزيز سلطة ابن سعود في قلب الجزيرة العربية، ومن ثم يخلق توازنا بين حليفي بريطانيا الحسين وابن سعود)[536].

وقد أكد دكسون الوكيل السياسي البريطاني في الكويت في تقرير له عن رغبته في احتلال ابن سعود لحائل بالوسائل الدبلوماسية حيث كتب في تقريره:

(إن حكومته تحبذ رؤية ابن سعود سيدا على قلب الجزيرة العربية، وأن قوة ابن سعود ستزيد من هيمنة بريطانيا على الساحل الشرقي للجزيرة العربية، مما يجعل المشيخات هناك في ذعر دائم من ابن سعود، وسترنو دائما نحو بريطانيا لحمايتها)[537].

وقد توجه فيصل الدويش ومعه 2000 مقاتل من قبيلة مطير من الأخوان نحو حائل، وجرت بينه وبين قوات محمد بن طلال ابن رشيد معركة عنيفة في الجثامية

---

[534] عبد العزيز وبريطانيا ص 109- 110، نقلا عن الوثائق البريطانية .

[535] عبد العزيز وبريطانيا ص210 .

[536] عبد العزيز وبريطانيا ص210 .

[537] عبد العزيز وبريطانيا ص211 نقلا عن الوثائق البريطانية.

على بعد خمسة أميال من حائل كان النصر فيها حليف الأخوان، وتراجع بعـدها ابن رشيد إلى عاصمته، وتمت محاصرته، وطلب الصلح من ابن سعود الذي اشترط عليه الدخول في حلف مع بريطانيا[538].

لقد أصبحت حايل بعد سقوط الخلافة العثمانية محصورة بـين فكـي الكماشـة ففرنسا في الشام وبريطانيا في العراق والرياض والحجاز وكما يقول المستشـرق النمساوي المسلم محمد أسد الذي كان بمعية ابن سعود وعاصر تلك الأحداث:

(وإذ فقد ابن رشيد مؤازرة الأتراك وأصبح محصورا في الشمال بالأراضـي الـتي كانت تديرها بريطانيا وفرنسا، فإنه لم يعد يستطيع أن يبدي أي مقاومة فعالـة ضد ابن سعود، واستطاعت قوى الملك بقيادة فيصل الدويش الذي كان في ذلك الحين أعظم قواد ابن سعود أن تستولي على حايل في عام 1921م).[539]

وكما يقول جوس س :

(في 20 /1921/11م سقطت حائل في يد ابن سعود بعـد حصـار دام خمسـة وخمسين يوما، وكان لفيصل الدويش وقبيلة مطـير اليـد الطـولى في حصـارها وفتحها، وبذلك سقطت عاصمة نجد الشمالية أمام جيوش الأخوان التي سيطرت على المنطقة الشمالية إلى حدود الشام وعمان، وهي الخطوط الحمـراء، حيـث يرابط البريطانيون والفرنسيون، وقد قام البريطانيون بمواجهة قوة منـهم تقـدر بألف وخمسمائة مقاتل وقصفتهم بالطيران، وقتلت أكثرهم، وحينها أيقن الأخوان كما يقول جون س (أن المسيحيين موجودون في كل مكان، فهـم يحمـون سـالم الصباح، وهم الذين أنقذوه من العقاب العادل على أيديهم، وهـم الآن علـى أعتاب شرق الأردن حماة عسكريين للأمير عبد الله الذي أنزلوا به الهزيمة بالأمس في تربة)[540].

مشروع المملكة العربية تحت النفوذ البريطاني:

---

[538] عبد العزيز وبريطانيا ص 212 .

[539] الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص 180 .

[540] الأخوان السعوديون لجون س 186 .

لقد كان المشروع البريطاني كما رسمه كيتشنر في مذكرته التي رفعهـا إلى مجلـس الوزراء البريطاني بتاريخ 14/ 3/ 1915م يقوم على النحو التالي:

(خلق مملكة مستقلة في شبه الجزيرة العربية تشتمل على مكة والمدينة، علـى أن تكون تحت رعاية بريطانيا، فقد كان أمرا جوهريا أن تكـون كـذلك لتتحقـق لبريطانيا السيطرة على القيادة الروحية للعالم الإسلامي)[541].

وفي ربيع سنة 1917م تم (تخلي مسئولين بريطانيين عن حماستهم زمـن الحـرب لحاكم مكة، مقابل وضع منافسه عبد العزيز بن سعود، الذي دعمته حكومة الهند البريطانية طوال الوقت)[542].

كما تراجع المسئولون البريطانيون في مطلع سنة 1918م، عن تشجيعهم للشريف حسين بإعلان نفسه خليفة للمسلمين، بل وحذروه من خطورة هذه الخطوة، تلك الخطوة التي شجعوه عليها سابقا، إيمانا منهم بأن (القوة في الشرق لا تعني شيئا، وإن الدين هو كل شيء)[543].

لقد قرر البريطانيون التخلص من الشريف حسين كزعيم للقضية العربية، لصالح ابنه فيصل الذي صار يدور في الفلك البريطاني، والذي انقطع عن والده وأسرته في الحجاز، طمعا في حكم الشام، مما جعل والده يتهمه بالخيانـة لـه، ولأمتـه، وشرفه[544].

لقد حضرت بريطانيا مؤتمر الصلح في باريس سنة 1919م، بعد توقف الحـرب العالمية، وهي تسيطر(على مشيخات الخليج العربي، التي جرى تنظيمهـا خـلال الحرب، ولها وضع متميز في الجزيرة العربية، الذي ضمنه تحالف بريطانيـا مـع

---

[541] ولادة الشرق 155 .

[542] ولادة الشرق 363 .

[543] ولادة الشرق 364 .

[544] ولادة الشرق 366 .

الحسين وابن سعود، وقد جعـل منـهما هـذا التحـالف حـاكمين مشـمولين بحمايتها)[545].

لقد قررت بريطانيا التخلص من الشريف حسين وإ اء نفوذه بالحجاز بعد إلحاحه على بريطانيا تنفيذ وعودها لها بإقامة (المملكة العربيـة المتحـده) في الجزيـرة والشام والعراق ليكون خليفة عليها، وبدأ التوجه البريطاني لحسم الموقف لصالح ابن سعود خاصة بعد تحرك فيصل بن الحسين للإعلان عن الجهاد لمواجهة فرنسا في الشام وهو الخط الأحمر الذي لن تقبل به بريطانيا نفسها، إذ إسقاط الخلافة ومنع عودة فكرة الجهاد أهم أسباب القضاء على الخلافة العثمانية!

وفي سنة 1920م بعد أن أدرك الشريف فيصل بن الحسين أبعاد اتفاقية سـايكس بيكو وأن سوريا قد أصبحت تحت الاحتلال الفرنسي قام بالـدعوة إلى الثـورة وإعلان الجهاد، وكتب إلى ابن سعود بذلك، وقد أخبر ابن سعود دكسون في لقاء تم بينهما في الأحساء بتاريخ 15 فبراير بما يلي :

عن توجيه دعوة له لإعلان الجهاد ضد المسيحيين، وأن شعبه يؤيد هذه الـدعوة، وأن أفضل حل لمواجهة هذه الدعوة التي يقودها فيصل ووالده في الحجاز يكـون بدعم بريطانيا له هو، وأنه سيقف أمام علماء بلده بكـل قـوة إذا مـا قـرروا الوقوف مع الجهاد ضد الحلفاء[546].

تخلي بريطانيا عن الشريف وضم الأخوان للحجاز:

وبعد إعلان شريف مكة نفسه خليفة للمسلمين - وهو ما سبق أن حذرتـه منـه بريطانيا التي دعمته ضد الدولة العثمانية - قامت بريطانيا التي كانت وراء فكرة القضاء على الخلافة بإسقاط الشريف، وكما قال دكسون:

---

[545] ولادة الشرق 442 .

[546] الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية 5/119-123 تقرير دكسون حول المقابلة.

(كان الملك حسين ملك الحجاز بعناده ورعونته يكتب ايته بيـده فعنـدما زار شرق الأردن وأعلن نفسه هناك خليفة في العالم الإسلامي أعلن ابن سعود عليـه الحرب)[547].

وإنما كانت تلك الحرب بتوجيه بريطاني بعد أن تجاوز الشريف حسين الخط الأحمر المحظور على العالم الإسلامي كله وهو إعادة الخلافة فكان يخط ايته و اية حكمه ووجوده بيده بمثل ذلك الإعلان!

لقد تم بعد ذلك الإعلان الذي قام به الشريف حسين في شـرق الأردن بإعـادة الخلافة عقد مؤتمر في الرياض في 1924/6/5م جمع كبار رؤسـاء القبائـل مـن الأخوان، وعلماء الدين، وترأسه عبد الرحمن بن فيصل والد عبـد العزيـز بـن سعود، وقد أصدر المؤتمر بيانا أشار فيه إلى (الاستفزاز الذي تمثل في تعيين الملك حسين نفسه خليفة)، وتحركت قوات الأخوان نحو الحجاز، واحتلت الطـائف في شهر 1924/9م، وتقدم الأخوان الذين كان جلهم من قبيلة عتيبة بقيادة سلطان بن بجاد نحو مكة، ودخلوها بلا كبير مقاومة، ودون إطلاق طلقة واحدة، حيـث انسحب الشريف من مكة إلى جدة (وكان يخوض حربا خاسرة فقد اسـتطاع أن يصمد لحصار جدة ولكن سقوط المدينة المنورة بأيدي قوات الأخوان بقيادة فيصل الدويش في سنة 1925 أدى إلى تنازله عن العرش)[548].

كما نجح الأخوان بعد حصار جدة سنة كاملة من السيطرة عليهـا، وقـد بـدأ الأخوانيين سيطروا على الحجاز يفاوضون القنصل البريطاني والإيطالي والهولندي والإيراني في جدة ويتعهدون لهم بضمان الأمن لهم ولرعاياهم، وكما يقول جـون س :

لقد(كان الأخوان يسيطرون على الموقف تماما، فقد كـان هـؤلاء البـدو غـير المتحضرين يتعاملون بالفعل مع أعيان الحجاز وممثلي الدول الكبرى قبل وصـول

---

[547] الكويت وجارا ا 293/1 .

[548] الكويت وجارا ا 294/1 .

زعيمهم إلى المدينة)، في الوقت الذي كان ابن سعود في الرياض لم يتصور سـرعة سقوط مكة على هذا النحو، وقد جاء من الرياض ليدخلها دخـول الفـاتحين في حين كان(الأخوان هم الذين مكنوه من تحقيقه، ولكنهم لم يأخذوا مقابل ذلـك سوى القليل، إن لم يكن شيئا على الإطلاق، ومع ذلك لو فشل الأخوان لكان من السهل على ابن سعود الذي كان لا يزال في الرياض، أن يزعم أ م هجموا على الطائف ومكة دون إذن منه أو علم له بذلك، وما داموا قد فعلوا ذلك فإن الله لم ينصرهم، وربما كان ذلك العذر مقبولا أيضا لدى أصدقائه البريطـانيين، وقـد استشعر الأخوان- كما يقول جون - فيما بعد أن ابن سعود لم يعترف على الملأ قط بالدور الذي لعبه الأخوان في الاستيلاء على الحجاز، وقد غضب الأخوان من المزاعم التي تقول إن ابن سعود وأسرته والقرويين من غير الأخوان هـم الـذين استولوا على الحجاز، مع أن هاتين المعركتين - الطائف ومكة - لم يشارك فيهما قروي واحد من القرويين المستقرين، والتسجيلات المدونة تؤكد ذلك)[549].

---

[549] الأخوان السعوديون لجون س ص194- 195 .

(عبيد بلا أغلال)

(22)

(الترتيبات البريطانية للقضاء على حركة الأخوان النجدية)

الخلاف بين الأخوان وابن سعود:

بدأت الفجوة تتسع - بعد ضم حائل والحجاز - بين الأخوان وابن سعود أكثـر فأكثر(لقد بدءوا يشعرون بالضيق منه لزيادة اتصالاته بالإنجليز)[550].

ولم يكن الأخوان يعلمون أنه كان تحت الحماية البريطانية وفق معاهدة رسمية منذ سنة 1915م، واتفاقية سرية منذ سنة 1911م مع حكومة الهند البريطانية، كما كان تحت إشرافهم منذ خرج من الكويت إلى الرياض سنة 1900م، وقـد بـدأ شكهم في علاقاته مع الإنجليز يزداد بعد انتهاء الحرب العالميـة الأولى مباشـرة، حيث كتب النقيب نورمان - الذي كان يتابع الوضع عن قرب إلى حكومة الهند البريطانية سنة 1919م - يقول:

[550] الأخوان السعوديون لجون س 144 .

(ابن سعود غير متأكد من وضعه الخاص وهو خائف من النتائج، لقد أعاد تأسيس الأخوان ليوفر لنفسه وسيلة للدفاع عن النفس ضد الهجوم).

وبعد سنوات كتب ألويس ميوسيل تقريرا جاء فيه:

(إن الأخوان وقائدهم - فيصل الدويش - سيكونون أول من يرفض ابن سعود إذا ما أخفق في إتباع مبادئ المذهب الذي يتبعونه، إ م الآن يتهمونه باعتداله الشديد، وبطاعته المفرطة للأوربيين)[551].

الإجراءات البريطانية السعودية للسيطرة على حركة الأخوان:

1- المواجهة الفكرية والثقافية:

لقد كانت الإجراءات والترتيبات التي اتبعتها بريطانيا لمواجهة حركة الأخوانبالتنسيق مع ابن سعود في سنة 1919م تتمثل في إيفاده جماعة من العلماء والدعاة ليقولوا للإخوان:

(إن الزراعة والحرف والتجارة والصناعة لا تتعارض مع الإسلام، وأن المسلم القوي خير من المسلم الضعيف، وأن الإسلام يشجع على جمع الثروة والممتلكات عن طريق العمل، وفي النهاية سلم الأخوان ذا التفسير، وقد فاقت مستقرات الأخوان من حيث الزراعة والصناعة المدن والقرى المستقرة القديمة صاحبة الخبرة الأكبر)[552].

---

[551] الأخوان السعوديون لجون س ص 144- 145 .

[552] الأخوان السعوديون لجون س 145 .فبريطانيا كقوة استعمارية ترفض وجود قوة عسكرية قد تقف ضدها، فعملت على تجريدها من قو ا العسكرية، تماما كما تفعل في العراق اليوم حيث تم حل الجيش العراقي وتفكيكه، وكما تم إلغاء التجنيد الإجباري في الكويت، و ميش درع الجزيرة في نفس الفترة، إذ يرفض الاستعمار الأجنبي أن يتدرب الشعب الذي يقع تحت سيطرته على حمل السلاح! ولهذا بدأت الترتيبات من جديد لعودة التجنيد الإلزامي في الكويت، والاهتمام من جديد بدرع الجزيرة لتحل محل القوات الأمريكية التي ستنسحب من العراق، لتقوم الشعوب الخليجية نفسها لا بحماية أوطا ا وحريتها وكرامتها، بل بحماية الأنظمة الاستبدادية التي أقامها الاحتلال لتكريس وجوده ومشروعه في السيطرة على المنطقة بيد شعو ا!!

كما عقد العلماء في الرياض بأمر من ابن سعود مؤتمرا توصلوا فيه إلى أن الهجرة ليست واجبة على البدو الذين لم يستقروا بعد كالإخوان، وأعيد تفسـير كـلام محمد بن عبد الوهاب حول وجوب الهجرة من أرض الشرك إلى أرض الإسلام - بما يتناسب مع تطور الأحداث الجديدة في المنطقة بوحي من الإنجليـز - وقـد تم طباعة فتاوى علماء المؤتمر ونشرها على الإخوان في كل مكان[553].

وطباعة الفتاوى ونشرها أسلوب بريطاني لا عهد للمنطقة به قبل ذلـك، فقـد حدث في نفس الفترة سنة 1921 - كما ذكـر دكسـون في كتابـه الكويـت وجارا ا - أن قام الطيران البريطاني بقصف مسجد الإمام علي وضريحه بالكوفة، فانتشر الخبر، وثار الشيعة في كل مكان في العالم الإسلامي، فتوجه دكسون بـأمر كوكس إلى المرجع الشيعي الأعلى كاظم اليزدي الذي كان دكسـون يستشـيره كثيرا، وطلب منه المساعدة على دئة ثورة الشيعة، واعتذر دكسون عن وقـوع الحادث وأنه تم بالخطأ غير المقصود، وفاجأه كاظم اليزدي حين قال له: ومن قال إن المسجد قد قصف؟ هذه كذبة يراد منها تشويه سمعة بريطانيا!

فطلب دكسون منه إصدار فتوى بذلك لطباعتها ونشرها على الشـيعة في كـل مكان في الهند وإيران، وتم له ذلك وهدأت ثورة الشيعة بحيلة كـاظم اليـزدي وفتواه وطباعة بريطانيا لها ونشرها![554]

لقد أشكل على الأخوان- الذين كانوا يحسنون الظن بالعلماء - كيف وجبـت عليهم الهجرة ابتداء من البدو إلى الهجر حيث يتعلمون الدين والتوحيد، بينما لا تجب على البدو الذين ما زالوا كذلك في نجدوالعراق والشام وأطراف الجزيـرة العربية؟!

وما الذي يجعل محاولات فتح حائل وغيرها من المدن واجبا وجهادا في سـبيل الله وطريقا إلى الجنة، بينما يحرم عليهم فتحالعراق والشام وضمها إلى بلد التوحيد؟!

---

[553]الأخوان السعوديون لجون س 147 .

[554]الكويت وجارا ا 268/1 .

لقد كان الأخوان يستلهمون أهدافهم من مبادئهم الـتي اعتنقوهـا، والأصـول العقائدية التي حفظوها، دون أن يعلموا بأن السلطة في الريـاض تتبـع للتـاج البريطاني، وتحت الحماية البريطانية رسميا،وملتزمة بمعاهدة سرية مـع بريطانيـا، تقضي بأن تكون شئو ا الخارجية تحت إشرافها!

وقد اطلع بعض المؤرخين النجديين على بعض تفاصيل تلك المعاهدة مبكرا حيث ذكرها ابن بسام في تاريخه، في حوادث سنة 1329هـ - 1911م فقال:

(وفيها عقدت معاهدة بين الإمام والإنجليز على أن يحتل الإمام الإحساء والقطيف ودارين والعقير، ويمنعون عنه الإنجليز أي دولة تأتيه من البحر، ولقاء ذلك يكون تابعا لهم، ولا يحدث محاربات دون علمهم ولا يحارب بدون إذ ـم، ولهـم حـق التفتيش على المعادن في جزيرة العرب واستخراج ذلك، وإذا أراد الإنجليـز أن يسير لحرب أي جهة يسير لها وهي تمده).[555]

وهذه الاتفاقية هي قطعا قبل معاهدة سنة 1915م، فهي تتحدث عن احـتلال الإحساء الذي تم سنة 1913م، والاتفاقية كانت قبل ذلك بسنتين وقد أرخهـا ابن بسام في سنة 1911م، بينما الاتفاقية الرسمية كانـت سـنة 1915م وهـي اتفاقية دارين التي جعلت بريطانيا بعدها من ابن سعود (واحـدا مـن الشـيوخ الخاضعين لحمايتها والمرتبطين معها بمعاهدات مانعة، وكانت المعاهدة تشمل معظم المواد التي ذكرت في المعاهدات المانعة التي عقد ا بريطانيا مع شيوخ الخليج مثل عدم التنازل وعدم التأجير أو الرهن لأي قسم من أراضيه إلا بموافقة الحكومـة البريطانية، وكذلك عدم الاتصال بالحكومات الأجنبية، وحماية ابن سعود من أي اعتداء يقع عليه من أي دولة أخرى)[556].

وما ذكره ابن بسام هو المعاهدة السرية التي على أساسها احتـل ابـن سـعود الإحساء سنة 1913م، ثم تم توقيع الاتفاقية الرسمية سنة 1915م.

2- المواجهة البريطانية المسلحة لقوات الأخوان:

---

[555] تحفة المشتاق ص 410 .

[556] تاريخ الخليج العربي لزكريا 34/3 .

وقد واصل الأخوان سنة 1923م إرسال دعا م الدينيين قبل وصول مجاهديهم- كما هي عاد م - إلى دمشق وسيناء، مما أثار تشرشل الذي كان حينـها وزيـرا للمستعمرات، فطلب من اللنبي ووزارة الخارجية تقريرا حول الموضـوع وعـن حجم انتشار حركة الأخوان وأفكارهم في المنطقة، وقد أمـر اللـنبي القـوات البريطانية والمصرية باستخدام القوة ضد الأخوان وقوا م التي تتقدم نحو الشمال، مما أسفر عن اتفاق بريطاني نجدي بشأن تحديد الحدود بشكل رسمي في العقير، ثم تم بشكل ائي في اجتماع الهدا بتاريخ 8/11/ 1925م[557].

وقد عبر الأخوان إلى شرق الأردن، لمهاجمة عبد الله في سنة 1922م، وقد تصدت لهم الطائرات والمصفحات البريطانية[558].

وبعد رسم الحدود مع الكويت، والعراق، والشام - وفق الإرادة البريطانية، وما تقتضيه مصالحها في المنطقة، ودون أن يكون لشعب المنطقـة العـربي أي دور في ذلك التقسيم لجزير م العربية، الذي هو الأول من نوعه في تاريخها كلـه، ودون رضاالأخوان الذين ما يزالون يؤمنون بضرورة وإمكانية توحيد الجزيرة العربيـة والشام والعراق - لم يبق أمام ابن سعود إلا الحجاز(باعتباره إرثا شـرعيا وقـد أوضح عن ذلك في الكثير من تصريحاته العامة والخاصة، وكان كل ما يحتاجه هو مجرد سبب من الأسباب الداعية للحرب)[559].

وقد ساعد ابن سعود على تحقيق ذلك تحول السياسة البريطانية بحسب ما تقتضيه مصالحها (من سياسة موالية للشريف حسين، إلى موقف محايد من ال اع بين ابـن سعود والملك حسين الذي كان كل منهما صديقا للتاج البريطاني)[560].

وهو ما لم يكن يعلم عنه الأخوان الذين كانوا يخوضون حرب تحرير وتوحيد ضد الإنجليز، وضد الشريف وابن صباح اللذين تحالفا مع بريطانيا، ولم يدركوا أ ـ م

---

[557]الأخوان السعوديون لجون س 186 .

[558]ولادة الشرق 577 .

[559]الأخوان السعوديون لجون س 187 .

[560]الأخوان السعوديون لجون س 187 .

هم أنفسهم يتبعون سلطة تقع تحت حماية بريطانية ودعم عسكري ومـالي منـها! وهو الخلل الخطير الذي ستكون نتائجه دموية ومأسـاوية علـى النحـو الـذي سيحصل بعد سنوات قريبة من استكمال بريطانيا وابن سعود لمشـروعيهما مـن جهة، وتطلع الأخوان لاستكمال مشروعهم بتوحيد الجزيرة والشـام والعـراق وتحريرها من الإنجليز من جهة أخرى!

المخطط البريطاني السعودي للقضاء على الأخوان:

لقد رأت بريطانيا ضرورة القضاء على حركة الأخوان، فلم تعد هناك مـبررات لوجودها كقوة عسكرية قد تهدد الوجود البريطاني في المنطقة، وكما يقول جـون س:

(وبعد وصول الأخوان إلى البحر الأحمر انتهت قصتهم البطولية عنده، لقد وصلوا الذروة وانتهى مبرر وجودهم، ولم يبق لهم إلا أن يستعرضوا أنفسهم على مسرح التاريخ، فقد بدءوا يتسببون في إحراج ابن سعود، وبعد أن حقق ابـن سـعود حلمه، أراد إعادة الأخوان إلى نجد اعترافا بجميلهم، ومعهم مكافآت مجزية مـن المعاشات والأراضي، وكل هذه الغنائم لم يكن الأخوان يريـدو ا، بـل كـانوا يريدون ويتطلعون إلى ما لم يكن بوسع ابن سعود أن يأذن لهم به، لقـد كـانوا يريدون استمرار المسيرة الدينية، ولكن المسيرة إلى أينبغي أن وصـلوا فعـلا إلى حدود التوسع المسموح لهم به؟ وكان إمامهم قد وضع توقيعه على ترسيم الحدود الذي يتعين عليه أن يحترمه، أو أن تفرض عليه القوة العسكرية التابعـة للتـاج البريطاني هذا الاحترام، وسرعان ما أدرك الأخوان أ م غير مرغـوب فـيهم في الحجاز، وبعد أن حرموا من ثمار انتصارهم الأخير في دخـول المدينـة وجـدة، اكتشفوا أن علماء نجد الوهابيين قد حلوا محلهم، وأصبحوا ذراع ابـن سـعود اليمنى).[561]

إعلان الأخوان الجهاد على بريطانيا وابن سعود :

---

[561] الأخوان السعوديون لجون س 196 .

لقد أدرك قادة الأخوان بذكائهم الفطري بأن بريطانيا وراء كل هذه الترتيبات، وكما يقول جون س أيضا(لقد كان من بين أكثر الأخوان استياء فيصل الدويش قائد الحملة على المدينة، الشيخ الأعلى في قبيلة مطير القوية، وقد حـث فيصـل الدويش سلطان بن حميد الشيخ الأعلى لقبيلة عتيبة، وضيدان بن حثلين الشـيخ الأعلى لقبيلة العجمان على قسم اليمين لمساندة بعضهم بعض، وقد قام فيصـل الدويش بحملة دعائية واسعة النطاق ضد ابن سعود مشيرا إلى أن وجود المراكـز على الحدود مع العراق دليل على أن ابن سعود قـد بـاع حقـوق بـلاده إلى البريطانيين، وقد فعلت حملة فيصل فعلها، فبدأت القبائل تستحث بعضها علـى الجهاد)[562].

ولم يكن الأخوان في نجد يعرفون أبعاد الصراع بين ابن سعود والشريف حسـين، وأنه صراع بين حكومة الهند البريطانية التي تشرف على شـئون نجـد والعـراق وشرق الجزيرة من جهة، والخارجية البريطانية التي تشرف على شـئون الحجـاز وغرب الجزيرة العربية من جهة أخرى، وكما يقول فرومكين:

(وقد بدا واضحا أكثر فأكثر أن في لندن فوتين متنافسـتين، تصـارع إحـداهما الأخرى، من أجل حصة من الإمبراطورية العثمانية، وهاتان الفوتان هما المنـدوب السامي البريطاني في القاهرة، ونائب الملك البريطاني في الهند)[563].

وكما عبر عن تلك الأزمة بين حكومة الهند البريطانية وحكومة لنـدن الضـابط البريطاني في العراق برترام توماس في مذكراته حيث يقول عن أثر الصراع بـين الجهتين (جاءت النتيجة بأن مسرحي الفعاليات الحربية أصبح من مسئولية دائرتين أجنبيتين مختلفتين.. وعندما انتهت الحرب كانتا هناك وجهتا نظر حول السياسـة التي يجب أن تتبع في البلاد العربية).[564]

إقامة دولة دينية في الحجاز تحت التاج البريطاني:

[562] الكويت وجارا ا لدكسون 295/1.

[563] ولادة الشرق 155. وهذا يذكر بالصراع بين وزارة الخارجية الأمريكية بقيادة كولن باول ووزارة الدفاع بقيادة رامسفلد حول من يدير شئون العراق بعد احتلاله سنة 2003؟!

[564] مخاطر ورحلات في الجزيرة العربية ص 73 .

كما لم يكن الأخوان يعلمون بأن بريطانيا قد قررت تعـويض المسـلمين - بعـد إسقاط الخلافة الإسلامية، التي تمثل وحدة العالم الإسلامي - بإقامة دويلة إسلامية مستقلة تحافظ على مكة والمدينة تحت سيطرة بريطانيا، لا سيطرة أي جهة أخرى حتى وإن كانوا الأخوان الذين قاموا بالاستيلاء عليهما وحمايتهما!

لقد كانت بنود الاتفاقية السرية البريطانية الروسية في 12 مارس سـنة 1915م تجعل لروسيا حق السيطرة على اسطنبول عاصمة الخلافة الإسـلامية، وهـو مـا سيؤدي إلى ثورة المسلمين في الهند ضد بريطانيا إذا عرفوا بالاتفاقيـة السـرية، وعلموا أن بريطانيا شاركت في تدمير آخر دولة إسلامية مستقلة ذات أهمية وقد كان رئيس الوزراء البريطاني قد كتب عند بدأ الحرب العثمانية يقول :

(قليلة هي الأشياء التي تمنحني سرورا أكبر من سـروري برؤيـة الإمبراطوريـة العثمانية وهي تختفي نائيا من أوربا، ورؤية القسطنطينية وقد أصبحت روسـية، وهذا ما أظن أنه قدرها المناسب)، وفي مارس 1915م أكد موافقته على طلـب روسيا ضم القسطنطينية (أسطنبول) إلى روسيا مقابل دخولها في الحـرب بصـف بريطانيا وفرنسا، ضد ألمانيا والدولة العثمانية[565].

ذلك الاتفاق الذي طال نقاشه في مجلس الوزراء البريطاني حين بحثـوا مسـتقبل أقاليم الدولة العثمانية بعد سقوطها حتى وصف رئيس الوزراء البريطـاني نفسـه تلك المناقشات بأ نا (أشبه بما يدور بين عصبة من القراصنة)[566].

لقد حرص المسئولون البريطانيون على أن يبقى الاتفاق سرا(وعلى بريطانيـا أن تعوض المسلمين عن تدمير الإمبراطورية العثمانية بإقامة دولة إسلامية في مكـان آخر، وأنه من وجهة نظر دينية، ولوجود مكة والمدينة، لا يمكن التفكير في إقامة هذه الدولة سوى في شبه الجزيرة العربية)[567].

---

[565] ولادة الشرق 152 .

[566] ولادة الشرق 156 .

[567] ولادة الشرق 154 .

لقد كانت بريطانيا تعالج آثار كارثة إسقاط الخلافة على العالم الإسلامي نفسـيا وروحيا بإيجاد دويلة في الجزيرة العربية ذات طبيعة دينية تحت الحماية البريطانية شبيهة بدولة الفاتكان تحت السيادة الإيطالية!

لقد قام اللورد كتشنر القائد العام في الهند بعد نشوب الحـرب العالميـة الأولى (بالاتصال بذوي النفوذ في تراث الخلافة الإسلامية ومن خلال المسلمين الهنـود، وفي مصر من خلال حركة القومية العربيـة، ورأى إمكانيـة إعـادة الخلافـة، وسيسمح ذوو النفوذ في المنطقة لبريطانيا أن تفد إليهم بعد أن يعلنوا الجهاد)![568]

وقد انتهى كل ذلك بعد سيطرة بريطانيا على المنطقة، وإ اء وجـود الشـريف حسين نفسه، بعد تمرده على بريطانيا، وجاء الدور على الأخوان ليتم الـتخلص منهم بعد أن أدوا المهمة التي كان يطمح ابن سعود إلى تحقيقها منذ ربـع قـرن وكما يقول جون س:

(ها هم يعودون إلى نجد يحملون معهم استياءهم من ابن سعود والبريطـانيين ... وليس من الغرابة أن تنفجر تلك القوة الديناميكية على شـكل تمـرد بعـد أن أعيدت إلى نجد وهي في ذروة قو ا ونجاحها)[569].

لقد انتهى الدور الذي أرادت بريطانيا مع ابن سعود أن يقوم به الأخـوان مـن حيث لا يشعرون، كما يجري اليوم في أفغانستان حين رأت الولايـات المتحـدة وباكستان أن حركة طالبان الدينية قد قامت بالمهمة، حتى إذا نجحت في السيطرة على أفغانستان وقضت على منافسيها تم القضاء عليها من قبل الولايات المتحدة وباكستان وحلفائها العرب لترسم فصول مشهد جديد يتكرر في العالم الإسلامي منذ سقوط الخلافة العثمانية إلى اليوم!

بداية ثورة الأخوانفي نجد:

لقد كان الأخوان وقاد م يعيشون حالة من الزهو بانتصارا م التي حققوها باسم الإسلام وكان فيصل الدويش كما يقول أسد (استولى على حايل سـنة 1921م

---

[568] مخاطر ورحلات في الجزيرة العربية ص 73 .

[569] الأخوان السعوديون لجون س 198.

وفي عام 1925م أخذ المدينة المنورة ولعب دورا حاسما في فتح جـدة، والآن في صيف 1927م كان يجلس على أكاليل مجده في هجرته الأرطاوية غير بعيد عـن حدود العراق).[570]

إلا أن هذا الابتهاج بالنصر لن يدوم، كما يقول جون س: (لقد شعر الأخوان- بعد عود م إلى نجد سنة 1925م - بقيادة فيصل الدويش وابن بجاد أ ـم هـم المسئولون عن الانتصارات العسكرية الكبيرة التي أوصلت ابن سعود إلى مركـز السلطة، ولولاهم لما احتفظ بسلطته وسيطرته على الجزيرة العربية ... وعنـدما عاد الدويش إلى نجد مرة ثانية معززا بالسلطة والنفوذ اللذين كان يحظى ما في قبيلة مطير، وبروز الأرطاوية، والمركز المرموق الذي يحتله باعتباره الذراع اليمنى لابن سعود، ومما لا شك فيه أن فيصل الدويش قد أصبح أسطورة بين الأخـوان، والقبائل الرعوية المرتحلة (البدو) والمستقرة (الحضر)، وعاد سـلطان بـن بجـاد العتيبي عودة الأبطال أيضا فقد خلص الأخوان التابعين له الكـثير مـن منـاطق الحجاز من أيدي الملك حسين، وسرعان ما بدأ ضيدان بن حـثلين شـيخ قبيلـة العجمان المضطربة يشعر بالسخط بتحريض من الدويش وابن بجاد، وكان يتحين الفرصة ليثأر من ابن سعود للقمع الـذي مارسـه علـى قبيلـة العجمـان في الإحساء)[571].

مؤتمر الأخوان في الأرطاوية سنة 1926م:

وفي سنة 1926م عقد الأخوان مؤتمرهم في الأرطاوية وحضره شيوخ قبيلة مطير وعتيبة والعجمان وكانت أبرز اعتراضا م على ابن سعود :

أولا :علاقته مع الإنجليز وإرسال ولده فيصل إلى لندن .

ثانيا:الضرائب الموجودة في الحجاز ونجد.

ثالثا:المنع الذي فرضه ابن سعود على التجارة مع الكويت.

---

[570] الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص 214.

[571] الأخوان السعوديون لجون س 202 .

هجوم الأخوان على القوات البريطانية في العراق :

لقد قرر الأخوان مواجهة بريطانيا، ورأوا بأن أقرب قاعدة لها هي قاعدة الشعيبة الجوية في البصرة، فقرروا مهاجمتها دون علم ابن سعود الموجود في الحجاز، وقد عاد ابن سعود من الحجاز وكان الوضع السياسي قد تغير كمـا يقـول غلـوب باشا(وقد تحقق لدى الأخوان بأ م هم الذين افتحموا الحجاز، وليس ابن سـعود الذي لم يكن له جيش نظامي، وفي شتاء سنة 1926 - 1927 فـام الأخـوان بغارات مكثفة وقد وصلت إحدى هذه الغارات إلى نقطة لا تبعد سـوى خمسـة وعشرين ميلا عن محطة القوة الجوية البريطانيـة في الشـعيبة خـارج البصـرة، والحقيقة أن الأخوان لو واصلوا غزوهم لاستطاعوا أن يدمروا تلك المحطة برمتها، لقد فشلت القوة الجوية البريطانية فشلا ذريعا في معالجة هذه المشكلة)[572].

مؤتمر الأخوان في الرياض سنة 1927م:

وفي مطلع سنة 1927م تم عقد اجتماع في الرياض حضره ثلاثـة آلاف شـيخ وقائد من شيوخ الأخوان وقاد م من قبيلة مطير، وعتيبة، والعجمان، وفحطان، وشمر، وحرب، وع ة، والهواجر، والمرة، والدواسر، وسبيع، والسهول[573].

وقد تم مناقشة الاعتراضات، وتم توجيه الأسئلة للعلماء النجديين، الذين أجابوا عن كل الأسئلة المطروحة، إلا قضية العلاقة بالإنجليز، التي لم يجب عنـهاالعلماء النجديين، ولم يكن العلماء ولا الأخوان يعلمون عن أساس هـذه العلاقـة الـتي تتمثل في معاهدة الحماية التي تجعل من نجد محمية ومستعمرة بريطانية!

وقد انتهى المؤتمر بتجديد ابن سعود تعهداته للجميع بالعمل بالشريعة المطهـرة والحكم ا، وتم تجديد البيعة له.

كما تم الاتفاق ثانية بين ابن سعود وزعماء المعارضة الثلاثة (الدويش - ابن حميد - ابن حثلين) لعقد مؤتمر في مدينة بريدة، وعندما حان موعد اللقاء تم (تأجيـل

---

[572] مذكرات غلوب باشا 159 .

[573] الأخوان السعوديون لجون س 204 .

الاجتماع حتى يتمكن ابن سعود من التباحث مع البريطـانيين في خلافاتـه مـع الأخوان)[574].

فقد كثرت التقارير البريطانية عن خطورة الوضع وقد كان جون جلوب (غلوب باشا) (لا يتردد في التعبير عن كراهيته الشديدة للإخوان فقد كان متعاطفا مـع ابن سعود)[575].

إعلان فيصل الدويش للجهاد ضد الإنجليز وابن سعود :

وقد بدأت حركة التمرد الفعلي على سلطة ابن سعود، وكانـت هـذه الحركـة بقيادة فيصل الدويش، وكانت تستهدف استكمال مهمة الجهاد - ولـو أدى إلى المواجهة مع الوجود البريطاني في الكويت والعراق والأردن - والذي التزم ابـن سعود في معاهداته مع بريطانيا بإيقافه، وقد امتد نطاق التمـرد حيـث هـاجم تراحيب بن شقير الدويش وابن لامي الكويت، وتقدم فيصل الدويش بقواته وعبر الحدود العراقية وكما يقول دكسون(إن المعلومات الموثوقة المتوفرة حتى ابة سنة 1927 تشير إلى أن قبيلة مطير وحدها كانت خارجة عن السيطرة)[576].

الطيران البريطاني في مواجهة حركة المعارضة :

وفي يناير سنة 1928م وقعت معركة الرفعي - وهي ثالث معركة تقع بين مدينة الكويت وقبيلة مطير بعد حمض والجهراء - حيث هاجم الكويت بقواته علي بـن عشوان من شيوخ العبيات من قبيلة مطير ومعه نحو أربعمائة من الأخوان، وقـد طارد م السيارات المسلحة وخرجت من الكويت في أثرهم، وقد قتـل في تلـك المواجهات علي السالم الصباح، وأصيب قائد القوة علي الخليفة الصباح بجـراح خطيرة، وقد نجح الطيران البريطاني في تتبع قوات ابن عشوان وقصفها، وبعد مدة تصدى الطيران البريطاني عدة مرات لعدد من مجموعات الأخوان القتالية وقصفها على الحدود العراقية السعودية الكويتية، وقد نجح الأخوان في إسـقاط طـائرة

---

[574] الأخوان السعوديون لجون س 212 .

[575] الأخوان السعوديون لجون س 210 .

[576] الكويت وجارا ا لدكسون 300/1 .

بريطانية وقتل قائدها، وقد أسقط الطيران البريطاني قنابله أحيانا على مخيمـات البدو[577].

لقد تم التصدي لهجوم ابن عشوان وأتباعه (وتعرضت قوا م لهجوم فـاس مـن سلاح الطيران الجوي البريطاني الذي اتخذ من الكويت قاعدة لـه مؤقتـة، كمـا وضعت ثلاثة طرادات حربية على سواحل الكويت، ومع ذلك فقـد أوضـحت الحكومة البريطانية أنه على الرغم من اتخاذها جميع وسائل الحماية إلا إ ـا مـع ذلك ليست ملزمة بمسئولية الدفاع عن الكويت أكثر مما كان قد تقرر لها سـنة 1914م)[578].

أي لا تتجاوز الحماية حدود أسوار المدينة، إذ لم يكن يطلق آنذاك على مـا وراء الأسوار اسم الكويت، بينما المعاهدة قد تمت سنة 1899م قبل أن يمتـد نفـوذ مبارك خارج مدينة الكويت، وقبل أن يطلق على صحرائها اسم الكويـت، إذ لم يتقرر ذلك إلا بعد المعاهدة البريطانية العثمانية سنة 1913م.

الغاز البريطانية الوحشية ضد القبائل العربية :

لقد مارس الطيران البريطاني وحشية مفرطة في قصفه وضربه خيـام البـدو دون تمييز ودون إدراك للأزمة التي تعيشها القبائل العربية وهي تتعرض لخطـر يهـدد صميم وجودهم جراء الوضع الجديد وتحديد الحدود على أرض آبائهم وأجدادهم لخدمة المشروع الاستعماري البريطاني للمنطقة وعلى حد قول محمد أسـد (لقـد كانت تلك الحدود مسرحا لغارات البدو المستمرة الناشئة عن هجرات العشـائر طلبا للعشب والماء، وفي سلسلة من الاتفاقات بـين ابـن سـعود والبريطـانيين كمسئولين عن العراق تقرر عدم إقامة أية عراقيل في وجه تلك الهجـرات إلا أن الحكومة العراقية في صيف سنة 1927م قامت ببناء القلاع على طـول الحـدود

[577] الكويت وجارا ا لدكسون 1/300-302 ، ومازال بعض كبار السن يذكرون تلك الحوادث التي تعرضت لها القبائل لقصف من الطيران البريطاني العشوائي لترويضها للمشروع البريطاني!

[578] تاريخ الخليج العربي لزكريا 3/88 .

وسرت موجة من القلق بين القبائل في شمال نجد إذ وجدوا أنفسهم مهـددين في صميم وجودهم معزولين عن الآبار التي كانوا يعتمدون عليها الاعتماد كله).[579]

لقد كانت بريطانيا تعد العدة لمحاصرة القبائل وقطع طرق تحركها والسيطرة على آبار المياه التي ترد عليها بهدف إخضاعها كلية للحكومات الجديدة، وهـو مـا رفضته القبائل وقامت بالهجوم على القلاع الحدودية مما حدا ببريطانيا للتـدخل وكما يقول محمد أسد (فقد أعلم المندوب السامي البريطاني ابـن سـعود بأنـه سيرسل فرقة جوية حيوية لمعاقبة الأخوان من قبيلة الدويش لإجبارهم على طاعة ملكهم.. واجتازت فرقة جوية بريطانية الحدود وألقت قنابلها علـى الأراضـي النجدية فأنزلت الدمار بمضارب خيام مطير وقتلت دون تمييز الرجال والنسـاء والأطفال والمواشي).[580]

وفي هذه الفترة من التاريخ في سنة 1928 - 1930م الذي تحاول بريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى إخضاع حركة الأخوان الدينية والقبائل في الجزيرة العربية لمشروعها بقوة الطيران البريطاني، كانت إيطاليا هي أيضا تمارس الحرب الإجرامية نفسها ضد الحركة السنوسية الدينية والقبائل العربية في ليبيا، وكما يقول محمد أسد وهو شاهد عيان على تلك الأحداث وقد ذهب في مهمـة لمسـاعدة عمـر المختار سنة 1930م :

(كان الموقف في برقة كما يلي كانت جميع المدن الساحلية في قبضة الإيطـاليين، وكانوا يسيرون بين هذه النقاط المحصنة دوريات مستمرة من السيارات المصفحة وعددا كبيرا من المشاة تدعمها أسراب جوية، كانت تقوم بغارات متكررة علـى الأرياف، وكان البدو الذين يشكلون نواة المقاومة السنوسية غير قادرين على أن يتحركوا دون أن يكتشفوا حالا، وتفتح عليهم النار من الجو، وكـثيرا مـا أن طائرة استطلاعية أبرقت إلى أقرب مركز إليها بوجود مخيم للبدو بينمـا كانـت مدافع الطائرة الرشاشة تمنع الناس من التفرق كانت السيارات المصفحة تنـدفع جارفة في طريقها بيوت الشعر والجمال والناس، فتقتل دون تمييز كل ما يعترض

---

[579] الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص 214 .

[580] الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص 215.

طريقها من النساء والأطفال والمواشي، وما تبقى من الناس والمواشي كان يساق نحو المعسكرات).[581]

ونجحت إيطاليا من محاصرة الثوار في ليبيا عن طريق قطع الإمداد عنهم من طريق مصر، وهو ما سهل لها القضاء على عمر المختار وقواته الماهدة حيث سيتم إعدامه كخارج على القانون، وهو ما سيحدث مثله وفي السنة نفسها لحركة الأخوان في نجد وللقبائل العربية فيها على يد الجيش البريطاني، غير أن الثورة الليبية والجرائم الإيطالية وجدت من يفضحها ويكشف للعالم كله مدى بشاعة جرائمها بحق الشعب الليبي، بينما ظلت جرائم بريطانيا الوحشية بحق القبائل العربية في الجزيرة طي الكتمان إلى اليوم!

[581] الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص 281.

(عبيد بلا أغلال)

(23)

(مؤتمر جدة للقضاء على حركة الأخوان ومعركة السبلة)

المؤتمر البريطاني السعودي في جدة للقضاء على حركة الأخوان:

وقد قررت بريطانيا القضاء على حركة الأخوان النجدية، وتم في 7/5/ 1928م عقد مؤتمر في جدة بين وفد ابن سعود برئاسة حافظ وهبة، ووفد بريطاني برئاسة جلبرت كلايتون والنقيب جون جلوب للتباحث حول مشكلة الحدود العراقية النجدية، والقتال بين القبائل التي ترتحل بين الحدين، وقد طالب وفد ابن سعود بمعاهدة لتسليم اللاجئين السياسيين، وقد تعهدت بريطانيا في هذا المؤتمر بعدم السماح لفيصل الدويش باللجوء السياسي في حال ما إذا قرر ابن سعود مقاتلته، وهذا هو الشيء الوحيد الذي أسفرت عنه المفاوضات التي دامت عشرة أيام؟![582]

لقد كان مناقشة موضوع فيصل الدويش هو الهدف الرئيسي لهذا المؤتمر، وكل ذلك بعد مؤتمر الرياض الذي تم فيه الاتفاق بين المعارضة وابن سعود، والذي أزال أسباب التوتر بين الطرفين، كما تم الاتفاق بين قادة المعارضة على لقاء ابن

---

[582] الأخوان السعوديون لجون س 209 .

سعود في مدينة بريدة، وفجأة وقبل عقد الاجتماع طلب ابـن سـعود تأجيلـه ليتمكن من معرفة وجهة النظر البريطانية،حيث تم الاتفاق في جدة بين ابن سعود والبريطانيين على حرمان فيصل الدويش حق اللجوء السياسي، فيما لو أراد ابن سعود القضاء عليه كزعيم للمعارضة السياسية في نجد، في الوقت الذي رفضـت بريطانيا تسليم أي لاجئ سياسي آخر، وفي الوقت الذي لم ترفض المعارضة لقـاء بريدة ؟!

لقد كان الهدف البريطاني من المؤتمر هو القضاء على حركة المعارضـة، لكو ـا كانت ترفض وجود الإنجليز والارتباط م!

وبعد ذلك المؤتمر في جدة، تدهورت العلاقات بين المعارضة وابن سـعود حيـث كانوا كما يقول جون س (يتهمونه بأنه قد باع نفسه للنصارى والإنجليز، وأنـه تحالف معهم، على حساب التزامه من قبل بنشر الإسلام، ومحاربة الكفار)[583].

وكما يقول دكسون (ومهما كان الأمر فمشاعر قبائل الأخوان في نجـد كانـت تغلي، وكانت مطير تمقت سياسة ابن سعود بمنع الغزوات - أي الجهاد - وأثـار حنقهم قصف الطائرات البريطانية لهم، وادعوا أن إمامهم أصبح أداة في أيـدي الإنجليز، وكان هناك خطر حقيقي من ثورة تقوم ا قبائل نجـد بقيـادة فيصـل الدويش وسلطان بن حميد، لأن كلا القائدين يطالب ابن سعود بأن يثبت إيمانـه بالله عن طريق إعلان الجهاد)[584].

لقد كان من أكبر أسباب السخط والعداوة التي أبداها الأخوان لشريف مكة هي تحالفه مع بريطانيا، فاكتشفوا فجأة بأن ابن سعود نفسه تحت حمايـة الإنجليـز، وحليف لهم، في الوقت الذي كانوا هم - أي الأخوان- الـذين وحـدوا نجـد والحجاز، نصرة للإسلام، وحماية للحرمين من الإنجليز والنصارى الذين جاء ـم الشريف؟!

---

[583] الأخوان السعوديون لجون س 212 .

[584] الكويت وجارا ا لدكسون 307/1 .

وعلى حد جون س (لقد كان الأخوان يتمتعون بشعبية بين كثير من رعايـا ابـن سعود نظرا لنجاح فيصل الدويش وسلطان ابن بجاد في الحملة التي قاما ا بـين القبائل والتي مفادها أ ما يمثلان مصالح الإسلام الشرعية، وأ ما كانا يـدافعان عن قضية الدين، في حين أن ابن سعود بعد أن استولى بفضل شـجاعتهم علـى الحجاز باع نفسه للإنجليز وللنصارى)[585].

لقد نجحتدعاية ابن سعود وإعلامه الديني في إخفاء أسباب الخلاف الرئيسية بينـه وبين المعارضة واخترع فكرة أن الأسباب الكامنة وراء تصرفات قادة المعارضـة الثلاثة (لم يكن غير م على الدين وإنما تطلعا م الشخصية نحو السـلطة، وأ ـم اتفقوا فيما بينهم على الإطاحة به، وأن يصبح فيصل الدويش حاكمـا لنجـد، ويتولى سلطان بن بجاد حكم الحجاز، ويصبح ضيدان بن حثلين حاكما للأحساء، وهذا التوزيع كان منطقيا من وجهة نظر توزيع القبائل ونفوذ كـل شـيخ مـن الشيوخ في المنطقة التي تخصه من تلك المناطق)[586].

كما أمكن بالدعاية حصر أسباب الخلاف بين ابن سـعود والأخـوان برفضـهم لدخول البرقية والسيارة دون الحديث عن الأسباب الحقيقية للخلاف والصراع!

مؤتمر الرياض الثاني بين علماء نجد وشيوخ الأخوان:

وقد قام ابن سعود بعقد مؤتمر عام في الرياض باسم الجمعية العموميـة ومـؤتمر أعيان الرياض بتاريخ 5/ 11/ 1928م حيث حضره أكثر من عشرة آلاف مـن أعيان نجد من شيوخ الأخوان، وشيوخ العشائر، وأمراء الهجر، والقرى، والمدن، والعلماء، وقد كتب النقيب جلوب تقريرا عن المـؤتمر - الـذي كانـت وراءه بريطانيا الذي سبق أن رتبت جمعية عمومية في العراق- وقد تم إسـكان أعيـان البدو من الأخوان وغيرهم في خيام خارج مدينة الرياض، بينما تم إسكان أعيـان الحضر القادمين من القرى والمدن داخل الرياض، وتم إغـلاق أسـوار المدينـة، وتوزيع السلاح والذخيرة على من بداخلها، كما تم احتجـاز أعيـان الأخـوان

[585] الأخوان السعوديون لجون س 213 .

[586] الأخوان السعوديون لجون س 212 .

والبدو خارج الرياض وعدم السماح لهم بالرجوع إلى بلدا م، حتى تمت المراسلة بين ابن سعود وقادة المعارضة، وهم الدويش وابن حميد وابـن حـثلين الـذين لم يحضروا هذا المؤتمر، ولم تتمدعو م إليه! إلا إن الدويش أرسل ابنه عبد العزيـز مندوبا عنه لحضور المؤتمر[587].

إقصاء الدين عن الصراع وإثارة الروح الفئوية :

لقد أدرك ابن سعود أهمية إقصاء الروح الدينية جانبا في هذه المرحلـة، إذ لـن يكون الموقف في صالحه، وقد أذكى في مقابل ذلك الروح الفئويـة بـين البـدو والحضر، ليستثمره في مواجهة المعارضة الشعبية الكبيرة ضد ارتباطـه بـالإنجليز وعلى حد قول جون س فقد(استضاف ابن سعود الحضر الذين يؤيدونـه داخـل المدينة، واحتفظ بقيادات الأخوان رهائن تحت ستار الضـيافة والكـرم، كمـا يتناسب مع التقاليد القبلية، وقد أدى ذلك الإجراء العملي إلى إبعـاد رؤسـاء الأخوان عن التآمر مع كل من فيصل الدويش وسلطان بن حميد، ومـن تنسـيق جهودهم معهم)[588].

وقد تم انتخاب ثمانمائة من مجموع الحضور لعقد المؤتمر، وتم جمع أعيان الحضـر في قاعة خاصة، والأخوان البدو في قاعة خاصة، ورجال الدين في قاعة ثالثة، وبعـد بدء المؤتمر - الذي جلس فيه ابن سعود وأسرته في الصدر، والعلماء في الصـف الأول، وخلفهم الحضر، وأمامه الأخوان- طلب ابن سـعود مـن المـتمعين أن يختاروا حاكما لهم غيره ممن شاءوا، وقام العلماء وأقسموا(أ م لم يكتشفوا قـط أي فتور في غيرة ابن سعود على الدين، أو في إخلاصه لنشر الإسلام، وإن وقـع منه خطأ فلأنه لا معصوم إلا النبي صلى الله عليه وسـلم..... ثم تكلـم شـيوخ الأخوان الذين يمثلون قبيلة مطير، وتكلم المندوبون عن فيصل الـدويش، كمـا تكلم نيابة عن قبيلة حرب الفرم والذويبي وابن نحيت، كما تحدث ابـن ربيعـان نيابة عن قبيلة عتيبة، وابن حشر نيابة عن قحطان .... وقد ذكّروا ابن سـعود بأ م تركوا حياة البدو، وهجروا قبائلهم، وتركوا ثروا م، تلبية لنداء الجهاد في

[587] الأخوان السعوديون لجون س 213، والكويت وجارا ا 307/1 .

[588] الأخوان السعوديون لجون س 214 .

سبيل الله، ونصرة للدين الصحيح، وأن سيوفهم ودماءهم هي التي جلبت له النصر، وأنهم لن يتبعوه بلا قيد أو شرط، لأنهم يخشون غضب الله أكثر من ابن سعود، وأنهم يريدون أن يستوضحوا عن بعض الأمور من العلماء، حيث أنه سبق أن طرحوا أسئلة من قبل اقتنع بعض الأخوان بالإجابة عنها، وبعضهم لم يقتنع، وأقسموا أنهم سيتبعون ما يحكم به العلماء)[589].

لقد رفض فيصل الدويش وابن بجاد وهما زعيما المعارضة حضور المؤتمر فقد أعلنا - كما يقول المستشرق النمساوي محمد أسد الذي كان بمعية ابن سعود - (أن ابن سعود ضال في الدين أولم يعقد المعاهدات مع الكفار؟ وأعلن العلماء المتمعون في الرياض وبالإجماع بأن المعاهدات مع غير المسلمين مستحسنة إذا جلبت للمسلمين السلم والحرية).[590]

لقد كان من أهم الأسئلة التي وجهها الأخوان في هذا المؤتمر:

1- قضية المراكز الحدودية التي أقامها البريطانيون بين نجد والعراق، وهل يجوز شرعا ترسيم مثل هذه الحدود في أرض آبائهم وأجدادهم التي عاشوا عليها على مر الأجيال؟
2- وبعد تعهد ابن سعود للنصارى على عمل مثل هذه الحدود، كيف يسمح لهم بإقامة المراكز فيها مع أن المعاهدة تمنع من إقامة مثل هذه المراكز في مناطق رعي القبائل وآبارها بين الحدود؟
3- وإذا سكت الأخوان عن مثل هذا، وترتب عليه ضرر بالدين، أو ضرر بالمسلمين، هل يكونون آثمين عند الله؟وقد أقسموا أنهم لن يسمحوا بمثل هذا الأمر إذا كان فيه تهديد لدينهم أو أرضهم.
4- ولماذا تم وقف الجهاد، ومنع الأخوان من إكمال فتوحاتهم، لنشر الدين الصحيح، ولماذا أوقف ابن سعود نشر كلمة التوحيد؟

وقد وجهوا حديثهم إلى ابن سعود بقولهم :إن البريطانيين يعززون مراكزهم على الحدود، وإن ديننا وحياتنا في خطر، وإن البريطانيين هم الذين بدءوا بالشر.

---

[589] الأخوان السعوديون لجون س 215 .

[590] الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص 216 .

وقد أجاب العلماء عن الأسئلة، وأيدوا موقف الأخوان بالنسبة لخطر البريطانيين ومراكزهم الحدودية.

وقد تعهد ابن سعود بالعمل بما قاله العلماء، أما بالنسبة للجهاد فقد قال إنه لن يستطيع التحدث في هذا الموضوع علانية، وطلب عقد جلسـة سـرية حضـرها خمسون رجلا من المؤتمرين وعلماء الدين، لم تنشر تفاصيل ما دار فيها، غـير أن الجميع خرج وقد اتفقوا على مواجهة فيصل الدويش وسلطان بن بجاد[591].

لقد خرج المؤتمرون - كما يقول جون س - وقد أعلنوا وقوفهم مع ابن سـعود (إلا أ م كانوا مقتنعين تماما بأن المتمردين كانت لديهم مظالم شرعية لم يحلها ابن سعود حلا مناسبا، وقد أدركت عناصر الرياض غـير الأخوانيـة تلـك المظـالم أيضا)[592].

وقد أرسل فيصل الدويش رسالة إلى ابن سعود يسأله فيها عن سبب منعه مـن الجهاد في سبيل الله الذي طالما أيده ابن سعود من قبل، وعن الحدود والمراكز التي ستقضي على حياة القبيلة، التي ظلت تنتقل على مر العصور طلبا للمرعى والكلأ بين نجد والعراق دون أن يمنعها أحد، وعن السبب في مهادنة النصارى ودينـهم ومراكزهم الحدودية، في الوقت الذي تجرد السيوف على الأخوان وشيوخهم؟[593]

مؤتمر الزلفي بين ابن سعود والأخوان :

لقد اضطربت الأوضاع في نجد كلها، مما حدا ابن سعود إلى عقد مؤتمر آخـر في الزلفي، وكما يقول دكسون(لقد طالب قادة الأخوان بحسم خلافهم مـع ابـن سعود وفق حكم الشريعة وبتحكيم علماء الدين، وكانت حجتهم هي أنك يا ابن سعود طالما كنت تدعو إلى الجهاد وقتال الكفار، ولطالما رددت الآيات القرآنيـة التي تحث عليه، وتحل الغنائم التي تؤخذ ذا الجهاد، والآن وبأمر مـن الإنجليـز

[591]الأخوان السعوديون لجون س 218- 222 .

[592]الأخوان السعوديون لجون س 52 .

[593]الأخوان السعوديون لجون س 223 .

الكفار أنفسهم تدعونا إلى إعادة ما أخذناه لأنك تعتبر ما فعلناه خطأ، فإمـا أن تكون قد خدعتنا، أو يكون القرآن باطلا، وليحكم علماء نجد بيننا، وقرر الملك أن يقابلهم في عقر دارهم، فدعا إلى مؤتمر خارج مدينة الزلفي، ومما لا شك فيـه أن الرعب دب في قلبه بحيث أنه لم يفكر قط في عرض القضية على أي هيئة مـن علماء الدين الوهابيين، وبدل أن يقرر القطيعة مع البريطـانيين، قـرر ضـرب الأخوان بسرعة مرة واحدة وإلى الأبد، وأقام ابن سـعود معسـكرا لجيشـه في الزلفي، ثم جاء فيصل الدويش من الأرطاوية ومعه فرقة صغيرة وخـيم في سـهل السبلة المكشوف قرب الزلفي، حيث انضم إليه بعد ثلاثة أيام ابن حميـد الـذي حضر ومعه قوة كبيرة، وخيم بالقرب من الدويش، وبموجب ترتيب سـابق ظـل ضيدان بن حثلين يحرس ميسرة الأخوان من أي هجوم طارئ يشنه فهد بن جلوي آل سعود ابن أمير الأحساء، وقد خيم ابن حثلين مع ابن شقير الـدويش وابـن لامي قرب (قرية) على بعد 130 ميلا إلى الجنوب من الكويت، وقد استخدم ابن سعود كل مهاراته الدبلوماسية لمنع ابن حثلين من أن يرمي بثقله مع الـزعيمين الثائرين، وظلت قبيلة العوازم القوية في الأحساء موالية للملك)[594].

معركة السبلة بين ابن سعود والأخوان :

ولم تنفع الرسائل التي بعثها شيوخ المعارضة، ولا طلب عقد لقاء للصلح، في تخيف حدة التوتر بين المعارضة وابن سعود، حيث كانت الخطة البريطانية تقضي بوجوب القضاء على الأخوان، وتقابل الجيشان في منطقة السبلة، بين الأرطاوية والزلفي، وقد نجح ابن سعود في كسب أكثر شيوخ القبائل من الأخوان من قبيلـة مطـير، وحرب، وعتيبة، إلى صفه، بعد أن أقنعهم العلماء بحرمة الخروج عن طاعة الإمام، وكان من أبرزهم ابن ربيعان من شيوخ عتيبة، الذي أيد ابن سعود وعلى حـد قول جون س(جاء ذلك التأييد بمثابة انتصار حاسم رجح كفة الميزان ناحية ابـن سعود، ولو انضم إلى ابن بجاد شيخ قبيلة عتيبة لجاءت النتيجة الأخـيرة لمعركـة السبلة مختلفة تماما)[595].

---

[594] الكويت وجارا ا لدكسون 1/314- 316 .

[595] الأخوان السعوديون لجون س 226 .

وفي 30/ 3 /1929م، فاجأ ابن سعود قوات الأخوان في السبلة، الذين انسحب أكثرهم قبل المعركة بأيام، ظنا منهم أن الطرفين قد توصلا إلى صلح - خاصة بعد أن زار فيصل الدويش ابن سعود في مخيمه داعيا إلى المصالحة، بل وراغبا في إقناع ابن بجاد في ذلك - ودارت الحرب التي أراد الضباط السياسيون البريطانيون لها أن تدور، لتحطيم القوة العسكرية التي طالما رصدوها، وحذروا من خطر تركها بلا مواجهة فكان على ابن سعود - الذي مازال تحت الحماية البريطانية وتحت إشراف وتوجيه المندوبين البريطانيين لديه - أن يقضي عليها بالدعم المالي والعسكري البريطاني؟!

وكان الأمر كما يقول دكسون (هاجم ابن سعود بجيشه فائدي الأخوان دون سابق إنذار، وقد أخذ الدويش مع فرقته الصغيرة على حين غرة وهم يهيئون طعام الإفطار، وأصيب الدويش بجراح خطيرة في معدته دون قتال، كما تمكن ابن حميد أن ينسحب وأن يشق طريقه إلى الوراء بمهارة فائقة في القتال، ومن المؤكد أن ابن سعود قبل أن يشن الهجوم المفاجئ أعطى تأكيدات جازمة بأنه سيجتمع مع الدويش مرة ثانية لبحث الأمور بموجب الشريعة، وقد تم نقل الدويش إلى الأرطاوية، وعاد ابن حميد إلى الغطغط حيث تبعه عبد الله بن عبد الرحمن شقيق الملك، فاستسلم دون قتال، ونقل إلى الرياض سجينا، وتم تدمير الغطغط، وبعد أن اطمأن ابن سعود إلى أن الثورة قد سحقت، وأن الدويش يحتضر متأثرا بجراحه، ذهب إلى مكة ليؤدي فريضة الحج، ويمكن إرجاع ثورة الدويش التالية التي كلفت الملك كثيرا إلى هذه الحيلة غير الملكية لأن العربي لا ينسى)[596].

السياسة البريطانية السعودية الجديدة بعد معركة السبلة:

وبعد معركة السبلة جمع ابن سعود العلماء ورؤساء القبائل الذين وقفوا معه، ليعلن عليهم خطابا جديدا يعهده الأخوان من قبل وجاء فيه:

1- يجب أن لا يسمحوا لرجالهم أن يعقدوا اجتماعا لمناقشة مسائل الدين أو الدنيا إلا بإذن من الملك وموافقته.

---
[596] الكويت وجارا ا لدكسون 1/314- 316 .

2- ويجب احترام المسلمين، ومن يحميهم المسلمون كمـا هـدد وتوعـد الحضور بأ م سيلاقون ما لقيه الأخوان المعارضون إذا قاموا بمثل مـا قاموا به[597].

لقد كان المقصود بحماية من يحميه المسلمون، أي البريطانيين الذين كان ابن سعود نفسه تحت حمايتهم!

---

[597] الأخوان السعوديون لجون س 230 .

(24)

(ثورة الأخوان الثانية وقضاء بريطانيا عليها)

أسباب ثورة الأخوان الثانية سنة 1929م:

ولم تكن معركة السبلة - كما يقول دكسون[598] - قد فلت من قوة الأخوان، إذ سرعان ما عادت لفيصل الدويش قوته ونفوذه، كما تمرد العجمان في الإحسـاء بعد أن غدر فهد بن عبد الله بن جلوي آل سعود - ابن أمير الإحساء- بشيخهم ضيدان بن حثلين، بعدما دعاه للمحادثة، فألقى القبض عليه، ثم أمـر بحبسـه ثم بقتله، وثارت قبيلة العجمان فقتلت فهد بن جلوي آل سعود، ثم خرجت شمـالا لتنضم إلى الأخوان من قبيلة مطير بقيادة فيصل الدويش، لقد أدى اغتيال ابـن حثلين إلى انتفاضة عارمة، وكما يرى دكسـون أن الانتفاضـة كانـت(بسـبب تصرفات فهد بن جلوي الحمقاء الذي اشتهر بالغدر والقسوة، والذي دعا ابـن حثلين ليتباحث معه رسالة تلقاها من ابن سعود، وأرسل له كتاب أمان بخط يده، وعقد ضيدان مجلسا لقبيلته وعرض عليهم الرسالة فنصحوه بعدم الـذهاب لأن رائحة الغدر كانت تفوح من الرسالة كما قالوا، وذهب ضيدان ومعه اثنا عشـر رجلا، فاستقبله فهد بحفاوة ولكنه عندما قام ليغادر المكان، ألقى القـبض عليـه وكبله بالأصفاد، وتمكن أحد مرافقيه من الفرار لينذر قبيلة العجمان، فتحركت قوة من العجمان قوامها ألف وخمسمائة رجل بقيادة حزام بن حثلين نحو معسكر

[598] الكويت وجارا ا لدكسون 1/316- 327 .

فهد بن جلوي آل سعود، ولما شعر فهد أنه سيخسر المعركة أمر عبده بقطع رأس ضيدان، وعندما أراد فهد بن جلوي الفرار على فرسه قام شاب مـن العجمـان وهو عبد الله بن عيد المخيال بإطلاق النار عليه، وكان في معيته ممسكا له عنـان فرسه، وقتله انتقاما لمقتل ضيدان، وكانت خسارة ابن جلوي جسيمة إذ أبـادت قبيلة العجمان كل أفراد القوة لتي كانت مع ابـن جلـوي، وانتشـرت أنبـاء الاغتيال المخجل كالنار وحركت المشاعر في شمال شرق الجزيرة العربية، وانقلب الكثيرون على ابن سعود مع أن المسئولية تقع على عبد الله بن جلوي الذي كان ابنه فهد ينفذ أوامره، وقد وصل فرحان بن مشهور من شيوخ قبيلة الرولة مـن ع ة وأحد زعماء الأخوان البارزين، ومؤيد سابق لعبد العزيز بن سعود، إلى آبار الصبيحية في الجهة الجنوبية من الكويت، ومعه عدد كبير من الجمال اغتصبها من ابن مساعد بن جلوي آل سعود أمير حايل، ثم تحرك ابن مشـهور إلى الجهـراء، حيث قابل أحمد الجابر، وصرح بأنه تلقى كتاب أمان من ابن سعود، وأنه أرسـل رسولا لمعرفة شروط الصلح، وبموجب تعليمات الحكومة البريطانية أمـر الشـيخ أحمد الجابر فرحان بن مشهور أن يغادر الجهراء، بعد أن تزود هو ورجاله بمـؤن تكفيهم حتى الوصول إلى الرياض، وقد عبر الحدود ولكنه بـدل أن يتوجـه إلى الرياض - كما يقول دكسون - انضم إلى قبيلة العجمان في وسـط الأحسـاء، وكان فيصل الدويش يتماثل للشفاء في الأرطاوية - من إصابته بمعركة السبلة - ومازال ابن حميد أسيرا في الرياض، حين رفعت قبيلة العجمان القويـة مسـتوى الثورة يدعمها ابن مشهور وغيره من زعماء الأخوان، ولم يمض زمن طويل حـتى كان شمال نجد كله من جبل شمر إلى الخليج العربي في أيـديهم، وتحركـت قبيلـة العجمان بقيادة نايف بن حثلين وخيمت في الوفرة، في منطقة الكويت المحايـدة، ومعها فرحان بن مشهور، وتلقى الشيخ أحمد الجـابر تعليمـات مـن الحكومـة البريطانية أن لا يسمح للعجمان ولا لغيرهم من الثوار بالحصول على المؤن مـن الكويت، أو أن يأتي أحد إليها، وأبلغ ابن سعود بذلك، وفي هذه الفترة عينت - أي دكسون - وكيلا سياسيا في الكويت، وفي الثاني من حزيران أرسل ابن سعود احتجاجا شديد اللهجة ا م فيه الكويت بتزويد قوات العجمان وابـن مشـهور بالمؤن والذخائر خلافا لتعليمات الحكومة البريطانية، وبعد تحقيقات دقيقة قمـت ا بنفسي تبين لي أن ا امات ابن سعود لا أساس لها من الصحة، بالرغم مـن أن

بعض التهريبات كانت تتم سرا عن طريق الأقرباء والمؤيدين المقيمين في الكويت، وقد أثبت بالدليل القاطع أن الشيخ أحمد الجابر كان ينفذ تعليمـات الحكومـة البريطانية ذا الصدد بكل أمانة، وفي 14 حزيران غادرت قوة كبيرة من ثـوار العجمان معسكرها في الوفرة إلى جهة مجهولة في الجنوب، وبعد خمسة أيام كشف فيصل الدويش القناع عن وجهه مستغلا غياب ابن سعود في مكـة، وانضـم إلى العجمان، فبعد أن جمع حوالي خمسة آلاف رجل ومائة ألـف جـ ل مـن مطـير والعجمان وعتيبة، وصل إلى قرية العليا على بعد ثمانين ميلا من حدود الكويـت في التاسع عشر من حزيران، وقد رفعت عودة الفارس الجريح معنويات الثـوار وزادت في قو م، ولما علم ابن سعود بذلك جمع السـيارات الموجـودة في مكـة وأسرع بالعودة إلى الرياض، وجمع قوة قوامها ثمانية آلف رجل، وحرص على أن يحصل على تأكيدات من الحكومة البريطانية للتعاون في منع الثوار من الفرار إلى العراق أو الكويت في حال هجومه عليهم، وكان أول عمل قام به فيصل الدويش لدى وصوله إلى شمال الإحساء هو دعوة الشيخ أحمد الجابر للانضمام إلى الثـوار واعدا إياه بإعادة الأراضي التي اقتطعت من الكويت، وأرسل برسالة يطلب فيها السماح له بالقدوم إلى الكويت لشرح خططه والتزود بالمؤن، وأبلغت الحكومـة البريطانية أحمد الجابر فورا أن يضع مطير في نفس م ـا ة العجمـان، وأن يمنـع الدويش وأياً من أتباعه من عبور الحدود، وأ م سيتعرضـون للقصـف إذا مـا حاولوا ذلك، وحاول الدويش مرة أخرى في 28 حزيران أن يحمل الشيخ أحمـد على الانضمام إلى الثوار، وبعث له برسائل مع عدد من كبار زعماء الأخوان بمن فيهم ابنه عبد العزيز الدويش وذلك لإقناع الشيخ أحمد باتخاذ ج قوي، وقـد صيغت تلك الرسائل - كما يقول دكسون - بلغة فصيحة وبيان بليـغ تركـت أثرا عميقا في نفس حاكم الكويت، لقد حفز الشيخ أحمد لكي يلعب دور رجـل الموقف ويتصرف كما كان مبارك يمكن أن يتصرف، وقال الدويش إن كـل مـا يطلبه الثوار هو المؤن والذخائر، وإذا ما اشتركت الكويت معهم فهـو يتعهـد بالباقي، ومن حسن حظ جميع المعنيين بالأمر - على حد قول دكسـون - بقـي الشيخ أحمد أمينا لوعوده التي قطعها لي بصفتي وكيلا سياسيا لحكومـة صـاحب الجلالة - ملك انجلترا - بالرغم من أن الإغراء للهجوم ضد العائلة السـعودية، واستعادة المناطق الجنوبية وخاصة القبائل التي عليها كالعوازم والعجمان ومطير

كان شديدا لا يقاوم، فلو أنه انضم إلى الثوار واتخذت الحكومة البريطانية موقفا محايدا لكان من المحتمل جدا خلع ابن سعود لأن القوات المقاتلة في نجد كانت إلى جانب الثائرين، وقد نقلت قطاعات العجمان ومطير وابن مشهور عائلا ا وجمالها إلى الجنوب من البصرة في 15 تموز، وقطعت فرق من العجمـان خـط الريـاض الهفوف وتوغلت قريبا من الرياض، وفي تلك الفترة أخذ اللاجئـون النجـديون البارزون المقيمون في بغداد يتدفقون إلى الكويت في طريقهم للانضمام إلى الثوار، وحصلنا على أذن من الحكومة البريطانية باعتقال وإرجاع كل مـن يصـل مـن العراق ويشك في أنه يرغب في الانضمام للثوار، وكان من بين أولئك الأشخاص البارزين علي أبو شويربات أحد زعماء بريه من مطير، والذي يشك أنـه كـان يحمل معه دعما ماديا ومعنويا من بغداد للثوار، وعبيد بن حميد العتيبي الذي كان يقوم بدور الرسول بين فيصل الدويش ونايف بن هندي بن حميد زعـيم عتيبـة السابق الذي فر من نجد قبل ثلاث سنوات وأقام في بغداد، وكان فيصل الدويش في ذلك الوقت يعسكر مع قوات الثوار الرئيسية في الطوال الجنوبي وهو مكـان مستطيل في الوسط تشكله آبار الصفا ووبرة والفرعا وحبة ومن ذلك المكان كان بإمكانه أن يضرب نجد والإحساء متى شاء، وقد شن من هناك هجوما على قوات ابن سعود في القاعية قرب الأرطاوية ودمرها، وقد شاعت أخبار هـذه الغـزوة فأثارت الرعب في كل مكان مما حمل قوات ابن سعود المتقدمة على الانسحاب من حفر العتش إلى الرياض، وقد عامل الثوار الأسرى معاملة طيبة ورحبوا م، وفي 10 آب تلقى الشيخ أحمد وتلقيت معه رسائل من ابن سعود يشكرنا فيها علـى جهودنا في قطع المؤن عن الثوار، وقطع جماعة من الثوار بقيادة محمد بن خالد بن حثلين الطريق على قافلة قادمة من الهفوف تحمل أمتعة خاصة بسعود الابن الأكبر للملك، مما أدى لتدمير 16 سيارة شاحنة، وشهد شهر آب انتصارات الثـوار في كل مكان بينما كان ابن سعود في موقف المدافع وكانت سياسته في تلك الفتـرة تقوم على الاحتفاظ بالمدن إلى أن يأتي فصل البرد وكانت استراتيجية صـحيحة غير أ ا تعني أنه سيخسر أكثر فأكثر من أتباعه البدو، وكان سيد الموقف في ذلك الوقت فرع الروقة من قبيلة عتيبة الكبيرة بقيادة الشيخ ابن ربيعان، الذي كان الملك والثوار يتنافسان على خطب وده وكسب رضاه، وقد وقـف فـرع برقـا بقيادة ابن حميد مع الثوار، وأصبح واضحا أن الغلبة ستكون للجانب الذي تنضم

إليه الروقة، حيث يشكل تحالف برقا وروق أقوى اتحاد في وسط الجزيرة العربية، وفي 22 آب انتقل فيصل الدويش إلى حفر الباطن واستطاع أن يستميل إلى جانبه فرع ابريه الكبير من قبيلة مطير، الذين حملوا خيامهم البالغ عددها ثمانمائة خيمة وساروا نحو الإحساء وانضموا إلى الثوار، وبعد عدة أسابيع دخل قسم من بريه أراضي الكويت وخيموا في الجهراء، وقد تسببت أنا في طردهم من هناك، وقد اجتمعت بفيصل الدويش الذي يعتبر أكبر مخطط عسكري بدوي بعد ابن سعود شهدته الجزيرة العربية، بعد أن دفعت ضرورة إيجاد مراع جديدة للأعداد الضخمة من الجمال والأغنام فيصل الدويش وأتباعه إلى غزو أراضي الكويت من الجنوب بصورة مفاجئة في 30 آب ، وأقاموا لأنفسهم معسكرا ضخما حول الصبيحية والآبار الملاصقة لها، ولقد قدرت قوتهم بخمسة آلاف مقاتل، وألفي خيمة، ومائة ألف جمل، وكان ذلك منظرا رائعا، وطلب مني أن أحذر فيصل الدويش من أنه إذا لم ينسحب عبر الحدود خلال يومين فإن طائرات السلاح الجوي البريطاني المقيمة بالبصرة ستقصفه مع رجاله وممتلكاته، وقد استقبل الرسول الأول الذي أرسلته إلى الصبيحية باستهزاء، ولكي أتجنب وقوع كارثة مقيتة هناك لاسيما وهناك عدة آلاف من الأطفال والنساء مختلطون بالرجال المقاتلين، دعوت فيصل الدويش ليقابلني في ملح في اليوم التالي على بعد خمسة عشر ميلا جنوب مدينة الكويت، وعلى بعد ثلاثة أميال جنوب المقوع، وتبعني الشيخ أحمد الجابر وقابلنا فيصل الدويش على رأس تلة تشرف على الآبار الواقعة إلى الشرق من المكان الذي يـلون فيه، ومعه أربعون من أبرز زعماء الأخوان من الرجال المتعصبين الأشداء، ذلك الرجل الذي فعل أكثر من أي عربي آخر ليساعد ابن سعود على الارتقاء إلى أعلى مراتب الشهرة والسلطة، كان قصير القامة عريض المنكبين، له رأس وأنف كبيران، كان يسير بعزم وثقة، وكأنه محدودب الظهر قليلا، عبوسا صامتا بطبيعته، وقلت له ما جئت من أجله، وأضفت بأنني أستطيع إرجاء عملية القصف لمدة يومين ضنا مني بأرواح النساء والأطفال، ورجوت فيصل من أجلهم أن يعدني بالتراجع عبر الحدود ضمن المهلة المحددة، وتردد أن يفعل ذلك لمدة ساعة كاملة، قال خلالها إنه ليس على خصام مع البريطانيين، وأنه وقبيلته كان ولاؤهم في السابق لشيخ الكويت، وأ م يعانون نقصا رهيبا في الأغذية والمؤن، وكان يأمل بالسماح له أن يشتري الطعام من

الكويت، ومع أنني تأثرت كثيرا بكلامه إلا إنني تصرفت بقسوة قلب، وأقنعتـه أخيرا بأن يعطيني كلمته ففعل، وعندما غابت الشمس قال بأنه يريد أن يصـلي، فدعا إلى الصلاة بنفسه، وأم رجاله ومرافقيه في صلاة المغرب، واضعين بنـادقهم أمامهم على طريقة الأخوان، وبعد أن انتهت تلك الصلاة الهادئة استدار الزعيم الصحراوي الكبير نحو مرافقيه وهو لا يزال على ركبتيه وأدى السلام، وقبل أن ينهض واجهني وقال أعدك بأنني سأفعل ما طلبته مني اذهب بسلام، وحافظ فيصل على كلمته)[599].

وقد طلب فيصل الدويش من أحمد الجابر (إذا لم يوافق على طلبه - بالوقوف مع الأخوان ضد ابن سعود - فهو يرجو منه أن يجري اتصالا مع الوكيل البريطاني في الكويت على أساس ألا تتدخل الحكومة البريطانية في حركته ضد ابن سعود)[600].

لقد كان (من المؤكد أن الشيخ أحمد الجابر حاول استغلال هذه الحركة لاسترداد مقاطعاته التي انتزعت منه خلال مؤتمر العقير، ففي تقرير من دكسـون الوكيـل البريطاني في لكويت ذكر فيه أن أحمد الجابر أكد له أنه سيبتهج لـو هـزم ابـن سعود، إذ يشعر أن قبائل مطير والعوازم والعجمان ستعود إلى ولائهـا القـديم للكويت، وأن ابن سعود تمادى في أعمال ضد الكويت من شأ ا تجريدها من كثير من قبائلها وأراضيها واستحوذ على المراعي الرئيسية لمطير والعجمان بناء علـى قرارات مؤتمر العقير)[601].

المواجهة البريطانية السعودية لحركة الأخوان :

وقد قررت بريطانيا القضاء على الأخوان عسكريا، وقام ابن سعود - كما يقول جون س - بمواجهة الأخوان من قبائل مطير والعجمان بعـد أن ضـمن وقـوف بريطانيا معه للقضاء عليهم وإخضاعهم (ودفع كل جهوده وإمكانياته العسكرية إلى المعركة، مستفيدا من تنسيق خططه العامة وعملياته مع البريطانيين ... وقرر

[599] الكويت وجارا ا لدكسون 1/316- 327 .

[600] تاريخ الخليج العربي 3/92.

[601] المصدر السابق 3/93 .

ابن سعود وضع حد فاصل لتمرد الأخوان، باستعمال كل ما لديـه مـن قـوة عسكرية، وتأييد دبلوماسي، والوسائل الآلية الحديثة المتاحة لديه، ولا يمكن لأي حملة من الحملات التي يشنها على الأخـوان أن تـنجح بـدون التعـاون مـع البريطانيين، ومن ثم استطاع قبل مغادرته الحجاز - بعد الحج - أن يحصـل مـن البريطانيين على وعود بأ م لن يسمحوا لأي من البلدان الثلاثة الـتي يحكمو ـا وهي الكويت والأردن والعراق أن تعاون الأخوان، أو تساندهمأو تؤويهم)[602].

وقد كان الهاشميون في العراق والأردن، وكذا شيخ الكويت، يميلون للوقوف مع قوات الأخوان بقيادة فيصل الدويش لمواجهة خطر ابن سعود، وكانوا يطمحـون إلى قيام إمارة تحت حكم الدويش في المثلث الواقع بين الكويت والعراق ونجـد، وقد وصل بعض الدعم للأخوان ولفيصل الدويش من بعض تلك الجهات، غير أن الحكومة البريطانية كانت قد قررت الوقوف بكل قو ا إلى ابن سـعود، حيـث جهزت قواته العسكرية بثلاثة آلاف بندقية متطورة، وأ الـف صـندوق ذخـيرة، وأمدته بسفن عسكرية لنقل قواته من جدة إلى العقير، وقد قام ابـن سـعود - بتوجيه بريطاني - باتخاذ إجراءات داخلية حيث قرر :

1- ضرب قبيلة عتيبة، وبني عبد الله من مطير.
2- وتجريد القبائل غير الموالية له من أسلحتها، وكذا تجريدها من خيولهـا وجمالها.
3- وإخلاء و جير أهل الهجر والقرى المعارضة لسياسـته، ومـنعهم مـن التجمع في مكان واحد.
4- كما قرر تجنيد الجميع وحشدهم كرها، لمواجهة فيصل الدويش ومـن معه من قبيلة مطير، وابن حثلين ومن معه من العجمـان، في الشـمال الشرقي من نجد.
5- ورفع شعار(من يحارب معنا ينتمي إلينا، ومن يتخلف عن القتال معنا فسيقتل، وتسحب أسلحته وحصانه)، وقد أرسل الدويش رسالة يطلب فيها من ابن سعود المصالحة وحل الخلاف، لكونه يرفض اللجوء للعراق

[602] الأخوان السعوديون لجون س 231- 233 .

أو الكويت، حيث يحكمهما الإنجليز والنصارى، وهو ما لا يجوز له - أي الدويش - شرعا عمله، أو الوقوع فيه.[603]

الترتيبات البريطانية لمحاصرة الثورة وتسليم قادا:

وعندما تحرك ابن سعود بقواته لمواجهة الدويش وابن حثلين ومن معهما، طلبا من الحكومة البريطانية السماح بتوفير الحماية من أجل إرسـال النسـاء والأطفـال للكويت، حتى يستطيع الأخوان مواجهة ابن سعود وجها لوجـه، وقـد رفـض البريطانيون هذا الطلب، وبدأ الطيران البريطاني قصـف عشـائر قبيلـة مطـير والعجمان، التي ظلت تؤيد الدويش وابن حثلين، عنـدما حاولـت اللجـوء إلى الكويت فرارا بالنساء والأطفال من الحرب الوشيكة الوقوع بين الطرفين، لقـد توجه الدويش - كما يقول دكسون - ومن معه إلى المنطقة الشـرقية ونجـح في السيطرة على ثلاثة أرباع مقاطعة الأحساء، بعد أن أحرز نصرا كاملا على أتباع ابن سعود، وبعد أن فر قائد قوات ابن سعود، وقد زجت بريطانيا بثقلها مع ابن سعود، حيث (وضعت في جزيرة تاروت بمحاذاة القطيف بجنوب الأحسـاء عـدة طائرات مقاتلة حصل عليها ابن سعود من الحكومة البريطانيـة وكـان يقودهـا طياروں سابقون في سلاح الجو الملكي البريطاني ... لقد أعطت معركة نقير الثوار ثلاثة أرباع مقاطعة الإحساء، لكن هذا النصر طغت عليه الأنباء القائلة إن ابـن سعود قد أحرز نصرا ساحقا على عتيبة في غرب نجد، وفي 30 تشرين أول أرسل الدويش يطلب مقابلة الشيخ أحمد الجابر ومقابلتي، وعبر الحدود بنفسه مع عـدد من مرافقيه، وخيموا بالقرب من الجهراء، وعملا بتعليمات الحكومة البريطانيـة أبلغته أن ينسحب فورا، واتضح أنه كان يرغب في توجيه الأسئلة الثلاثة التالية التي عاد فأرسلها برسالة خطية وهي:

1- إذا تحرك جنوبا إلى نجد وترك نساءه وجماله في شمال الإحساء، فهل تعد الحكومة البريطانية بأن لا تقصفهم، وأن لا تسمح للقبائـل العراقيـة بمهاجمتهم؟

---

[603] الأخوان السعوديون لجون س 233- 239 .

2- وإذا هاجم ابن مساعد نساءه في الغرب أثناء غيابه فهل تسمح الحكومة البريطانية لهن باللجوء إلى الكويت والبقاء هناك بحماية الشـيخ أحمـد الجابر؟

3- إذا ما أسقط رجاله طائرة من طائرات ابن سعود التي يقودها بريطانيون فهل تعتبر الحكومة البريطانية الثوار مسئولين عن ذلك؟

وبعد أن أحلت الأسئلة إلى الحكومة البريطانية أبلغت أن أعطي جوابـا غامضـا بالنفي عن السؤالين الأولين، وجوابا قاطعا بالإيجاب عن السؤال الأخير، وأصيب الدويش تبعا لذلك بخيبة أمل مريرة، وبعث الدويش برسالة جوابية يقول فيهـا طالما أن الحكومة لبريطانية تقف إلى جانب ابن سعود، وطالمـا أنـه لا يسـتطيع الهجوم على نجد لحسم الموقف مع الملك في الوقت الذي تكون فيه نساؤه ومؤنـه وجماله تحت رحمة القبائل العراقية بموافقة الحكومة البريطانية، فلا خيار لديـه إلا أن يتوصل إلى شروط مرضية مع ابن سعود.

إن مما لا شك فيه أن أجوبة الحكومة البريطانية على الأسئلة الثلاثة كانت تعـني اية الثورة، فمنذ ذلك اليوم لم يعد فيصل الدويش يبذل أي جهد لمقاتلـة ابـن سعود، بل كان ينصح علنا كل من يرغب في القتال في الانفصال عنـه، وعقـد صلح منفصل مع الملك، لقد كان جواب الحكومة البريطانية بأن لا تأخـذ علـى عاتقها منع القبائل العراقية من مهاجمة النساء والاستيلاء على المـؤن في غيـاب الدويش يعني أن الحكومة البريطانية ستشجع على مثل تلك الأعمـال، ولـذلك وجد الدويش أنه من المستحيل أن يقوم بأي عمل ضد نجد)[604].

ولما رأى الدويش أن بريطانيا قد حاصرته بطيرا ا من جهة الكويت والعـراق، وأخذت بقصف القبائل التي تبحث عن ملجأ، سمح لمن معه من أتباعه بالانصراف كل في سبيله، وطلب كثير منهم العفو من ابن سـعود، وفي مطلـع شـهر 11/ 1929م طردت بريطانيا - كما يقول جون س - البقية الباقية مـن الأخـوان الذين لجأوا إلى الكويت إلى ابن سعود ليستسلموا إليه(في حين غادر آخرون منهم الكويت على شكل خليط من البشر بلا زعامة، ونظرا لـنقص إمـدادات المـاء

[604] الكويت وجارا ا لدكسون 328/1 .

والغذاء لدى الأخوان أنفسهم، فإ م لم يتمكنوا من رعاية إبلهم ودوا ـم الـتي نفقت بالمئات بسبب العطش، وعندما اقترب جيش ابن سعود، كان البريطـانيون قد أرسلوا طائرا م، وعربا م المدرعة لاستطلاع الإخوان، ووضعهم تحت المراقبة المستمرة، لعرقلة هرو م نحو العـراق أو الأردن، اللـذين كانـا تحـت الإدارة البريطانية)[605].

---

[605]الأخوان السعوديون لجون س 239 .

(عبيد بلا أغلال)

(25)

(إلقاء بريطانيا القبض على زعماء الأخوان وتسليمهم للرياض)

لقد نجحت بريطانيا في محاصرة الثوار في نجد، وقطع طرق الإمداد عنهم وعن قبائلهم سواء من طريق الكويت أو العراق أو الأردن، وبدأت الحلقة تضيق على قادة المعارضة، حيث أدركوا بعد فوات الأوان أن كل ما يتعرضون له ومنذ انتهاء الحرب العالمية الأولى، هو بترتيب بريطاني لفرض مشروعها الاستعماري في المنطقة!

الحرب الدعائية والإعلامية ضد الأخوان:

وقد بدأت الحرب الدعائية والإعلامية ضد الثوار لتشويه سمعتهم، وكما يقول دكسون:(وفي 19 تشرين لثاني وصل الشيخ حافظ وهبة ممثل ابن سعود في لندن إلى الكويت، وبدأت حملة دعاية مضادة واسعة النطاق ضد الثوار).[606]

قصف الطيران البريطاني للثوار :

وقد بدأت بريطانيا تقصف بطيرا ا مخيمات الأخوان بما فيها من نساء وأطفال بكل وحشية، وكما يقول دكسون (وفي 23 تشرين الثاني وبعد أن بدأت مستنقعات الماء تجف في الصحراء أخذت جمال الثوار تصل إلى الجهراء في الأراضي الكويتية للحصول على الماء، ولكن خطوات حاسمة - من طرف بريطانيا - اتخذت لمنع ذلك في المستقبل - أي قصفهم بالطيران حتى لا يصلوا للجهراء واستقاء الماء - وكانت قوات الثوار تنتقل على طول شعيب الباطن، وتقيم على جانبي الباطن إلى الرفعي حيث تلتقي الحدود الكويتية العراقية في أقصى الجنوب، وبدأ الدويش مفاوضات رسمية مع ابن سعود، وفي الثامن والعشرين من كانون

[606] الكويت وجارا ا لدكسون 330/1 .

الأول وعند الغروب تقدم محسن الفرم شيخ قبيلة حرب والتي تشكل القوة الغربية والجناح الأيسر لقوات ابن سعود من شعيب فليج بقوة كبيرة من حرب وشمر والظفير وهاجم الثوار عند الفجر، وأخذوا فيصل الدويش على حين غرة، فيما كان ينتظر شروط الصلح مع ابن سعود، ولم تحدث خسائر كبيرة، فقد تجمع الثوار بسرعة وصدوا المهاجمين، لقد شن الفرم هجومه - كما يقول دكسون - دون أوامر من الملك ورد على أعقابه، ومع ذلك صور مؤرخو مكة الحادث بأنه معركة عظيمة ونصر حاسم للحملة وذلك ليس صحيحا على الإطلاق! وتجمعت القوات الأرضية لسلاح الجو الملكي البريطاني والسيارات المسلحة من العراق بالقرب من الرقعي لتمنع عبور الثوار إلى الكويت أو العراق، وفي 30 كانون أول انضمت مطير إلى العجمان في أم عمارة حيث قابلهم قائد القوة الجوية الملكية البريطانية في العراق تشارلز ستوارت الذي خيرهم بين الاستسلام أو العودة عبر الحدود، وبعد محادثات طويلة رفض الثوار شروط تشارلز للاستسلام، وعادوا جنوبا عبر الحدود دون أن يعرفوا مدى قرب جيش ابن سعود، وقمت - أي دكسون - بزيارة معسكر العجمان في وادي الباطن في الأراضي الكويتية وألححت على نايف بن حثلين أن يرمي بنفسه تحت رحمة ابن سعود، وقلت له:إذا كانت لديك القوة الكافية للقتال فقاتل، وإلا دع القتال من أجل نسائك وأطفالك، ولم يصغ إلى كلامي! وووصلت قوات ابن سعود إلى الرقعي في الخامس من كانون الثاني فعاد الثوار وغيروا اتجاههم ثانية نحو الشمال الشرقي، وشقوا طريقهم بصورة اضطرارية إلى واحة الجهراء تاركين آلاف الأغنام والجمال تموت في الطريق، وتخفيت أنا وعدد من رجال الشيخ أحمد الجابر بثياب البدو وسرنا معهم في الليل، وكنت أبلغ سلاح الجو الملكي البريطاني باتجاه سيرهم، وفي اليوم التالي فاجأ م قوة مشتركة من الطائرات والسيارات المسلحة قرب الأطراف على بعد عشرة أميال إلى الغرب من الجهراء، فوجد م في حالة من الفوضى يهربون في كل اتجاه، وخشي الثوار وهم في هذه الحال من هجوم جيش ابن سعود عليهم، وفي السابع من كانون الثاني انتقلوا إلى الجهراء حيث قامت الطائرات بإلقاء قنابلها حول القرية في فترات منتظمة لتجميعهم![607] وهناك توجهت لزيارة فيصل

[607]يحاول دكسون هنا أن يخفي جرائم الطيران البريطاني ولا يعترف ا صراحة فيقول (اجراءات اتخذت) دون أن يصرح بأنه قصفهم بالقنابل وقتل النساء والأطفال في خيامهم، ويزعم بأن قصفهم في الجهراء كان دف تجميعهم في مكان واحد لا دف

الدويش، معرضا سيارتي لنيران الطائرات البريطانية، وتوسلت إلى الدويش مـدة ساعتين كاملتين أن يستسلم لسلاح الجو الملكي وأن لا يحاول شق طريقه كما يريد أن يفعل لئلا يدخل في معركة حاسمة مع قوات ابن سعود التي تنتظره عند حدود الكويت الجنوبية، وتركته دون أن أستطيع إقناعه، وبعد عدة مراسلات سرية مع نايف بن حثلين أقنعته أن يستسلم في التاسع من كانون الثاني، إلى فرقة السيارات المسلحة التابعة لسلاح الجو الملكي، الأمر الذي دفع فيصل الدويش إلى تغيير رأيه في شق طريقه عبر قوات ابن سعود للاستيلاء على نجد، واستسلم الدويش ومعـه صاهود بن لامي - شيخ قبيلة الجبلان من مطير - في العاشر من كانون الثاني 10 يناير، وركب معي فيصل الدويش بصورة احتفالية مؤثرة إلى معسـكر القيـادة الجوية البريطانية حيث سلم سيفه، وأرسل الزعماء الثلاثة إلى البصـرة بطريـق الجو، وهناك نقلوا إلى سفينة حربية بريطانية في شط العرب، وأبلغ فلول الثـوار من مطير ومعظمهم من الدوشان والدياحين، والقسم الأكـبر مـن العجمـان أن ينتقلوا شمالا إلى منطقة الروضتين في دولة الكويت على بعد خمسة عشـر مـيلا جنوب صفوان حيث بقوا بحراسة السيارات المسلحة البريطانية التابعـة لسـلاح الجو الملكي إلى أن يصبح بالإمكان تسليمهم إلى ابن سعود! وبدأت بالعمل لتأمين الطعام والملابس لنساء وأطفال الثوار الذين تركوا في حالة بائسة مـن الجـوع والحرمان بين بساتين النخيل في الجهراء، وكان بين أولئك نساء فيصل الـدويش زوجته عمشا وشقيقاته الثلاث وابنتان صغيرتان وسبع وعشـرون مـن قريباتـه وكلهن من الدوشان ومن ذوات المولد الرفيع، وقبل أن ينقل من البصرة تـرك الدويش نساءه في عهدتي وكانت كلماته الأخيرة لي: أسلم حريمي لك يا دكسون من ذمتي إلى ذمتك! ونقل أولئك النسوة إلى القصر الأحمر في الجهـراء، حيـث اعتنت ن زوجتي)[608].

اية الثورة وتسليم بريطانيا قاد ا إلى ابن سعود:

لقد نجحت بريطانيا في القضاء على الثورة وتم حسم المعركة بسلاح الجو البريطاني وكما يقول المستشرق النمساوي محمد أسد الذي كان بمعية ابن سعود(وهكـذا

القضاء عليهم!

[608]الكويت وجارا ا لدكسون 1/330- 334 .

أرسلت الطائرات والمصفحات البريطانية لمنع الدويش من التراجع مرة أخرى إلى الكويت وأدرك الثائر أنه خسر قضيته وبعد معركة حارب فيها الثوار إلى آخـر نفس دحروا ائيا).[609]

وكما يقول جون س وفي ظل(غياب الزعامة الاسمية انتهت ثورة الأخوان، وبدأ البريطانيون يواجهون مشكلة إعادة جماعات الأخـوان، وطـي قيـد الزعمـاء الرسميين، وقد كان البريطانيون قد عاهدوا ابن سعود من قبل على أ م سيسلمون له قادة الأخوان بشرط أن يبقي على حيا م ويعاملهم معاملة إنسانية، وبعـد أن أصبح الأخوان في قبضة البريطانيين فعـلا حـاولوا أن يحنثـوا في عهـدهم، وفي 1930/1/17م صدرت التعليمات من وزارة الخارجية البريطانية للعقيد بسـكو المندوب المقيم في الخليج أن يصحب كل من دكسونوبيرنت لمقابلة ابـن سـعود، ومناقشته في مصير الثوار، الذين أصبحوا في أيدي البريطـانيين، وقـد ناقشـوا إمكانية نفي زعماء الأخوان إلى قبرص، أو إلى أي مستعمرة بريطانية أخرى، وتم نقل كل من الدويش وابن حثلين وابن لامي بالطائرة إلى البصرة، ومنها تم نقلهم إلى البارجة لوبن التابعة للبحرية البريطانية والتي كانت في شط العرب، وأما بقية الأخوان من مطير والعجمان فقد صدرت إليهم التعليمات بـالتجمع في منطقـة صفوان على مسافة خمسة عشر ميلا من حدود الكويت، حيث قامت بحراسـتهم العربات المدرعة للقوات الملكية البريطانية، إلى أن يتم تسليمهم إلى ابن سـعود، وبعد وصول الزعماء الثلاثة إلى البارجة، طار العقيد بسكو من الكويت إلى ابن سعود لمناقشة موضوع تسليم الزعماء وعدم الحاجة إلى نفيهم وبرر بسكو هـذا الموقف بما يلي:

1- أن بريطانيا زودت ابن سعود بالأسلحة والـذخيرة والطـائرات بـل وبالأفراد مساعدة منها له على إخضاع الأخوان.
2- أن بريطانيا قد اتخذت إجراءات صارمة لضـمان عـدم تقـديم أيـة تسهيلات للقبائل الثائرة على ابن سعود.
3- أن موقف بريطانيا هو موقف الاستعداد للمساعدة في مقاومة الثوار.

[609]الطريق إلى مكة (إلى الإسلام) ص 238 .

وفي 1930/1/28م تم نقل الزعماء الثلاثة من البارجة إلى أحد المهابط الجوية بالقرب من خباري وضحا في إحدى الطائرات البريطانية، وبصحبتهم دكسون، وقد أودع الزعماء الثلاثة ابن بجاد، وفيصل الدويش، وابن حثلين، في سجن الرياض ... وبالإضافة إلى مساعدة البريطانيين ابن سعود بتسليمه الزعماء الثلاثة الرئيسيين، فقد ساعدوه أيضا في مطاردة معظم المتمردين الثمانية عشر الآخرين الذين كانوا على قائمة المطلوبين ...)[610].

وقد روى دكسون الذي كان في تلك البعثة البريطانية تفاصيل تسليم قادة الثورة بقوله (وتقرر إيفاد بعثة إلى ابن سعود الذي كان مخيما في خباري وضحا على بعد 93 ميلا إلى الجنوب الغربي من الكويت وتتألف من بيسكو المقيم السياسي في الخليج منذ سنة 1929م ونائب مرشال الجو بيرنيت وأنا لبحث وسائل وطرق تسليم الزعماء الثائرين وأتباعهم، وبعد أن وقع ابن سعود والسير بيسكو على شروط الاستسلام عادت البعثة إلى الكويت في 27 كانون الثاني، وفي اليوم الثاني أنزل الزعماء الثائرين الثلاثة من السفينة البريطانية لوبين ونقلوا إلى مخيم ابن سعود بطريق الجو تحت إشرافي، وتعرضت قوات الثوار أثناء إبعادها في شمال الكويت لغزوات ليلية قاسية سلبتهم جمالهم وأغنامهم على مرأى من سلاح الجو الملكي، وقد اقتاد م السيارات المسلحة التابعة لسلاح الجو البريطاني عبر طريق معين باتجاه المناقيش على الحدود حيث تم تسليمهم إلى مبعوثي ابن سعود، وتم نقل الزعماء الثلاثة إلى الرياض ومصادرة مواشي الثوار وتقديرا لحياده ورفضه مساعدة الثوار تلقى الشيخ أحمد الجابر سنة 1930 وساما رفيعا مع تقدير الحكومة البريطانية، وتوفي فيصل الدويش في الرياض في الثالث من تشرين الأول سنة 1931، وقد ظل يشكو لمدة شهر من ألم بسبب تورم في حنجرته، وفيما كان يمشي مع ابن حثلين في باحة السجن سقط على الأرض والدم ينزف من فمه بسبب انفجار الورم، وظل فاقد الوعي حتى المساء، وعندما استعاد وعيه لمدة قصيرة طلب أن يرى الملك ولكن ابن سعود رفض أن يأتي إليه، وأرسل إليه الدويش تحية الوداع غافرا له الأخطاء التي ارتكبها ابن سعود في حقه قائلا

[610] الأخوان السعوديون لجون س 239- 244 بتصرف واختصار.

إن الحكم الأخير لن يصدر قبل أن يقفا كلاهما أمام الله، ثم فارق الحياة وغسـل ودفن في تلك الليلة، وقد نقلت أخبار الوفاة بالتفصيل بحيث لم يبق شك بأنه قد توفي، لقد أحس جميع البدو - كما يقول دكسون - بأسى عميق لوفـاة ذلـك الزعيم الصحراوي الكبير الذي كان ملكا بين شيوخ العـرب، فهـو وشـيوخ الدوشان في مطير من قبله يمكن مقارنتهم بصانعي الملوك في انجلتـرا في القـرون الوسطى، وخلال تاريخهم تجرؤا وحاولوا أن يصنعوا وأن يكسروا وأحيانا بنجاح الحكام السعوديين في نجد، إن مساعدة مطير وحدها بقيادة جد فيصل الذي كان يحمل نفس الاسم هي التي مكنت القائد لمصري إبراهيم باشا من مهاجمة واحتلال المملكة الوهابية في أوائل القرن الماضي، إن الجزيرة العربية لم تنجب فارسـا أو مقاتلا أعظم من فيصل الدويش الذي لم يكن لابن سعود من أتباعه واحدا أكثـر إخلاصا منه، إلى أن دفعت السياسة فيصل إلى الثـورة، وظـل زعمـاء الثـورة الآخرون في السجن في الرياض حتى سنة 1934 حين ا موا بمحاولة الفرار عندما كان ابن سعود يقاتل يحيى إمام اليمن، ونقلـوا إلى الهفـوف حيـث سـجنوا في الدياجير التركية المظلمة تحت الأرض، وانقطعت أخبارهم منذ ذلك الوقت)[611].

لقد كانت آثار تلك الحرب التي رتبت بريطانيا لها للقضاء على الثوار أعمـق في الوجدان الاجتماعي والثقافي، وكما يقول جون س:(لم تنته مشاكل ابـن سـعود بانتهاء قمع الأخوان، فقد أحس كثير من الأخوان الذين لم يشاركوا في الثـورة بأن ابن سعود قد خا م، وخان دينهم، وتأكد لهم أن ابـن سـعود اسـتخدمهم كأداة لتحقيق أهدافه الشخصية وتحقيق طموحه)[612].

وكما يقولدكسون (لقد أخمدت الثورة ويعود الفضل في انتشال ابن سعود مـن الوضع السيء الذي كان فيه إلى الحكومة البريطانية، فلولا جهودهـا في إبقـاء الكويت والعراق على الحياد، ووضعها قوة كبيرة على حدود الكويت الجنوبيـة أجبرت الثوار على الاستسلام لما تمكن ابن سعود من سحق الثورة، ولكان تعرض هو والبيت السعودي إلى أخطر النتائج، وبا يار الثورة ووفاة فيصـل الـدويش

[611] الكويت وجارا ا لدكسون 1/337- 342 .

[612] الأخوان السعوديون لجون س 246 .

يمكن القول إن مذهب الإخوان الحماسي قد ولى إلى غير رجعة، وفهم عامة الإخوان الآن أن ابن سعود أطلق صرخة الدين سنة 1914 لأغراضه الخاصة، ولذلك شعروا بالندم والألم لأ م استخدموا كمطية، فلم تعد لديهم رغبة في الولاء والاندفاع، ولم يعد الملك بالنسبة لهم بطلا ولا أبا لشعبه، كان المرء - كما يقول دكسون - يجد شعورا أشبه بخيبة أمل مريرة حتى بين القبائل الموالية له كشمر والسهول وسبيع والعوازم فضلا عن القبائل الثائرة عليه، ويرجع السبب إلى واحد أو أكثر من الأسباب التالية:

1- كان الشعور السائد أن ابن سعود لم يقف مع الأخوان كما كان مفروضا، فهم الذين رفعوه إلى المكانة التي احتلها وكانوا مسلمين صالحين.
2- أنه طلب مساعدة البريطانيين وبمساعد م تمكن من سحق رعاياه المسلمين.
3- أنه عامل فيصل الدويش ونايف بن حثلين وسلطان بن حميد وهم ثلاثة من أعظم زعماء الجزيرة العربية بقساوة لا داعي لها في الوقت الذي كانت طرق الشهامة كافية لمواجهة القضية.

ومع مرور الزمن لم يعد البدو يطلقون على ابن سعود لقب الإمام، ولست أعتقد أن مذهب الأخوان سينتعش ويعود للحياة مرة أخرى، مع أنه ليس من الحكمة التنبؤ في بلاد أعاد التاريخ فيها نفسه مرات ومرات)[613].

لقد قامت بريطانيا بالقضاء على القوة الوحيدة التي نجحت في توحيد نجد والحجاز بعد ثورة الشريف حسين وسقوط الخلافة العثمانية وتقسيم أقاليمها، تلك القوة التي قامت في نجد قبل مجيء ابن سعود من الكويت، كما اعترف بذلك جون س بقوله(إن توحيد ابن سعود لشبه الجزيرة العربية كان أمرا مستحيلا في غياب الأخوان، وأعمال الأخوان العسكرية الفذة غير العادية، هي أبرز ما في الأمر، إن عددا صغيرا منهم فقط هم الذين شاركوا في المعارك والغزوات مشاركة فعلية، كان هناك حزب من قبيلة عتيبة بزعامة ابن بجاد يتمركز في

[613]الكويت وجارا ا لدكسون 1/342- 344 .

الغطغط، وعناصر من قبيلة مطير بقيادة الدويش في الأرطاوية، يعاو ـا مشـايخ مستقلين، هذه العناصر هي التي تحملت الدور الرئيسي في مسـئوليات الأخـوان العسكرية، أما بقية الأخوان فقد كانوا يعيشون في هجـر صـغيرة، وأسـهموا بنصيب قليل في نشاط الأخوان)، كما لم تكلف قوات الأخوان ابن سعود شـيئا بعد مبايعتها له إماما، فقد كان الأخوان البدو االاهدون (يتسـلحون في معظـم الأحيان ببنادق عتيقة، أو برماح بدائية محلية الصنع، ويقتاتون على حفنـة مـن التمر، وصاع من الدقيق، وقاموا بحملات عسكرية لم تكلف الخزانة العامة شيئا)، بل إن ما كانوا يغنمونه في فتوحا م لا يأخذون منه شيئا، بل كانوا يأتون به إلى الخزينة العامة بكل أمانة وإخلاص، فلم تكن الغنائم (هـدفا رئيسـيا لمحاولتـهم الخاصة التي كانوا يرمون من ورائها إلى استعادة الإسلام الصحيح، ونشره بـين أولئك الناس الذين كانوا يعدو م مسلمين مارقين وغـير حقيقـيين، إن حيـاة الأخوان شخصيا بعد الغزوات التي قاموا ـا، لم تتغير عن تلك التي كانوا يحيو ا قبل القيام بالغزوات، ولم يستغلوا موارد الأرض التي فتحوها لصالحهم، ولم يخرب الأخوان أي منطقة تخريبا اقتصاديا، ولم يتلفوا المحاصيل كيدا وحقدا، ولم يحرقـوا أو يدمروا أي مدينة من المدن..)[614].

لقد تم القضاء على تلك القوة لسببين رئيسيين :

الأول: رفضهم للوجود البريطاني في الجزيرة العربية ومحيطها، سواء في الرياض، أو الكويت، أو الخليج، أو العراق، أو الشام.

الثاني: رفض الاستعمار البريطاني لوجود أي قوة وطنية في أي بلد تحـت حمايتـه تشكل خطرا على وجوده في المستقبل.

وكما يقول جون س(فقد بات الأخوان يشكلون ـديدا للمصالح البريطانية علـى ساحل الخليج العربي والعراق وشرقي الأردن...وروج فيصل الدويش ضد ابـن سعود بأنه قد باع نفسه لبريطانيا بلد الكفر، خصوصا بعد أن استقبل كلايتون في المدينة المنورة عام 1927م، وعـدوا الأخـير قـد نجـس الأراضـي المقدسـة للمسلمين...كما اعترض الأخوان على إرسال ابن سعود نجله فيصل إلى بريطانيا

[614] الأخوان السعوديون لجون س 252- 254.

عام 1926 وجولاته هناك، وعلى علاقة ابن سعود مع مصر التي كانت تخضع للإنجليز آنذاك)[615].

(لقد وقفت بريطانيا إلى جانب ابن سعود في تصديه للأخوان لاعتقادها بأنه لو فقد السيطرة عليهم فإن جميع القبائل في الصحراء سوف تعلن تمردها كذلك، مما يؤدي تهديد كيان حكومتي العراق والأردن وقد يصل إلى الكويت، لذا أمدت ابن سعود بالأسلحة والتأييد السياسي، وألقت القبض على زعيم الأخوان فيصل الدويش، وسلمته لابن سعود، وساهمت في القضاء على هذه الحركة)[616].

كما كان من أسباب ثورة الأخوان اتفاقية جدة بين ابن سعود وبريطانيا سنة 1927م الذي اعترف ابن سعود فيها لبريطانيا بمركزها ونفوذها في الخليج العربي[617].

وقد واكب مخطط القضاء على الأخوان- كقوة توحيد وتحرير في بداية أمرها، وكقوة معارضة سياسية ضد ابن سعود في نهايتها - حرب إعلامية شرسة صورتهم في أبشع صورة، سواء من قبل حلفاء بريطانيا وأعداء ابن سعود في البداية كالشريف حسين، وابن صباح، أو من ابن سعود في النهاية، وكما يقول دكسون (وبالرغم مما كتب عن قسوة الأخوان وفظاظتهم ولكن رأيي هو أن ذلك مبالغ فيه بقصد لكي يتلاءم مع الغايات السياسية في ذلك الوقت)[618].

لقد أثبتت الوثائق والتقارير أن الأخوان لم يرتكبوا أي جرائم حرب في كل معاركهم التي خاضوها وكانت تحت قيادتهم، وقد دخلوا الحجاز دون أن يقع منهم أي تجاوزات تذكر، وذلك بخلاف المعارك التي كانت بقيادة الملك عبد

---

[615] عبد العزيز وبريطانيا 302 .

[616] عبد العزيز وبريطانيا 304 .

[617] عبد العزيز وبريطانيا 321، وجزيرة العرب لجان بيربي 58 .

[618] الكويت وجاراتها لدكسون 142/1 .

العزيز أو أحد أفراد أسرته كما جرى في حربه مع العجمان أو معركة السبلة أو ما جرى في حروب السيطرة على عسير ونجران بعد القضاء على الأخوان!

تخلي علماء الأخوان عنهم ووقوفهم مع ابن سعود :

لقد نجحت بريطانيا وابن سعود بضرب حركة الأخوان بالدعاية الإعلامية حينتم تصوير معارضتهم السياسية له على أ ا حولإدخال البرقية والسـيارة، لإظهـار مدى تخلفهم، مع أن هذه القضايا لم تكن هي السبب الرئيسي في الموضوع، وقد تم تجاوزها بعد فتوى العلماء في إباحتها، ولم تؤد إلى القتال بين الطرفين، غير أن السبب الرئيسي في الخلاف السياسي بين الأخوان وابـن سـعود هـو علاقتـه بالإنجليز، التي بدأ الأخوان يشعرون ا، وبمدى تأثيرها على مواقف ابن سـعود وسياسته، دون أن يعلموا بأنه قد عقد معهم معاهدة حمايةكتلك التي عقده معهم مبارك الصباح، وشيوخ ساحل الخليج العربي، حيـث أصـبح تحـت الاحـتلال البريطاني باسم معاهدات الحماية!

وهي القضية التي لم يجب عنها علماء نجد في كل مؤتمرا م، والتي كان الأخـوان يخشون عواقبها المستقبلية[619]، حتى انبرى علماء الرياض ضدهم مؤكدين أ ـم لم يروا ما يريبهم، ولا حرج في توقيع معاهدات الحماية مع الإنجليز، - بعد أن كان علماء نجد يفتون بكفر أهل الخليج لدخولهم تحت حماية الإنجليز حيث أفتى عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ فتوى في أهل الخليج جاء فيها(وانتقل الحال م حتى دخلوا في طاعتهم، واطمئنوا إليهم، وطلبوا صلاح دنياهم بذهاب دينهم، وهـو بلا شك أعظم أنواع الردة .. وقد قال تعالى{ترى كثيرا منهم يتولـون الـذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسـهم أن سـخط الله علـيهم وفي العـذاب هـم خالدون}، وقال سبحانه{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم}...فكل من دخل في طاعتـهم،

[619] وانظر رسالة عبد العزيز بن فيصل الدويش لعبد العزيز بن سعود بخصوص إرسال أبنائه لبريطانيـا، في كتاب (لسراة الليل ..الملك عبد العزيز دراسة وثائقية) لعبد العزيز التويجري ط1 ص 361

وأظهر موالا م، فقد حارب الله ورسوله، وارتد عن دين الإسلام ووجب جهاده ومعاداته).[620]

وكذا كان يفتي عبد الله بن عبد اللطيف وإبراهيم بن عبد اللطيف وسليمان بـن سحمان بأن الدخول تحت الحمايـة البريطانيـة ردة عـن الإسـلام[621]- فكـان الأخوانبفطر م أصدق إيمانا، وأبعد نظرا، وأقدر على إدراك الخطر المحدق ـم، وبدولتهم التي أقاموها بسيوفهم ودمائهم، من بعض علماء نجد الذين تحالفوا مع السلطة ليجنوا - من تضحيات الأخوان وجهادهم - ثروة وجاها ونفوذا لم يكن لهم يد في صناعته، مقابل توظيف الدين والفتوى في خدمـة السـلطة وأهوائهـا وخدمة الاحتلال من ورائها!

لقد كشفت الرسائل التي بين علماء نجد وابن سعود بخصوص الخلاف بينه وبـين الأخوان أن الأزمة أعمق من خلاف فقهي أو سياسي، بل هـي أزمـة أخلاقيـة واجتماعية كانت تفتك بالمتمع، حيث كانت تتحكم وتؤثر فيه الفئوية والعصبية الجاهلية، أكثر من تأثير الدين وقيمه، فقد تنصل بعض علماء نجد الذين كـانوا يحرضون الأخوان على مواجهة ابن سعود والتصدي له وتخلـوا عنـهم، وكـان الأخوان يعظمو م ويرجعون إلى أقوالهم، ولم يكتف العلماء بالتخلي عن الأخوان فقط، بل حرضوا على قمعهم، وتبرءوا منهم، وكان أشد ذلك خطرا هو نظـرة الاحتقار والازدراء القائمة على أساس فئوي وعنصري، تلك النظرة التي كـان ينظر ا هؤلاء العلماء لأتباعهم من الأخوان كما كشفته الوثائق والرسائل!

فقد جاء في رسالة الشيخ عبد الله العنقري مفتي الأخوان إلى ابن سعود، وكـان العنقري من كبار علماء الأخوان الذي يرجع الأخوان إلى قوله خاصة زعمـائهم كفيصل الدويش وابن حميد، وكان قاضيا في الأرطاوية، وكان عبد العزيـز قـد اطلع على دوره في ييج الأخوان ضده، فأرسل العنقري رسـالة سـنة 1925م يتنصل فيها من ذلك ويقول (من قبل كتابنا لابن حميـد فأنـت تعلـم أدام الله وجودك أني صاد في جلاجل ولا أدري عن كثير من الأخبار...أما الدين فالفضـل

---

[620]الدرر السنية 11/8 .

[621]الدرر السنية 435/10 .

لله ثم لكم علينا وعلى أهل نجد، وأما الدنيا فأنا بالخصوص معروفكم علي كبير، ولا أنا بشيء إلا بالله ثم بكم، وأما البدو فلا عندي أبغض منهم ومخالطتهم... ومن طرف مجيء الدويش إلي فوالله إن أروع الروعات يوم جاءني ولكن أنا رجل أستحي.. ونحن لسنا في شك من طرفكم حتى نطاوع خفخاف بدو لا معهم علم ولا دين ولا أدب، ويوم جاءنا ابن الدويش وبخناه وأبوه كذلك.. وعلى كل فالمرجو المسامحة من جنابكم إن كان هناك شيء غارنا، لأن الإنسان محل الزلل)![622]

لقد دفع الأخوان ثمن صدقهم وإخلاصهم دماءهم وأموالهم ظنا منهم أنهم يقيمون مجتمع الإيمان والأخوة والإسلام الذي كانوا يتطلعون إلى إقامته في جزيرة العرب، فكانت المفاجأة أن تحالف علماؤهم والسلطة وبريطانيا على القضاء عليهم باسم الإسلام والتوحيد والسنة!

الإعلان عن قيام المملكة العربية السعودية:

وبعد القضاء على الأخوان وعلى مشروعهم السياسي، تم الإعلان مباشرة عن قيام مشروع (المملكة العربية السعودية)، فلم يعد ابن سعود إماما كما كان قبل القضاء على الأخوان سنة 1930م، بل صار ملكا، بعد أن طلب من بريطانيا تسميته بذلك، ووافقت بريطانيا عليه، كما في الوثائق البريطانية[623]، أسوة بالملكية الصورية التي سمحت بها بريطانيا قبل ذلك للشريف فيصل في العراق، وللشريف عبد الله في الأردن، مع كونهم تحت الاحتلال البريطاني، وتم الاستعاضة عن مشروع الشريف حسين الوحدوي(المملكة العربية المتحدة)، بمشروع التجزئة (المملكة العربية السعودية) ليقوم المجتمع السعودي بعد ذلك على أساس طبقي وفئوي يقوم على التمييز العنصري في كل شئون الدولة والمجتمع، بما في ذلك شئون الدين نفسه، التي سيقتصر الأمر في الإشراف عليها وإدارتها على فئة اجتماعية محددة، حيث أصبحت مهمة فهم الدين وتفسيره شأنا خاصا بأسر دينية

---

[622] انظر الرسالة في كتاب (لسراة الليل ..الملك عبد العزيز دراسة وثائقية) لعبد العزيز التويجري ط1 ص 325 .

[623] ستجد تفاصيل ذلك في الكتاب الوثائقي الموسوعي للمؤلف (الدويلات الصليبية في الخليج والجزيرة العربية).

نجدية محددة بصورة كهنوتية، يتحالف فيها السياسي بالديني بشكل غير مسبوق في تاريخ الإسلام!

لقد انتهى بالقضاء على حركة الأخوان في نجد كل خطر يمكن أن يهدد الوجود الاستعماري البريطاني في الخليج والجزيرة العربية، وستظل المنطقة تحت الاحتلال البريطاني حتى الحرب العالمية الثانية وضعف الإمبراطورية البريطانية، حيث سيحل الاحتلال الأمريكي شيئا فشيئا مكانا في المنطقة وسيرث مستعمرا ، وبتحالف أيضا بين الاحتلال الأجنبي والسلطة ورجال الدين، وستدفع شعوب الخليج العربي والجزيرة العربية حريتها واستقلالها ثمنا لهذا التحالف المشؤوم وإلى اليوم!

(عبيد بلا أغلال)

(26)

(إقامة بريطاني لدويلات الخليج العربي وقمع الثورات الشعبية فيها)

بقلم د0 حاكم المطيري

Ommah2000@yahoo.com

ظهور البحرين وقطر:

كانت مدن ساحل الخليج العربي كالقطيف، وقطر، وجزيرة البحرين، تتبع هجـر والإحساء منذ دخولها في الإسلام، ثم مدة عهد الخلافة الراشدة، فالخلافة الأموية، فالخلافة العباسية في بغداد، ثم الخلافة العباسية في مصر المملوكية.

وفي عام 922هـ استولى البرتغاليون على البحرين، والقطيف، وقطر.

وفي عام 943هـ جهز السلطان سليمان بن سـليم القـانوني أسـطولا بقيـادة سليمان باشا وزير مصر، لمحاربة البرتغاليين، فسـار في سـبعين سـفينة مسـلحة بالمدافع الضخمة، ومعه عشرون ألف جندي، فطـرد البرتغـاليين مـن عـدن، ومسقط، والبحرين، وقطر، والقطيف.

وفي سنة 963هـ جهز السلطان سليمان القانوني جيشا لفتح الإحسـاء بقيـادة محمد باشا فروخ ففتحها، فتم للدولة العثمانية السيادة على جميع جزيرة العرب، التي كانت تتبع للخلافة العباسية في عهدها المملوكي بمصر.

وفي سنة 1080هـ ـ استولى بنو خالد على الإحساء، والقطيف، وما جاورهـا، برئاسة آل مسلم، وقامت إمارة ابن عريعر التي امتدت من عمان إلى البصرة مدة قرن تقريبا.

وفي سنة 1208هـ استولى عبد العزيز بن محمد بن سعود على قطر، بعد سيطرته على الإحساء.

وبعد سقوط الدرعية، صارت قطر تحت نفوذ آل خليفة شيوخ البحرين.

وفي سنة 1267هـ استولى فيصل بن تركي على قطر، وجعل فيها حامية، وفـر ابن الخليفة إلى البحرين، ولما استعادت الدولة العثمانية سلطتها على الإحسـاء ثانية سنة 1288هـ استولت على قطر، وجعلت فيها حامية، وصارت قائمقامية عثمانية، تابعة لمتصرفية الإحساء، يتم إرسال حاكم شرعي لها كل سنتين ونصف، واستمر الوجود العثماني في قطر إلى سنة 1310هـ، وقد جعلت الدولة العثمانية قاسم بن محمد آل ثاني قائمقاما، وكان يدين بالطاعة للخلافة في اسطنبول[624].

وكما يقول لوريمر (فيما بين سنة 1872 - 1876 على طول الساحل الغـربي للخليج العربي ظلت الأمور هادئة، وظل الأتراك مسيطرين على الإحساء، بينما لم يكن لبريطانيا سوى اتصالات قليلة، كما لم تنشأ أي علاقات بأي سلطة محلية في المنطقة إلا بشيخ البحرين، فقد بلغ وقوع البحرين تحت النفوذ البريطـاني حـدا جعل شيخها يتعود تنفيذ نصائح الحكومة البريطانية في الشئون الخارجيـة، كمـا كان يعتمد عليها في توفير الحماية له ضد أي هجوم من الخارج، وفي سنة 1874 ددت البحرين بغزو البدو من ناحية قطر، لكن البحرية البريطانية قامت بمناورة رادعة صدت الهجوم، وفي السنة التالية استجاب شيخ البحرين لنصح بريطانيـا، وفصل مصالحه عن مصالح سكان البر القطري، وكان ما يزال يزعم لنفسه حـق السيادة عليه، وفي سلطنة عمان كما في البحرين ازداد نفوذ بريطانيا، وأصبحت علاقة ممثليها بالسلطة المحلية هناك وثيقة، وقد كان وصول المدد البحري البريطاني للسلطان متأخرا فلم يحل دون إذعانه لمطالب قوة متمردة مـن البـدو هـددت

---

[624] تحفة المستفيد للأنصاري 25 .

مسقط سنة 1874، ولكن بعدها بشهر قامت السفن البريطانيـة بقمـع ثـورة حدثت في إقليم الباطنة، وأرغمت المتمردين على التراجع)[625].

التدخل البريطاني لتنصيب عيسى بن خليفة على البحرين :

وقد كانت بريطانيا قد فعلت في البحرين ما فعلته بعد ذلك في الكويـت حـين رفض محمد الصباح توقيع معاهدة حماية معها لكونه قائمقاما عثمانيـا، فقامـت بتحريض أخيه مبارك عليه وترتيب الانقلاب الذي أودى بقتل مبارك لأخويه، ثم توليه مشيخة الكويت وتوقيعه مباشرة معاهدة حماية مع بريطانيا، وكذا ما فعلته مع شيخ المحمرة في الأحواز العربي الشيخ خزعل الذي اغتال أخيه مزعل، ووقع معاهدة حماية مع بريطانيا، وكما يقول دكسون (إن الشيخ عيسى بن خليفة مدين للبريطانيين بتوليه الحكم، لأ م نصروه ضد فرع آخر من العائلة أعلى مقاما ظلوا يحاولون الاستيلاء على الحكم، ولم يوقع البريطانيون معاهدة ملزمة مع البحـرين إلا سنة 1867م زمن الشيخ عيسى الذي ظل يحكم إلى سنة 1924م، حين عزله الوكيل البريطاني الميجر دالي الذي كان يأتمر بأمر حكومة الهند، وعين ابنه حمـد خلفا له الذي ظل في الحكم إلى سنة 1942م)[626].

وقد قام كوكس في فبراير سنة 1905م بمحاصرة البحرين بثلاث سفن حربيـة، ووجه مدافعه نحو الجزيرة، وهدد بقصفها إذا لم يستجب الشيخ عيسى بن علـي للشروط المفروضة من قبل المقيم السياسي وحكومة الهند، والتي تتضـمن نفـي الشيخ علي بن أحمد، ومعاقبة بعض رجال الـدين المؤيـدين للشـيخ في طلـب استقلاله عن النفوذ البريطاني، لمنع أية معارضة قد تكون بداية لجهاد إسلامي ضد الإنجليز[627].

---

[625] دليل الخليج العربي للوريمر القسم التاريخي 429/1 . تأمل الدور البريطاني الاستعماري في التدخل المباشر لحماية حلفائها ضد إرادة شعوب المنطقة، ومازال التدخل منذ ذلك اليوم وإلى اليوم قائما على حساب مصالح الشعوب وحريا ا!!

[626] الكويت وجارا ا لدكسون 78/1 .

[627] قصة السيطرة البريطانية لمي الخليفة 381 -387 .

وهو الجهاد الذي كان الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد الثاني يهدد أوربـا بإعلانه في حال شنت الحرب على الدولة العثمانية.

فرض القوانين الوضعية في دويلات الخليج العربي :

وكما نجحت بريطانيا في خلق كيانات سياسية في الخليج العربي على غير أسـاس طبيعي، كذلك نجحت في فرض نظمها وقوانينها الوضـعية، وإقصـاء الشـريعة لإسلامية التي كانت هي أساس القضاء في كل أقاليم الدولة العثمانية قبل دخول الاستعمار الأجنبي، وقد فرضت بريطانيا علـى البحـرين سـنة 1909 مـنح صلاحيات لمعتمدها السياسي في البحرين بتطبيق قانون المحاكم الخاصة بالأجانب، ثم تطور بإدخال النظام والقانون القضائي البريطاني المدني، والـذي تم صـياغته لتطبيقه على محميات بريطانيا في سواحل الخليج العربي، والـذي تـأخر تطبيقـه بسبب الحرب العالمية الأولى إلى سنة 1919، ولم تجد محاولات شـيخ البحـرين ورفضه هذا القانون شيئا، وقد حاول أن يجعل من صلاحياته اختيار القضاة تبعا لنظام المحاكم الشرعية، دون تدخل المعتمد أو المقيم البريطـاني(وقـد رفضـت بريطانيا ذلك محتجة بأ ا هي الذي عينتهم شيوخا على البحرين، وما كان ذلك ليحقق لهم لولا بريطانيا، ولأن الشيخ استغل موارد البحرين لمصلحة آل خليفة، ولمصلحة أسرة أو أسرتين من العائلات العربية فيها)[628].

وقد صدر أمر باسم ملك بريطانيا الملك جورج بتطبيق ذلك القانون، وتضـمن بنودا مدونة في خمسين ورقة جاء في مقدمتها(بناء على الصلاحيات الملكية الناتجة عن المعاهدات والامتيازات التي تعطي صاحب الجلالة الملك حق إقامـة النظـام القضائي في البحرين، لذا وبناء عليه فإن صاحب الجلالة يعتمد في تطبيـق هـذا القانون على النظام الخاص بالقانون الأجنبي)[629].

---

[628] قصة السيطرة البريطانية لي الخليفة 341- 349 .

وما زالت الأسر الحاكمة في المنطقة مع الأسر الحاشية حولها تستأثر بالسلطة والثروة في ظل الحماية الصليبية الاستعمارية على حساب حقوق شعوب المنطقة!

[629] قصة السيطرة البريطانية لي الخليفة 339 .

وهذه الصلاحيات التي ثبتت لملك انجلترا جورج الخامس هي بناء على معاهدات الحماية التي تجعل المحميات مستعمرات تابعة للتاج البريطاني، والتي وقعتها كـل مشيخات الخليج العربي مع بريطانيا من عمان وإمارات الساحل جنوبا، مـرورا بالبحرين وقطر والرياض، وانتهاء بالكويت شمالا!

التغيير البريطاني لديمغرافيا الخليج العربي :

لقد وجدت بريطانيا أن وجودها في المنطقة وسـيطرتها عليهـا مرهـون بتغـيير تركيبتها السكانية بما يخدم مصالحها الاستعمارية، وقد وجـدت بـأن المشـكلة الرئيسة مع العالم الإسلامي الذي يؤمن بالخلافة العثمانيـة، ويـرفض الاحـتلال الأجنبي هو في شيوع مفهوم الجهاد، وبسببه واجهت بريطانيا أشرس الحـروب في الهند وأفغانستان تحت راية الجهاد من قبل المسلمين السنة، ولهذا دعمت بريطانيا الحركة القاديانية في الهند، لنبذها مفهوم الجهاد، ورفضها استخدام العنف ضـد الاحتلال الأجنبي، وقد وضعت بريطانيا سنة 1871م قانونـا جنائيـا لمواجهـة الثورة في الهند يخول للسلطات احتجاز القبائل الخارجة على القانون، أو حصارها في معسكرات خاصة وفرض الإقامة القسرية عليها، أو نفيها و جيرها.[630]

كما مارست التهجير للسكان كما فعلت في جزيرة (دييغو غارسـيا) لتتخـذها قاعدة عسكرية لها، وقد مارست كل هذه الجرائم مع القبائل العربية في الخلـيج والجزيرة العربية، كما فعلت مع قبيلة العجمان، ثم مع قبائل الأخوان، وقبيلة آل بوعلي..الخ.

وقد وجدت بريطانيا في الخليج العربي حسا إسلاميا طاغيا يقـف مـع الخلافـة العثمانية ضدها، وبعد الحرب العالمية الأولى وسقوط الخلافة، وتقسـيم المنطقـة وخضوعها للاحتلال البريطاني، تنامى الحس الإسلامي والعربي الوطني ضـد هـذا

فإذا كانت بريطانيا الصليبية هي التي أقامت وتقيم تلك الحكومات، وهي التي تختار من يحكمها، وهي التي تضع النظم القضائية والتشريعية لها باسم ملك انجلترا، فكيف لا يصدق عليها بأنها دويلات الحملة صليبية، حيث كان للحملة الصليبية الاستعمارية البريطانية الدور الرئيسي بل الوحيد في إيجادها سياسيا، وتحديد حدودها، وتنصيب شيوخها، وحمايتها وإدارة شئونها ووضع قوانينها؟!

[630] انظر (الاستعمار .. الكتاب الأسود) لعدد من المؤلفين.

الوجود، وهو ما زاد خشية بريطانيا على نفوذها في ساحل الخليج العربي، فاتبعت أسلوب التغيير السكاني بما يخدم مصالحها كما جرى في جنوب أفريقيا، وكان المسئولون البريطانيون بعد احتلال العراق في الحرب العالمية الأولى قد اقترحوا استجلاب الهنود إلى العراق لاستصلاحه زراعيا، وتأمين وجودهم عسكريا، إلا أ م نفذوا هذه السياسة في ساحل الخليج العربي الذي يعاني فقرا سكانيا، ففتحوا الهجرة أمام الهنود إلى ساحل عمان والإمارات العربية، وأمام الإيرانيين، خاصة الشيعة لعدم إيمان أكثرهم بمفهوم الجهاد حتى يخرج المهدي ويقيم الدولة، وهو ما شجع بريطانيا على فتح باب الهجرة لهم إلى الخليج، والتي زادت بشكل كبير بعد الحرب العالمية الأولى خاصة بعد سنة 1920م إلى الكويت والبحرين.

جير قبيلة الدواسر من البحرين :

وكان من نتائج فرض القوانين البريطانية على البحرين ظهور أزمة قبيلة الدواسر سنة 1923م التي تم التضييق عليها و جيرها من البحرين مع أ ا (أكبر القبائل في المنطقة ومن أكثر القبائل العربية المتنفذة جاها وثراء في البحرين، برغم اعترافهم بسلطة شيخ البحرين، إلا أ م كرهوا عدم المشاركة في إدارة الأمور الداخلية وسياسة البلاد الخارجية، ورفضوا أنظمة وقوانين حكومة الهند البريطانية التي تفرضها على البحرين في شئون القضاء والضرائب، وطالبوا بإدخال إصلاحات حديثة على أنظمة الغوص والمالية والشرطة والتعليم)[631].

وقد توجه الدواسر في هجر م إلى الدمام واستقروا فيها قريبا من بلدهم البحرين، ووجدوا دعما من ابن سعود في طلبهم للإصلاحات في البحرين والعودة إليها واسترجاع أراضيهم فيها، غير أن بريطانيا بتحريض من شيخ البحرين أرسلت سفينة حربية مقابل الدمام، ورفضت عودة القبيلة إلى موطنها في البحرين، بل وطلبت من ابن سعود أن يقوم بإجلائهم من الدمام إلى مكان أبعد، حتى لا يهددوا البحرين، وقد طلب ابن سعود منهم الخروج من الدمام إلى منطقة الجبيل، وتحت الضغط البريطاني قرر بعض الدواسر سنة 1927م العودة إلى البحرين وفق معاهدة حضرها الوكيل السياسي البريطاني في البحرين وممثلون

---

[631] عبد العزيز وبريطانيا 215 .

سياسيون بريطانيون نصت على اعترافهم بالحكم في البحرين للخليفـة، ومـنح شيخ البحرين بتعيين رؤسائهم عليهم متى كان ذلك ضروريا، والقبـول بوجـود نقطة عسكرية في مناطقهم[632].

وهي شروط مجحفة حالت دون رجوع كثير منهم إلى البحرين.

لقد (كانت بريطانيا تسعى إلى فصل الدواسر عن البحرين وإبعادهم عنها إضعافا من بريطانيا للحركة الوطنية المناهضة لها).[633]

وفي مقابل جبر القبائل والأسر العربية السنية التي رفضت الاستعمار البريطـاني للبحرين، تم فتح الباب أمام هجرة الإيرانيين الشيعة، الذين ظلوا حلفاء للسلطة، وحاشية لشيخ البحرين الخاضع للبريطانيين، وهو ما سيخل في التركيبة السكانية للبحرين وإلى اليوم!

وفي الوقت ذاته استخدمت بريطانيا هذه السياسة في الكويت حيث كانت تواجه معارضة وطنية لوجودها الاستعماري، فأوعزت إلى أحمد الجابر الصباح بفتح باب الهجرة للإيرانيين الشيعة، لإحداث تغيير ديمغرافي للسكان تضمن له ولها من خلال هذه الجالية سيطر ا على المنطقة ومواجهة المعارضة الوطنية!

وهو ما سيكون له تداعياته على الواقع السياسي في الكويت، التي كانت قبل ذلك لا تعرف هذه الإشكالية، كما يقول جان جاك بيربي المؤرخ الفرنسي (الكويتيون الأصليون كلهم عرب ومسلمون سنيون).[634]

وقد تحدث خالد العدساني سكرتير اللس التشريعي الأول سنة 1937 - 1938م، عن الدور البريطاني في خلق هذه الأزمة السياسية الديمغرافية في الكويت حيث يقول في مذكراته:

[632] عبد العزيز وبريطانيا 217 -218 .

[633] عبد العزيز وبريطانيا 218 .

[634] جزيرة العرب لجان جاك بيربي 254 .

(أما المجلسيون فقد كانت وجهة نظرهم ترمي إلى صيانة الشئون الداخلية للإمارة من التدخل الأجنبي الذي يؤول حتما في آخر الأمر إلى السيطرة التامة وحرمان الوطنيين من إدارة شئونهم الذاتية طبقا لميولهم ومنافع قومهم، فالتساهل مثلا في أمر المعارف واختيار المعلمين وإرسال البعثات إلى المدارس الخارجية بغير تدبير الكويتيين واختيار المعلمين وإرسال البعثات إلى المدارس الاستعمارية، كما حدث ذلك في مصر والبحرين وغيرهما، وانتخاب الرجال الفنيين من قبل السلطة الأجنبية فمعناه جلبهم من الانكليز والهنود الذين لا يتحركون إلا طبقا لما توحيه لهم السلطة التي جلبتهم فضلا عما تكلفه رواتبهم ومخصصاتهم الضخمة من تكاليف تنوء بها مرافق الإمارة الضئيلة.

تلك كانت وجهة نظر المجلسيين ومبلغ حرصهم على الأمانة التي اؤتمنوا، ولن نتعرض للإنكليز ولا لمصالحهم المكتسبة في حدود المكاتبات والاتفاقيات المبرمة، ولكننا لا نرى لزاما علينا الرجوع إلى رأي القنصل واستشارته في الشئون الخاصة التي تتصل بأمورنا وأحوالنا الداخلية خاصة وقد كان يكرر على الكويتيين القول حتى من جانب كبار المسئولين الانكليز "إن الكويتيين مستقلون تمام الاستقلال في أمورهم الذاتية".

وقد جاءني ذات يوم أحد الشباب المتحمسين وسألني وهو يرتجف غضب: "ما بالكم وكل هذا التردد والتخوف في مواجهة الأمير وقد بدا منه ما بدا في التمنع والتلكؤ في توقيع القوانين؟"، قلت: "إن أعضاء المجلس يا صاحبي بين أمرين، إما التفاهم مع الأمير ومداراته في الشئون التي لا تمس جوهر الإصلاح فيسلموا على بلادهم وكيانهم من تدخل الانكليز الذين لا سبيل لهم إليه ما دام الراعي والرعية على وفاق، أو التفاهم التام مع الانكليز ولو ضيعوا في ذلك استقلالكم وكيانكم، وعندها يسلمون على أنفسهم وكراسيهم إلى أبد الآبدين، وقد اختار المجلسيون التفاهم مع أميرهم فان وفقوا في ذلك وفقنا جميعا إلى ما فيه سعادة الكويت وأهلها أما إذا فشلوا فقد برءوا ضمائرهم وأدوا الأمانة التي في أعناقهم وحسبكم منهم ذلك".

ذلك هو المنهج الذي اختاره أعضاء مجلس الأمة في بداية أمرهم وقد عملوا كل جهد من جانبهم للتفاهم مع الأمير على تقدم شئون بلادهم والسير بها حثيثا في مضمار الإصلاح والرقي ولكن سموه جاملهم في بداية الأمر مسايرة للظروف ...

وبينما كانت الأمور تجري على هذا المنوال شجرت فتنة بين شاب (هو منصور موسى المزيدي) من مناصري المجلس وشاب آخر إحسائيا جعفريا اشتهر بدسائسه الكثيرة ضد المجلسيين لأنه كان

شريكا لعبدالله الملا في بعض المصالح المادية العديدة فاتخذ هذا الشاب الجعفري من المشاجرة الشخصية التي وقعت بينه وبين الشاب السني وسيلة لتحريض بني مذهبه ضد المجلسيين وجعل يتباكى على عادته المعروفة عند الجعفرية من الإيرانيين والاحسائيين المستوطنين قديما في الكويت، مدعيا أن اعتداءا وقع عليه بسبب مذهبه، وقد صادف هذا التحريض الباطل هوى في نفوس الإيرانيين الذين طغت عليهم نفحة القومية العربية في عهد المجلس، وحمسهم المهيجون فتوافدوا إلى الحسينية كيما يجمعوا أمرهم على رأي ويطالبوا بحقوقهم المهضومة حسب زعمهم، أما الاحسائيون وهم الجماعة الذين ينتمي إليهم الشاب الجعفري فقد تبينوا حقيقة المشاجرة التي حصلت ولم يجدوا فيها وجهاً للتعصب المذهبي المزعوم كما إنهم كانوا يعلمون حقيقة الشاب المذكور وصلاته بعبدالله الملا صالح فتبرءوا من تلك الحركة الانتهازية التي أريد لهم التورط فيها لا سيما وقد كانوا يدركون مكانتهم المحمودة عند باقي إخوانهم الكويتيين إذ كانوا من العرب الأقحاح.

أما الإيرانيون فركبوا شيطان العنصرية وعلت أصواتهم بالهتافات والتصفيق داخل الحسينية لخطبائهم الذين كانوا يحرضونهم على المظاهرات والإضراب، وأخيرا حرر أحد علمائهم المعروف كتابا إلى المجلس التشريعي يتضمن مطالبة هؤلاء بتخصيص بعض المقاعد لهم في مجلسي البلدية والمجلس التشريعي، كما طالبوا مساواتهم بالوظائف الحكومية جميعها، وكانت هذه أول بادرة من بوادر الحذر التي يخشاها الكويتيون من استفحال أمر الهجرة الإيرانية إلى الكويت، وقد عرف من نية هؤلاء أنهم يبيتون القيام بمظاهرة كبيرة وإضراب شامل ما لم ينالوا كافة مطالبهم.

لكن المجلسيون غضبوا لهذا الاستغلال الشائن بدافع النعرة العنصرية وتناسي هؤلاء عاطفة الأخوة الإسلامية وحقوق البلاد التي آوتهم فآمنتهم من خوف وأطعمتهم بعد جوع وأدركوا أن التساهل مع هؤلاء وأكثرهم من الحمالين والغوغاء قد يؤدي إلى نشوب فتنةعنصرية تكون لها نتائجها البعيدة في تاريخ الكويت، لذلك أجمعوا أمرهم إلى إهمال الكتاب المذكور وأصدروا أمرهم إلى بعض رجال القوة بالطوفان في الشوارع بالسيارات المسلحة لإرهاب من تحدثهم أنفسهم بالقيام بالمظاهرات والأعمال العدائية بينما ذهب فريق من أعضاء المجلس إلى العالم الديني الذي تطوع بعرض تلك المطالب ينافشونه في رأيه وأمر تلك المطالب التي عرضها، إذ كان يدرك أن الإيرانيين القدماء في الكويت قد دعوا كسائر الكويتيين إلى الانتخابات والتصويت فيها فلم يعترض أحد منهم في شيء لا قبل الانتخابات ولا بعدها، فماله اليوم يخرج من صفته الدينية للولوج في مثل هذه الأمور التي قد تجر إلى تفرقة وبلايا ليس من صفة أهل الدين التورط فيها؟

غير إن العالم المذكور وقد أدرك لهجة الجد اعتذر متنصلا من الحركة وقال إنه إنما طلب إليه أن يعبر بكتابه عن رغبة المتعمين المتشددين في الحسينية فقط، وليس له من رأي خاص في هذا الأمر. أما المهيجون فقد انكمشوا في أماكنهم لما شاهدوه من حزم سريع، واعتذر بعضهم بينما زعم آخرون أ م إنما زج م في هذه الحركة بإيعازات خارجية معروفة.

وقد طاف بعد ذلك خدم القنصلية البريطانية وكانوا جميعا من الإيرانيين على جماعتهم يرغبو م بالتجنس بالجنسية (الانكليزية الهندية) طالبين منهم رفع عرائض أجماعية إلى دار القنصلية في الكويت، وقد فهم الناس أن هؤلاء الخدم لا يمكن لهم القيام بمثل هذا العمل لو لم يكونوا بطبيعة الحال مدفوعين إلى ذلك من القنصل نفسه، وهو الذي كان يعتمد عليهم ويصغي إلى كثير من تقولا م ضد المسيين، و افتت العرائض بعد ذلك إلى دار القنصلية البريطانية بالمئات فالألوف من هؤلاء الإيرانيين طالبة التجنس بتلك الجنسية التي قيل لهم عنها إ ا تمكنهم من نيل كثير من الامتيازات في المعاملات التجارية والحقوقية في الكويت.

ولما كان في تجنس هؤلاء جميعا وهم يبلغون ما يوازي ثلث سكان الكويت بجنسية واحدة (هي الجنسية الهندية الانكليزية) خطر عظيم على كيان الكويت والكويتيين خاصة وان تلك الجنسية تمثل الحكومة ذات النفوذ الفعلي في الكويت، فقد أثار ذلك اهتمام الكويتيين أجمع وجزعهم بما فيهم الفئة الغيورة من المعارضين أنفسهم.

لهذا تداول أعضاء المس طويلا في هذا الأمر ووجدوا أ م لا يسعهم الجمود إثر هذا الخطر الداهم فقرروا علاج الأمر بوسيلتين:

الأولى أ م أصدروا هذا القرار الجريء وأعلنوه في كل جانب من جوانب الكويت:

"كل من تثبت عليه محاولة التجنس بجنسية أجنبية يجب عليه الاستعداد لمغادرة الكويت خلال شهرين من تاريخ تلك المحاولة مع حرمانه كليا من حقوق امتهان أية مهنة أو تملك أي عقار داخل حدود إمارة الكويت"

والثانية : هو ذهاب فريق من أعضاء المس إلى دار القنصلية ومقابلتهم القنصل فيها حيث كشفوا له مبلغ جزع عموم الكويتيين من محاولة هذا الفريق الكبير التجنس بجنسية تمكنهم من الامتياز على الكويتيين الأصليين داخل بلادهم في كثير من الحقوق والمعاملات، وأن هذه المحاولات ربما أدت إلى نشوب فتن وحوادث ليس من صالح أحد إثار ا في مثل هذا اليوم، وأ م

من جهتهم معتمدين عدم التساهل مع هؤلاء الذين يجب عليهم الرحيل عن البلد الذي لا يرون الانسجام مع أهله الأصليين وحسن التفاهم معهم.

وقد ناقش القنصل هؤلاء الأعضاء في المطالب التي تقدم ا الإيرانيون ولماذا لا يجابون إلى ما طالبوا في المساواة؟

فلما قيل له: "إن الكويتيين لا يعترفون بحق الذين نزحوا إلى الكويت بعد الحرب العالمية في اكتساب الجنسية الكويتية أما أولئك القدامى فلهم ما لنا وعليهم ما علينا من حقوق وواجبات".

قال: "إنه لم يشجع أحدا على طلب التجنس بالجنسية الهندية ولكنه لا يسعه أن يرفض أي طلب أو عريضة أو كتاب يتقدم به صاحبه إلى دار القنصلية مهما كان موضوعه، أما الحصول على الجنسية الهندية فانه يعتقد أن ذلك ليس من السهل الحصول عليه إلا لمن تتوفر فيه الشروط الخاصة التي ينص عليها القانون الهندي". وانتهى الأمر عند هذا الحد ولكن هذا الحادث بل والتحدي زاد بطبيعة الحال من فتور العلاقات بين القنصل وأعضاء ا لس إذ انه كان الاحتكاك المباشر الأول بين الطرفين.

فلما جاء المقيم البريطاني عقيب هذه الحوادث إلى الكويت طلب أن يجتمع بلجنة تمثل ا لس بحضور سمو الأمير وسعادة رئيس مجلس الأمة فأنتدب ا لس كل من سليمان العدساني ومشاري الحسن والسيد علي السيد سليمان واجتمع الجميع بقصر الأمير الساحلي (قصر السيف) يوم 15 أكتوبر 1938 الموافق 21 شعبان 1357 وحضر الاجتماع الكابتن دكوري قنصل بريطانيا في الكويت وكان يتولى مهمة الترجمة بين المقيم البريطاني وباقي ا تمعين، وقد جرت عدة محادثات عامة كان أهمها البحث في أمر شركة الزيت إذ طلب المقيم أن يكون اتصال الشركة مع سمو الأمير مباشرة ولا صلة للمجلس ا، ولكن ا لسيين تشبثوا في حجتهم محاولين إقناع المقيم بصورة منطقية شذوذ هذه الخطة عن الأصول السليمة، ولما حاول المقيم إقناعهم أن يجربوا هذا الأمر لمدة شهرين فقط حتى إذا وجدت صعوبة يرجع إلى رأيهم، غير أ م رجوا منه أن تكون التجربة الأولى على الوجه المستقيم الذي يرونه هم فإذا حدث ما يستوجب التغيير كان للجانب الأقوى وهم الانكليز أن يعدلوا في الخطة.. وسكت المقيم عند هذه النقطة وفهم أن سكوته كان سكوت الاقتناع.

ثم تحدث المقيم عن مقام سمو الأمير فأشار إلى ضرورة اعتباره الحاكم الأعلى الذي تجرى معه أو بواسطته جميع المخابرات السياسية وغيرها من الأمور الجوهرية في البلاد! فرد أعضاء الـلس قائلين: "إن ذلك هو الدعامة الأولى التي ترتكز عليها سياسة الـلس طبقا للأصول الملكية النيابية وليس فيهم من يتصور غير ذلك".

ثم جاء الكلام عن الإيرانيين المقيمين في الكويت وما هو تقدير عددهم والتدابير المتخذة من جانب الـلس معهم، فتكلم أعضاء الـلس قائلين: "إن هذه الهجرة التي استفحل أمرها ليس لها ما يماثلها في بلدان العالم بالنسبة إلى كثر ا وانطلاقها من غير شروط"!!

فقال المقيم إنه لا يعنيه الآن اتخاذ الـلس بعض التدابير لتسفير المهاجرين الجدد إلى خارج الكويت ولكنه ينصحهم أن يتم ذلك بصورة تدريجية وهادئة كيلا يؤدي هذا الأمر إلى تذمر الحكومة ذات الشأن فيضطر هو إلى التدخل، فأفهمه أعضاء الـلس إن التدابير التي اتخذت حديثا ليست إلا لتوقيف الهجرة الغير مشروعة أما تسفير المهاجرين فلم يتقرر شيء منه حتى الآن)![635]

قضاء بريطانيا على المعارضة في الكويت والبحرين :

وكما قضت بريطانيا على الثورة والمعارضة في نجد قبيل الحرب العالمية الثانية حين قمعت ثورة الأخوان سنة 1930م، كذلك قامت بضر ا في الكويت والبحرين مطلع الحرب العالمية الثانية سنة 1938 لضمان استقرار مستعمرا ا في حال انشغالها في الحرب مع ألمانيا، حيث كان العرب يؤيدون ألمانيا في حر ا ضد بريطانيا الاستعمارية، وقد كان الشعب الكويتي للتو بدأ تجربة الـلس التشريعي التي كانت تعزز إرادة الشعب، وهو ما يرفضه الاحتلال الذي يريد تعزيز أنظمة الحكم التي أقامها وتحالفت معه، ولهذا أوعزت بريطانيا للشيخ أحمد الجابر بالقضاء على هذه التجربة، كما قضت عليها في البحرين، وقد أشار إلى ذلك خالد العدساني في مذكراته، حين تحدث عن المفاوضات بين المعارضة والسلطة فقال:

(وعند هذا انتحى أعضاء الـلس وحدهم ناحية للتداول في أمر هذه الوعود، فأدركوا أ ا وعود خاوية ولكنهم عرفوا من المتصلين بالجانب الآخر أن الحركة مبررة من أيد أجنبية.. فلا ترجى فائدة من المكابرة التي قد تؤدي بالكويتيين جميعا إلى الرزوح تحت نير الأجنبي المتربص لتركيز نفوذه الفعلي في الكويت، كما حدث ذلك في مسقط والبحرين وغيرهما من إمارات الساحل

---

[635] انظر مذكرات العدساني سكرتير الـلس التشريعي.

العربي ...ويمثل هذا التدبير قضي على حياة ذلك المجلس العتيد الذي سيبقى تاريخه المجيد غرة في تاريخ الكويت لما نهض به من إصلاحات ومشاريع كبرى هيهات أن ينسى أثرها المنصفون لا سيما في وقت كان الناس فيه لا يفقهون من الحياة والنظم البرلمانية ما يفهمونه منها اليوم).

لقد كانت بريطانيا وراء ضرب الحياة النيابية في الكويت لصالح الاستبداد حفاظا على مصالحها ولو على حساب شعوب المنطقة، وكما يقول العدساني (أما الأسباب الأصلية التي تسببت في سقوط المجلس، وربما خفي أمرها على الكويتيين، فهي قبل وبعد كل شيء تحول وجهة النظر الانكليزية، لتخوف الانكليز من الوطنيين الكويتيين على النفوذ والمصالح البريطانية، فضلا عن الذعر الذي أصابهم بعد ما شاهدوه من سرعة انتقال العدوى إلى جميع شعوب الإمارات العربية والهندية الخاضعة لنفوذهم كما أسلفنا)!!

استخدام بريطانيا وحلفاؤها للدين وشيوخه في مواجهة القوى الشعبية المعارضة :

لقد نجحت بريطانيا في ترسيخ مشروعها الاستعماري في المنطقة من خلال حلفائها وتوظيفها للدين في إضفاء المشروعية على وجودها ووجود حلفائها، وقد وظفت لذلك بشكل غير مباشر ومن خلال المشيخات شيوخ الدين سواء شيوخ الدين السنة في نجد والكويت، أو الإباضية في عمان!

ففي الكويت وقف الشيخ يوسف بن عيسى ضد أعضاء المجلس التشريعي كما يقول العدساني(وكان الشيخ يوسف بن عيسى زعيم القناعات من أشهر رجالات المجلس وأبرزهم لدى الرأي العام نظرا لمكانته الدينية الطيبة ومواقفه الإصلاحية التي لا تنكر، وهو شيخ دين درس في الإحساء وقضى الشطر الأكبر من حياته في خدمة معارف الكويت خدمة نزيهة متصلة لوجه الله والدين، كما ساهم في أكثر الشئون الإصلاحية والخيرية التي قامت في الكويت، وكان صاحب الفضل الكبير في رعاية المشاريع النافعة والإشراف عليها، بيد أنه وللأسف زج نفسه في السياسة وكان معتدا بآرائه عنيدا فيها في الوقت الذي اشتهر فيه بالخور تجاه السلطة والانكليز، فعرض نفسه لكثير من الشك والتجريح، وكان يكابر المجلسيين ويأبى الرضوخ لقرارات المجلس الجوهرية التي تخالف رأيه حتى لو اجمعوا جميعا عليها، لا سيما تلك التي تتسم بالتصلب في الحقوق العامة تجاه السلطة لأنه يعتقد أن الأصل في كافة الحقوق العامة هي ملك للحاكم وليس للشعب، فما تنازل عنه الحاكم فهو منة وكرما منه، وما منع أو امتنع عنه لا تصح مطالبته أو الإلحاح عليه فيه! وقاده هذا الرأي إلى أن يكون داخل المجلس ملكيا أكثر من الملك كما يقولون، فلا تعرض حادثة

أو ينشب أمر يحاول الأعضاء إقناع سمو الأمير بتعديله أو التساهل فيه لصالح الشعب حتى ينتصب فيهم مدافعا عن حق الحاكم ومثبطا العزائم في حجج وأفاويل يلمسون الوهن والخور فيها، أما تجاه الانكليز ففي رأيه لا يصح مطلقا المناقشة معهم فما على المجلس إذا أمر الانكليز إلا أن يطيعوا دون التشبث حتى في مراجعتهم وإقناعهم بالحسنى، وقد سبب هذه المواقف والآراء الخائرة من الشيخ يوسف وهو زعيم قومه وذو المكانة المرموقة لدى الجميع مصاعب جمة لأعضاء المجلس) وكان له دور بعد ذلك في التفاوض بين المعارضة والشيخ أحمد الجابر والتوسط بينهما، ثم وقوفه مع الشيخ أحمد والاصطفاف بجانبه بعد أن تم خديعة المعارضة حين سلموا أسلحتهم بتعهد من الشيخ يوسف بن عيسى، وتم قتل بعضهم والقضاء على المجلس فيما عرف بعد ذلك بثورة المجلس سنة!

التدخل البريطاني في عمان وقمع الثورة وتوظيف الدين وشيوخه :

وكما كانت بريطانيا تتدخل في كل شئون إمارات الخليج، كانت تخوض الحروب ضد شعوب المنطقة لصالح الحكومات التي تأتمر بأمرها، ففي عام 1915(عندما ثارت القبائل في الداخل، لم يستطع سلطان مسقط إخمـاد ثورتها إلا بمساعدة القوات البريطانية الهندية، وبقيت الثورة تزمجر حتى توقيع معاهدة السيب في عام 1920 بين سلطان مسقط وإمام عمان التي احتفظت لقبائل الداخل بحقهم في نوع من الاستقلال الذاتي).[636]

لقد دعمت بريطانيا سلطان مسقط فيصل ثم ولده تيمور بن فيصل بن سعيد ضد الثوار وزعماء القبائل بقيادة الإمام الأباضي سالم الخروصي بعد أن ثار الشعب العماني ضد السلطان والبريطانيين، وقد كادوا يسقطون السلطان ويسيطرون على مسقط سنة 1913م، لولا التدخل البريطاني الذي ضرب قوات الثورة، وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، ودخول الدولة العثمانية فيها، أعلن الإمام الخروصي إمام الأباضية الجهاد ضد بريطانيا، ووقوفه مع الخلافة العثمانية، وبعد أن قمعت بريطانيا ثورة الشعب العماني بالمدافع والطيران، رأى زعماء الثوار عقد اتفاقية مع السلطان اشترطوا فيها أن تكون المحاكم في كل الشئون القضائية

---

[636] جزيرة العرب لجان جاك بيربي 213.

والمدنية والجنائية وفق الشريعة الإسلامية، وتطبيق العدل على الجميع بلا تمييز بين السكان، وإلغاء الضرائب، ومنع الخمر والدخان، ورفع الحظر عن السلاح الذي تفرضه بريطانيا، وأن يدير الإمام أمور عمان بالشريعة، ويعترف بسلطة السلطان حاكما على مسقط وعمان، وأن يحل السلطان قواته، وأن ينسحب البريطـانيون من عمان ومسقط.

لقد أعلنوا بأن السلطان لم يعد يمثل الشعب العماني(لأنه خالف الطريقة الأباضية في الحكم..بالإضافة إلى ا امه بالكفر والإلحاد، وبالفساد والمحسـوبية، وتبديـده للأموال التي ينفقها على أقاربه)، وقد رفض السلطان بعض هذه الشروط.

وقد استنجد الإمام الخروصي سنة 1916م بالحامية العثمانية في اليمن، لمساعدته في ثورته ضد الإنجليز، وقد وعدوه بالمدد لولا أن بريطانيا كانـت قـد فرضـت حصارا على المنطقة، وقد استطاع الثوار سنة 1918م السيطرة على المقاطعـات الداخلية ومدينة الرستاق الرئيسية، وبعد الحصار البريطـاني للثـورة، تم عقـد مفاوضات سنة 1919 م بين الإمام والسلطان، بتدخل بريطاني، وفجأة تم اغتيال الإمام الخروصي سنة 1920م، واختير مكانه الخليلي الذي مال إلى الصلح[637].

وقد حاول السلطان(أن يجعل من نفسه حاكما وإماما على الرغم من أن المذهب الأباضي لا يقر توارث الحكم، وقد كان في نيته أن يسيطر على منصب الإمامـة ومن ثم تحويله إلى منصب وراثي، وقد استعان بمحاولاته هذه بالتأييد البريطـاني، كما حاول بعد ذلك الحصول على التأييد الأمريكي بعد أن نشب الصراع بـين الشركات البريطانية والأمريكية المستغلة للنفط في ممتلكاته)[638].

وكما نجحت بريطانيا في توظيف بعض رجال الدين ومراجعه الشيعة في النجـف، والعلماء السنة في نجد لخدمة مشـروعها في السـيطرة علـى المنطقـة وتعزيـز الحكومات التابعة لها، نجحت كذلك في توظيف بعض رجال الدين في عمان لذات الغرض!

---

[637] تاريخ الخليج العربي 3/350- 378 .

[638] المصدر السابق 3/396 .

فمن أجل مواجهة نفوذ الإمام الخليلي قام السلطان باتخاذ الشيخ سليمان الباروني مستشارا للشئون الدينية، وألف الكتب في المذهب الأباضي لسحب البساط من تحت أقدام الخليلي، وطلب من البريطانيين الموافقة على إقراره في هـذا المنصـب بقوله(إن خبرته ومعرفته بمبادئ عقيدتنا الأباضية ستكون ذات فائدة لنا)[639].

لقد نجحت بريطانيا من خلال حلفائها في السلطة من إصدار الفتاوى ضد كل من يرفض الوجود البريطاني أو يقاومه، كما حصل في نجد في الفترة نفسها، حيث جمع ابن سعود علماءه ليصدروا الفتاوى ضد الثوار، ولم يقتصروا في فتاواهم علـى تجريمهم بل وصل م الحال إلى الحكم بكفرهم ورد م كما في كتاب تذكرة أولي النهى (وقد سئل أئمة علماء الدعوة - الوهابيـة - مـا قـولكم في الـدويش والعجمان ومن تبعهم .. فكان الجواب : إن العجمان والدويش ومن تـبعهم لا شك في كفرهم ورد م .. ومن أبى عن جهادهم فهذا حكمه حكمهـم.. وأمـا الدهينة والخضري وولد فيصل بن حميد وأتباعهم - من قبيلة عتيبـة - الـذين قدموا من عند الشريف يدعون إلى ولايته فهؤلاء لا شك في رد م، لأ م دعاة إلى الدخول تحت ولاية المشركين، فيجب على جميع المسـلمين قتـالهم وجهـادهم.. وأملاه محمد بن عبد اللطيف، وسليمان بن سحمان، وصالح بن عبد العزيز، وعبد العزيز بن عبد اللطيف، وعمر بن عبد اللطيف آل الشيخ، ومحمد بن إبـراهيم، وعبد الملك بن إبراهيم، وعبد الرحمن بن سالم، وعبد العزيز الشثري، ومحمد بن عبد الله بن عبد اللطيف)![640]

فلم يتردد شيوخ الوهابية في تكفير قادة الأخوان بذريعة أ م يدعون إلى الدخول تحت ولاية الشريف، بينما كانت بلدهم وإمامهم ابن سعود تحت حكم بريطانيا!

---

[639] المصدر السابق 397/3 .ويلاحظ هنا دور السلطة المحلية ومن ورائها الاستعمار في توظيف الدين ورجاله في خدمة الاستبداد والاستعمار من خلال نشر ثقافة دينية أكثر قبول لهما ولسياسا ما، وهو مشهد يتكرر في كل دويلات الطوائف إلى اليوم فقد صار الدين ورجاله الأداة التي تستخدمها حكومات المنطقة المسيطرة عليها!

[640] كتاب تذكرة أولي النهى والعرفان لإبراهيم بن عبد المحسن 231/3

ويلاحظ كيف تتكرر الحادثة كلما واجه الاحتلال الأجنبي أو حلفاءه في المنطقـة أزمة سياسية أو حركة ثورية، وكيف يتم توظيف الـدين ورجالـه والفتـوى في خدمة السلطة لمواجهتها!

وقد طلب سلطان عمان من بريطانيا دعمه عسكريا لضم عمان لمسقط، فأشاروا عليه بأن يفعل كما فعل ابن سعود(الذي استطاع أن يحرز نجاحا كبيرا في السيطرة على قبائل البادية بالأموال أكثر من السلاح)[641].

وقد أكد السلطان أنه لا يريد(استبقاء نظام الإمامة - الذي يقوم على الانتخاب كما هو المذهب الأباضي - وإنما سيعمل على إلغائه، وربـط مقاطعـات عمـان بمسقط، تحت نظام الحكم الوراثي)، وهو ما تم فعلا، وفي سـنة 1945م، قامـت بريطانيا بدعم عسكري كبير للسلطان وحملته العسـكرية، وقـام سـلاح الجـو البريطاني بمهمته، للسيطرة على مقاطعات عمان الداخلية[642].

لقد ظل النفوذ البريطاني مسيطرا على عمان ومسقط بعد ذلـك، فقـد وقفـت بريطانيا مرة أخرى مع السلطان ضد الشعب العماني في ثـورة 1957م(عنـدما سارعت القوات البريطانية الجوية والبرية لنجدة السلطان ضـد ثـورة القبائـل العمانية في الداخل، وهذه السلطنة التي لا تعرف لها حدودا ثابتة، كيان سياسي فريد، فهي تعتبر نظريا مستقلة، مع أن قوا ا المسـلحة تخضـع لقيـادة ضـباط بريطانيين، ووزير خارجيتها يدعى السيد نيل إ ويساعده قنصل خاضع لسلطة المقيم السياسي البريطاني، والاسم نفسه الذي يطلق على الدولة مبهم، فهو يجمع بين اسم العاصمة التي يبلغ عدد سكا ا ثلاثة آلاف، وداخل البلاد الـتي تزيـد مساحتها على مائتي ألف كيلو متر مربع، وقد احتاجت سلطة السلطان مرارا إلى مساندة البريطانيين كي تفرض نفسها في الداخل في جبال عمان، الـتي تسـكنها قبائل بالغة القسوة)[643].

---

[641] المصدر السابق 402/3 .

[642] المصدر السابق 403/3 .

[643] جزيرة العرب لجان جاك بيربي 202.

سيطرة بريطانيا على الإمارات العربية :

وقد ظلت مشيخات ساحل عمان المهادن - الإمارات العربية - تحت السـيطرة البريطانية المطلقة، حتى في الشئون الداخلية، حيث تصـدر إلـيهم التعليمـات كنصائح يجب عليهم تنفيذها، (وفي المشيخات المهادنة - الإمارات العربية السبع - كانت تنظيما ا الداخلية تبدو كأ ا صادرة من الشـيوخ أنفسـهم، إلا إ ـا كانت تفرض صراحة من الموظفين البريطانيين)[644].

لقد تم الإعلان عن استقلال دويلات الطوائف في الخليج العـربي عـن بريطانيـا ظاهريا منذ ستينيات القرن الماضي، إلا إ ا ظلت فعليا ترزح تحـت الاحـتلال، وكما يقول جان بيريي (عملت بريطانيا على تعزيز مركزها بالإبقاء على قواعـد عسكرية وبحرية وجوية كبيرة، والتوسع في إنشائها، بقصد قمع الحركات الوطنية التحررية، وتأييد الأنظمة القائمة، والمحافظة على استقرارها .. وأخذت بريطانيا - للتغطية على وجودها الاستعماري - منذ عام 1961م تمنح إمارات الخلـيج مظهر الدول المستقلة، وتحت ستار ذلك تحاول الحفاظ على مصالحها في المنطقـة بمساندة الولايات المتحدة..وقد قامت بالإطاحة ببعض الشيوخ الذين تجد منـهم اتجاهات أو تطلعات تتعارض مع مصالحها، فقد بادرت بخلع شخبوط بن سـلطان حاكم أبو ظبي، والشيخ صقر حاكم الشارقة حينما أبـدى تجاوبـا مـع مصـر والجامعة العربية)[645].

وهو ما حصل أيضا مع الملك سعود في المملكة العربيـة، وعبـد الله المبـارك في الكويت، بسبب ميلهما إلى مصر وجمال عبد الناصر!

ومازالت دويلات الخليج والجزيرة العربية تحت سـيطرة النفـوذ الاسـتعماري البريطاني الأمريكي منذ ذلك الحين إلى اليوم، وما زالت القواعد العسكرية خاصة الأمريكية تسيطر سيطرة عسكرية كاملة على المنطقة، كما لا يزال الخليجيـون يعيشون تحت أنظمة حكم شمولية أسرية استبدادية، في ظل الاحـتلال الأمريكـي

[644] المصدر السابق 4/ 23 .

[645] المصدر السابق 26/4 .

وعصر الديمقراطية وحقوق الإنسان! ليكتشف الخليجيون أن الاستقلال الصوري الذي فرحوا به في النصف الثاني من القرن العشرين ما هـو إلا وهـم فضـحته الحوادث والأيام، فإذا القوى الاستعمارية هي التي تتصرف في المنطقة وبشـعو ا وثروا ا وحريا ا واستقلالها، لا تملك حكوما ا من أمرها شيئا، وقد كان وزيـر خارجية قطر أصدق الجميع لهجة - في التعبير عن واقع العلاقات بـين دويـلات الطوائف والولايات المتحدة القائمة على التبعية - حين اعتـرف بعـد احـتلال العراق بأن حكومات الخليج العربي تتعامل مع أمريكا كما يتعامل الفـداوي - الخادم - مع سيده المعزب[646]!

وما زلنا مع (الحرية وأزمة الهوية في الخليج والجزيرة العربية) وللحديث بقية!

(عبيد بلا أغلال)

(27)

(تجليات أزمة الهوية سياسيا)

[646] في مقابلة له في قناة الجزيرة بعد حرب احتلال العراق سنة 2003.

تجليات أزمة الهوية لشعوب الخليج والجزيرة العربية:

أولا : تجميد النخب الحاكمة :

أدرك المسئولون البريطانيون بعد تقسيم المنطقة العربيـة إلى دويـلات، ليسـهل السيطرة عليها، أ م خلقوا مشكلة خطيرة، سيكون لها تـداعيا ا علـى المـدى البعيد، حيث لم يراع الاستعمار الأجنبي مصالح شعب المنطقة الواحد، ولا الوحدة الجغرافية لأقاليمه، بل تم تقسيمها بشكل عبثي فوضوي، مما أدى إلى تفاقم أزمـة الهوية، وكما يقول فرومكين:

(إن بريطانيا بحمايتها عبد الله بن الحسين، إنما جـزأت في الواقـع عـالم عـرب الصحراء بين أسرتينمالكتينمتخاصمتين، وجعلت مـن الحـدود الأردنيـة خـط التجزئة، والبلدان اللتان لا تزال تسميتهما تدل على أ ما ملك عـائلي، همـا المملكة العربية السعودية، والمملكة الأردنية الهاشمية، والخط الدولي لا يزال هـو خط التجزئة بين أسرتي شبه الجزيرة العربية المالكتين)[647].

وقد كان لهذا الواقع ـ الذي فرضه الاستعمار البريطـاني الفرنسـي للمنطقـة العربية ولخريطة الشرق التياشترك البريطانيون والفرنسيون في تقسيمها وترسيمها على هذا النحو ـ تداعياته الخطيرة حيث لم تستطع كل هذه الدويلات المصطنعة أن تعبر عن هوية الشعب العربي في الجزيرة العربية، لا هويته القوميةالعربية، ولا

[647] ولادة الشرق 577 .

هويته الدينية الإسلامية، ولم تستطع إيجاد هوية بديلة، وكان الحـال كمـا قـال فرومكين:

(وهكذا فإن بريطانيا، شأ ا شأن فرنسا في منطقة نفوذها في الشـرق الأوسـط، أنشأت دولا، وعينت أشخاصا يحكمو ا، ورسمت حدودا فيما بينها، وقد عملت معظم ذلك في سنة 1922م، لقد تحقق للدول الأوربية ما أرادت أن تفعله منـذ زمن طويل، أي أن تأخذ بأيديها المصائر السياسية لشعوب الشرق الأوسـط ... وفي كل مكان من العالم أدى الاحتلال البريطاني إلى تدمير البنى السياسية لأهـالي السكان الأصليين، وإبدالها ببنى جديدة ذات أشكال أوربية، والإدارة الحكوميـة كانت على نمط أوربي، وبموجب قوانين أوربية، ووفقا لمفاهيم أوربية، ومع ذلـك ثمة تساؤل عما إذا كان الاحتلال الأوربي سيحدث في الشرق الأوسط ما أحدثـه في أمكنة أخرى من أثر عميق ودائم، وسبب هذا السؤال ليس فقط لأن الشـرق الأوسط منطقة حضارات عريقة، يفخر ا أصحا ا، ومعتقدات عميقة الجذور في الماضي، بل لأن التغييرات التي تقترح أوربا إدخالها هي من العمق بمكـان بحيـث يجب أن تمر أجيال قبل أن تضرب هذه التغييرات جذورها في الأرض)[648].

---

[648] ولادة الشرق 629.

فديفيد فرومكين يدرك - أكثر من المسلمين أنفسهم - مدى خطورة التغييرات العميقة التي أحدثتـها الحملة الصليبية الاستعمارية التي أسقطت الخلافة والدولة الإسلامية، وأقامت مكا ا دويلات الحملـة الصليبية التي تعبر عن إرادة الاستعمار وما يريده أكثر من تعبيرها عن إرادة الأمة وشعو ا، ويرى أن تلك التغيرات لن يكتب لها البقاء لأ ا مصادمة لحقائق الدين والتاريخ والجغرافيا والديمغرافيا التي لا يمكن تجاوزها عند الحديث عن الأمم والدول التي تعبر عن هويتها!

لقد تم تغييب شعوب المنطقة – بل شعبها الواحد – عن تقرير مصيرها وتم هميش إرادا، وفرض الاستعمار عليها ليس فقط حكومات كان هـو الـذي أوجـدها وأقامها ودعمها بكل إمكانياته المادية والعسكرية، بل وفرض هوية لم يكـن لهـا قبل ذلك أي وجود، لقد تم خلق هويات قطرية ووطنية زائفة - وتم نسـبتها إلى أسرة أو مدينةأو جزيرة أو أقليم - لشعب واحد لا يرى في هذه النسبة أي مدلول تاريخي أو ثقافي أو قومي يعبر عن هويته، وتم تقسيم القبيلة والأسرة الواحدة بين عدة دول، وكما يقول بشير نافع (لقد ترك هذا التطور أثرا بالغا علـى أنمـاط الاجتماع والهوية في العالمين العربي والإسلامي، ولأن هذا التطور قد فرض أصـلا على المنطقة بفعل السيطرة الاستعمارية المباشرة، ولم يكـن للشـعوب العربيـة والإسلامية دور ملموس في صياغته، فقد تسبب في ولادة نظام الدولة الحديثة في بلاد مثل العراق، وسوريا، والأردن، والسعودية، والكويت، في إيقاع اضطراب هائل في حياة شعوب هذه البلدان، أدخل نظام الدولة الحديثة مفهـوم الجنسـية الحصرية، وجواز السفر، والقيود على التنقل عبر الحدود.... وفجـأة وجـدت عشائر كشمر وع ة نفسها قد انقسمت بين دول كسوريا والعـراق والكويـت والسعودية، وأن هذا الانقسام يتطلب حمل جنسيات مختلفة ويفرض قيودا قاطعة على تحركها عبر الحدود .... إن النظام الجديد يتطلب منهم الولاء لدول لا تعبر بالضرورة عن هويتهم الثقافية ولا تشبع حاجات هـذه الهويـة، هـذا التمـايز

والافتراق ولد اضطرابا عميقا وعواقب إنسانية باهضة، في حياة أبناء العشـائر العربية على جانبي خط الحدود)[649].

لقد دفعت القبيلة العربية، والأسر العربية، والشعب العربي الواحد، ثمنا باهضـا جراء الخريطة الاستعمارية الصليبية، فصار الجميع يتطلع إلى قيام الدولة العربية الواحدة، وما يزال هذا الحلم قائما تعبيرا عن رفض هذا الواقع، وعدم الإيمـان بمشروعيته!

لقد ترتب على هذا الواقع الذي فرضه الاستعمار أوضاعا كارثية تمثلت في:

1- أنه جمد - كما يقول خلدون النقيب - القيادات والحكم في أيدي من وقعوا على المعاهدات، ثم بيد ورثتهم من بعدهم، ومـن دخـل تحـت الحماية البريطانية منهم، كما أدى إلى توسيع سلطة الحاكم نفسه ومن جاء بعده، فقد كانت سلطة الشيخ قبل ذلـك محـدودة، إذ الـولاء السياسي لم يكن مرتبطا بالأرض بل بالبشر، ولـذلك كانـت البيئـة والحالة الطبيعية تضع قيودا على سلطة الشيخ، تتمثل في القدرة علـى الارتحال من بلده والانتقال إلى مكان آخر عند نشـوب نـزاع مـع الشيخ، وإمكانية التمرد عليه وخلعه عند الخلاف معه من قبل الفئات الاجتماعية القوية، فضمنت المعاهدات البريطانية للأسر الحليفـة لهـا

---

[649] تاريخ العراق لبشير نافع فصل عروبة العراق ص 29 نسخة مصورة.

استمرار الحكم فيها لتعطل بذلك دورة وحركـة التطـور السياسـي الطبيعي في المجتمع من خلال التدخل المباشـر لفـرض سـلطة هـذه الأسر(إن أهم نتائج انهيار الحالة الطبيعية في مجتمع الخليج والجزيرة هي توقف دور النخبات القبلية، وتبلور نظام الحكم السلالي - الوراثي - في المنطقة، كنتيجة طبيعية للنفوذ الأجنبي، إذ لم يقتصر تأثير المعاهدات على حفظ السلام بين المشايخ والأمراء، وإنما أدت إلى تثبيت سلطتهم، والاعتراف بشرعية سيادتهم على مناطقهم وشعوبهم ـ التي لم يكن لهم عليها أصلا أي نفوذ أو سلطة قبل تحالفهم مع الاسـتعمار - كأسـر حاكمة، فلم يعد ظهور واختفاء الأسـر الحاكمـة مرتبطـا بالـدورة السلالية التي تكلم عنها ابن خلدون - التي قد تصل مـن ثلاثـة إلى أربعة أجيال - أو مرتبطـا بانتعـاش أو انحسـار التجـارة والحالـة الاقتصادية، بل بالمعاهدات التي وفرت لهم ولأسرهم الحاكمة الحمايـة الكاملة من شعوبهم ومنافسيهم من الشيوخ الآخرين، وقـد تـدخلت بريطانيا أكثر من مرة لحماية الحكام في المنطقة، ففـي عـام 1861م أعادت بريطانيا في مسقط السلطان المخلوع إلى عرشه، وقامت بتوفير الحماية له من جيوش الإمام الإباضي، كما قامت ثلاث مرات بإنقـاذ حكم آل خليفة في البحرين..)[650]، وكذا بالتدخل بالدعم المالي حـين تواجه هذه الأسر عجزا ماليا، كما حدث ما بين سنة 1940- 1942م

[650] المجتمع والدولة لخلدون النقيب ص95- 100 بتصرف يسير واختصار.

حين تحملت الولايات المتحدة دفع ميزانية المملكة السعودية، وأعلنت بأن الدفاع عنها يمثل مصلحة حيوية لها، مما سمح بـالتحويلات الماليـة الرسمية من خزانة الولايات المتحدة إلى السعودية مباشرة[651].

لقد أصبح الواقع السياسي اليوم لشعوب الخليج والجزيـرة العربيـة يرضخ للإرادة الاستعمارية التي تعهدت للحكومـات الـتي أوجـد ا بضمان الحكم الوراثي لها ولمن جاء بعدها على حساب حقوق شعو ا، ولو أدى ذلك إلى شن الحروب ضد الشعوب نفسها لتظل تحت سيطرة تلك الحكومات، وكما يقول المؤرخ الفرنسي جـان بـيربي(ونتيجـة لتعهدا ا القديمة التي تفرض عليها حماية علاقا ـا وامتيازا ـا، تـرى بريطانيا نفسها مضطرة لحماية استقلال إمارات ومشـيخات رجعيـة التركيب، في الوقت الذي يتطور فيه رعاياها بسرعة مذهلة ويفتحون عيو م على ما يجـري حـولهم، وأي ضـعف أو ـاون في المسـاندة البريطانية معناه ا يار نظام قائم على بضعة أشخاص مخلصين للصداقة البريطانية، وللاحتفاظ ببترول الخليج والأرباح الطائلة التي يدرها، تجد بريطانيا نفسها ملزمة أكثر فأكثر في وجوب تقديم مسـانـدة مسـلحة لكل أصدقائها في الخليج، مهما كانت نوعية تلـك الـدواعي، لقـد عزمت وقررت ائيا أن تربط ا مصير جميع الإمارات والمشيخاتالعربية

---

[651] انظر المصدر السابق حاشية ص 99.

الواقعة على الخليج العربي، دون أن تأخذ بعين الاعتبـار كـبر هـذه الكيانات أو صغرها، وإنتاجها النفطي، وإمكانا ا الحياتيـة، في هـذه المنطقة التي لا حدود لها فاصلة)[652]، وكما يقول فرد هوليداي (لقـد بقي سلطان عمان في السلطة بمساعدة أصدقائه - الغربيين - وكـذا أقرانه الملكيون في الدول الخليجية لا سيما في العربية السعودية)[653].

وكما يقول الدكتور أحمد الخطيب وهو يتحدث عن دور بريطانيـا في ترسيخ حكم أتباعها في المنطقة(فهم - أي الإنجليز - حكام المنطقة بلا منازع، ومشايخ المنطقة يعلمون أن بقاءهم في السلطة مرهون برضـا المعازيب عنهم، وإلا فإ م سيلاقون مصير سعيد بن تيمور، وشخبوط، وبعض حكام البحرين الذين تمت إزالتـهم، فالحركـة الإصـلاحية في البحرين سنة 1956 قام النظام بضر ا بشـدة بمشـاركة المستشـار البريطاني، وهي التي قامت بنقل المساجين بسفنها الحربية إلى المنفـى، كذلك تعرضت الحركة الإصلاحية في دبي لمجزرة بشـعة أمـام أنظـار السلطة البريطانية الحاكمة دون أن يهتز لها ضمير، حيث قام حاكم دبي بدعوة أعضاء المجلس المنتخب لحفلة زواج ابنه ولما حضروا الحفل أمر قواته بإطلاق النار عليهم، فأرداهم قتلى برضا السلطات البريطانيـة

---

[652] جزيرة العرب لجان جاك بيربي 229.

[653] دراسات في الشرق أوسطية ص 92 .

ومباركتها، والحركة الإصلاحية في الكويــت عــام 1938 ضــربت بتشجيع من السلطات البريطانية، وسمحت بدخول قوات من السعودية لمساعدات السلطات في ذبح هذه الحركة، فبقاء هذه الأنظمة هو قرار بريطاني يضمن مصالح بريطانيا في المنطقة)[654].

(عبيد بلا أغلال)

(28)

(تجليات أزمة الهوية اجتماعيا)

بقلم د0 حاكم المطيري

Ommah2000@yahoo.com

[654] الكويت من الإمارة إلى الدولة للخطيب ص 204.

1- ربط الولاء السياسي بالأرض والحدود الثابتة عليها ـ كمـا يقـول خلدون النقيب ـ (وهو أحد أهداف السياسة الاستعمارية البريطانيـة التي وضعت موضع التنفيذ بعد الحرب العالمية الأولى، مما كان له نتائج مدمرة على مجتمع الخليج والجزيرة من زاويتين: الأول:الخلاف العبثـي على الحدود التي ليس لها أساس تاريخي، والجدال الذي لا يمكن حسمه حول قضية المواطنة وشروطها، في كيانات لا يفصل بينها فاصل قومي أو عرقي أو حضاري، وفي الفترة ما بـين 1853-1899م وضـعت الأسس المادية لتمزيق مجتمع الخليج والجزيرة، ليس بجيوش الاحـتلال الأجنبي، وإنما بسلاح الاستقلال الوطني ...وقد جاءت اتفاقية العقـير سنة 1922م لتكمل ائيا ما بدأته معاهدة السلام الأبدي عام 1853 ـ بين بريطانيا وشيوخ ساحل عمان ـ من تجميـد لـدور النخبـات القبلية، فترسيم الحدود بين البلدان كان القصد منه أساسا منع القبائل ـ كالأخوان في نجد ـ أو بقية الأفراد من التنقل بحريـة بـين هـذه البلدان، والمنع من الالتجاء إلى حاكم هربا من حاكم آخـر، وكـان العنصر الأشد في قوته التدميرية هو أن أيا من هذه البلدان لم يكـن في يوم من الأيام طوال تاريخه سوى إقليم، ولم يمثل أي منها أمة مسـتقلة بحد ذا ا، حسب المفهوم الحديث للأمة والدولـة الوطنيـة، كمـا أن حدود أي من هذه الأقاليم لم ترسم في أي من الأيام على الأرض، فلم تكن هناك أسس أثنية أو جغرافية، أو تاريخية، أو لغوية، لهذه الحدود،

ويأتي مؤتمر العقير ليفرض أساسا جديدا على هـذه البلـدان حسـب مقتضيات السياسة الدولية وأهواء الدول الإمبريالية كما يقول جـون مارلو بكل اعتباطية واستهتار بتاريخ المنطقة وتطلعا ا القوميـة)[655]، وعلى حد تعبير هوليداي (تحول حكام الخليج تحت الوصاية البريطانية من أمراء في قرى ساحلية صغيرة إلى حكام دول)[656].

2- أنه فرض التجزئة على المنطقة وحال دون وحد ا واتحادهـا كهـدف استعماري لاستمرار السيطرة عليها والتحكم ا، من خلال الحلقـات الأساسية لاتفاقية سايكس بيكو وهي معاهدة دارين سنة 1915م بين بريطانيا وابن سعود، التي جعلت نجد محمية بريطانية مماثلة تماما لمحميا ا في الخليج، ثم في اتفاقية العقير سنة 1922م وهي الأشد خطرا، التي تم فيها ترسيم الحدود بين دول المنطقة، بشكل لم يسبق في التاريخ وكما يعلل خلدون النقيب ذلك بقوله (لأن اتفاقية العقير قد أدخلت ترسيم الحدود على الأرض، وربطته بمفهوم السيادة الوطنية، الـتي لم تكـن معروفة قبل ذلك في المشرق العربي والجزيرة العربية طـوال تاريخهـا،

---

[655] التمع والدولة لخلدون النقيب 99 - 100 و110- 112 باختصار وتصرف يسير .

[656] دراسات في الشرق أوسطية ص 97 .

واحتوت بذرة العنصر المدمر الذي سيقوض الأساس الذي بنيت عليه كل المطالب القومية العربية منذ ذلك الحين إلى اليوم)[657].

3- كما ضمن للاستعمار الأجنبي وجوده بوجود حلفاء دائمين في المنطقة، مرتبطين به أشد الارتباط(من خلال محـاور ارتكـاز لأنظمـة حكـم مستبدة، ولكنها موالية للإدارة الاستعمارية الغربية، التي اسـتطاعت أن تقيم محورا ثابت الولاء للغرب في الجزيرة العربية)[658].

4- كما أنه فرض على شعوب الخليج والجزيرة حالة من الاستبداد المطلق بالسلطة والاستئثار بالثروة، لا لأسر حاكمـة كمـا هـو الحـال في بريطانيا، بل لعشائر حاكمة يبلغ عددها الآلاف من الأفـراد الـذين يسيطرون سيطرة شبه كاملة على مرافق الدولة الحساسـة السياسـية والاقتصادية والإعلامية، ولم يقبل شيوخ البحرين وقطـر والإمـارات تحت ضغط بريطانيا بأقل من ثلث دخل النفط لهم دون شعو م، بينما لا تزال السعودية وعمان لم تحسم هذه النسبة، وكما يقول هوليـداي (ربما يذهب ثلثا عائدات النفط في المنطقة إلى شيوخ الخليج)[659]، لتقوم الدول في الخليج والجزيرة لا على أساس الأرض والشعب بـل علـى أساس(الأسر الحاكمة كمؤسسات سياسية مركزية، وكـل مؤسسـات

---

[657] النمع والدولة ص 111- 112 .

[658] المصدر السابق ص 112 .

[659] دراسات في الشرق أوسطية ص 92 .

الدولة الأخرى هي امتداد وظيفي للأسر الحاكمة، بحيث يترجم الولاء للدولة في النهاية على أنه ولاء شخصي للأسرة الحاكمة).[660]

ولم تكتف العشائر الحاكمة بذلك بل امتد نفوذها(للاستئثار بالسلطة والثروة وإلى منع قيام قوى اجتماعية وسياسية مستقلة عن الدولة، ومعبرة عن مصالح وطموحات فئات السكان المختلفة، فمنعت قيام الأحزاب السياسية، وحرمت قيام الحركات الاجتماعية والسياسية غير الموالية لها، وامتدت هذه الجهود إلى اختراق جميع مؤسسات التمع المدني، وفرض القبضة الحديدية علـى منـاهج الدراسة في المدارس، وعلى وسائل الإعلام والتواصـل الجمعـي، واختـراق المؤسسة الدينية واخضاعها للسلطة المباشرة لوزير الأوقاف)[661].

لقد تحولت الدويلات في الخليج والجزيرة إلى إقطاعيات، وسكا ا رعايا وعبيـد لـدى حكوما ـا، وصـارت الثـروة ملكـا خاصـا لهـم، كمـا تقـول اليزبيثستيف (والجانب المثير في اتفاقيات الامتياز هو أنه تم توقيعها باسم الشيوخ لا باسم الدول التي يحكمو ا، ويرى بعض المحللين أن شركات الـنفط بتوقيعهـا تلك الاتفاقيات مع أولئك الشيوخ جعلت موارد النفط وكأ ا ملـك شخصـي

---

[660] التمع والدولة ص 147 .

[661] المصدر السابق 149 .

لهم)[662]، وكما يقول بيربي عن الوضع في الجزيرة العربية(مازال يدير البلاد سيد، ويتصرف بالممتلكات والسكان كأنه يتصرف بأملاكه الخاصة)[663].

5- خلق هوية زائفة لا تعبر عن كل مكونات المجتمع بقدر ما تعبر عن فئة محدودة صغيرة، هي العشائر الحاكمة ومن حولها من الأسر الحواشـي، ليتم بعد ذلك فرض هويتها الخاصة بثقافتها وقيمهـا وطموحا ـا العشائرية والأسرية الخاصة على كل مكونات المجتمع العربي بقوميتـه، والمسلم بديانته، وذلك بنسبة جميع المكونات والفئـات الاجتماعيـة إليها، وفرض التبعية لها عليها، فالكويت نسبة إلى كوت وحصن صار ميناء صغيرا وقرية لا تتجاوز مساحتها ميل ونصف في ميل ونصف يوم أن صارت محمية بريطانية، والتي كما يقول حسن الإبراهيم(كانت حتى عام 1914 جزء غير متميز عـن الإقلـيم العـربي في الإمبراطوريـة العثمانية، ولم يكن الباب العالي مهتما ببلـدة صـغيرة فقـيرة محاطـة بصحاري شاسعة، وقد كانت السـيادة مفقـودة، نظـرا لأن إقلـيم الكويت - والصحيح أنه مدينة وليس إقليما - حـتى بدايـة القـرن العشرين كان معترفا كإقليم خاضع للنفوذ المطلق للباب العالي، وفي عام 1914 أعلنت الكويت محمية من قبل الحكومة البريطانية، وظلت

---

[662] العلاقات العسكرية والاقتصادية بين دول مجلس التعاون الخليجي والاتحاد الأوربي ص 14 .

[663] جزيرة العرب لجان جاك بيربي61 .

حدودها غير واضحة حتى مؤتمر العقير عام 1922م بـين السـعودية والعراق والكويت، والذي آل إلى تقليص الإقلـيم المسـكون سـابقا بالقبائل الكويتية)[664]، إ ا كما يقول بيريي(دولة المدينة التي حملت اسم الكويت)[665]، ولم يكن يطلق على ما وراء أسوار مدينة الكويت اسـم الكويت، ولم تكن المعاهدة البريطانية ملتزمة بحماية مـا وراء أسـوار مدينة الكويت، لأ ا أصلا ليست من الكويـت كقريـة الجهـراء، ثم تحولت هذه النسبة إلى هوية، وصار أهلها الذي هم جزء مـن شـعب الخليج والجزيرة العربية شعبا مستقلا وكيانا مختلفـا، وتم ضـم كـل الصحراء بقبائلها وسكا ا إليها، ونسب الجميع إلى المدينة لا إلى الهوية الأصلية التي تعبر عن كيا م الاجتماعي قبل هذا الضم المصطنع، فمن صاروا كويتيين بعد الجنسية والهوية الجديدة لم يكونوا كويتيين قبلـها، مع أ م كانوا سكان الأرض التي تم ضمها للمدينة، ولم يكن آبـاؤهم ينتمون إلى هذه الهوية والجنسية، بل كانوا ينتمون إلى أسرهم وقبائلهم ومد م كباقي العرب، ولم تكن الكويت بالنسبة لهم إلا مدينة من مدن وطنهم الكبير(الجزيرة العربية)وأهلها جزء منهم، كحال أهل الأحساء، وأهل حائل، وأهل الزبير...الخ ومع ذلك لم تصبح هذه المدن – قبل مؤتمر العقير البريطاني – دولا ولا أهلها شعبا مستقلا، لأ ا لا تملـك

[664]الكويت لحسن الإبراهيم 26 .

[665]جزيرة العرب لجان جاك بيريي 255.

مقومات الدولة، فصارت المدن والأقاليم في جزيرة العـرب دولا لأن الاستعمار أرادها أن تكون كذلك! وكما يقول الدكتور الإبراهيم (إن الكويت تفتقر إلى معظم العناصر اللازمة لبناء الدولـة، ومـع ذلـك برزت كدولة مستقلة)[666]، وهذا أيضا حال البحرين وقطر والسعودية والإمارات وعمان!

لقد فرض الاستعمار البريطاني خريطته على المنطقة دون مراعاة حقوق شـعبها ومصـالحه، ولقـد أصـبحت بريطانيـا بسـبب مصـالحها وتعهدا ا(مضطرة أن تحافظ على زعماء هـذه الـدويلات الصـغيرة ومساند م، لأن أجدادهم كانوا قد وضعوا مصيرهم بين يدي التـاج البريطاني)[667].

6- أنه فرض حالة من التبعية والرعوية على سكان الأرض وشعبها الواحد للعشائر التي تحالفت مع الاستعمار الصليبي للمنطقة، فلم تقم العلاقة بين الحكومات والسكان على أساس مبدأ المواطنة التي تقتضي المساواة في الحقوق والواجبات بين الحاكم والمحكوم، وما يترتب على المواطنـة من حق اختيار الشعب لمن يحكمه، بل قامت العلاقة على أساس التبعية المطلقة لتلك الأسر العشائرية بقوة النفوذ الاستعماري الصليبي، ومن

[666] الكويت لحسن الإبراهيم 20 .

[667] جزيرة العرب لجان جاك بيربي 237 .

ثم صار الحكم والسلطة حقا مطلقا لتلك العشائر وحدها، لتغيب الدولة في العشيرة! لقد صار من يمنح الهوية في الدويلات الجديدة هو شيخ العشيرة أو شيخ المدينة الصغيرة، وصارت قبائل الصحراء - التي ضمت بالتبعية للأسرة أو للمدينة، تلك القبائل التي كان امتدادها أوسع جغرافيا، ووجودها أقدم تاريخيا، وسلطة شيوخهاونفوذهم أقوى سياسيا[668] - تحت رحمة هذه الهوية الجديدة، فلم يصبح أبناء القبائلولا عامة السكان في المدن والمناطق الحضرية مواطنين وفق مبدأ المواطنة التي تقتضي المساواة في الحقوق والواجبات بين سكان الوطن الواحد، بل صاروا رعية تابعة لمن يمنحهم هوية المدينة أو الأسرة أو الجزيرة التي صارت دولة!فلم يكن لهذه الهوية أي قدرة على خلق الانتماء الروحي لها، لأ ا لا تعدو أن تكون مجرد اسم أسرة أو اسم مدينة لا تعبر بالضرورة عن الهوية الثقافية والتاريخية لسكان الأرض التي نسبت إليها، لتتجلى إشكالية أهل المدينة، ومواطنو الدولة، فإلى اليوم لم يتم في الكويت الاتفاق على من هو الكويتي الذي له كامل الحقوق وعليه جميع الواجبات نحو الوطن! إذ ما زال الواقع السياسي يؤكد بأن

[668] ولا أدل على ذلك من المقارنة بين نفوذ ابن هذال شيخ شيوخ قبيلة ع ة، وعدد أفراد قبيلته التي قدر عددها المسئولون البريطانيون أثناء الحرب العالمية الأولى على أقل تقدير بربع مليون نسمه، ولها نحو خمسين شيخا، وتسيطر على مساحات شاسعة من الأرض ما بين شمال نجد والعراق وسوريا تبلغ نحو ألف ميل طولا، ومدينة الكويت التي لا يتجاوز عدد سكا ا في نفس الفترة عشرة آلاف نسمة، على مساحة ميل ونصف طولا في ميل ونصف عرضا!

الكويتي هوفقط من كان يسكن يوما ما داخل سور مدينة الكويت التي لا تتجاوز مساحتها الميل ونصف طـولا وعرضـا، دون إدراك بـأن الكويت(الدولة) تجاوزت حدود الكويت (المدينة)عشـرة آلاف مـرة لتشمل أراضي قبائل كانت تسكن على هذه الأرض منذ مئات السنين، وقبل بناء مدينة الكويت نفسها، وقبل الهجرات الوافدة إليها، ومـا زالت آبار تلك القبائل موجودة إلى اليوم شاهدة على ذلك، ووثـائق الخارجية البريطانية، وكتب تاريخ المنطقة تؤكد هذه الحقيقة، فصحراء الكويت لم تكن خالية من السكان قط، حتى هاجر البدو إليهـا بعـد النفط كما يشيع في الثقافة الزائفة، بل كانت تعج بعشرات القبائـل العربية التي كانت تجوب هذه الصحراء شمالا وجنوبا وشرقا وغربا إلى حدود السور كقبيلة الرشايدة ومطير والعوازم والعجمـان والظفـير ....الخ فهذه أرض آبائهم وأجدادهم منـذ أن وجـد العـرب علـى جزير م العربية، حتى جاء الاستعمار البريطاني الذي فـرض خريطتـه الحالية ليسهل له السيطرة عليها، ولهذا لم يتم تحديد حدودها إلا على أساس امتداد القبائل التي نجح مبارك في كسب ولائها، وعندما خـرج مبارك الصباح لحرب ابن رشيد في معركة الصريف لم يجد سوى هـذه القبائل ليشكل منها جيشه، والتي كانت تقطن في الصحراء التي ضمت بعد ذلك إلى مدينة الكويت، ومع ذلك مازال الشعب الكويتي يعـيش أزمة هوية من هو الكويتي؟وما هي الكويت؟هل هي المدينة وسـورها؟

أم الدولة وحدودها؟ وقد كان لهذه الأزمة تداعيا ا في جميع مجـالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصـادية، أدت إلى ظهـور طبقيـة خطيرة استأثرت فيها العشيرة الحاكمة وبعض الأسر حولهـا بـالقرار السياسي، والثروة الاقتصادية، والتوجيه الثقافي والإعلامي، والوظائف المهمة في الدولة، على حساب الأكثرية، بدعوى أ ا أحـق بالكويـت المدينة، مع أن الأكثرية هي الأحق بالكويت الدولـة! فصـار هنـاك مصطلح كويتي أصيل وكويتي دخيل، دون تحديد ما المقصود بالكويت فالمدينة بأسوارها لا تمثل 10000/1من نسبة مساحة الكويت الدولة بحدودها الدولية، وكل ثروا ا وحقولها النفطية هي في الصحراء الـتي كانت تقطنها القبائل العربية الأصيلة منذ مئات السنين، والتي صارت فجأة دخيلة في دويلات الطوائف! وهذه الإشكالية هي مـا يواجهـه اليوم الشعب السعودي أيضا، فهل السعودية هي الأسرة أو العشـيرة الحاكمة التي تؤمن بأن لها وحدها الحق في الحكم والسيطرة والتمتـع بكل الامتيازات والثروات بما في ذلك أراضي القبائـل والمـدن الـتي توحدت على أساس الأخوة الإسلامية، أم الدولة والشـعب الـذي تم نسبته إليها والذي صار مرتبطا بالأسـرة الحاكمـة بعلاقـة التبعيـة والرعوية، لا بعلاقة المواطنـة الـتي تقتضـي المسـاواة في الحقـوق والواجبات؟ وهل السعودي هو ابن الأسرة الحاكمة، أم ابن الشـعب والدولة التي يطلق عليها السعودية؟ وهل يتمتع السعودي الثاني بمـا

يتمتع به السعودي الأول من حقوق؟ وهل يشعر السعودي الثـاني ـ ابن الدولة ـ بالانتماء لهذه الهوية وهذه النسبة كما يشـعر الأول ـ ابن الأسرة ـ؟ وهل الأرض والثـروة والسـلطة في نجـد والحجـاز والأحساء وعسير ملك للسعودي الأول أم للسعودي الثـاني؟ وكـذا تتجلى هذه الإشكالية في قطر والبحرين وفي كل دويلات الوائف التي أقامتها الحملة الاستعمارية الغربيـة الصـليبية في الخلـيج والجزيـرة العربية!

(عبيد بلا أغلال)

(29)

(تجليات أزمة الهوية اقتصاديا)

1- تحجيم النشاط الاقتصادي وتعطيل نموه بسـيطرة العشـائر الحاكمـة وأتباعها عليه بشكل شبه كامل واحتكاره لتظل لها السيطرة السياسية المطلقة على المجتمع، وكذلك استنزاف ثروات المنطقة و نهبها حتى بلـغ ما تم تسجيله بأسماء أفراد من العشائر الحاكمـة ألـف مليـار دولار (ترليون) أي ما يعادل ميزانية بلد نامي مدة ألف سنة! وقد أصـبحت تلك الأموال المنهوبة مكدسة في البنوك الغربية، لتظل المنطقة من أفقر دول العالم في النمو والتطور، والسبب في ذلك كما يقـول خلـدون النقيب يعود إلى(هيمنة البيروقراطية المركزية على الاقتصاد والمجتمـع، بشكل يمنع أو يحد من إمكانات التنمية الحقيقية خوفا من زعزعة هذه التنمية للترتيبات التي تضمن للنخبة الحاكمـة اسـتمرار اسـتئثارها بمصادر القوة والثروة في المجتمع، والرخاء والازدهار اللذان يولـدهما الدخل من النفط هما رخاء وازدهار ظاهريان، حيث أن تجزئة الـوطن العربي أدت إلى خلق كيانات مستقلة، وهـذه الكيانـات وبخاصـة في الخليج والجزيرة العربية، تمثل أسواقا محدودة جدا مـن حيـث ضـيق القاعدة الإنتاجية، ومن حيث حجم الاستهلاك، ومن حيـث مجـالات الاستثمار، مما شجع على تصدير رؤوس الأموال العربيـة إلى أسـواق أوربا الغربية وشمال أمريكا، مما حرم بلدان الجزيرة العربية والمشـرق العربي من فرص واسعة للاستثمار المجدي في الموارد البشرية والطبيعية والتكلونوجية، وعمق التبعية للغرب..إن الرخاء والازدهـار اللـذين

شهد ما بلدان الخليج والجزيرة العربية كانا ظاهريين وسطحيين، لأ ما اعتمدا على الانفاق الحكومي، من دون أن يصحبه توسـيع للقاعـدة الإنتاجية للاقتصاد)[669]، لقد عجزت بل فشلت دول الخليج مع ثروا ا النفطية الهائلة أن تحقق ما حققته الحكومة الماليزية خلال ربع قرن من نمو وتطور جعل من ماليزيا دولة صناعية، وجعل تجربتها رائدة علـى المستوى العالمي، في الوقت الذي تعاني دول الخليج من أسـوء صـور التخلف، حيث تعتمد المنطقة اعتمادا شبه كامل على الخارج في كل ما تحتاجه، مما يجعلها عرضة للسقوط في أي لحظة، مع أن النفط الذي هو المصدر الرئيسي والوحيد للثروة قد ينضـب خـلال نصـف قـرن، لتكتشف شعو ا أنه تعرضت لأكبر سرقة في التاريخ الإنساني تعرضت لها أمة من الأمم، دون أن يوجد البديل الصناعي القادر على أن يكون بديلا للنفط بعد نضوبه! وعلى حد قول هوليـداي(يتلقـى الأمـراء الجشعون ما يعرف بالخصوصية التي تبلغ نصف مليـون دولار سـنويا لكل واحد منهم، ولا يحظون بمحبة التجـار الحجـازيين، أو الجنـود القبليين النجديين في القوات المسلحة، ، والتجار في الكويت والبحرين لا تروق لهم إدارة عائدات النفط التي يقوم عليهـا آل صـباح وآل خليفة، ولا تسير الأمور في عمان على مـا يـرام بسـبب ادعـاءات

[669] النمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية للنقيب169- 170 .

التبذير)[670]، وكما يقول الصنيتان عن الوضع في السعودية(لقد نشأ ما يعرف بالأحياء الشعبية وأحزمة الفقر من ذوي الدخل المحدود ...ولو أدير التدفق المالي إدارة حسنة وبمسئولية ووزع توزيعا عادلا لأصبحت المملكة قوة صناعية إقليمية، غير أن صرف المعظم منها على الهبـات والأعطيات، ونفقات الأسرة الحاكمة وبعض العائلات المحـدودة الـتي خصت برواتب ابتداء من الولادة إلى الوفاة، الـتي لا يوجـد مـبرر لتميزها من بقية قبائل وأسر المجتمع السعودي، وكـذلك مخصصـات ونفقات وسفريات وأثاث وقصور ومصاريف وشراء أمزجة كثير مـن الدول أهدر فرصا لتنمية شاملة عادلة تردم الفجوة بين الطبقات)[671].

2- خلق واقع طبقي فئوي خطير يجعل فئـات المجتمـع الواحـد عرضـة للاصطدام، وذلك من خلال سياسـة الإقصـاء والتـهميش لفئـات اجتماعية عريضة، وحكر المناصب الوزارية والوظيفيـة علـى فئـات محدودة دون أي اعتبار لمبدأ الأكفأ والأجدر، وتكـاد تتجلـى هـذه المشكلة في كل دويلات الطوائف في الخلـيج العـربي، وكمـا يقـول الدكتور الصنيتان في دراسته الاجتماعية(وعلى الرغم من التطـورات النوعية ذات الصعد الاجتماعية والاقتصادية في بنى المجتمع السـعودي

[670] دراسات في الشرق أوسطية ص 104 .

[671] النخب السعودية دراسة في التحولات ص 148 .

بشرائحه وبأسره، وبالذات القبائل التي يتكون معظم السكان منـها، فإن مشاركتها في النخبة الوزارية تكاد تكون معدومة على الرغم من حصول بعض أبنائها على أعلى المؤهلات العلمية، وقد بدأوا يعون لما يتعرضون له من تهميش ...ومن المفارقة أن هذه الظاهرة غير الوطنيـة تلبس بإصرار وقصد على القبيلة بدافع تهميشها، إن الإحساس وإدراك الواقع شملا كل الأوساط المحرومة من التنمية ومن المشاركة في فـرص التعليم العالي، والوظائف العليـا، والحظـوظ في دخـول الكليـات العسكرية)[672]، وقد شمل الحرمان والتهميش كما أثبتته الإحصـائيات التي عرضها الصنيتان في كتابه بالإضافة إلى القبائـل منـاطق حائـل والجوف والإحساء والجنوب...الخ، وهـذه ظـاهرة خطـيرة في كـل دويلات الطوائف الخليجية بدأ الجميع يدرك خطور تـها علـى وحـدة المجتمعات واستقرارها، وكما يقول خلـدون النقيـب(إن الاحتكـار الفعال لمصادر القوة والثروة التي تمارسه النخب الحاكمة يخلق منغلقات للحراك الاجتماعي سـيؤدي إلى زيـادة الاحتكـاك بـين الطبقـات والدرجات الاجتماعية، فإذا أخذنا تركيبة الحكومات والفئات العليـا من البيروقراطية الحكومية، وجدنا أن التوظيف في هذه المناصب يـتم من فئات معينة لا تتجاوز حدود الأسرة الحاكمة وكبار التجار، وبعض

---

[672] النخب السعودية دراسة في التحولات ص 58- 69.

أبناء الطبقة الوسطى الذين ينتمون إلى أسر عرفت بعلاقا ا الوطيـدة إما بالأسر الحاكمة، أو بكبار التجار كزبائن للمعازيب، ويقابل هـذا المنغلق منغلق آخر في القطاع الخاص والمشترك، إذ يحتكر فيـه أبنـاء الأسر الحاكمة والنخبة التجارية عضوية مجالس الإدارات في الشركات المساهمة والكبيرة..وهي منغلقات تمنع أبناء الطبقة الوسطى والدنيا من تحقيق طموحها، لما يشهدونه من استئثار النخب الحاكمـة بالسـلطة والثروة بشكل مثير، مما يؤذن باندلاع صراع اجتماعي واسع النطـاق بين النخب الحاكمة والسكان)[673].

لقد أدى التحول الخطير للسكان في الخليج والجزيرة العربية والفريـد من نوعه في التاريخ الإنساني من حالة الارتحال والبداوة إلى الاستقرار والحضارة بشكل سريع وجماعي إلى عجز فاضح عن اسـتيعاب المـدن للسكان الأصليين للجزيرة العربية، حيث بدأ النظر إليهم على أ ـم مهاجرين ودخلاء على المدن التي أصبحت فجأة دولا علـى أرضـهم وأرض آبائهم وأجدادهم، وأصبحت الصحراء التي كانت مسـاكنهم منذ آلاف السنين مناطق لامتياز شركات النفط التي صارت تحاصرهم في كل مكان، لتستخرج النفط من أرضهم ومن تحت أقدامهم، غير أ م مع كو م يمثلون أكثر من ثمانين بالمئة من مجموع سكان دول المنطقـة

[673] التمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية 170 - 171 .

كلها إلا أ م ينظر إليهم لا فقط كمهاجرين إلى المدن التي استوطنوها، بل صار يعاملون كمهاجرين في الدول التي قامت على أرضهم وصاروا يحملون جنسيا ا! لقد فضحت الدراسات الاجتماعية مـدى التمييـز الخطير الذي تتعرض له الفئة الأكثر عددا والأقدم وجودا علـى أرض الجزيرة العربية، وعجزت الدولة المدينة، والحكومة الأسرة، في دويلات الطوائف، أن تحقق لهم العدل والمساواة في الوظائف العامة، والخدمات العامة في مناطقهم، والتمثيل العادل لهم في التشكيل الوزاري ومجالس الشورى، والبرلمانات، كما عجزت عن توزيع الثروة بشكل عادل بين السكان، حيث تم حرمان فئات عريضة منهم لصالح أسر محدودة تتمثل في الأسر الحاكمة ومن حولها، وهو ما ينذر بصراع طبقي خطير، وقـد تنبأ له جان بيربي بقوله(ليس من المعقول أن يجري القفز عشرة قـرون من الزمن دون ضرر، لدى بدو هم خلايا حيوية في جسم اجتماعي، إن البدوي لا بد سائر نحو خسران قوته وسبب الحياة نفسـه، والشـؤم يكمن في سرعة التطور نفسها، وقد كتب روبير مونتاي بجلاء ووضوح حيث يقول(لنسرع ونراقب اليوم وجود القبائل البدويـة المتنقلـة في الصحراء، إ ا منذ اليوم مهددة، إن لم يكن بـالزوال، فعلـى الأقـل بضعف مخيف)، أننا اليوم نجد كثيرا من المـدافعين البسـطاء يعلنـون إعجا م بنتائج اللقاء بين الحضارة الغربية والحياة البدويـة في قلـب الجزيرة العربية، وهؤلاء من الكتاب الأمريكيين الذين تربطهم علاقات

وثيقة بالشركات البترولية التي لا تخفى على أحـد، أمـا المراقبـون الرصينون فقد فضلوا قرع نوافيس الخطر أمام هذه التطورات القسرية القاسية في التركيب الاجتماعي والاقتصـادي للبـدو، والانقلابـات الحتمية الفائقة السرعة التي تقتلع جذور شعوب عشـائرية العقليـة، وهي الخميرة التي ستقوم بثورات المستقبل، والذي يقلق لـيس تطـور البدو وانتقالهم من البداوة إلى الحضارة، بل كون هذا التغير يقوم على ثروة مؤقتة مع العلم أن الحاجات التي ستنشأ عـن التطـور لا مجـال للهرب منها، إن المشكلة الأساسية في الصـحراء العربيـة أن تطـورا اجتماعيا سريعا يحدث ويستمر دون أن يكون لـه أسـس اقتصـادية متينة)[674].

3- خلق ثقافة وخطاب ديني وثقافي زائف يضفي الشرعية على كل مظاهر الانحراف المذكورة آنفا، فالمؤسسات الدينية، والمنابر الثقافية والفكرية والأدبية، والمؤسسات التعليمية كلها توظف في إضفاء المشروعية على استبداد الأنظمة، وعلى الاستئثار بالثروة، وعلى الوجود الاستعماري العسكري الذي يسيطر عليها، وعلى الظلم الاجتمـاعي والتـهميش المقصود لفئات واسعة من المجتمع، وعلى انتهاك حقوق الإنسان، وعلى الظلم الاقتصادي حتى صارت البنوك والمؤسسات الربويـة الحكوميـة

[674] جزيرة العرب لجان جاك بيريي 76- 78.

أكثر المؤسسات تحكما في الاقتصاد حتى بات عامة الأفراد في التمعات الخليجية تحت وطأة المديونيات، ومع ذلك لا تجد من الخطاب الـديني الرسمي الحكومي أو الشعبي اعتراضا أو رفضا حازما لكل تلك المظاهر الخطيرة! لقد تم توظيف الـدين نفسـه في خدمـة الفسـاد والظلـم والاستبداد، لقد أصبحت الأنظمة في المنطقة - كما يقول هوليداي - تدعي(حماية النظام الإسلامي، وأسهل الآيات استخداما هي تلك الـتي تأمر بالمعروف وترشد المؤمن إلى طاعـة الله والرسـول وأولي الأمـر، والاحتجاج بأن كل أشكال الحكم الأخرى غير الملكية معادية للإسلام كالنظام الجمهوري والديمقراطي)[675].

إ ا إشكالية في غاية التعقيد بسبب أزمة الهوية وما يترتـب عليهـا مـن آثـار وتداعيات، وما تشكله من ثقافة زائفة بسبب المصطلحات الخادعة الـتي كـان للاستعمار البريطاني الصليبي اليد الطولى في اختلاقها وصياغتها وترسيخها علـى هذا النحو!

فإنه لم تنته الحرب العالمية الأولى حتى (خضع جميع رؤسـاء الخلـيج للسـيطرة البريطانية وللنفوذ البريطاني فيما يتعلق بشئون علاقا م الخارجية بل إ م مدينون

675 دراسات في الشرق أوسطية ص 92 .

إلى حد كبير بوجودهم في الحكم بفضل اتحادهم مـع الإنجليـز) كمـا جـاء في منشورات الخارجية البريطانية سنة 1919م[676].

لقد رسخت أزمة الهوية التي تعيشها شعوب الخليج اليوم الثقافة الزائفة الـتي تم فرضها عليها منذ قيام الدول الحديثة، وتم خلالها طمس تاريخ سـكا ا وتـاريخ قبائلها الأصلية التي كانت موجودة على هذه الأرض قبل قيام الـدول الحديثـة فيها، وقد تم ربط الشعوب بالحكومات لا العكس! وصار تاريخ المنطقة يبدأ فقط من سنة 1900م أي منذ أن بدأ الاستعمار البريطاني مشروعه في المنطقة على يد حلفائه الذين جعل منهم بعد ذلك ملوكا وأمراء على دويلاته التي اختلقها، حتى نشأت أجيال جديدة لا تعرف تاريخها وجذورها والكارثة الـتي تعرضـت لهـا، وأسباب المحنة وجذور الأزمة التي تعيشها، حتى بلغ الزيف وطمس الهوية بشـكل رسمي حكومي وتعليمي وإعلامي أن يشاع ـ كما في الكويت ـ أنه لم يكن على أرض الكويتولا في صحرائها أحد حتى بـدأت الهجـرات إليهـا، وأن القبائـل الموجودة اليومهاجرة جاءت إلى هذه الأرض بعد ظهور النفط!

لقد أقام الاستعمار البريطاني دويلاته في الجزيرة والخليج العربي لا علـى أسـاس الدولة والشعب وعلاقة المواطنة، حيث يكون انتماء المواطن للدولة التي تتمثـل بالأرض والشعب والسلطة، كما حدث في أوربا حيث قامـت الـدول القوميـة الحديثة على أنقاض الإمبراطورية الرومانية وسلطة الكنيسة حـين(حطـم نظـام

[676]تاريخ الخليج العربي 41/3 .

الدولة الحديثة في أوربا الإمارات الإقطاعية والطبقات حـين تـوارت الكنيسـة والولاءات الأسرية ليحل محلها الولاء للدولة ذا ا)[677].

ولا على أساس المشاركة السياسية للشعب في علاقته بالسلطة وحقه في اختيارها ومشاركتها في إدارة الدولة كما هو حال الأنظمة في الدول الحديثة حيث (تتصف الدولة الحديثةبعقلنة السلطة، وتعديل البنيـان التنظيمـي، والمشـاركة العامـة فيها)[678].

وإنما أقام الاستعمار دويلاته في المنطقة العربية علـى أسـاس الرعويـة وتبعيـة الشعوب للمشيخات والأسر التي تحالفت معه، فأصبح سكان كل إقليم بقبائلـه ومدنه يخضع بقوة الاستعمار لهذه الأسرة أو تلك الأسرة، لتنشأ علاقة ممسـوخة وهوية زائفة تتمثل في غياب مبدأ المواطنة ليحل محلها مبدأ التبعيـة والرعويـة، حيث ما زالت الأسر الحاكمة في الخليج العربي ترى أن هذه الأرض التي أخضعها لها الاستعمار هي أرضها الخاصة ا لا أرض الشعب الذي كان موجـودا عليهـا منذ آلاف السنين قبل وجود هذه الأسر!! وصارت الأسر الحاكمة تتصرف فيهـا وفي ثروا ا كما يتصرف الإقطاعي في أرضه، وصارت هذه الأسر هي التي تمنح من تشاء الجنسية وتسحبها ممن تشاء، فأصـبح الارتبـاط بالأسـر لا بالـدول ولا بالأرض، وما زالت دويلات الخليج العربي إلى اليوم تتحكم في أخطـر موضـوع

[677] الكويت لحسن الإبراهيم 20 .

[678] الكويت لحسن الإبراهيم 21 .

على الإطلاق وهو موضوع المواطنة دون وجود أي ضمانات دستورية تصون حق المواطن في جنسيته وهويته، فليس للسلطات التشـريعية والقضـائية أي دور في التدخل في هذا الموضوع، بل الأمر كله منوط في يد الحكومات التي تمثل الأسـر الحاكمة، أكثر من تمثيلها للشعوب، وهو خلل دستوري خطير الهدف منه إخضاع شعوب المنطقة وسكا ا لهذا الواقع الذي فرضه الاستعمار الغربي علـى شـعوب المنطقة، لقد بلغ الأمر أن يتم ابتزاز سكان الجزيرة والخليج العربي الأصليين، من خلال ديد كل معارض بسحب الجنسية! ولم يحتج الموضوع أكثر من جرة قلـم لتتحول قبيلة كاملة من أعرق قبائل الجزيرة العربية إلى لاجـئين علـى أرضـهم وأرض آبائهم وأجدادهم، لتتجلى أزمة الهوية في الخليج العربي في أوضح صورها، وليتحول سكا ا الأصليون إلى (هنود سمر) تحت رحمة الأسر التي دعمها الرجـل الأبيض! وهي الإشكالية التي أكدها ما ورد في تقرير التنمية الإنسانية العربيـة لعام 2004م حيث ورد فيه(لعل أقصى أشكال الإقصاء خارج المواطنة هو إمكان سحب الجنسية من المواطن العربي الذي تتيحه بعض التشريعات العربية بمقتضـى قرار إداري من مسئول حكومي دون مستوى الوزير في بعض الحالات)[679]!

لقد ظل النظام العشائري الأسري هو الذي يسيطر على نظام الحكم في الخلـيج العربي كما هو الحال في الكويت إلى اليوم (ولعل أفضل وصف لنظـام الكويـت جاء على لسان السير روبرت هاي إذ قال:إن النظام الحكومي أسـروي، وفيـه

[679] التقرير ص 9 .

يشغل أعضاء الأسرة الحاكمة مراكز الدولة العالية، وفي الواقع كان كل واحد من هؤلاء لشيوخ كيانا قائما بحد ذاته)، وهكذا فلم يكن في الكويت، كما هو الحال في الخليج العربي، أي فرق بين الحاكم والدولة (في الكويت الحاكم هو الدولة، وله وحده الحق في تخصيص العائدات وفق ما يراه مناسبا، كما يقول روبرت هاي)[680].

وإذا كان هذا هو حال الكويت التي تعد من أكثر دويلات الخليج العربي تطورا فكيف بباقي دوله؟!

إن تاريخ سكان مدن الخليج العربي العريقة، وتاريخ سكان الصحراء تعرض للمسخ والطمس المتعمد، من أجل استمرار حالة التبعية للحكومات الحديثة، ولتهميش دور شعوب المنطقة خاصة القبائل التي كانت المؤثر الرئيس في تاريخ المنطقة كلها منذ ظهور الإسلام إلى سقوط الخلافة العثمانية، كما أنها تمثل الأغلبية، في كل دولها، حتى نجح الاستعمار في إخضاعها لحلفائه، ومع أنها تحضرت واستقرت في المدن، إلا أنها مع ذلك تتعرض لما يتعرض له الهنود الحمر في أمريكا من تهميش، وأصبح السكان الأصليون غرباء على أرض أجدادهم، كل ذلك بتأثير الثقافة الزائفة التي تم فرضها على شعوب المنطقة منذ الاستعمار البريطاني، والتي ما زالت تأثر تأثيرا مباشرا على واقعنا السياسي؟!

[680] الكويت لحسن الإبراهيم 148 .

وكان الحال على حد فرومكين(فصانعوا السياسة البريطانية بعد أن قضوا علـى النظام القديم في المنطقة، ونشروا الجنود والمصفحات والطائرات، في كل مكـان، من مصر إلى العراق، فرضوا على الشرق الأوسط تسوية لم يعد أكثـرهم مؤمنـا بها)[681].

---

[681] ولادة الشرق 623 .

(عبيد بلا أغلال)

(30)

(الخليجيون والثورة العربية)

لقد أصبح العرب الخليجيون في جزيرة العرب اليوم أكثر إدراكا لأزمة الهوية التي يعيشو ا، وأكثر شعورا بآثارها الخطيرة على واقعهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والحقوقي، فهي التي أدت إلى:

1- ترسيخ الواقع الطبقي حيث تستأثر الأسر الحاكمة وحاشيتها ومن حولها بكل شيء، بالقرار السياسي والنفوذ الاقتصادي والمالي والإعلامي والوظيفي!

2- ار ان الخليج والجزيرة العربية وشعو ا وأرضها وثرو ا لصالح الاحتلال الأجنبي وقواعده العسكرية ونفوذه الاستعماري، من خلال تحالفه ودعمه للأسر التي فرضها لتحكم شعوب المنطقة! ففرطت باستقلالها وأمنها، بدعوى أحقيتها المزعومة في الحكم دون إرادة شعو ا!

3- استلاب الحرية السياسية، وانتقاص الحقوق الإنسانية، و ميش الإنسان الخليجي، ليظل رعية تحت حكم الراعي، لا مواطنا له كما لأفراد الأسر الحاكمة كل حقوق المواطنة!

4- تكريس تجزئة المنطقة الواحدة والشعب الواحد، ليسهل على القوى الخارجية التدخل في شئون كل بلد خليجي، وتعريض أمن المنطقة كلها للخطر، بعد أن فقدت حكوما ا أي قدرة على اتخاذ قرار سيادي تاريخي يعيد للمنطقة وحد ا وقو ا لمواجهة الخطر الخارجي، وتأمين شعو ا التي باتت في مهب الريح أمام الصراع الدولي والإقليمي (الغربي - الإيراني) على المنطقة!

لقد أصبح الخليجيون أشد رفضا لهذا الواقع وأشد إصرارا على تغييره نحو واقع أفضل يقوم على قيم إسلامية وإنسانية حيث يتساوى فيه الجميع في الأرض والسلطة والثروة والمواطنة والحقوق والواجبات، كما كان عليه واقعها قبل الاستعمار البريطاني حتى في عصور انحطاطها وتخلفها، حيث كانت العلاقة قائمة بين مكونات المجتمع الخليجي على أساس قبلي يتساوى فيه الجميع، تقوم فيه رابطة الدم بفرض قيم المساواة، ورابطة الانتماء والمدافعة عن القبيلة بفرض قيم الحرية والمشاركة بالرأي، إذ لا استبداد في ظل النظام القبلي الذي يستطيع الفرد فيه الارتحال حين تنتهك كرامته، فقد كانت القبيلة العربية تمارس حقها في اختيار من يرأسها إذا توافرت فيه صفات السيادة، كما قال الأعرابي (لا يسود فينا الرجل حتى يحل لنا عرضه، ويوطئنا فراشه، ويملكنا ماله)، فلا يسود فيهم بخيل بماله، ولا جبان لا يستطيع القتال دو م وحمايتهم بنفسه، ولا جهول لا يصبر عليهم بحلمه وسعة صدره، ولا أناني لا يؤثرهم بمكانه ومجلسه!

كما لا تعرف القبيلة نظام التوارث في المشيخة، بل لا يشيخ فيهم إلا من اختاروه شيخا لهم لكفاءته، حتى إذا ضعف وعجز عن القيام بمسئولياته، وتصدى لها من هو أكفأ منه انتقلت المشيخة إليه، فتنتقل من بيت إلى بيت، ولهذا يتقدم لقيادة القبيلة العربية الأكفأ والأقدر حين ترضاه القبيلة!

لقد حطم الاستعمار البريطاني تلك العلاقة ليقيم علاقة طبقية يفرض فيها الاستعمار الأسر التي تتحالف معه - بقوة الطيران والمدافع - على المجتمع، ليخلق واقعا طبقيا خطيرا شبيها بالطبقية الهرمية الهندية، كما يؤكد الدكتور اليوسف (إن النظام القبلي أقرب إلى النظام الديمقراطي المعاصر من حيث المدافعة والمساءلة والحفاظ على حقوق الأفراد، فابن القبيلة كان يمارس دورا في قبيلته، وقبيلته كانت تمارس دورا في تجمع القبائل، فلم تكن هناك هيمنة لأحد،

حتى وإن تفاوتت موازين القوى بين القبائل، فالكل كان له صوت وحق، أما النظم الخليجية الحالية فهي عبارة عن اختزال للنظام القبلي في أسرة واحدة، تخلت مع ظهور النفط والوجود الأجنبي عن بقية القبائل ماليا وأمنيا، وأصبحت - بتحالفها مع الأجنبي - تستفرد بالثروة والقرار إلى يومنا هذا، وأصبحت شبيهة بالنظام الطبقي في الهند، هذا الاختلال الذي حصل في موازين القوى بين شعوب المنطقة والأسر الحاكمة يؤكده الباحث علي الكواري بقوله : أدت تلك التغيرات إلى انتقال نظام الحكم في دول المنطقة من التحالف القبلي التقليدي حيث يكون الشيخ هو الأول بين متساوين، إلى حكم أسر يقوم على الغلبة، بسبب المعاهدات التي أبرمتها بريطانيا مع شيوخ المنطقة، وقد أدت إلى تراجع المشاركة السياسية بشكل عام، عندما ضعفت القبائل والعائلات، وقوي مركز الأسر الحاكمة).[682]

لقد أصبح الخليجيون اليوم يتطلعون إلى تتحرر أوطا م وشعو م من الاحتلال الأجنبي والوجود العسكري الاستعماري، وهو ما تعبر عنه حركات الرفض والاحتجاج التي تشهدها المنطقة منذ أكثر من ثلاثة عقود، وكما يقول فرد هاليداي حين تحدث عن ضعف النظم السياسية في الخليج العربي خاصة(هشاشة ما تبقى من حلفاء للغرب في المنطقة، فكل حلفاء الغرب حول الخليج عبارة عن أنظمة ملكية تحكم دون موافقة شعو ا بفساد هائل وتوزيع للثروة غير متكافئ، وقد أوضحت أحداث إيران أن الأنظمة التي تبدو مضمونة في الظاهر قد يطاح ا بسرعة عندما تبدأ الحركة الشعبية في النمو).[683]

لقد صار المشروع الاستعماري البريطاني المتمثل في دويلات الطوائف كله عرضة للتغيير بعد أن ظهرت آثاره الكارثية، فلا هو حافظ على الوضع القائم لشعب الجزيرة والخليج العربي يوم أن خرجت الدولة العثمانية من المنطقة، حيث كان الجميع يمثلون شعبا واحدا، في منطقة جغرافية واحدة، وكانت كل

---

[682] انظر كتاب (مجلس التعاون الخليجي في مثلث الوراثة والنفط والقوى الأجنبية) للدكتور اليوسف ص 35- 36 .
[683] السياسة السوفيتية في قوس الأزمة 24 .

مدينة وكل قبيلة تمثل جزءا لا يتجزأ من هذا الشعب العربي الواحد في أصله ولغته وتاريخه ودينه وثقافته، لا تحول بينهم الحواجز والحدود، ولا تفرق بينهم الألقاب والرسوم، بل كانوا أحرارا في جزير م كما كانوا منذ وجودهم عليها إلى أن وحدهم الإسلام، وجعل العلاقة بينهم علاقة قائمة على الأخوة والمساواة!

ولا هو بالذي أقام واقعا جديدا تكون العلاقة فيه قائمة على أساس المواطنة التي تقتضي المساواة في الحقوق والواجبات كما هو الحال في الدولة الحديثة المعاصرة!

ولا هو بالذي حررها من الاستعمار وحماها من الخطر الأمني الخارجي!

وقد أدى ذلك كله إلى تنامي حركة الرفض لهذا الواقع الطبقي الاستبدادي الاستعماري الممسوخ الذي لن يكتب له الدوام أبدا، لأن ما أقيم على باطل فهو باطل، وهذا ما تنبأ به فرومكين حيث يقول:(أصبح الشرق الأوسط على ما هو عليه الآن من اضطراب، لأن الدول الأوربية أخذت على عاتقها أن تعيد تشكيله من جهة، ولأن بريطانيا وفرنسا أخفقتا في ضمان استمرار الأسر الحاكمة، والدول، والنظم السياسية، التي أوجدتاها، بعد أن قضتا خلال الحرب العالمية الأولى قضاء مبرما على النظام القديم في المنطقة، وحطمتا الحكم العثماني للشرق الأوسط العربي تحطيما لا خلاص منه، ولكي تأخذ الدولتان مكان النظام القديم، أوجدتا بلدانا، وعينتا حكاما، ورسمتا حدودا، وأدخلتا نظام دول، ولكنهما لم تقضيا على كل معارضة محلية هامة لقرارا ما، ولا تزال إلى يومنا هذا قوى محلية ذات بأس في الشرق الأوسط غير موافقة على هذه الترتيبات، وقد تطيح ا، إن ثمة مطالب هي أكثر صلة بالجوهر، وهذه الخلافات لا تقتصر على الحدود فحسب، بل تطرح أيضا حق الوجود لبلدان انبثقت عن القرارات البريطانية الفرنسية في أوائل العشرينات من القرن العشرين، وهذه الخلافات تذهب إلى غور أعمق، وتبحث مسائل تبدو مستعصية على الحل وهي:هل يستطيع النظام الحديث الذي ابتكرته أوربا ونقلته إلى المنطقة، ومن مميزاته تقسيم الأرض إلى دول علمانية مستقلة أساسها مواطنية قومية؟ إن الأفكار السياسية الأوربية ومنها الحكومة المدنية العلمانية،

تعد عقيدة غريبة على منطقة أكد معظم سكا ا، ولمدة تربو على ألف عام، إيما م بشريعة دينية تحكم كل جوانب الحياة، ومنها الحكومة والسياسة، لقد أقر فعلا رجال الدولة الأوربيون في زمن الحرب العالمية الأولى بوجود المشكلة وبأهميتها، فما إن بدأ قادة الحلفاء يخططون لضم الشرق الأوسط إلى دولهم، حتى أدركوا أن سلطة الإسلام على المنطقة هي الخاصية الرئيسية للخريطة السياسية، التي يتحتم عليهم أن يجا وها، وقد شن كيتنشر عام 1914م سياسة هدفها جعل الإسلام تحت سيطرة بريطانيا، فلما ظهر أن هذه السياسة لن تنجح، رأى معاونو كيتنشر البديل في رعاية ولاءات أخرى، لاتحاد شعوب عربية، أو لأسرة الشريف حسين، أو لبلدان كان عليها أن تخرج للوجود كالعراق، وأن تكون هذه الولاءات منافسة للوحدة الإسلامية، والحقيقة أ م عندما صاغوا تسوية الشرق الأوسط لما بعد الحرب، كان هذا الهدف نصب أعينهم، بيد أن فهم المسئولين الأوربيين في ذلك الحين للإسلام كان ضئيلا....لا وجود في الشرق الأوسط للإحساس بالشرعية، وليس في المنطقة إيمان يشارك فيه الجميع بأن الكيانات التي تسمي نفسها بلدانا، والرجال الذين يدعون أ م حكاما، لها أو لهم حق الاعتراف م كبلدان أو كحكام، ولا يمكن القول بأن الذين خلفوا السلاطين العثمانيين، قد نصبوا في مناصبهم بصفة دائمة، مع أن هذا ما اعتقد الحلفاء أ م فاعلوه بين عامي 1919 و1922م).[684]

ويقول فرومكين أيضا وهو يتنبأ عن مستقبل المنطقة في ظل الأزمة التاريخية التي تعيشها سواء أزمة الهوية من جهة، أو أزمة الشرعية السياسية من جهة أخرى:(إذا استمر زخم التحديات، لتسوية 1922م فإننا سنرى يوما ما الشرق الأوسط الذي عرفناه في القرن العشرين في وضع يشبه وضع أوربا في القرن الخامس الميلادي، عندما ألقى ا يار الإمبراطورية الرومانية في الغرب، شعوب الإمبراطورية في خضم أزمة حضارة، لقد احتاجت أوربا إلى ألف وخمسمائة عام لتحل أزمة هويتها الاجتماعية والسياسية بعد زوال الإمبراطورية الرومانية، منها نحو ألف سنة لكي يستقر النظام السياسي على

[684] ولادة الشرق 632- 633 .

شكل الدولة الأمة، ونحو خمسمائة سنة أخرى لتقرير من هي الأمم التي تملك الحق في أن تشكل دولا، وهل يكون الولاء للسلالات الأسرية، أو للدولة القومية، أو لدول المدن؟ لقد تبين أن موضوع أزمة الشرق الأوسط المستمرة في زمننا، هو مثيل موضوع أزمة أوربا الغربية، وإن لم يكن بنفس العمق وطول الزمن، فكيف تستطيع شعوب متنوعة أن تعيد تجميع نفسها لخلق هويات سياسية جديدة، بعد ا يار نظام إمبراطوري طويل العهد اعتادت عليه؟ لقد اقترحت دول الحلفاء في مطلع العشرينيات من القرن العشرين شكلا للمنطقة بعد زوال الدولة العثمانية، لكن السؤال الذي لا يزال قائما:هل تقبله شعوب المنطقة؟ولذلك فإن تسوية 1922م لا تخص الماضي، بل هي في قلب الحروب وال اعات والسياسات الراهنة في الشرق الأوسط)[685].

وقد عبر عن هذه الأزمة السفير البريطاني في المملكة السعودية ألن مونرو سنة 1996م في مقال حول أسباب عدم استقرار المنطقة فقال (تقع المملكة العربية السعودية في منطقة عدم استقرار ..إن العداوات القديمة والخلافات بقيت كما هي لارتباطها العميق بتاريخ قبائل المنطقة، وفي الحقيقة إن الوضع الحالي كان نتيجة مباشرة لما فعله الإنجليز في مؤتمر العقير، وما تلاه من تأسيس دويلات في العراق والأردن هي في الحقيقة واجهة للإنجليز لا غير)[686] .

لقد خسرت القبيلة العربية وهي المكون الرئيسي في الخليج والجزيرة أرضها وديارها الخاصة ا، ونفوذها ومكانتها الاجتماعية لا لوطن يحفظ كيا ا، ويصون كرامتها، ولا دولة يتمتع أفرادها فيها بحريتهم وحقوقهم، بل خسرت كل ذلك لصالح حكم طبقي عشائري فاسد، ولصالح أسر أصغر شأنا منها، لتتقاسم أرضها، وتمزق كيا ا، وتستأثر بثروا ا، وليتحول أفرادها إلى (عبيد بلا أغلال) و (فداوية) عند (المعازيب)!

لقد كان للقبائل في الجزيرة العربية ديارها، فكان لكل قبيلة أرضها، التي تمتد بامتداد نفوذ عشائرها على صحرائها، ولكل قبيلة آبارها ومراعيها الخاصة ا، التي لا أحد يستطيع الشرب منها ولا اا ول فيها إلا بإذ ا، أو بالحرب

[685] ولادة الشرق 643 .

[686] قصة السيطرة البريطانية 426 .

للسيطرة عليها، كما كان للقبائل المستقرة في المدن نفوذها أيضا حيث كانت كل مدينة تمثل تجمعا قبليا أو مجموعة قبائل وأسر مستقرة، كما في مدينة حائل ومدن القصيم والعارض والأحساء والزبير وغيرها من مدن الجزيرة العربية من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال، ولم تكن الكويت والدوحة وأبو ظبي ومسقط والمنامة إلا موانئ ومدنا صغيرة بالمقارنة مع المدن الداخلية في الجزيرة العربية، كما لا مقارنة بين امتداد نفوذ القبائل وامتداد مساحة الأرض التي تسيطر عليها والمدن التي صارت دولا بعد ذلك، كما جاء في رسالة مبارك الصباح للمقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي بتاريخ 1902/1/30م، حيث ذكر فيها وصول جيش ابن رشيد إلى(ديرة الظفير) التي تقع على مسافة خمسة أيام من الكويت[687].

وكما جاء في جواب ابن سعود على رسالة مبارك بخصوص حرب العجمان سنة 1915م وفيه (نحن الآن في وقت القيظ ولا نتمكن فيه من أن نسير بجيش إلى ديرة العجمان)[688]

وكما تمتد كثير من القبائل كقبيلة مطير من البحر الأحمر إلى الخليج العربي مؤكدة وحدة الجزيرة العربية من الخليج إلى البحر الأحمر، كما يقول لوريمر في كتابه الموسوعي (دليل الخليج العربي) عن قبيلة مطير وحدود أراضيها(قبيلة عربية صرفة، في وسط الجزيرة العربية، حدودها أوسع من أي قبيلة أخرى، باستثناء ع ة، وهي القبيلة البدوية الرئيسية التي تزور القصيم، وملكية الدهناء والصمان مقصورة عليهم، وتمتد أماكن تواجدهم في الشمال الشرقي، حتى تتوغل في الكويت، فيقيمون معسكرا م (خيامهم)الصيفية في الجهراء، وفي الجنوب الغربي يوجدون في القصيم، وفي الوشم، ووادي السر، ويصلون إلى العارض، وعلى مسافة بعيدة في المنطقة البركانية بين مكة والمدينة، وحدودهم الشمالية القصوى على الخليج، ويوجدون جنوبا في الحسا، والصمان، ويتصلون في الشمال مع ع ة، وفي الشمال الغربي مع شمر، وفي الغرب مع حرب، وعتيبة، وقحطان، والدواسر، وسبيع، وفي الجنوب مع العجمان،

---

[687] تاريخ العلاقات بين الكويت ونجد 78 .

[688] تاريخ الكويت السياسي 216/2 .

والمرة، وبني هاجر، والمناصير).[689]

وهكذا كل القبائل العربية الممتدة في جزيرة العرب، والتي تؤكد بل تفرض وحدة المنطقة السياسية، وتجعل منها ضرورة اجتماعية قبل أن تكون ضرورة سياسية!

لقد كان الوضع الطبيعي بعد قيام الدويلات الخليجية وامتداد حدودها لتشمل أراضي القبائل الصحراوية وديارها أن تحافظ على وحدة القبيلة الثابتة من خلال وحدة الدولة الطارئة التي قامت على أرضها، لا أن تصبح القبيلة ووحد ا ضحية لقيام الدويلات الخليجية، لفرض ولاء مصطنع للوطن الـزوء على حساب وحدة الدم للقبيلة العربية، ليجد أبناء القبيلة الواحدة حين حدوث حرب أو نزاع بين دولتين خليجيتين أن الولاء الوطني سيكون على حساب الانتماء للقبيلة ووحدة الدم بين أبنائها، وهو ما عزز أزمة الهوية لدى المكون الرئيس للمجتمع الخليجي!

لقد كانت القبيلة وبعد أن خسرت كيا ا الخاص ا تتطلع أن تقوم العلاقة في الدولة الطارئة على أساس المواطنة والمساواة في الحقوق مقابل تنازل تلك القبائل الثابتة عن أراضيها وآبارها وديارها ونفوذها، لتصبح ملكا عامة للدولة الجديدة الطارئة، ليشترك فيها الشعب كله بما فيهم أفرد القبيلة، غير أن ما حصل هو أن شيوخ المدن - التي صارت دولا في ظل المشروع البريطاني - صاروا يتصرفون في أراضي هذه القبائل والمدن التي ضمها لهم الاستعمار البريطاني على أ ا ملك خاص لهم لا ملك للدولة والمال العام فيها! فصاروا يحمون الحمى لهم ولحاشيتهم وأتباعهم، ويقطعون الأراضي لمن شاءوا بعد أن كان لا يستطيع أحد المرور ا أو الـ ول فيها إلا بأمان من القبيلة التي تسيطر عليها إلى أن أخضعها الاستعمار البريطاني بعد سنة 1922م؟!

لقد خسرت القبيلة أرضها فآلت ملكيتها لا إلى دولة وطنية، بل إلى أفراد وإلى أسر إقطاعية لا لشيء إلا لتحالفها مع الاحتلال الأجنبي الذي فرض بقوته العسكرية واقعا طبقيا جديدا!

---

[689] لوريمر دليل الخليج الجغرافي 1626/4 .

لقد تم بفضل بريطانيا قلب الوضع رأسا على عقب كما يقول جون غلوب (إن الوضع الداخلي للشرق الأوسط كان قد تحول تحولا جذريا خلال حقبة العشرينات ففي ذلك الوقت كانت كثير من البلدان العربية تضم قبائل مسلحة، وكانت الاضطرابات التي تثيرها تلك القبائل تشكل ديدا مباشرا للنظام والقانون - أي دد وجود الاستعمار - ونتيجة لذلك كان سكان المدن موالين للحكومات دوما، لأ م كانوا ينتظرون منها دوما حمايتهم من تلك القبائل، وقد استمر ذلك الوضع طيلة الوقت الذي كان باستطاعة القبائل التسلح بنفس الأسلحة التي تتسلح ا قوات الحكومة، وما إن أصبحت الحكومات العربية قادرة على أن تسلح قوا ا بالأسلحة الحديثة، من الطائرات والسيارات المصفحة حتى أصبح أفراد العشائر عاجزين، ومن ثم أصبحوا موالين).[690]

لقد كان هدف بريطانيا من ذلك التقسيم بالأمس هو فرض سيطر ا على المنطقة من خلال حلفائها، فكانت تحكم المنطقة وتدير شئو ا من خلالهم، تحت شعار حماية المنطقة، ونشر الديمقراطية، وتحديث الشرق الأوسط!

لقد حطمت بريطانيا الاستعمارية الشرق الذي كان الإنسان فيه أكثر تحررا قبل قدومها، لتقيم أنظمة استبدادية تخضع الشعوب للاستعمار ومشروعه، وقد كان الجنرال البريطاني في الهند جاكوب - وهو أستاذ بيللي - يؤمن بأن من مسئولية الرجل الأوربي الأبيض تحديث الشعوب الآسيوية، والسيطرة عليها، والتحكم ا، لأ ا في نظره شعوب لا تستحق الحرية، حيث يؤمن (بأن حق أن يحكم الإنسان نفسه هو حق أنجلو ساكسوني، فإذا أرغمنا هؤلاء الشرقيين كي يأخذوا نصيبهم في حكم أنفسهم، فلن يثمر هذا إلا الفوضى وسوء الحكم، فالرجل الأبيض يعتبر التدخل في حقه في أن يحكم نفسه بنفسه، وتقييد حريته، أمرا بالغ الخطأ، في حين أن الآخر الشرقي حين يجبر على أن يحكم نفسه بنفسه يرى أن حيفا قد وقع عليه، وأن الطغيان قد فاض حتى بلغ مداه، إن نظرية أن للجميع حقوقا متساوية، التي يؤمن ا الأنجلو ساكسوني أمر خاطئ هنا، فالشرقي يتوقع أن يكون محكوما، وأن تحسن سياسته الحكومة التي تحكمه، وإلا

[690] مذكرات هنري غلوب باشا 138 .

ربما تمرد على هذه الحكومة وانقلب على حكامه بغية أن يغيرهم، ولكن لا يبتغي أبدا تحقيق حريته، إن مواطني الهند رغم أ م غير مؤهلين للحكم الذاتي، وغير جديرين به، إلا إ م يشعرون بالامتنان والولاء لمن يعمل على الارتقاء بوضعهم الاجتماعي، إ م لا يثقون في نظرائهم كي يرتقوا سدة الحكم، ولا يرضخون لبني جلد م، ولكنهم يرضخون للسيد الإنجليزي الذي يشعرون بأنه الأرقى عنصرا، إننا نحكم الهند لأننا جنس أرقى من الآسيويين، وإنه لولا هذا الارتقاء الطبيعي لما استطعنا أن نحكم الهند حتى لأسبوع واحد، استبعدوا ما يشاع عن المساواة بين العنصرين، دعونا نواجه قدرنا الحقيقي كعنصر قدره السيطرة لكي نضرب لهم المثل الأعلى، وسيصبح حكمنا أكثر رسوخا).[691]

وهي النظرية التي أثبت الشعب الهندي بطلا ا بل وكل شعوب الشرق الأسيوية التي حكمت نفسها بنفسها وتحررت إراد ا من الاستعمار والاستبداد إلا العرب وحدهم!

لقد حاول الاستعمار وحلفائه إشاعة ثقافة زائفة تبرر هذا الواقع الاستبدادي الطبقي بدعوى أن شعوب الخليج مجتمعات قبيلة لا تصلح لها الحرية، وهو ما أثبت بطلانه المستشرق برنارد لويس حيث يقول في كتابه (الحرية والعدالة في الشرق الأوسط الجديد) (جوهر الحكم في الإسلام يتمثل في العدل، فالحاكم الذي يتصف بالعدل لا بد أن يتوفر له شرطان أساسيان : الأول أن يحصل على السلطة بالحق، والثاني يجب أن يمارس هذه السلطة على أساس عادل، أي أن لا يكون غاصبا للسلطة، وأن لا يستبد ا، ولا يوجد أدنى شك من أن المساواة بين المسلمين هي من المبادئ الأساسية في الإسلام منذ نشأته في القرن السابع الميلادي، وهذا ما يميزه عن النظام الطبقي في الهند، وعن النظام الأرستقراطي في الغرب المسيحي، بل إن حقائق الواقع والسجل التاريخي يشهد حتى اية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كانت فرصة رجل فقير ذي مكانة اجتماعية متواضعة في الوصول إلى قمة الهرم الوظيفي والاجتماعي في الدولة الإسلامية أكبر بكثير من إمكانية حصول ذلك في كل الغرب المسيحي، بما في ذلك الولايات المتحدة وفرنسا ما بعد الثورة)، ويقول أيضا في

---

[691] سياسة الأمن لحكومة الهند 114 .

كتابه (الإيمان والقوة)نافيا عن العرب المسلمين الطبيعة الاستبدادية (إن أبرز ما يجده المحلل في الفكر السياسي الإسلامي الغني هو أن الحكم في الإسلام له ثلاثة ضوابط رئيسية شبيهة بالديمقراطية وهي (البيعة) التي تمنح الحاكم الشرعية، و(الإجماع) الذي يحتم المشاركة في القرار، وأخيرا (القيود) على سلطة الحاكم المتمثلة بالشريعة).[692]

وما ذكره هذا المستشرق لا يحتاج إلى أكثر من استحضار التاريخ العربي الإسلامي، واستذكار أبرز قياداته التي شاركت في صناعة تاريخه، والتي جاءت من كل مكونات المجتمع الإسلامي وعلى اختلاف قومياته، خاصة العصر المملوكي الذي تولى فيه المماليك السلطة السياسية في مصر والشام والجزيرة العربية مع أ م في الأصل من الرقيق!

عودة الاستعمارالغربي للجزيرة والخليج العربي:

لقد عاد الاستعمار الغربي العسكري للخليج والجزيرة العربية بشكل مباشر من جديد بعد احتلال العراق، وكان من آثاره الخطيرة استنفار دول الخليج ضد شعو ا على نحو غير مسبوق حتى تحولت جزيرة العرب إلى (قاعدة للجيش الأمريكي) و(سجن كبير لشعو ا)، وبلغ عدد المعتقلين في الخليج العربي جراء الاحتياط الأمني نحو ثلاثين ألف معتقل، خاصة في المملكة العربية السعودية، حيث تم زج آلاف العلماء والمفكرين والكتاب والسياسيين ورجال الأعمال في السجون بلا م ولا محاكمات، لا لشيء إلا لكو م يرفضون الاحتلال الأمريكي في العراق، أو دعموا المقاومة الفلسطينية، أو يرفضون الاستبداد السياسي في المملكة، ويتطلعون كبقية شعوب العالم إلى الحرية والاستقلال!

كما تم منع الآلاف من المواطنين الخليجيين من السفر بين دول الخليج أو السفر إلى الخارج لذات الأسباب، كنتيجة طبيعة لغياب مفهوم المواطنة، ورسوخ مفهوم الرعوية التي تتصرف حكومات الخليج مع شعو ا على أساسه دون وجه حق وبدعم غربي استعماري مطلق!

---

[692] باختصار وتصرف نقلا عن كتاب (مجلس التعاون الخليجي في مثلث الوراثة والنفط والقوى الأجنبية) للدكتور اليوسف ص33 - 34

لقد ظن كثير من الخليجيين بأن الغرب قد يساهم في تعزيز الحريات العامة في المنطقة، دون أن يدركوا بأن السبب وراء سجن عشرات الآلاف من الأبرياء بذريعة الاحتياط الأمني هو الاحتلال الأجنبي، الذي سيطرت قواعده العسكرية على المنطقة سيطرة كاملة بعد احتلال العراق، وبدل أن تستخدم الولايات المتحدة الأسلوب الاستعماري القديم في نفي المعارضين للجزر في البحار، اكتفت بقيام حكوما م بسجنهم دون مة ودون محاكمة ولسنوات طويلة، أو بفرض إقامة جبرية عليهم، أو بمنعهم من السفر والتنقل، حتى لا يكاد يوجد في الخليج عالم حر أو سياسي حر أو كاتب حر إلا وتعرض لشيء من ذلك في كل دول الخليج العربي!

لقد كانوا جميعا ضحايا المشروع الاستعماري الأمريكي للمنطقة، والحكومات الخليجية ليست سوى واجهة لتنفيذ ما يمليه سفراء أمريكا في الخليج بما في ذلك انتهاك حقوق الإنسان، مقابل حماية مصالحها الإستراتيجية!

ولعل أشد الأخطار التي يواجهها العرب في الخليج والجزيرة اليوم عجز دويلات الطوائف عن حماية المنطقة بقدرا ا الذاتية، مع أن عدد سكا ا يبلغ نحو ثلاثين مليون نسمة، ومع اليمن نحو خمسين مليون، ويعيشون على أغنى أرض في العالم كله!

لقد فقدت المنطقة استقلالها وسياد ا بسبب ضعفها وتشرذمها، وبعد الحرب العالمية الثانية صار المشروع البريطاني الاستعماري للمنطقة غير قادر على الديمومة، وعاجزا عن خدمة مصالح الغرب الاستعمارية فجاءت أمريكا اليوم بمشروع الشرق الأوسط الجديد أو الكبير لتبسط نفوذها على المنطقة بشكل مباشر مع استبقاء الحلفاء التقليديين الذين صنعهم الاستعمار البريطاني من قبل!

ومع تكريس وجود دويلات الطوائف العاجزة عن الدفاع عن نفسها وحماية شعو ا من جهة، ومنعها من الاتحاد والتحالف فيما بينها من جهة أخرى، سيبقى الاستعمار هو المؤثر الرئيس في إدارة شئون المنطقة كلها على نحو خطير على حساب الشعوب وحقوقها وحريا ا واستقلالها!

وسيبقى خمسون مليون عربي من ذرية عدنان وقحطان - وهم بقية العرب في جزير م مهبط الوحي ومهد العروبة - (عبيد بلا أغلال) وهم يرون جزير م العربية قد تحولت إلى أكبر قاعدة عسكرية للحملة الصليبية من شمالها إلى جنو ا، ومن شرقها إلى غر ا يحتلها العدو ويوظف شعو ا وثروا ا لخدمة جيوشه وتأمين الطرق لها وتقديم كل دعم لوجستي يسهل من خلاله شن حروبه الصليبية على العالم العربي والإسلامي كله! وإذا دويلا م شاءوا أم أبوا تتحول إلى عضو في حلف النيتو ولتعقد مؤتمرات الحلف المشبوهة على أرض جزير م بعد أن كانت تخرج منها جيوش الفتح الإسلامي!

لقد جاءت الولايات المتحدة لا لتحرر المنطقة بل لتحتلها، وبشكل مباشر باسم الاتفاقيات الأمنية، والقوات المشتركة، وباسم الحلفاء الاستراتيجيين، وللحيلولة دون حدوث أي تغيير سياسي فيها لصالح الشعوب، حتى اعترف بوش الابن بأن الولايات المتحدة دعمت الأنظمة الدكتاتورية في المنطقة مدة ستين سنة!

لقد بدأت رياح الثورة العربية المعاصرة ب على العرب من المحيط إلى الخليج من أجل الحرية وحقوق الإنسان والحياة الكريمة، وستنجح الثورة في كل مكان، وستجد تعاطفا دوليا، إلا في الجزيرة والخليج العربي حيث ستمثل الثورة ديدا مباشرا لا للحكومات الخليجية، بل للاحتلال الصليبي، الذي سيفرض ستارا حديدا، وطوقا على المنطقة كلها عسكريا وإعلاميا للقضاء على أي حركة إصلاح سياسي، وللحيلولة دون وصول إعصار الثورة والحرية، وسيتم إطلاق يد الأنظمة وبدعم أمريكي لتمارس كل أشكال القمع والإجرام ضد شعو ا، ولعل ما جرى في عمان والبحرين والسعودية والكويت والإمارات هو جزء يسير من المشهد - وهو ما جرى مثله تماما في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي على يد الاستعمار البريطاني كما سبق تفصيله - وقد جاء الإعلان عن ضم الأردن والمغرب لمجلس التعاون لاستكمال حلقات المؤامرة على شعب الخليج والجزيرة العربية، فالأنظمة تتهيأ للحرب على شعو ا التي تتطلع إلى الحرية وحقوق المواطنة والمشاركة ككل شعوب العالم في اختيار حكوما ا!

إن أمام حكومات الخليج فرصة للمصالحة مع شعو ا والمبادرة للاستجابة

لحقوقها المشروعة وتحقيق الإصلاح السياسي المنشود قبل أن تفوت الفرصة الأخيرة!

كما إن شعب الخليج والجزيرة العربية يواجه اليوم تحد تاريخي هو الأخطر منذ سنة 1922م، وهو ما يجعل من الدعوة إلى الوحدة والحرية والاستقلال، وتحطيم قيود العبودية وكسر تلك الأغلال، الطريق نحو استعادة العرب في الخليج والجزيرة لهويتهم ودينهم ووحد م وشرفهم الذي فرطوا فيه بعد عقود من الذل والخنوع والإذلال، وعقود من الاحتلال لبلدا م، وتمزيق أوطا م، ومسخ أديا م، وليس أمامهم اليوم إلا الثورة السلمية أو الطوفان!

اللهم {ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين} اللهم آمين ..